(فهرست كتاب نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز صلى الله عليه وسلم)

صحيفة

٢ خطبة الكتاب

٣ الباب الاول في مولده الشريف الى بعثته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

٣ الفصل الاول في مولده الشريف ونسبه المنيف ورضاعه وكفالته

٣١ الفصل الثاني في ذكر عمل مولده الشريف واشهاره كل سنة وفيما جرى في مولده وبعده من الوقائع

٤٨ الفصل الثالث زواج السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بأشرف الخلق صلى الله عليه وسلم

٥٢ ولادة السيدة فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم

٦١ الباب الثاني في مبعثه صلى الله عليه وسلم ودعائه الناس الى الدين الحق وهجرته الى الحبشة والى الطائف وفيه فصول

٦١ الفصل الاول في رسالته صلى الله عليه وسلم على رأس الاربعين الى كافة الناس بشيرا ونذيرا

٦٤ مطلب اسلام خديجة وأبي بكر وعلي رضي الله عنهم

٦٤ اسلام عثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص

٦٧ سبب اسلام حمزة رضي الله عنه

٦٨ الفصل الثاني في الهجرتين الى الحبشة

٦٩ اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسبب اسلامه

٨٥ الفصل الثالث في هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف قبل هجرته الى المدينة المشرفة

٨٧ الفصل الرابع في الاسراء به صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام وعروجه من المسجد الاقصى الى السموات العلى

٩٢ مطلب فرض الصلاة عليه وعلى أمته صلى الله عليه وسلم

١٠٨ الباب الثالث في هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وما ترتب على ذلك من المظاهر الاسلامية والظواهر التعليمية وفيه فصول

CHECKED

صحيفة

١٠٨ الفصل الأول في الاسباب الباعثة على هذه الهجرة والتمهيد لها

١١٦ الفصل الثاني في سيره صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة مع صاحبه صديقه رضي الله عنه وهو ابتداء التاريخ الاسلامي

١٣١ الفصل الثالث في ذكر الظواهر الحادثة بعد الهجرة اجمالا

١٣٣ الباب الرابع في تفاصيل الظواهر التي حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام الى وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

١٣٣ الفصل الاول في ظواهر السنة الاولى من الهجرة وما فيها من الغزوات

١٣٥ غزوة الابواء

١٣٦ غزوة بواط

١٣٦ غزوة العشيرة

١٣٧ الفصل الثاني في ظواهر السنة الثانية من الهجرة وما فيها من الغزوات

١٣٧ تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام

١٣٨ فرض صوم رمضان وأمر الناس باخراج زكاة الفطر

١٣٨ رؤيا عبد الله صورة الأذان في النوم وورود الوحي بذلك

١٣٩ غزوة سفوان ويقال لها غزوة بدر الأولى

١٣٩ غزوة بدر الكبرى

١٤٦ قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا

١٥٢ اسلام العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم

١٥٤ اسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه

١٥٧ فضل الشهداء

١٥٩ غزوة بني قينقاع

١٦٠ غزوة السويق

١٦٢ وقعة ذي قار بين بكر بن وائل وبين جيش كسرى أبرويز

١٦٣ غزوة قرقرة الكدر

١٦٣ الفصل الثالث في ظواهر السنة الثالثة من الهجرة وما فيها من الغزوات

صحيفة
١٦٤ ولادة الحسن بن علي رضي الله عنه
١٦٤ غزوة بحران
١٦٥ غزوة أحد
١٦٧ موت حمزة عمه صلى الله عليه وسلم شهيدا
١٧١ غزوة حمراء الاسد
١٧١ الفصل الرابع في ظواهر السنة الرابعة من الهجرة وما فيها من الغزوات
١٧١ غزوة بني النضير
١٧١ تحريم الخمر
١٧٤ قصر الصلاة الرباعية الى ركعتين في السفر
١٧٤ نزول آية التيمم
١٧٥ رجم اليهوديين اللذين زنيا ونزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون
١٧٧ غزوة ذات الرقاع
١٧٨ غزوة بدر الموعد وتسمى غزوة بدر الصغرى ويقال الصفراء بالفاء وبدر الثانية والثالثة
١٧٨ غزوة الخندق ويقال لها غزوة الاحزاب
١٨٦ غزوة بني قريظة
١٩٣ قدوم قوم من عضل والقارة عليه صلى الله عليه وسلم وطلبهم منه ان يبعث معهم من يفقه قومهم في الدين
١٩٤ نزول آية الحجاب
١٩٥ الفصل الخامس في ظواهر السنة الخامسة وما فيها من الغزوات
١٩٦ غزوة دومة الجندل
١٩٧ غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة
١٩٨ الفصل السادس في ظواهر السنة السادسة وما فيها من الغزوات
١٩٨ غزوة الغابة وتعرف بذي قرد
١٩٩ غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع

صحيفة

٢٠٠ قصة الافك
٢٠٤ كسوف الشمس
٢٠٤ غزوة الحديبية
٢١٣ فرض الحج على ماعليه الجمهور
٢١٣ نزول حكم الظهار
٢١٤ استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٥ الفصل السابع فى ظواهر السنة السابعة ومافيها من الغزوات
٢١٥ غزوة خيبر
٢١٨ اهداء الشاة المسمومة للنبى صلى الله عليه وسلم
٢٢٠ فتح فدك
٢٢٣ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان ودعاؤه الى الاسلام
٢٢٣ اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم
٢٢٣ بعث رسله الى الملوك
٢٢٤ عمرة القضاء
٢٢٦ اسلام أبى هريرة رضى الله عنه
٢٢٧ قدوم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وأصحابه من الحبشة
٢٣٣ الفصل الثامن فى ظواهر السنة الثامنة ومافيها من الغزوات
٢٣٣ قدوم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة واسلامهم
٢٣٣ غزوة مؤتة
٢٣٥ نقض الصلح وغزوة فتح مكة الذى هو أعظم الفتوح الاسلامية
٢٣٧ اسلام أبى سفيان
٢٣٧ اسلام معاوية بن أبى سفيان
٢٤٥ اسلام كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى
٢٤٦ اسلام أبى قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما
٢٤٨ غزوة حنين وهى غزوة هوازن

صحيفة

٢٠١ غزوة الطائف
٢٠٤ الفصل التاسع فى ظواهر السنة التاسعة وما فيها من الغزوات
٢٠٤ غزوة تبوك وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم
٢٠٩ (وطبعت غلطا ٥٢٩) هدم مسجد الضرار
٢٥٩ جدول يضبط ما تفرق من الغزوات التى سبق ذكرها تفصيلا
٢٧٣ الفصل العاشر وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم وحجة الوداع
٢٧٣ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى نجران وما حولها يدعو بنى الحارث بن كعب الى الاسلام
٢٧٦ قدوم وفد نجران
٢٧٨ حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام
٢٨٣ الباب الخامس فى وفاته صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخلاقه وصفاته ومعجزاته وأزواجه وأعمامه وعماته وأخواله ومواليه وخدمه وحشمه صلى الله عليه وسلم وفيه فصول
٢٨٣ الفصل الاول فى ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك
٢٩١ الفصل الثانى فى ذكر بعض أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم
٣٠٢ خصائصه صلى الله عليه وسلم
٣٠٦ الفصل الثالث فى ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم
٣٠٧ مطلب عدد آيات القرآن
٣١٧ الفصل الرابع فى ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وقرابته ومواليه
٣٥٠ الباب السادس فى الوظائف والعملات البلدية خصوصية وعمومية أهلية داخلية وجهادية التى هى عبارة عن نظام السلطنة الاسلامية وما يتعلق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول
٣٥٠ الفصل الاول فى خدمه الخاصة به صلى الله عليه وسلم
٣٥٧ الفصل الثانى فيما يضاف الى الامامة العظمى من الاعمال الاولية كالوزارة والحجابة وولاية البدن والسقاية والكتابة

صحيفة

٣٨٠ مطلب إمارة الحج الشريف
٣٨٣ مطلب أعمال الكسوة
٣٨٣ مطلب كون العمال قديما أربعة من العراق ومصر والشام واليمن
٣٨٩ الفصل الثالث في العمالات الفقهية وما يضاف اليها
٤٠١ مطلب من كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٣ مطلب تعبير الرؤيا
٤٠٩ الفصل الرابع في بعث الرسول يدعو الى الاسلام أو للصلح أو للأمان أو لمصلحة غير ذلك من السفارات وما يتعلق بذلك من الترجمة وغيرها
٤١٥ مطلب تراجمة النبي صلى الله عليه وسلم
٤١٥ مطلب شعرائه صلى الله عليه وسلم
٤٢٠ الفصل الخامس في كتابة الجيش والعطاء والديوان والزمام وبيان ان الديوان له أصل في عهده صلى الله عليه وسلم
٤٢٦ الفصل السادس في العرفاء والحاسبين
٤٢٧ الباب السابع في العمالات المتعلقة بالاحكام وفيه فصول
٤٢٧ الفصل الاول في الامارة والقضاء وما يتعلق به من اشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود
٤٣٣ الفصل الثاني في فارض المواريث وفارض النفقات والقسام وناظر البناء للتحديد
٤٣٥ الفصل الثالث في ذكر المحتسب والمنادي وصاحب العسس ومتولي حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود
٤٤٥ الباب الثامن في العمالات الجهادية وما يتشعب منها أو تعلق بها وفيه فصول
٤٤٥ الفصل الاول في الامارة على الجهاد واستخلاف الامام على مدينته أو على أهله اذا خرج عنها للغزو أو غيره وذكر المقدم
٤٤٧ الفصل الثاني في صاحب اللواء وذكر أول لواء عقد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٥١ الفصل الثالث في انقسام الجيش الى خمسة أقسام

صحيفة

٤٥٣ الفصل الرابع فى صاحب الخيل والمسابقة
٤٥٥ الفصل الخامس فى ذكر سلاح النبى صلى الله عليه وسلم وإعداد السلاح فى سبيل الله وذكر من تولى النظر فى ذلك فى عهده صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب السلاح وذكر من تولى حوسه
٤٥٨ الفصل السادس فى ذكر ما يتعلق بالسفر للغزو وغيره من الدلالة وتسهيل الطريق والحراسة والتجسس ومنه تخذيل الاعداء والأمانة على الحرم
٤٦٥ الفصل السابع فى صاحب الثقل وهو متاع المسافر وحشمه
٤٦٦ الفصل الثامن فى مواد المحاصرات كالمنجنيق والدبابات والخنادق
٤٦٨ الفصل التاسع فى صاحب المغانم
٤٧٠ الفصل العاشر فى البشير الذى يبعث للبشارة بالفتح
٤٧١ الفصل الحادى عشر فى ذكر ما استعمل من السفن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أمته يركبون البحر غزاة فى سبيل الله
٤٧٢ الباب التاسع فى العمالات الجبائية وفيه فصول
٤٧٣ الفصل الاول فى صاحب الجزية وصاحب الاعشار والترجمان ومستوفى خراج الارضين وصاحب المساحة والعامل على الزكاة والصدقات والخارص
٤٨٠ الفصل الثانى فى الاوقاف
٤٨٣ الفصل الثالث فى صاحب المواريث والمستوفى والمشرف
٤٨٦ الباب العاشر فى العمالات الاخرابية وفيه فصول
٤٨٠ الفصل الاول فى صاحب بيت المال وفى خازن الطعام وفى الوزان والكيال
٤٨٧ الفصل الثانى فى الاوزان والاكيال الشرعية المستعملة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى ضرب السكة
٤٩٠ الفصل الثالث فى اتخاذ الابل والغنم ووسم الدواب أو فى حمى الامام مراعى للنعم الواردة من الزكاة
٤٩٣ الباب الحادى عشر فى عمالات مختلفة وفيه فصول

صحيفة

٤٩٣ الفصل الاول فى المنفق وفى الوكيل فى الامور المالية وفى انزال الوفد فى دار الضيافة وفى انزال الوفد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٩٥ الفصل الثانى فى المارستان والطب والرقية والفصد والكى والمكان الذى اتخذ لايواء الفقراء الذين لا يأوون على أهل ولا مال
٥٠٠ الباب الثانى عشر فى حرف وصناعات كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول
٥٠٠ الفصل الاول فى التجارة وتوابعها
٥٠٥ الفصل الثانى فى حرف مختلفة للرجال دون الصنائع المذكورة لهم
٥١٥ الفصل الثالث فى النساء المحترفات فيما يليق بهن وهن الماشطة والقابلة والخافضة والغاسلة والمغنية

(تمت فهرست كتاب نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز)
(صلى الله عليه وسلم)

(نهاية الإيجاز)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد لمن جعل نبيه أعلى درجات الشرف وأصحابه إلى أسنى مدارج الغرف ونسخ
بشريعته الشريفة ودينه القويم شرائع من تقدمه من الأنبياء والمرسلين صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وعلى آله الذين ساروا وركائب سيرته الحسنى في سائر
الآفاق وفخروا بالوجه الأسنى [illegible] (أما بعد)
فلما صار الشروع في الجزء الثاني من كتاب توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق
بني إسماعيل حتى أنه لاغنى عن توشيحه بالسيرة النبوية واقتبست ذلك من صحيح
[illegible] تعالى [illegible] الإسلام مع أهل الوطن وتسامح
[illegible]
[illegible] واهدى [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

لا يطربون سوى بذكر حبيبهم * أبدا فكل زمانهم أفراح

آخر

اذا تلفظت لم أنطق بغيركمو * وان سكت فأنتم عقد إضماري

فكانت هذه السيرة كما قيل

ميادين تهيامي ومسرح خاطري * وللشوق غايات بها ومبادي

وسميتها إمداد الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز هذا ومع أن الجزء الاول طبع بالمطبعة الأميرية الكبرى فقد بادر سعادة أفندم علي باشا مبارك ناظر المدارس بإيراد هذه السيرة بجملتها [illegible] في روضة المدارس وهذا لا يمنع من طبع الجزء الثاني بانفراده عند تمامه ليكون نظير الاول في حسن نظامه

(المقالة الخامسة)

في ظهوره صلى الله عليه وسلم وأحواله وتنقلاته ووفاته وابتداء حوادث الخلفاء الراشدين وذكر الخطط والعمالات الاسلامية التي كانت في عهده صلى الله عليه وسلم الى استخلاف أبي بكر رضي الله عنه وفيها أبواب

(الباب الاول في ولادته الشريفة الى بعثته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)

(الفصل الاول في مولده الشريف ونسبه المنيف ورضاعه وكفالته)

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي قيل فيه

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

وهذا القدر لا اختلاف فيه عند الأئمة وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف في أن عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانما الخلاف في عدد ما بين عدنان واسماعيل من الآباء فمقل ومكثر وكذلك من ابراهيم الى آدم علم ما [illegible] لا يعلم حقيقته الا الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى في النسب الى معد بن عدنان أمسك وقال كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقد أجمع العلماء على أنه عليه [illegible] على ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام

[illegible] اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فانتهاء النسب الى اسماعيل كنبيه
[illegible] وذو النبوة العظمى والملك الشديد متفق عليه كمال الاتفاق
وأما امه صلى الله عليه وسلم فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فتجتمع آمنة بنت وهب مع زوجها
عبد الله بن عبد المطلب في كلاب بن مرة [illegible] من ولده فعبد الله من ولد قصي
بن كلاب بن مرة هاشمي وآمنة بنت وهب من زهرة بن كلاب بن مرة فهي
قرشية زهرية

وهو صلى الله عليه وسلم مصباح الكون [illegible] خير بني آدم لانه من نور الله فان الله
عز وجل حين خلق آدم عليه السلام [illegible] واستخرج في عالم الذر من ظهره
ذريته وأشهدهم [illegible] لاحت أنوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكان نور
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشدها التماعا وأنورها [illegible] فلم يزل نوره صلى الله
عليه وسلم [illegible] في كل الأزمان ينتقل بامر [illegible] من [illegible] الآباء الى خير الابناء
حتى انتهى الى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ثم الى ابنه عبد الله
الذبيح الثاني والد [illegible] أبي القاسم أشرف الناس [illegible] عجما وعربا ذي القدر العلي
والفضل الجلي [illegible]
الذي نقله الله من الاصلاب [illegible] الى الارحام الطاهرة [illegible]
[illegible] السلام انه قال ما ولدني [illegible]
أي [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] ابراهيم خليل الله [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]

(في سيرة ساكن الحجاز)

نسب أضاء وشمسه من هاشم * وسماؤه من يعرب ونزار
من معشر ورثوا السياده كابرا * عن كابر فهم كبار كبار

ومن كلام عمه أبي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

وولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين طلع الفجر وهو وقت البركة كما قال صلى الله عليه وسلم بورك لأمتي في بكورها لاثنتي عشره ليلة خلت من شهر ربيع الاول على المشهور واختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس وحكى الاتفاق عليه قيل وكل قول يخالفه وهم والمشهور انه بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل غير ذلك ويوم الاثنين كانت هجرته ووفاته وكذا الاسراء به قيل وابتداء نبوته فهذه صارت أيامه مفتخرة بالنور ودياليه مسرورة بالنور وكان صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق والخلق كما هو مشهور وكانت ولادته في زمن الملك العادل كسرى نوشروان وهو الذي انشق من ايوانه أربع عشرة شرفة وموضوعه حديث أنا ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان لا تغتر من وصف كسرى بالعدل فقد ذكر الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب التبر المسبوك الى ملوك الملوك ان الخالق جلت قدرته أرسل نبيه في أسعد وقت وأوان في عهد خير الملوك فكان الملك في ذلك الزمان كسرى أنوشروان وانه فاق جميع الملوك بعدله وسياسته وذلك كله ببركة قدوم سيد الكائنات [illegible] كسرى بالعدل واطلاق العدل [illegible]

[illegible]

السلام حين بنى الكعبة دعا لاهل مكة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى عليه السلام فى قوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وأخرج من حديث عمرو بن مرة قال خمسة سموا قبل ان يكونوا محمد بقوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ويحيى بقوله إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وعيسى بقوله مصدقا بكلمة من الله واسحاق ويعقوب بقوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وانما سمى فى بشارة عيسى باسم أحمد مع ان اسمه الذى سماه به جده عبد المطلب محمد رجاه أن يحمد فى السموات والارض وقد حقق الله رجاءه كما سبق فى علمه لان أحمد فى الحقيقة أبلغ من محمد كما ان أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر قال صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء انا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما وقد ذكر الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى فيما وافق من اسماء الله الحسنى لاسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصيدة له فقال

وحلاه من حسنى أساميه جملة * أتى ذكرها فى الذكر ليس يبيد
وفى كتب الله المقدس ذكرها * وفى سنة تأتى بها وتعيد
رؤف رحيم فاتح ومقدس * أمين قوى عالم وشهيد
ولى شكور صادق فى مقاله * عفو كريم بالنوال يعود
ونور وجبار وهاد من اهتدى * ومولى عزيز ليس عنه محيد
بشير نذير مؤمن ومهيمن * خبير عظيم بالعظيم يجود
وحق مبين آخر أول سما * الى ذروة العلياء وهو وليد
فآخر أعنى آخر الرسل بعثة * وأول من ينشق عنه صعيد
أسامى بها سمى إذ هى عددت * نعوت ثناء والثناء عديد

ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم طه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله فى قوله تعالى وانه لما قام عبد الله ونبى التوبة ونبى الرحمة ومذكر فى قوله تعالى انما انت مذكر الى غير ذلك من الاسماء روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر

فاذا

ماذا باعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا باعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجى الله وان عيسى روح الله وكلمته وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر انتهى فقوله صلى الله عليه وسلم ألا وأنا حبيب الله اراد صلى الله عليه وسلم المحبة العامة التى منها توحيد المحبة وهى الخلة الخاصة فهو صلى الله عليه وسلم حبيب وخليل حيث تخللت المحبة الموحدة فى جميع أجزاء روحه صلى الله عليه وسلم كما قيل

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا

لاسيما وانه قد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فحصل له من الانعام الحب العام على الخاص والعام كما قيل

حلالك هذا الخلة المحبة * بذلك طاب الوادبان كلاهما

ولا نظر لزعم من لا علم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل محتجا بأن محمدا حبيب الله وابراهيم خليل الله وقد علمت ما يفيد خلاف ذلك لما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا فلم يتخذ أبا بكر الا حبيبا على ان المحبة فى ذاتها أفضل من الخلة كما هو التحقيق لما ان الحبيب من يحب بلا امتحان والخليل من يمتحن ليحب ولانه صلى الله عليه وسلم لم يوصف بالحبيب وان كان خليلا وابراهيم عليه السلام يوصف بالخلة وهو حبيب لصدق تعريف الحبيب عليه ولاهل الاشارات مشرب آخر حسن فى مغايرة المحبة والخلة وتفضيل الاولى على الثانية حيث قالوا انما تسلى الخليل بواسطة وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب بدونها فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت انه لا حاجة الى ذلك لعموم المحبة ودخوله فى اوان هذه الاشارة الصرفية معنى ... فيهما سيدنا وسيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

وقد ... الله تعالى كل واحد من أنبيائه بكرامة فاكرم آدم عليه السلام بسجود ... الملائكة ... وجاء ابنه السلام باجابة الدعوة ... على

الارض من الكافرين ديارا وموسى عليه السلام بالكلام وكلم الله موسى تكليما وابراهيم عليه السلام بالخلة واتخذ الله ابراهيم خليلا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه بالآية يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

وقوله انا سيد الاولين والآخرين إخبار عما أكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدث بنعمة الله تعالى عليه وإعلام لأمته ليكون إيمانهم به على حسب موجبه ولذا أتبعه بقوله ولا فخر والمعنى هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان أفتخر بها ولا يعارض هذا ما في الحديث انه جاءه رجل فقال له انت سيد قريش فقال السيد الله أي هو الله الذي يحق له السيادة اهـ ومحمول على انه كره ان يحمد في وجهه وأحب التواضع وكذلك ما روي عنه عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس ابن متى أي تفضيلا يؤدي الى تنقيصه والا فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم على الاطلاق وقد روي عن علي رضي الله عنه قال سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هبط علي جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لكل شيء سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة

وقد اختصه الله سبحانه وتعالى من أطيب العشائر نكاحا وحماه من دنس الفواحش والسفاح ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام مطهرة بشهادة وتقلبك في الساجدين فكان نور النبوة ظاهرا في آبائه لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصر نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية وانفرد به نهاية فلا يشارك فيه ولا يماثل فلذا مات أبواه في صغره فهو سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل ولا مستبذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وبعضهم

تنقل أحمد نورا مبينا * تلألأ في وجوه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا * الى ان جاء خير المرسلينا

وروي عن هشام بن محمد السائب الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية [illegible]

الامهات من جهة الاصلين اى أمهات أبيه وامه وأمهات آبائهم وامهاتهم لامكان الستين التى تحسب فيها الاجيال وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ ومن ثم ورد عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق أبواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا يتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وبالجملة فكان نكاح اصول النبى صلى الله عليه وسلم كنكاح الاسلام فى انه بايجاب وقبول وان لم يكن مستجمعا للشروط التى اعتبرت فيما بعد فى نكاح الاسلام لان استيفاء شروطه الاسلامية كان على سبيل الاتفاق دون القصد أو المراد كنكاح الاسلام فى الجملة لان اسلام الولى أو عدالته امر متعذر قبل الاسلام خصوصا أيام الجاهلية فنكاح أصوله صلى الله عليه وسلم منزه عن السفاح أى الزنا واتخاذ الاخدان وما كانوا عليه فى الجاهلية من نحو نكاح زوجة الاب حيث انهم كانوا فى الجاهلية اذا مات الرجل منهم وخلف أولادا كبارا وصغارا فالكبار يتزوجون بزوجة أبيهم وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم مبرأ عما كانت تستعمله العرب فى الجاهلية من أنواع السفاح التى لا تعد فى الاسلام نكاحا

فقد كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء * الاول نكاح كنكاح الناس اليوم أى بايجاب وقبول * الثانى نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقون واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن غلب عليه شبهه منهم * الثالث نكاح الاستبضاع وذلك ان المرأة كانت فى الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها أرسلى الى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها فاذا حملت أصابها زوجها اذا أحب * الرابع نكاح الجمع وهو أن تجمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت منهم فيلحق به ولدها ولا يستطيع ان يمتنع الرجل ولا [illegible] شبهه [illegible] فنكاح آباء النبى صلى الله عليه وسلم وامهاته كان من قبيل القسم الاول وبرأهم عما [illegible] فقد طهره الله عن ادناس الجاهلية [illegible] الجاهلية الجهلاء حتى [illegible] [illegible] [illegible]

المسدد المعصوم في البداية والنهايه وكم قدذكرله في الصغر وقبل النبوة وبعدها من آيه وهبة من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم حيث اجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه عليه السلام الى ان أخرجه صلى الله عليه وسلم من بين أبويه على نمط واحد وفق شريعته ولذلك قال الامام السبكي ان الانكحة الواقعة في نسبه صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة لشروط الصحة كأنكحة الاسلام قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر

وما نقل عن أبي المنذر انه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العزى يوما فقال لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي فكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتراء عليه حيث قد أطبق الاجماع على انه صلى الله عليه وسلم لم يتدنس هو ولا آباؤه مما كانت عليه الجاهلية وما أقبح من يروم التصنيف ويجعل في مصنفه مثل هذا الكذب القبيح فانه ينادي على نفسه بعدم المعرفة والاتصاف بالجهالة والسفه ولم يكن شئ مثل ذلك الا لكفار قريش حيث كانوا يطوفون بالكعبة ويقولون واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ولم يثبت شئ من ذلك في حق أحد من آبائه صلى الله عليه وسلم على عمود النسب وقد فسر العلماء قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين أي يرى تقلبك وأنت نور في أظهر الساجدين يعني في اصلاب وارحام المؤمنين من لدن آدم وحواء الى عبدالله وآمنة فعلى هذا جميع اصوله رجالا ونساء مؤمنون ثم أورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه على دين قومه بمقتضى الآيات وأجابوا عنه بجوابين احدهما انه كان عم ابراهيم لا أباه وتسميته أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وثانيهما ان آباءه صلى الله عليه وسلم لم يدخلهم الشرك ذكورا واناثا مادام النور المحمدي في الذكر والانثى فاذا انتقل منه الى بعده أمكن ان يعبد الله وغيره وآزر ما عبد الاصنام الا بعد انتقال النور منه لابراهيم عليه السلام وأما قبل فلم يعبد غير الله وهذا الجواب الثاني المقيد لتنزه النور المحمدي عن ان يكون قد حل في أصل غير طاهر مادام ساكنا فيه فهو وان استحسنه بعض العلماء الا انه لا يخلو من خلل بالنسبة اذ كيف يسكن النور المحمدي في صلب طاهر ورحم نقي ثم يحدث الاصل بانتقال النور فيه ذنبا ما لا يليق بلفظ الساجدين الذي عبر به عن المؤمنين لكن لنكتة في التجوز عن المؤمنين الى الاصلين ثم الى الساجدين ولو فسر قوله وتقلبك في الساجدين بما يشير اليه بعض المفسرين بقوله انه اراد تعالى تقلبك في اصلاب الانبياء

[illegible] إلى نبي حتى أخرجك في هذه الامة لما ورد على هذا التفسير [illegible] وإنما يكون المراد بالساجدين آباؤه من الانبياء فقط مع ان القصد التعميم ولكن لا مانع من ان يكون المراد بالآباء الساجدين الذين أولهم ابراهيم عليه السلام صاحب الملة الحنيفية ويؤيده ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وقوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي فلن يزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله وورد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه قال الاخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده انتهى وهذا كله اذا فسرنا الآية بهذا التفسير المعقول المعنى الذي نسبه الفخر الرازي عندنا للشيعة مع انه منقول عن أهل السنة كما يعلم ذلك من اطلع على التفاسير الاخرى القرآنية وبالجملة فذلك الامام عضد تفسير الآية بخبر لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات بل قال انه خبر آحاد فلا يعارض القرآن فالذي يجب اعتقاده طهارة نسبه صلى الله عليه وسلم ولا يرد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب الذي نزل فيه قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

ولكن سوف أموت على ملة أشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف انتهى لانه لا يبعد أن تكون ملة عبد المطلب وهاشم وعبد مناف هي ملة ابراهيم حيث هم من اصوله [illegible] يحكى عن هشام بن الكلبي انه قال لما احتضر [illegible] جمع [illegible] وجوه قريش [illegible] وأوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه [illegible] واني أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء [illegible] قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني انظر الى صعاليك العرب و[illegible] [illegible]

كلمته وأعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخر لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم مات وكان موته قبل الهجرة بثلاث سنين وأربعة أشهر قبل موت خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام وله من الولد طالب ومات على دين قومه وعقيل وجعفر وعلي ومن الاناث ثنتان أم هانئ واسم أم هانئ فاختة وقيل هند وقيل فاطمة وجمانه اسلموا ولهم صحبة وأمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم والعقب من أبي طالب في ثلاثة أبطن وهم العلويون أولاد علي والجعفريون أولاد جعفر والعقيليون أولاد عقيل

وعلى كل حال فالحذر كل الحذر من ذكر أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبوا الشخص بما ينقصه تأذى ولده بذلك عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة قالت جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ومن آذاني فقد آذى الله وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات ولا ريب ان ايذاءه كفر يقتل فاعله ان لم يتب خصوصا وان أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان لانهما من أهل الفترة وأهل الفترة ناجون وان عبدوا الاصنام الا أفرادا علم الله فيهم أمرا فحكم عليهم بالكفر كحاتم الطائي وامرئ القيس والفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقد دلت الادلة على انه لا يعذب حتى تقوم الحجة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن حسناتهم انه عام حجة الوداع حتى آمنا بالله ورسوله ونفع الايمان بعد الموت من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس بممتنع عقلا وشرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره عن قاتله وقصته مشهورة وفي الكتب مسطورة وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بنص القرآن فأحيا عازر بعد موته بثلاثة أيام ومن عجوز وهو محمول على سريره وابنة العاشر فعاشوا مدة وولد لهم وكذلك نبينا

صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ولا غرو فهو أحق بذلك والظن بالله جميل وليس تعجز قدرته عن ذلك فاذا ثبت هذا فما يمتنع المدعى أى إيمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضله فقول من قال انهما ماماتا كفارا لان الايمان بعد الموت غير نافع مردود بما روى فى الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون إحياء أبويه نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا بدع أن يكون الله كتب لابوى النبى صلى الله عليه وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما أى أحياهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما أكرم الله به نبيه عليه الصلاة والسلام وقال بعض الافاضل فى حل هذه المسألة ما ملخصه ان أهل الفترة ثلاثة أقسام (الاول) من أدرك التوحيد ببصيرته ومن هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة وزيد ابن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث (القسم الثانى) من أهل الفترة من بدل وغير فأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحى وهو أول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام وتبعته العرب فى ذلك (القسم الثالث) من أهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى طول عمره على حال غفلة من هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك وحيث انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة ما يدل على تعذيب أهل الفترة كحديث رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ونحو ذلك فيحمل على القسم الثانى من أهل الفترة لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث حيث ان الله سبحانه وتعالى سمى جميع هؤلاء من هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأما أهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو ابن نفيل فقد قال عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم بالاسلام الناسخ لكل دين وأما أهل القسم الثالث الذين هم أهل

الفترة حقيقة فهم غير معذبين وقال الجلال السيوطي ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا على التوحيد ودين ابراهيم كما كان كذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل كما يدل عليه قوله

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير

وقس ابن ساعدة وورقة بن نوفل وعمير بن حبيب الجهني وعمرو بن عبسة وجماعة آخرين وهذه طريقة الفخر الرازي وزاد أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك وقال الجلال السيوطي أيضا انى لم أدع المسألة اجماعية بل هي مسألة ذات خلاف فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير انى اخترت أقوال القائلين بالحياة لانه أنسب بهذا المقام وما أحسن كلام الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين بن عبد الله بن محمد الدمشقي المولود سنة سبع وسبعمائة حيث قال في كتابه مورد الصادي بمولد الهادي بعد أن أخرج الحديث في إحياء أمه من طريق الخطيب فصرح بضعف الحديث ولم يلتفت لزعم وضعه وكفى به حجة

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وقد رد بعضهم على هذه الابيات بقوله

أيقنت ان أبا النبي وأمه * أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة * سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

ولئن سلم انه من قسم الضعيف فهو الذي يجوز روايته في الفضائل والمناقب دون الموضوع وقال أبو القاسم السهيلي في أوائل كتابه الروض الانف بعد أن أورد حديثا انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما فآمنا به ثم أماتهما والله تعالى قادر على كل شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل لأن يخصه بما شاء من إكرامه انتهى وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التي اعتمدها الائمة الحفاظ ... الأولى ثم ... صلى الله عليه وسلم ...

ولا يبعد على من أحيى الله به الثقلين ان يحيى به الابوين ولا عبرة باحتجاج المنكر في هذا المقام العظيم بأنه نزل فيهما ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فقد تقرر في علوم الحديث ان سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع لا يقبل منه الا الصحيح المتصل الاسناد لا الضعيف ولا المقطوع وسبب النزول لا يعرف له كما قال السيوطي اسناد صحيح متصل ولا ينكر ذلك أحاديث الحسنين مع ما ينضم الى ذلك من بلاغة الخطاب وان الآيات من قبل ومن بعد كلها في أهل الكتاب فدلت الآية على ان المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب ويؤيد ذلك ان السورة مدنية خوطب فيها من بني اسرائيل الذرية وأكثر ما خوطب فيها اليهود الناقضون ما في التوراة من العهود على انه قد قيل بصحة الاحاديث الدالة على ان العرب لم يكفروا من لدن عهد ابراهيم الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم عليه السلام ورآه النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك يجر قصبه في النار أي أمعاءه وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وفي الروض الانف لا تسبوا إلياس فانه كان مؤمنا وفي دلائل النبوة لابي نعيم ان كعب ابن لؤي أوصى ولده بالايمان بالنبي قال السيوطي وقال أيضا ان أما عبد كلاب وقصي [illegible] ثم أطعن فيهم مقل عارم وأما عبد المطلب ففيه خلاف والاشبه انه من اهل الفترة وممن لم تبلغه الدعوة وقد استشهد القيل القائل بايمانه بقوله في قصة أصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

وقد [illegible] ذلك قال [illegible] بكسر [illegible] جمع [illegible] وهي [illegible] البيوت والذي [illegible] حلالك [illegible] المفسرين [illegible] مكان الحرم وقوله ومحالهم بكسر [illegible] قوله [illegible] أهل وهو اليوم الذي يأتي بعد [illegible] الا في [illegible] المطلب [illegible]
[illegible]

ولا يشكل على ذلك قصة الذبيح فان النذر لا يقتضي عدم الايمان ولا عدم نجاة أهل الفترة وكذلك ارادة الذبح عند الاصنام الموجودة في الكعبة فان هذه محض عوائد لا عقائد كما سيأتي ذكره وبيانها ان عبد المطلب لما أراد حفر زمزم منعته قريش منه وآذاه بعض سفهائهم ولم يكن له ولد الا الحارث فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله تعالى عند الكعبة وقيل سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف أبو المطعم قال يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب اتقول هذا وانما كان نوفل أبوك في حجر هاشم فقال عدي فأنت أيضا كنت عند أخوالك من بني النجار حتى ردك عمك المطلب قال أبا لقلة تعيرني فوالله لئن أتاني الله عشرة من الولد الى آخره واحتفر عبد المطلب زمزم هو والحارث فكانت له فخرا وعزا وكثر أولاده واختلف في عدد أولاد عبد المطلب فقيل ثلاثة عشر وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل تسعة فمن قال ثلاثة عشر قال هم الحارث وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والعباس والمقوم وحجل وضرار وقثم وأبو لهب والغيداق فهؤلاء اثنا عشر وعبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم الثالث عشر ومن جعلهم عشرة اسقط عبد الكعبة وقال هو المقوم وجعل الغيداق وحجلا وضرارا واحدا ومن جعلهم تسعة أسقط قثم أيضا وقد أسلم حمزة والعباس وان ابا لهب وأبا طالب ادركا النبوة فمات أبو لهب على دين قومه وذهب الاكثرون الى ان ابا طالب مات أيضا على دين قومه

ولما حفر عبد المطلب زمزم ودله الله عليها وخصه بما زاده بها خطرا وشرفا في قومه وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت وأقبل الناس عليها الالتماس بركتها ومعرفة فضلها لمكانها من البيت وانها سقاية الله عز وجل لاسماعيل عليه السلام وتكامل بنوه عشرة وقرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا وأمر بذبح كبش وأطعمه الفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك فقيل له أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بذلك وطلب منهم الوفاء بالنذر فأطاعوه وقالوا كيف تصنع قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا (بكسر القاف أي سهما بغير نصل) وليكتب اسمه عليه ثم ايتوني به ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل فدفع عبد المطلب القداح الى القيم فلما أخذ ليضرب قام عبد المطلب عند الكعبة

يدعو الله

بذبحوا الله ويقول اللهم اني نذرت لك نحر أحدهم واني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج القدح على عبد الله وكان أحب ولده اليه فقبض عبد المطلب بيده عليه وأخذ الشفرة وأقبل به الى إساف ونائلة (صنمين عند الكعبة تذبح عندهم الهدايا) فقام اليه سادة قريش من أنديتها وقالوا له ماتريد أن تصنع قال أوفي بنذري فقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق به الى قطبة الكاهنة (والكاهنة التي تخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان وتدعي معرفة الاسرار) وقيل اسمها سجاح على ماذكر ابن اسحاق فلعلها ان تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر وقص عبد المطلب عليها القصة فقالت لهم كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل عشرة أخرى وهكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فقال اللهم أهو أحب اليك أم مائة من الابل والدى في الامتاع اللهم أهو أحب اليك ام مائة من تلادي وتليد المال وتلاده قدمه ونفديه فخرجت القداح على عبد الله ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل ففداه بمائة من الابل ولذلك صارت الدية مائة من الابل فنحرت المائة كلها وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع وأول من سن الدية مائة من الابل عبد المطلب ولذا قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين ويعني بهما والده عبد الله وجده اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وروى الحاكم أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم ولم ينكر عليه

فدخول عبد المطلب بالقداح على هبل ودفعها الى السيم واقباله على اساف ونائلة قصدا للذبح كيف والذبح كل هذا الا يدل على تبرئه من عبادة الاصنام وهذه الحركات الصادرة من قبيل العوائد لا العقائد بدليل قوله اللهم اني نذرت لك نحر أحدهم واني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت فان هذا أدل دليل على اعترافه بالالوهية مع ما ينقل عنه انه كان مجاب الدعوة وحرم الخمر على نفسه وانه أول من تحنث بحراء وكان اذا استهل رمضان [illegible] دخل حراء فأطعم المساكين وكان يرفع من مائدته الطير والوحوش في رؤس الجبال [illegible]

استفاق أبا عبد المطلب وجد في زمزم غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم حين خرجت ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له فقالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو وصاحب القداح يضرب بها فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين فكان أول ذهب حليته الكعبة

القلعية نسبة للقلعة وهي بلد بالهند ينسب اليه الرصاص والسيوف اهـ ق م

وهبل بضم الهاء وفتح الباء صنم اتخذته قريش على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عنده قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل اذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فان خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للأمر اذا أرادوه يضرب به في القداح فان خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا اذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج لنا الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فان خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وان خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ينتهون في أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح هذا ما ذكره ابن هشام والذي ذكره غيره انهم كانوا اذا قصدوا [illegible] ضربوا بثلاثة أقداح مكتوب على أحدها [illegible] الثالث [illegible]

أجالوها ثانيا انتهى والقداح جمع قدح بكسر القاف وسكون الدال وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به يقال للسهم أول ما يقطع قطع بكسر القاف وسكون الطاء ثم ينحت ويبرى فيسمى بريا ثم يقوم فيسمى قدحا ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما والقداح هنا نعها وهى الازلام المذكورة فى قوله عز وجل وان تستقسموا بالازلام جمع زلم كجمل وزلم كصرد انتهى

وأما عبد الله فكان أيضا صاحب أمانة وصيانة كما يفهم ذلك من واقعته مع الخثعمية وذلك انه مر بامرأة من خثعم بعد انصرافه مع ابيه عبد المطلب من نحر الابل يقال لها فاطمة بنت مره وكانت من أجمل النساء وأعفهن وكانت كاهنة قد قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن لما رأت فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فأجابها بقوله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

وفى لفظ فالحمام دونه بكسر الحاء المهملة حماه وقيل هو قدر الموت وقضاؤه من قولهم حم كذا أى قدر بالبناء للمفعول والمعنى الموت أيسر من فعل المحرم وقوله أما الحرام سماه حراما وان لم يكونوا اهل شرع لان الزنا مما علموا حرمته من بقايا دين ابراهيم عليه السلام اذ يحتمل ان حرمة الزنا وحل النكاح من الاحكام التى كانت باقية من شريعة ابراهيم عليه السلام لم تغير وقد صرح بذلك السهيلى وقوله يحمى الكريم الى آخره أى لو لم يكن فى هذا الفعل مؤاخذة فالمروءة تمنع منه وكرم الكريم وعرضه يمنعانه من مثل ذلك و قال ان الذى [illegible] من بنى اسد ابن عبد العزى واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية [illegible]

وقيل رقيقة [illegible] وفتح القاف [illegible] آخرى [illegible]

[illegible] بن نوفل رضى الله عنه [illegible]

[illegible] واجمع [illegible] لا حال ان تكون [illegible]

[illegible] من النور [illegible] لا يخفى [illegible]

[illegible] فى [illegible]

[illegible]

[illegible]

في قريش حسبا ونسبا وجمالا ولده عبد الله فزوجه اباها ودخل بها مكانه فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلتها ثم ذكر فاطمة الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه ودعته نفسه فأتاها فقال لها هل لك فيما كنت عرضت علي وليس المراد أنها دعته الى طلب الزنا والميل ألبتة فقد علم امتناعه ذلك من قوله يحمي الكريم عرضه وانما المراد أن نفسه دعته ليختبر السبب الحامل لها على ان طلبت منه ماطلب مع جعل المائة من الابل في ذلك الطلب فقالت

لا تطلبن الامر الا مقبلا * قد كان ذاك مرة فاليوم لا

فذهبت أي الجملة مثلا أي سارت مثلا وهو كلام شبه مضربه بمورده و يقال لكل من أذن له في شيء لنيل غرض منه فوت المأذون له الغرض فامتنع الآذن من تمكين المأذون له من فعل المأذون فيه وقالت أي شيء صنعت بعدي قال وقعت على زوجتي آمنة فقالت والله لست بصاحبة ريبة ولكني رأيت نور النبوة في وجهك فاردت أن يكون ذلك في فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله فكان يرضى الخلاق و يتمسك بمكارم الاخلاق و يدل على ذلك كله واستمرار التوحيد في ذرية ابراهيم واجنبني وبني أن نعبد الاصنام فقد تحققت دعوته لا سيما في آباء النبي صلى الله عليه وسلم

حفظ الاله كرامة لمحمد * آباءه الامجاد صونا لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره * من آدم والى أبيه وأمه

ومات أبوه صلى الله عليه وسلم وله سنتان وقيل غير ذلك ودفن بالابواء على الراجح وكفلته أمه آمنة وماتت بالابواء محل بين مكة والمدينة وتقدم نسبها من جهة الاب في أول الفصل وأما نسبها من جهة الام فهي بنت برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي بن كلاب فتلتقي هي وزوجها وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر و يفترقان في ولد كلاب فبرة من ولد قصي بن كلاب ثم من ولد عبد الدار فهي قرشية عبدرية وزوجها من ولد زهرة ابن كلاب فهو قرشي زهري

ولما ولدت السوداء بنت زهرة بن كلاب وهي عمة وهب أبي آمنة أرسل بها أبوها من يئدها فخرج الوائد حتى أتى بها الحجون فحفر لها و وضعها في حفرتها فهتف به هاتف من الجبل يا وائد الصبية رب فرس ردود ومطعم يجود في السنة الجارود من الصبية الوئيد ترفع رأسه فلم ير أحدا فعاد لان يئدها فصاح به يا وائد الصبية اخلص ودعها عنك

في البرية ان لها علما في الانسيه فرجع بها الى أبيها فأخبره [illegible] عنها فان لها شأنا فعمرت وكانت تقول يابني زهرة ان فيكم لنذيرة أو والدة نذير فأعرضوا علي نساءكم فعرضن عليها حتى مرت بها الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فقالت ليست بها ولتلدن فولدت عبد الرحمن وعرضت عليها بنت عبد بن الحارث أم عبد الله بن مسعود فقالت ليست بها ولتلدن فولدت عبد الله بن مسعود وعرضت عليها هالة بنت أهيب ابن عبد مناف بن زهرة فقالت ليست بها ولتلدن فولدت حمزة وصفية والمقوم بني عبد المطلب وعرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت انها النذيرة ولتلدن نذيرا فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يتزوج عبد الله غير آمنة لا قبلها ولا بعدها كما انها لم تتزوج بغير عبد الله لا قبله ولا بعده ولم تلد غير النبي فهو بكر أبويه صلى الله عليه وسلم ولما مات أبوه لم يترك له صلى الله عليه وسلم سوى جاريته أم ايمن بركة الحبشية مع أمه وبعد أمه زوجها لحبه زيد بن حارثة فولدت لزيد أسامة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم أسامة أحب الناس الي وكفله جده عبد المطلب وأكرمه غاية الاكرام وأحله لعلمه انه سيصير له اقبال عظيم محقق ثم كفله عمه أبو طالب وكان موطأ بوضيعة الرفادة وهي اطعام الطعام لسائر الحجاج أيام الموسم فكانت عندهم الاسمطة حيث هم ضيوف بيت الله الحرام وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا زائدا على أولاده وكان لا ينام الا الى جنبه ويخرج معه متى خرج وجاءت قريشا سنة شديدة القحط فخرج أبو طالب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه صلى الله عليه وسلم فأقبل السحاب منهمرا كما ونزل المطر كافوا القرب وأخصب الوادي والنادي وفي ذلك [illegible]

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهي [illegible] ذكرها ابن اسحاق والثمال بكسر المثلثة الملجأ وعصمة للارامل أي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من الرجال والنساء ويقال لكل [illegible] وهو بالنساء أخص [illegible] الا للواحد [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] فقال

ألم تر أن الله أرسل عبده * بآياته والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان في الارض تعبد
وارسله ضوءا منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغض حضور الاصنام مع قومه ولم يأكل مما ذبح على النصب وما عبد غير الله وما شرب خمرا وكذلك الانبياء لم يعبدوا سوى الله قبل ان يوحى اليهم فانهم معصومون عن الكبائر والصغائر وعن الكفر قبل البعثة بالاتفاق واختلف في تعبده هل كان بشريعة من قبله أولا فقيل انه كان متعبدا بشريعة موسى وقيل بشريعة عيسى وقيل بشريعة ابراهيم وقيل بشريعة نوح عليهم السلام وقيل انه لم يكن متعبدا والمختار انه كان متعبدا قبل البعث لانه ثبت انه كان متعبدا في غار حراء والتعبد لا يكون الا بشريعة لان الحاكم هو الشرع عند أهل الحق وعلى مذهب المعتزلة العاتي بحكم العقل الامر أظهر اذ العبادة لا تتوقف على هذا التقدير على شريعة وأرضعته أمه سبعة أيام ثم أرضعته ثويبة الاسلمية بلبن ابنها مسروح وكانت أرضعت قبله حمزة ابن عبد المطلب وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بأربع سنين على الصحيح وقيل بسنتين فهو عمه من النسب وأخوه من الرضاع وأمه بنت عم امه لان حمزة أمه هالة بنت أهيب ابن عبد مناف بن زهرة وآمنة هي بنت وهب بن عبد مناف وكان عبد المطلب تزوج هالة أم حمزة بعد نحر الابل فداء لعبد الله قبل عام الفيل بخمس سنين فلم يكن حمزة داخلا في القرعة فلا يبعد كون حمزة أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وانه أرضعته ثويبة قبله لجواز ان تكون أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم في آخر رضاع ابنها وأرضعت حمزة في أوله وأما على القول بأن حمزة رضي الله تعالى عنه أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين فلا اشكال في الرضاع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى ثويبة من المدينة بصلة وكسوة واختلف في اسلامها وأثبته ابن منده وكذلك أرضعته ثويبة مع أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي المخزومي زوج ام سلمة أسلم بعد عشرة أنفس وهاجر مع امرأته أم سلمة الى أرض الحبشة وهو أول من هاجر اليها وشهد بدرا واستخلفه رسول الله صلى

الله عليه وسلم على المدينة في غزوة العشيرة وتوفي سنة ثلاث [illegible] وقال لما احتضر
اللهم اخلفني في أهلي بخير فخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته أم سلمة رضي
الله عنها وله من الولد سلمة وعمر ودرة وزينب أمهم أم سلمة وكانت ثويبة جارية أبي
لهب فأعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم عتقا منجزا ثم جعلها ترضعه بعد
ولادته أياما

وذكر عروة بن الزبير أن أبا لهب رؤي في النوم بشر حيبة فقيل له ماذا لقيت فقال لم ألق | الحيبة الحالة
بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه مني بعتاقتي ثويبة وأشار إلى النقيرة التي بين الإبهام | اه
والتي تليها من الأصابع وفي رواية أن الرائي له كان من أهله وأنه أخوه العباس بن
عبد المطلب قال مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم ثم رأيته في شر حال فقال
ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرته بمولده فقوله بعتاقتي بفتح العين
أي مصدر عتق العبد الذي هو فعل لازم فما الحكمة في تعبيره به دون التعبير بالإعتاق
وإن كان هو المناسب لأن المثاب عليه أثر الإعتاق فلذلك أضافه إليه تأمل. قال ابن بطال وغيره
وقوله سقيت في هذه [illegible]
حجر واستدل على أن الكافر [illegible] في الآخرة [illegible] مردود بظاهر قوله
تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والخبر مرسل أرسله عروة ولم
يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام لا يثبت به
حكم [illegible] بالنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصا من ذلك
بدليل التخفيف عن أبي طالب [illegible]
[illegible] ولا دخول الجنة ويجوز
أن [illegible]
[illegible]
لا تنفعهم أعمالهم [illegible]
[illegible] قال القرطبي [illegible]
[illegible] الكفر [illegible]
[illegible] وقال ابن المنير [illegible]
[illegible]

صحيح وهذا مفقود من الكافر وإثبات ثواب على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب والمتبع في ذلك التوقيف نفيا وإثباتا قال الحافظ فوقوع التفضيل المذكور إنما هو إكرام لمن وقع من الكافر البر لأجله وهو النبي صلى الله عليه وسلم انتهى

قال ابن الجوزي فإذا كان هذا حال أبي لهب الذي مات على دين قومه ونزل القرآن بذمه جوزي بعد موته جزاء بفرحه بمولد محمد صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد من أمته يفرح ويسر بمولده صلى الله عليه وسلم ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم من الصدقات لعمري إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم أن يدخله بفضله وكرمه جنات النعيم ولله در حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

مات أبو لهب بداء العدسة في مكة على دين قومه بعد بدر بسبعة أيام والعدسة بثر كانت تخرج على الناس تزعم العرب أنها تعدي شبيهة بالطاعون وكان قد بلغه خبر بدر ولم يشهدها وعلى ذكر الطاعون فقد ورد النهي عن دخول بلد فيه الطاعون لأن الدخول إلى موضع النقم تعرض للهلكة فالمقام بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن للقلب فليتأدب الشخص بأدب الحكمة وهي الفرار من الهلاك ولا يعارضها بالقدر الذي تضمنته آية قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ولهذا قال عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما حين قال أتفر من قدر الله يا أبا عبيدة لو غيرك قالها جواب الشرط محذوف يدل عليه السياق نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ولما رمي أبو لهب بالعدسة تباعد عنه بنوه فبقي ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعد حتى واروه وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه غطت وجهها وترك من الأولاد عتبة وعتيبة ومعتب ومن الإناث درة وسبيعة أسلم منهم اثنان يوم فتح مكة ثم هاجر من مكة حتى ماتا ولهما أي لعتبة ومعتب ودرة وسبيعة صحبة وكان عتبة ومعتب قد هربا من الإسلام فأرسل إليهما عمهما العباس فتقدما وأسلما فسر بذلك عليه السلام ودعا لهما وشهدا حنينا والطائف وأما عتيبة فإنه لما طلقت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

فارقها وقال يا محمد فارقت ابنتك وتركت دينك فلا تحب لي شيئا أبدا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه فخرج الى الشام تاجرا فلما كان في بعض الطريق جاءه الاسد ففزع وقال أترى ابن أبي كبشة قاتلي وهو بمكة وأنا بالشام فأدخله أصحابه بينهم وتوسطوا به جميعهم فلما كان في بعض الليل أتاهم الاسد فتعداهم رجلا رجلا حتى أتى اليه فشدخه من بينهم وفيه قال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

وأما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل حمالة الحطب فيكفيهما ما أنزل الله فيهما من قوله تبت يدا أبي لهب وتب السورة وقال بعض العلماء في أولاد أبي لهب

كرهت عتيبة اذ أجرما * واحببت عتبة اذ أسلما
كذلك معتب اسلم فاحترز أن تسب فتى مسلما

ومثل عتبة وعتيبة في الصلاح والفحش عبد الله وعبيد الله ابنا جحش فان عبد الله تبين وتبصر فأسلم وعبيد الله افتتن وتنصر فأجرم وان الاكبر هو الافضل والاصغر هو الارذل

ثم أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب تصغير ذئب واسمه عبد الله بن الحارث ومن سعادتها توفيقها للاسلام هي وزوجها الحارث بن عبد العزى ابن رفاعة السعدي وبنوها عبد الله والشيما وأنيسه وقد ألف الحافظ أبو سعيد علاء الدين بن مغلطاي في اسلامها جزءا وسماه التحفة الجسيمة في اسلام السيدة حليمة وقال في سيرته وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقد تزوج خديجة فشكت اليه جدب البلاد وهلاك الماشية فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا وانصرفت الى أهلها وقدمت عليه أيضا في يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم قدمت على ابي بكر الصديق فصنع لها مثل ذلك ثم جاءت عمر ففعل ذلك وأنشد في آخر الجزء المذكور

أضحت حليمة تزدهي بمفاخر * ما الها في عصرها ثان
منها الكفالة والرضاع وصحبة * والغاية القصوى رضى المنان

ويحكون قصتها مع اختصار انها قدمت مكة من البادية في سنة قحط شديدة لم تبق لهم شيئا بحيث تشرنسوة من قومها التمسن الرضعاء ومعها ابن لها رضيع مجهود وزوجها

أبو أولادها الحارث وكلاهما من بني سعد بن بكر بن هوازن فلم يبق منهن امرأة الا وقد عرض المبارك عليها فتأباه اذا قيل لها انه يتيم ثم أخذته هي اذ لم تجد غيره فرأته مدرجا في ثوب صوف أبيض يفوح منه المسك وكان راقدا على قفاه فهابت أن توقظه فوضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه فقبلته وأعطته ثديها الايمن فمص منه وحولته الى الايسر فأبى لان الله ألهمه العدل وأعلمه ان له شريكا هو ابنها فترك له ثديها الايسر وكانت هي وناقتها في أشد الجوع والهزال وعدم اللبن فبمجرد أن وضعته في حجرها أقبل أي در عليه ثدياها فروي وروي أخوه ودرت ناقتهم فأشبعتهم تلك الليلة لبنا فلما أصبحت ودعت أمه آمنة وركبت اتانها فلما خرجت مع قومها سبقت اتانها الكل بعد أن كانت لاتنهض بها فأسكر صويحباتها اهاهي فلما علمنها قلن ان لها شأنا عظيما ولما وصلوا منازلهم كانت أجدب أرض الله فكان غنم حليمة ترجع ملأى بخلاف غنمهم مع انها كلها بمحل واحد فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعاده وتفوز منه بالحسنى وزياده وقيل

لقد بلغت بالهاشمي حليمة * مقاما علا في ذروه العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها * وقد عم هذا السعد كل بني سعد

ولا يخفى ان قدوم نساء بني سعد للرضعاء انما كان لطلب الاجر على الرضاع قال السهيلي رحمه الله تعالى والتماس الاجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولا تأكل بثديها أي ولا تهتك نفسها وتبدي منها مالا ينبغي ان تبدي وتعقبه في الزهر أن المثل غير مسوق لذلك وكان عند بعضهم لا بأس به فقد كانت وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اجتباء الله تعالى إياها برضاع نبيه صلى الله عليه وسلم كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب ويحتمل ان تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضاع اضطرارا للازمة التي اصابتهم والسنة الشهباء التي اقحمتهم فلما تم له صلى الله عليه وسلم عند حليمة سنتان عادت به الى أمه ثم فطمته قال بعضهم ويجوز الزيادة على الحولين والنقص عنهما لكن قال الحناطي في فتاويه يستحب قطع الرضاعة عند الحولين الا لحاجة وقال ابن كثير في تفسيره ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد في بدنه وعقله ومما ينسب الى حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم

* يارب اذا أعطيته فأبقه * وأعله الى العلى ورقه * وادحض أباطيل العدا بحقه

ويظهر انه مفتعل وان كان معناه جيدا

وروى انه ارضع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان نسوة غير آمنة ثويبة وحليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن والمعروف انها من الحواضن وامرأة سعدية غير حليمة وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة في قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنا ابن العواتك من سليم والعواتك ثلاث نسوة كن امهات النبي صلى الله عليه وسلم إحداهن عاتكة بنت هلال وهي أم عبدمناف بن قصي والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال وهي أم هاشم ابن عبد مناف والثالثة عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فالاولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة وبنو سليم تفتخر بهذه الولادة ولم يرد صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك الفخر وانما اراد به تعريف منازل المذكورات ومراتبهن كرجل يقول كان أبي فقيها ولا يريد الفخر وانما يريد به تعريف حاله دون ما عداه وقد يكون أراد به التحدث بنعمة الله تعالى في نفسه وآبائه وامهاته على وجه الشكر وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ولبني سليم مفاخر أخرى منها انها ألفت معه يوم فتح مكة أي شهده منهم ألف وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لواءهم يومئذ على الالوية وكان أحمر ومنها ان عمر كتب الى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام ان ابعثوا الي من كل بلد أفضله رجلا فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمي وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمي وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمي وبعث أهل الشام الاعور السلمي

وسبب دفع أمه إياه لمن ترضعه أن هذا كان عادة قريش وأشراف العرب في أولادهم ولو كانت الام حية ولها لبن لان نساءهم كن يرين ارضاع أولادهن عارا عليهن وأيضا اذا نشأ الرضيع غريبا كان احسن له مع ما يضاف الى ذلك من تفرغ النساء للازواج وان كان هذا ممتنعا هنا لان أباه صلى الله عليه وسلم توفي وهو حمل على الصحيح والاولى في التعليل أن ينشأ غريبا على أن هذه العادة عادة اشراف الدنيا قديما وحديثا لاسيما بالاقطار الحجازية بالنسبة للحواضر فانهم يبعثون بابنائهم الى البوادي للتربية بها مع ما ينضم الى ذلك من خاصية فصاحة العربية العريقة [illegible] العلية [illegible]

[illegible] ذهب [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله على حليمة السعدية [illegible]

[illegible] النبي صلى الله عليه [illegible]

وكان له صلى الله عليه وسلم أختان انيسه والشيما بنتا الحرث وامهما حذافة واغاغلبه لقبها فلا تعرف فى قومها الا به وسبيت يوم حنين فقالت يا قوم اعلموا انى اخت نبيكم فلما أتوا بها النبى صلى الله عليه وسلم قالت له انى اختك وكنت عضضتنى وأنا احضنك مع أبى فعرف ذلك وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال لها ان أحببت فأقيمى عندى مكرمة محببة وان أحببت أن ترجعى الى قومك وصلتك قالت بل أرجع الى قومى فأسلمت واعطاها النبى صلى الله عليه وسلم جارية وغلاما اسمه مكحول فزوجت الجارية من الغلام وكانت تحضنه صلى الله عليه وسلم وترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده أمى * فديته من مخول معم * فأنمه اللهم فيما تنمى

ولعل هذا الرجز مصطنع بعد أو مما كان يرقص به الاطفال فى ذلك الزمن

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على كثير من النساء فلم يرضين رضاعه ليتمه وفقره ويقلن ماذا عسى أن يكون من أمه وجده انما يكون الاحسان من الاب فأخذته حليمة السعدية وقالت لعل الله أن يجعل لنا فيه البركة فحقق الله رجاءها واليتم والفقر نقص فى حق الخلق فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام مع هذين الوصفين اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان من جنس المعجزات وقد قيل لجعفر الصادق لم يتم صلى الله عليه وسلم من أبويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وأيضا ليتظر صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى مدارج عزه لاوائل أمره ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقراء والايتام وقد قال صلى الله عليه وسلم ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا

وبعد ذلك مضت به الى بلادها عند سعد بن بكر فأتاه الملكان هناك وشقا صدره الشريف وأخرجا قلبه فغسلاه بماء الثلج فى طست من ذهب وملآه حكمة وإيمانا واستخرجا حظ الشيطان منه وهى مضغة سوداء وفى رواية علقة فلما علمت حليمة بذلك رجعت به الى مكة لاهله بعد أن اقام نحو أربعة أعوام فردته الى امه وشق صدره الشريف أيضا وهو ابن عشر سنين ثم عند بعثته ثم عند الاسراء والشق الاول الذى عند حليمة كان فى السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم وقيل كان فى الرابعة ولكل من الثلاث حكمة فالاولى التى كانت فى زمن الطفولية لتطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ عليه السلام على اكمل الاحوال

عن العصمة من الشيطان والتي عند المبعث زيادة في الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير والتي عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة وسكت عن حكمة شق صدره وهو ابن عشر سنين فيحتمل ان يقال لما كان العشر قريبا من سن التكليف شق صدره عليه السلام وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال وقد نظم بعضهم المواطن التي شق صدره فيها صلى الله عليه وسلم فقال

أيا طالبا نظم الفرائد في عقد * مواطن فيها شق صدر الذي رشد
لقد شق صدر للنبي محمد * مرارا لتشريف وذا غاية المجد
فأولى له التشريف فيها مؤمل * لتطهيره من مضغة في بني سعد
وثانية كانت له وهو يافع * وثالثة للبعث الطيب الند
ورابعة عند العروج لربه * وذا باتفاق فاستمع يا اخا الرشد
وخامسة فيها خلاف تركتها * لفقدان تصحيح لها عند ذي النقد

والحكمة في غسله بماء الثلج والبرد هي مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدر بالاجزاء الترابية التي هي محل الارجاس وعنصر الاكدار الايماء الى ان الوقت بصعوله ولامته وبروق شريعته الغراء وسنته والاشارة الى تلويح صدره أي انشراحه بالنصر على أعدائه والظفر بهم والايذان ببرودة قلبه أي طمأنينته على امته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيآتهم وقال ابن دحية انما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به الثلج من ثلج اليقين الى قلبه وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد خصهما بالذكر تأكيدا للطهارة ومبالغة فيها لانهما ماآن مفطوران على خلقهما لم يستعملا ولم تنلهما الايدي ولم تخضهما الارجل كسائر المياه التي خالطت التراب وجرت في الانهار وجمعت في الحياض فكانا أحق بكمال الطهارة وأراد تعالى ان يغسل قلبه بعد من الجنة وطست ملئ حكمة وايمانا ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق الى الجنة أحرص ولانه كان له أعداء يقولون عليه فأراد الله تعالى ان ينفي عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالة الاعداء فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث اذا ضرب أو شج رأسه وشقت رباعيته كما في يوم احد يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

ولما اكمل ست سنين توجهت أمه مع أم أيمن حاضنته عليه الصلاة والسلام لزيارة أخوال أبيه بنى النجار وأقاموا شهرا ورجعوا ذاهبين الى مكة فلما نزلوا بالابواء محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب ماتت أمه فدخلت به أم أيمن مكة وكان يقول لها أنت أمى بعد أمى أى فى الاحترام لانها قامت مقام أمه فى تربيته فضمه جده عبد المطلب وكان يرق عليه ويعلى منزلته ويقول ان لولدى هذا لشأنا عظيما وكان أبوه عبد الله مات وله سنتان وقيل وهو حمل لان عبد المطلب كان [illegible] الى غزة من الشام يمتار لهم طعاما مع تجار من قريش فلما رجعوا مرض عبد الله فلما دخلوا الى المدينة تخلف بها عند أخواله بنى النجار ثم مات بها وله ثلاثون سنة ولما بلغت وفاته عبد المطلب وجد عليه وجدا شديدا والصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت وفاة أبيه بعد شهرين من حمل أمه به وخلف عبد الله جاريته ام أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبويه وكفله جده عبد المطلب حتى مات والمصطفى صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ولا خلاف ان جده المذكور وأبويه ماتوا فى الجاهلية فانه ما جاء الاسلام ونبئ حتى بلغ الاربعين وكان الناس قبل بعثه كما قال تعالى فى ضلال مبين [illegible] اشار الى ذلك العراقى صاحب السيرة بقوله

ماتت [illegible] * وذاك [illegible] بالمصان
[illegible] * [illegible] كان [illegible]
[illegible] * [illegible] المحزون
[illegible] وهى الى أبى ذب * [illegible] واله [illegible]
[illegible] ومات [illegible] * لكن [illegible]
[illegible] * فاعترف بالمدة [illegible]
[illegible] واى [illegible] * [illegible] ورغد [illegible]
[illegible] بكر [illegible] الاعوام يحيى [illegible]
وحين شق صدره [illegible] * [illegible] عليه [illegible]
[illegible] الى [illegible] * وخرجت [illegible] المدينة
[illegible] الا [illegible] * [illegible] ووقت
[illegible] وهو عمره * ست [illegible]
[illegible] * وقيل او أربعة أعوام

وحين ماتت حلته بركه * بجده بمكة المباركه
كفله الى تمام عمره * ثمانيا ثم مضى لقبره

(الفصل الثاني في ذكر عمل مولده الشريف واشهاره كل سنة وفيما جرى)
(في مولده وفيما بعده من الوقائع)

في الاخبار المشهورة أن الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة اشارة الى انه لم يبق من ملوكهم المستبدين بالملك الا أربعة عشر ملكا فهلك عشرة في اربع سنين وهلك أربعة الى زمن عثمان رضي الله عنه وزال ملكهم بالكلية ورأى في تلك الليلة أنوشروان رؤيا أفزعته فجمع الكهنة والسحرة والمجوس فقصها عليهم فدلوه على سطيح الكاهن ليعبرها له وكان مشهورا بالكهانة فأرسل كسرى اليه وزيره وكان سطيح يخرج قومه على رأس كل سنة مستلقيا فيتكلم بأحكام السنة الآتية فلما خرج بدأ الكلام بالرؤيا قبل القص عليه فقال ان كسرى رأى رؤياها الليلة رأى خيولا عربية ملأت مدينته تسوق ابل العراق وتخرجها من البلاد فالخيول العربية اصحاب النبي القرشي اذا هي المكي المدني الخاتم الذي يختم الله به الانبياء ويأتيه الوحي من الملك الواحد الاحد الفرد الصمد وسيفتح له البلاد والمدائن بالعراقين وغيرهما على عدد شرافات بقين من الايوان حين سقوطه [illegible] البلاد الحذر الحذر من مخالفته من كل من وصل الى زمن دعوته ثم بكى سطيح فقال [illegible] ابقي من عمري الاقليل لا ادرك بعثه النبي الجليل قال [illegible] رجع وزير كسرى القهقرى [illegible] أخبر الملك بما أخبره سطيح فوقع ما قال [illegible] اقدره نقاد المعال

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة [illegible] ان ثويبة جارية أبي لهب لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أعتقها [illegible] ثم جعلها مرضعة [illegible] ولاده [illegible] انما يخفف الله عنه العذاب كل يوم اثنين الذي هو يوم ولاده ولعل نجاة من عذاب [illegible] بذلك [illegible] من نجمته وهذا التخفيف [illegible] بذلك النص وهذا الاكرام [illegible] لاجله وهو [illegible] صلى الله عليه وسلم ولا عراله في [illegible] على تداول الايام صاره [illegible] اكابر واهل [illegible] [illegible] واحد [illegible] على [illegible] في [illegible] ان تعرض على [illegible] [illegible]

من الاحكام الخمسة تنسب اليه وكم من سنن ابتدعت على طريق القربى الى الله تعالى وصارت ملحقة بالسنة الشريفة والمولد النبوي منها اذ لا ضرر ولا ضرار في فعله لمن أراد ذلك في ربيع الاول أو غيره بل نص ابن الجوزي انه مما جرب ان فعله يورث الامان التام في ذلك العام كما سيأتي وان قال ما قال فيه تاج الدين الفاكهاني المالكي من الانكار وتعقبه الجلال السيوطي ورد عليه الرد التام بسلوك طريق الاستدلال والاستظهار وحكم بينهما العلامة الشيخ عبد السلام اللقاني المالكي وقضى بينهما بقول فصل وحكم عدل يشهد له بالفضل أشبع في مقاله بالنصوص القاطعة والحجج الداحضة بما يقنع من الدليل ويشفي الغليل ويكشف عن وجوه البدع قناع التأويل فلنذكر كلامه في هذا المعنى برمته مع بعض تصرف في العبارة وان كان فيه تكرار شيء مما سبق حيث هو مؤكد له ومزيل الغطاء عن غمته

ونص عبارته المنقولة من مسودة حاشية له على بعض السير النبوية وقد أردت ايراد بعض فوائد تتعلق بالمولد الشريف مما ذكره النجم وغيره فأقول مستعينا به سبحانه اعلم ان الناس اختلفوا في عمل المولد واجتماع الناس له والذي صرح به العلامة تاج الدين الفاكهاني المالكي رحمه الله انه بدعة مذمومة وألف في ذلك كتابا صدر ديباجته بقوله بعد البسملة والحمدلة وما يطلب له الاتيان به اما بعد فقد تكرر سؤال جماعة عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الاول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة حدث في الدين وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا والايضاح عنه معينا قلت وبالله التوفيق لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الامة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة اعتنى بها الاكالون بدليل انا اذا أدرنا عليه الاحكام الخمسة قلنا اما ان يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب اجماعا ولا مندوبا لان حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون المتدينون فيما علمت وهذا جوابي عنه بين يدي الله ان سئلت عنه ولا جائز أن يكون مباحا لان الابتداع في الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق الا ان يكون مكروها أو حراما وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين أحدهما ان يعمله رجل من عين ماله لاهله واصحابه وعياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على اكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام وهذا الذي وصفناه بانه

بدعة

بدعة منكروهة وشناعة اذلم يفعلها احد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام وعلماء الأنام سرج الازمنة وزين الامكنة والثانى ان تدخله الجناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشئ ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف لاسيما ان انضاف الى ذلك الغناء من البطون الملاى بآلات الباطل كالدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الاحداث والنساء الفاتنات والرقص بالتثنى والانعطاف والاستغراق فى اللهو ونسيان يوم المخاف وكذلك النساء اذا اجتمعن على انفرادهن رافعات اصواتهن بالتهنك والتطريب فى الانشاد والخروج فى التلاوة والذكر المشروع والامر المعتاد غافلات عن قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وهذا هو الذى لا يختلف فى تحريمه انسان ولا يستحسنه ذوو المروءة والفتيان وانما يحلو ذلك بنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب وأزيدك انهم يرونه من العبادات لا من الامور المنكرات المحرمات فانا لله وإنا اليه راجعون بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا ولقد أحسن الامام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب هذا مع ان الشهر الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم وهو ربيع الاول هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه وهذا ما علينا ان نقول ومن الله تعالى حسن القبول

وتعقبه العلامة الجلال مؤلف هذا الكتاب فى فتاويه فقال أما قوله لا أعلم لهذا المولد اصلا فى كتاب ولا سنة فيقال عليه نفى العلم لا يلزم منه نفى الوجود وقد استخرج له العلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله أصلا من السنة وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فقال انا احق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه قال فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به فى يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والتلاوة وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم وعلى هذا فينبغى ان يتحرى الوقت بعينه فان كان ولد لـ... لا فليقع الشكر بما يناسب الـ... كالاطعام وان كان ولد نهارا ... والاصح فيما ناسبه كالصيام والصدقة ولا ... أ...

يكون ذلك اليوم بعينه من عدد أيام ذلك الشهر بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه الى يوم من السنة وفيه ما فيه وينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما ذكروأما السماع واللهو وغيرهما فما كان مباحا لعين السرور بذلك اليوم فلا بأس به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى انتهى

فيفهم من ذلك ان أصل ابتداع عمل المولد الشريف مبني على قاعدة الشكر وعلى النعمة بايجاد الذات المحمدية الواسطة في خيري الدنيا والآخرة فلهذا خالفت هذه السنة الحسنة اتخاذ يوم عاشوراء مأتما ومظهر الحزن كما يفعله بعض الاعاجم لاجل قتل الحسين ابن الامام علي رضي الله تعالى عنهما فكانت هذه من البدع السيئة ومن عمل الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اذ لم يأمر الله سبحانه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم باتخاذ أيام مصائب الانبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم والقاص الذي يذكر للناس قصة القتل يوم عاشوراء ويخرق ثوبه ويكشف رأسه ويأمرهم بالقيام والتشنيع تأسفا على المصيبة يجب ان يمنع والمستمعون له لا يعذرون في الاستماع قال الامام الغزالي وغيره يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله عنه وحكاية ما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين الذين تلقى عنهم أئمة الدين وتلقينا عنهم والطاعن فيهم طاعن في نفسه ودينه وقال الامام الشافعي وجماعة من السلف تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا انتهى فليس لاتخاذ يوم عاشوراء مأتما مستند يخرج عليه بخلاف المولد الشريف فقد فهمت مستنده بل هو متعدد فقد قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله وقد ظهر لي تخريجه يعني عمل المولد على أصل آخر يعني غير ما ذكره الحافظ ابن حجر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة مع انه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لامته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات انتهى

قال شيخ مشايخنا النجم الغيطى رحمه الله وماذكره الحافظ ابن حجر من التخريج أنسب وأظهر مما ذكره الحافظ الجلال كما هو الظاهر لان فعل صوم عاشوراء يتكرر كل عام وهو فى وقت معين فكان عمل المولد المذكور مثله بخلاف العقيقة فانها لا تتكرر وليست مختصة بوقت معين لا تتقدم عليه ولا تتأخر ولان مافعله جده عبد المطلب من العقيقة لم يقع عنه لان ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق به حكم والعقيقة التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم عنه بعد النبوة على تقدير صحتها كانت بعد الشرع فهى المشروعة والواقعة عنه لانه بعد ولادته لم يقع عنه عقيقة مشروعة وقد قال أئمتنا ان من بلغ ولم يعق عنه فحسن ان يعق عن نفسه على ان ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة حديث منكر كما قاله ابن حجر وغيره بل قال النووى فى شرح المهذب انه حديث باطل فعليه يسقط التخريج المذكور أيضا بالاولى والله سبحانه وتعالى أعلم *قلت وماذكره النجم من ان العقيقة لا تتكرر انما هو بالنسبة للمولود الواحد اما اذا تعدد فانها تتعدد أيضا كما هو مذهبنا وماذكره أيضا من انها ليست مختصة بوقت معين فليس مذهبنا بل المذهب انها مختصة به فتكون فى سابع الولادة لا قبله اتفاقا ولا بعده فان فاتت فاتت على المشهور كما علمته آنفا

قال الجلال وأما قول الفاكهانى بل هو بدعة احدثها البطالون الخ فقال عليه انه أحدث من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف من أجله كتابا فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه وقوله ولا مندوبا لان حقيقة المندوب ما طلبه الشرع يقال عليه ان الطلب فى المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا وان لم يرد فيه نص ففيه القياس على الاصلين يعنى السابقين فى التخريج وقد علمتهما وقوله ولا جائز أن يكون مباحا لان الابتداع فى الدين ليس مباحا باجماع المسلمين كلام غير مستقيم لان البدعة لم تنحصر فى الحرام والمكروه بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة انتهى

وحاصل القول فى البدعة انها لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام بل يكون الحامل عليه مجرد الشهوة والارادة اما ما أحدث مما له أصل فى الشرع اما بحمل النظير على النظير أو بغير ذلك فانه حسن إذ هو سنة الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين ومن ثم قال عمر رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة هى وليس ذلك بهذه وما بمجرد لفظ محدث أو بدعة فان

القرآن باعتبار لفظه وانزاله وصفه بالمحدث أول سورة الانبياء وانما منشأ الذم ما اقترن به من مخالفة السنة ودعايته الى الضلالة وهى من حيث هى منقسمة الى خمسة أقسام واجب وهو ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع كتدوين القرآن والشرائع اذا خيف عليها الضياع فان التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب اجماعا واهمال ذلك حرام اجماعا زاد بعض المتأخرين ومن البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف والمعانى والبيان واللغة بخلاف العروض والقوافى ونحوهما وكالجرح والتعديل وتمييز صحيح الاحاديث من سقيمها وتدوين نحو الفقه واصوله وآلاته والرد على نحو القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة لان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين كما دلت عليه القواعد الشرعية ولا يتأتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب * وحرام وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وادلته من الشريعة كالمحدثات من المظالم التى اخترعتها الاهواء بغيا ولا ينبغى ان تلتبس هذه البدع بالحقوق التى تقررها الحكام على الرعايا بمقتضيات الاحوال عند تعطيل أموال الزكاة لاقامة شعائر الممالك زاد بعضهم من البدع المحرمة الاشتغال بمذاهب سائر أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومندوب اليه وهو ما تناولته قواعد الندب وادلته كصلاة التراويح واقامة أبهة الائمة والقضاة والحكام على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة فى نفوس الناس وكان تعظيم الناس فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم انما هو بالدين وسابق الهجرة ثم اختل النظام وذهب ذلك القرن وحدثت قرون أولا يعظمون الا بالصور فتعين تفخيم الصور حتى تحصل المصالح وقد كان عمر رضى الله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف شاة فى كل يوم لعلمه بأن الحالة التى هو عليها لو عملها غيره لهان فى نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره فى صورة أخرى تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبى سفيان قد اتخذ الحجاب وارخى الحجاب واتخذ المراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك ما يسلكه الملوك سأله عن ذلك فقال له انا بأرض نحن فيها محتاجون لهذا فقال له لا آمرك ولا انهاك ومعناه أنت اعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج اليه فلا يسوغ لك التخلق به فدل ذلك من عمر رضى الله عنه وغيره على ان أحوال الائمة وولاة الامور تختلف باختلاف

الامصار

الامصار والاعصار والقرون والاحوال فكذلك يحتاجون الى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديما وربما وجبت في بعض الاحوال زاد بعض المتأخرين ومن البدع المندوبة احداث الربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الاول والكلام على دقائق التصوف والجدل وجمع المحافل والاستدلال في المسائل العلمية ان قصد بذلك وجه الله تعالى ومكروه وهو ما تناولته ادلة الكراهة من الشريعة وقواعدها كتخصيص الايام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادة وكذلك في الصحيح خرجه مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلتها بقيام ومن هذا الباب الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثة وثلاثين فيفعل مائة وورد صاع في زكاة الفطر فيجعله عشرة أصوع بسبب ان الزيادة فيها اظهار الاستظهار على الشارع وقلة أدب معه بل شأن العظماء اذا حددوا شيئا وقف عنده وعد الخروج عنه قلة أدب والزيادة في الواجب أو عليه أشد في المنع لانه يؤدي الى ان يعتقد أن الواجب هو الاصل والمزيد عليه ولذلك نهى مالك رحمه الله عن اتصال صيام ستة أيام من شوال برمضان لئلا يعتقد انها من رمضان وخرج أبو داود ان رجلا دخل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الفرض وقام ليصلي ركعتين فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك فبهذا هلك من كان قبلنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب الله بك يا ابن الخطاب يريد عمر أن من قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض فاعتقدوا الجميع واجبا وذلك تغيير للشرائع وهو حرام اجماعا زاد بعضهم ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف انتهى ولكن قياسا على ما ذكره القليوبي من أن الاحتفال بالجنائز كان بدعة ثم بعد أن دل على التعظيم صار مندوبا فلا مانع ان يقاس عليه زخرفة المساجد والمصاحف والمدارع في البنية وتحكيم الاحوال * واعلم ان حكمنا على الزائد على التسبيح بالكراهة انما هو من حيث زيادته فلا ينافي قول النووي وغيره انه يثاب عليه يعني من حيث انه ذكر والله اعلم * ومباح وهو ما تناولته الاباحة وقواعدها من الشريعة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لان لين العيش وصلاحه من المباحات فوسائله مباحة زاد بعضهم ومن البدع المباحة التوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام وربما عد من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحدثات

الامور عام أريد به خاص إذ سنة الخلفاء الراشدين منها مع أنا أمرنا باتباعها لرجوعها الى أصل شرعي قال بعض المتأخرين وكذلك سنتهم عام اريد به خاص اذ لو فرض خليفة راشد في عامة أمره سن سنة لا يعضدها دليل شرعي امتنع اتباعها ولا ينافي ذلك رشده لانه قد يخطئ المصيب ويزيغ المستقيم يوما ما ففي الحديث لا حليم الا ذو عثرة ولا حكيم الا ذو تجربة ولذا قاعدة وهي كل حكم اجازه الشارع أو منعه وأمكن رده الى أحدهما فهو واضح فان اجازه مرة ومنعه أخرى فالثاني ناسخ للأول وان لم يرد عنه اجازته ولا منعه ولا امكن رده الى بوجه ففيه الخلاف قبل ورود الشرع والاصح ان لا حكم فلا تكليف فيه بشيء وقيل يرجع فيه الى المصلحة والسياسة فما وافقهما منه أخذ به وما لا ترك كذا قال بعض المتأخرين ولا شك في حسنه

وقد تكلم الامام أبو عبد الله ابن الحاج في كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا وحاصله مدح ما كان فيه من اظهار شعار وشكر وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات وقال الحافظ أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا وقال العلامة صدر الدين موهوب بن عمر الجزري الشافعي هذه بدعة لا بأس بها ولا تكره البدع الا اذا راغمت السنة واما اذا لم تراغمها فلا تكره ويثاب الانسان بحسب قصده في اظهار السرور والفرح بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وقال في موضع آخر هذه بدعة لا بأس بها ولكن لا يجوز له ان يسأل الناس بل ان كان يعلم أو يغلب على ظنه ان نفس المسئول تطيب بما يعطيه فالسؤال لذلك مباح أرجو أن لا ينتهي الى حد الكراهة وقال العلامة نصير الدين المبارك الشهير بابن الطباخ ليس هذا من السنن ولكن اذا أنفق المنفق في هذا اليوم أو تلك الليلة واظهر السرور فرحا بمولده صلى الله عليه وسلم ودخوله في الوجود وجمع جمعا أطعمهم ما يجوز واسمعهم السماع الخالي عن اجتماع الاحداث وانشادهم ما يثير نار الشهوة من العشقيات والمشوقات للشهوات الدنيوية كالقد والخد والعين والحاجب وأنشدهم ما يشوق الى الآخرة ويزهد في الدنيا ودفع للسمع ملبوسا فهذا اجتماع حسن جائز يثاب قاصد ذلك وفاعله عليه اذا أحسن القصد ولا يختص ذلك بالفقراء دون الاغنياء الا ان يقصد مواساة الاحوج فالفقراء اكثر ثوابا الا ان سؤال الناس ما في أيديهم لذلك فقط بدون ضرورة وحاجة مكروه واجتماع الصلحاء فقط ليأكلوا ذلك

العلماء

الطعام ويذكروا الله تعالى ويصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم تضاعف القربات والمثوبات اما اذا كان الاجتماع مما نهى عنه شرعا فانه مجمع آثام وقال الحافظ أبو الخير في فتاويه عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وانما حدث بعد ثم لا زال أهل الاسلام في سائر الاقطار والمدن الكبار يحتفلون في شهر مولده صلى الله عليه وسلم بعمل الولائم البديعة المشتملة على الامور البهجة الرفيعة ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم انتهى

وقال العلامة أبو الخير بن الجزري المقري من خواصه أنه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ولو لم يكن في ذلك الا ارغام الشيطان وسرور أهل الايمان لكفى واذا كان قوم عيسى اتخذوا ليلة مولده عيدا اكبر فكذلك أهل الاسلام أولى بالتكريم وأجدر واكثر الناس عناية بذلك أهل مكة المشرفة ثم اهل المدينة المنورة ثم أهل مصر في السنين المتقدمة والمتأخرة ثم غيرهم بفضل الله عليهم وأول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا احد الصالحين المشهورين به وبه اقتدى في ذلك السلطان الملك المظفر صاحب اربل باني الجامع المظفري الذي بالحنابلة بصالحية دمشق واربل مدينة بقلعة على مرحلتين من الموصل فكان يعمل المولد الشريف في ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا يكثر فيه من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور مما يجل عن الوصف وانفاقه بسببه ألوفا من المال الطيب الحلال وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم من الاعطية وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة الف دينار

ولما اجتاز الحافظ ابن دحية باربل ووجد ملكها المظفر يعتني بالمولد الشريف عمل له كتاب التنوير في مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فأجازه على ذلك ألف دينار

وقال الشيخ جلال الدين المعروف بالمحلي مولده صلى الله عليه وسلم مجل مكرم قدس يوم ولادته وشرف وعظم وكان وجوده مبدأ سبب النجاة لمن اتبعه وتقليل حظ جهنم ممن أعد لها لفرحه بولادته صلى الله عليه وسلم وتمت بركاته على من اهتدى به فشابه هذا اليوم يوم الجمعة من حيث ان يوم الجمعة لا تسعر فيه جهنم هكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم فمن المناسب اظهار السرور وانفاق الميسور

قال العلامة الشمس ابن الجوزى فى آخر كتابه التعريف بالمولد الشريف فان قيل فلم لم تتخذ أمته صلى الله عليه وسلم يوم مولده عيدا كما اتخذت أمة عيسى عليه السلام ليلة مولده عيدا فالجواب انه لما كان يوم مولده صلى الله عليه وسلم هو يوم وفاته تكافأ السرور بالعزاء وهذا أحسن ما خطر لى فى ذلك وقد يقال انه لما اختلف فيه لم يتعين أو يقال الاعياد توقيفية ولم يشرع غير هذين اليومين أو يقال سدا للذريعة وما أشرت اليه أولا ألطف والافى الحقيقة مولده صلى الله عليه وسلم عيد وأى عيد يشمل القريب من امته والبعيد وبالجملة فالاعتناء بوقت مولده الشريف صلى الله عليه وسلم والانشاد للمدائح النبوية والزهدية والعرفانية واطعام الطعام والصدقات السنيه امر حسن منيف يثاب فاعله الثواب الجزيل بقصده الجميل وان كان عمله لم ينقل عن احد من السلف الصالح والقرون الثلاثة الفاضلة وانما حدث بعدها فلذلك كان بدعة حسنه عند من تحقق العلم وأتقنه ثم لا زال أهل الاسلام فى سائر الاقطار والمدن العظام يحتفلون فى شهر مولده خصوصا فى ليلته بعمل المولد بعاد كر واظهار السرور بذلك والحبور بتلك المسالك وبعضهم يزيد على ذلك بقراءة ما صنف فى المولد الشريف وما ورد فيه من الخبر الثابت المنيف على انه ليس قيدا فى استحباب عمل المولد المذكور وانما هو زيادة الاجور

وقد جرت العادة انه اذا ساق الوعاظ والمداح مولده صلى الله عليه وسلم وذكروا وضع أمه له صلى الله عليه وسلم قام أكثر الناس عند ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها لكن لا بأس به لاجل التعظيم بل هو فعل حسن ممن غلب عليه الحب والاجلال لذلك النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وما أحسن قول الامام ابى زكريا يحيى الصرصرى الحنبلى فى بعض قصائده النبوية

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على فضة من خط أحسن من كتب
وان ينهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد اتفق ان منشدا أنشد هذه القصيدة فى ختم درس شيخ الاسلام تقى الدين أبى الحسن على ابن السبكى رحمه الله وكان القضاة والاعيان مجتمعين عنده فلما وصل المنشد الى قوله * وان ينهض الاشراف عند سماعه * الى آخر البيت قام الشيخ

في المحال على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت ساعة طيبة ذكر ذلك ولده التاج السبكي في ترجمته من طبقاته

قال أبو أمامة ابن النقاش رحمه الله وليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة أحدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى من تفضيل الانبياء على الملائكة فتكون ليلة المولد أفضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل كذا قيل وقوله في الوجه الاول ولا نزاع في ذلك وهم ان ماذكر قاعدة متفق عليها قال أستاذنا ولا أعلم من قالها ويمكن دفع المصادمة بأن المراد ما كان شرفه لاعطائه أعني فقط فلا يرد القرآن والنبوة والايمان والاسلام مثلا لان شرفها لذاتها لالاعطائها فقط والمراد ما كانت جهة شرفه محصورة في الاعطاء وقوله في الوجه الثالث وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات أي فساوتها وزادت عليها والا تزيد بالتفضيل فيه أزيد فضلا من غيره وقد يقال ان المراد أمة الدعوة لا أمة الاجابة وغير المكلفين لا نظر اليهم لا اعطاء ولا منعا لتعذر ظهور الثمرة فيهم واعلم ان المراد من ليلة المولد خصوص تلك الليلة مع خصوص ليلة القدر التي نزل فيها القرآن وأما النظائر فينبغي أن نظائر ليلة القدر أفضل من نظائر ليلة الولادة من جميع الاعوام ويبقى النظر في ليلة الولادة وليلة الاسراء ويبنى على القول بأن ليلة القدر أفضل منها أن تكون ليلة المولد أفضل منها والنظر على القول بأنها أفضل من ليلة القدر وحرره فاني لا أعلم من سبقني الى هذا البحث بالخوص والتحرير (ويكفي في تفضيل ليلة المولد على ليلة الاسراء انه لم يقع مفاضلة بينها وبين ليلة الاسراء وانما وقع التفضيل بين ليلة الاسراء وليلة القدر وبين ليلة المولد وليلة القدر حتى لو قيل بتفضيل ليلة الاسراء على ليلة القدر لا يلزم منه فضل ليلة الاسراء على ليلة الولادة وسيأتي في كلامه ما يؤيد ذلك في الكلام على تفضيل الليل على النهار وسيأتي أيضا في كلام الشيخ ابن حجر ما يؤيده) ثم ههنا تنبيه وهو انهم

لم يتكلموا على ليلة حمله صلى الله عليه وسلم بحسب المفاضلة مع انها أول زمان ظهوره الخارجي وتنبيه آخر وهو انهم لم يخصوا ذلك باللحظة التي خرج فيها من الرحم مع انه ينبغي ان يقصر عليها لانها لحظة الظهور وباقي الليلة خال عنه حكمه حكم باقي أيام وجوده وأما ليلة القدر فجميعها ظرف لنزول القرآن وقسم الارزاق ونزول الملائكة ومحق الذنوب واعطاء المطلوب وانظر على القول بأنه ولد نهارا وينبغي ان تلك اللحظة أو جميع اليوم أفضل من ليلة القدر ومن يوم ليلة القدر وان كان العمل في يومها كالعمل في ليلتها فان قلت فما معنى أفضلية ما ذكر من الليل وغيره لكونه خص بما وجد فيه دون غيره أو في نفسه وما معنى أفضليته في نفسه والزمان لا يفضل بعضه على بعض فقد قال امام العلماء العز ابن عبد السلام ان الازمنة والامكنة كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل الله العباد فيهما وان التفضيل الذي فيهما ان الله يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين فيهما قلت بل الازمنة والامكنة يفضل بعضها على بعض بتفضيل الله تعالى ولا مانع ان يخص الله تعالى بعض مخلوقاته من زمان أو مكان بفضل ليس في الآخر كما خص الله بعض الآدميين والملائكة وقال الامام تقي الدين السبكي عقب حكايته لكلام ابن عبد السلام وأنا أقول قد يكون التفضيل لذلك وقد يكون لامر آخر فيهما وان لم يكن عملا فان القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك المكان غيره فكيف لا يكون أفضل الامكنة وليس محل عمل لنا فهذا معنى غير تضعيف الاعمال فيه انتهى ولكن تفضيل الزمان والمكان انما تظهر أثرته غالبا باعتبار ما يقع فيه ذكره النجم الغيطي في بعض تعاليقه انتهى قال الشيخ الرحماني في حاشيته على التحرير أفضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار

وعلى ذكر المولد الشريف فقد ذكر الامام العلامة عبد العزيز الزمزمي في همزيته المفتوحة التي عارض بها همزية البوصيري المضمومة التي أولها

كيف ترقى رقيك الانبياء * يا سماء ما طاولتها سماء

وهمزية القيراطي المكسورة التي أولها

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

-المولد الشريف فناسب أن نذكر من هذه القصيدة طرفا قال في المطلع

أثغور منها الصباح أضاء * أم بروق على النقا تتراءى

الى أن قال

يوم ميلاده وليلته ممرا * ه ازدهى الليل والنهار ازدهاء
وسما القدر منهما بفخار * طبق الارض سؤددا والسماء
ملئت مكة سرورا ولولا * عـلا البشر قطرها سراء
وهي أرض بها الولادة والمو * لد فيها منها ابتدا الاسراء
كان ترداده ومرباه فيها * فجلا نور شمسه البطحاء
وعلا الانس والوقار جبالا * راسيات بها خصوصا حراء
كان مبدا ظهوره من حراء * حين أنهى الخلق فيه خفاء
شق صدره هناك وشق البـ * ـدر فالشرط كان ثم جزاء
أرضعته حليمة بلباها * فغدا الحلم وصفها والحياء
وعلا جدها وأسعد سعدا * اذ سقت ثديه النبي الغذاء
فتعجب لجدها وفا كشـ * ـف حكى أوصف منهما الاسماء
تتعاطى رضاعه وهو في كـ * ـل قليل ينمو بذاك نماء
حاويا من جزالة البدو ما حـ * ـبر مبداه عربها العرباء
فبنى قوله على حسن وضع * رفع اللفظ رتبة علياء
أفصح الناطقين بالصاد لما * أن يجاري من نطقها الفصحاء

الى أن قال

جاء في محكم الكتاب مديح * بالغ فيه أخرس البلغاء
حسدته أهل الكتابين مرقا * تحت الامر فامتلت شحناء
بقرت عن جحوده من ساد قدما * آل عمران قومهم والنساء
فغدت بالضلال مائدة الـ * ـناس تحاكي أنعامهم والشاء
أنكرته أعرافهم فأباح الـ * ـسيف أنعامهم له والدماء
منه للنار براءة من لظى النا * ر به يونس الغريق النجاء
شيبته هود ويوسف تحكـ * ـيه مع الشيب منظرا وبهاء
خفق الرعد في قلوب الاعادي * فرقا منه فانثنوا أصدقاء

أظهر المصطفى الهدين ابر * اهيم في الحجر والمقام الدعاء
ان يلاقي أذى فللفحل لسع * لم يضر من أراد منه اجتناء
هم قوم به فسبحان مولى * صرف السوء عنه والفحشاء
لم يخف قط اذ أوينا اليه * نعم كهفا منه لنا وإواء
ان تسد مريم بعيسى فطه * ساد عيسى والرسل والانبياء
شرع الحج فاجتلى المؤمنون النـ * ـور زاد تم نورهم والضياء
قام يتلو الفرقان في حسن نظم * جمعه اللفظ حير الشعراء
نطق النمل مفصحا عن معانى * قصص فيه أسكت الخطباء
قصد المصطفى العدا فكسته * نسجها العنكبوت منهم وقاء
غلب الروم فارسا مثل ما قا * ل وحاشاه أن يقول الخطاء
حكم تاه فهم لقمان عنها * عند ما فات سرها الحكماء
أوجب الشكر سجدة في المصلى * حين سيل الاحزاب صار جفاء
صيرتهم أيدي سبا نفخة من * فاطر العالمين جل ثناء
حاط يس بالملائكة الصا * فات ممن أراده الاسواء
صادهم نصره وأهلك منهم * زمرا أظهروا له البغضاء
أفسدت ذات بينهم حيلة المؤ * من فيهم فخالفوا الحلفاء
أجمل المخبر القضية لكن * فصلت حين أظهروا الانباء
حيلة بيتت من الليل شورى * زادها زخرف الحديث انطلاء
أضمرت نارها بغير دخان * زعزع عمّ أ المعى اقتداء
أكفأت في القدور جاثية الاحـ * ـقاف ريح تكافئ الاكفاء
فكما القتال رب السرايا * ثم بالفتح بعد ذلك جاء
ليت شعري أرى له حجرات * خلفها حرم الاله النداء
كل قاف سبيله ليس يخشى * ذاريات الضلال والاهواء
طور مرقاه قاب قوسين يروى * دونه النجم لو أراد ارتقاء
طاعة في السماء له القمر انشـ * ـق لمصطفى ثم عاد سواء
قد حباه الرحمن في هذه الوا * قعة السؤل منه والارضاء
بالحديد اقتضت مجادلة القو * ل له أن يجالد الاعداء

احكم

أحكم الرعب حشرهم في حصون * حكم الامتحان فيه الجلاء
يقدم الصف ان أتى الرجف والجمـ * ـعة ثبتا أعظم بها إثباء
خادعته المنافقون فصاروا * في نهار التغابن الأشقياء
حين بت الطلاق من زهرة الد * نيا بتحريمها استتم التقاء
ما ارتضى الملك بل تواضع حتى * خال ذا النون قد حكاه اعتلاء
ترفع الحاقة المعارج اذ نو * ح ينادي نعمى ويغدو براء
آمن الجن بالنبي وألقوا * لاستماع المزمل الاصغاء
سوف يأتي مدثرا بالمزايا * وتميز القيامة الانماء
قال هذا الانسان كل كمال * نشرت مرسلاته الآلاء
نبأ جاء عظيم رمي الاعدا * ء في النازعات والبغضاء
عبس المقتفي العمي منه لما * كورت شمس نوره إطفاء
كذبت عصبة الشقاق به وانـ * ـفطرت وانتكت أشد انتكاء
طففوا كيلهم له فغدا لويـ * ـل غدا للمطففين جزاء
فرعوا الانشقاق ايوان كسرى * والبروج التي أشيدت بناء
استعذ بالنبي من طارق اللـ * ـيل وسبح لربك الأسماء
هديه كم أزال غاشية عن * ذي ضلال والفجر يجلو الغشاء
كسيت منه هذه البلد الانو * ار والشمس توضح البطحاء
للعبد الاله بالليل آلى * والضحى ما نوى له بغضاء
رفع الله ذكره في ألم نشـ * ـرح وأعلى به مكان حراء
فتمنى مناله جبل التيـ * ـن وطور الكليم من سيناء
عاق منه برفع القدر من * لم يكن قط يعرف استعلاء
زلزلت من خيوله الارض لما * هيلت عادياتها الارجاء
كم بدت من سطاه قارعة في * من حباه التكاثر الالهاء
ضل العصر ذكره والعدا كم * همزة باغتيابهم مشاء
ردت الطير عن أقاربه الفيـ * ـل وحبشانه بسد الفضاء
أودع الله سره في قريش * فرعوا سره فصان وعاء
أرأيت الذي يكذب في عصـ * ـيانهم كيف أعظم الافتراء

كوثر المصطفى غدا وردهم اذ * يصدر الكافرون عنه ظماء
جاءه النصر والفتوح فتبت * يد من عاندت يداه القضاء
نور إخلاصنا بخير البرايا * فلق الصبح من سناه أضاء
بك صرنا يا خاتم الرسل للرسـ * ـل على الناس بالاداشهداء

الى أن قال

فاز بالرفع مغلق لك وشى * كيف ترقى وأفحم الشعراء
وبخفض الجناب جوزى منشى * ذكر الملتقى جزاء وفاء
جئت من بعدذا وذاك أخيرا * فلهذا نظمى على الفتح جاء
ركضت حلبة السباق فكانا * سابقيها وخلفا الاكماء
لهما ماليا أبيت وان لم * أك ممن يرى لذاك كفاء
وبفكرى فى بحر شعرهما غصـ * ـت وان كان الغوص ليس سواء
بهما قد شرفت اذ صرت اسما * ثالث اثنين أنجبا النظراء
أمنا أن يعسر زامذ حين * بجميل تعززا واعتلاء
فهما النيران ما خال طرف * لهما ثالثا يحل السماء
بعد لو يهما رميت بدلوى * على حاء مجىء وماء
وبزعمى زاحمت هذين أبى * بهما الحين لا الربا والمراء
سعدا فارتضيت أسعد لما * سرت فى الاثر أقتفى السعداء
حركات الهجاء عكس لسعدى * فغدا الفتح مبتداها انتهاء
فلعلى أجاز منك بفتح * حين أنهى الانشاد والانشاء
فأنلنى مناى واشمل قريضى * بقبول يكسو القريض السناء
وأجزنى على الصراط اذا ما * صاح هول الجواز أن لا نجاء
يا ملاذى اذا الموازين وازت * عملى وهو لا يوازى الهباء
يا عياذى اذا تطايرت الصحـ * ـف يمينا ويسرة ووراء
وبدت لى يوم الحساب أمور * ضل عنى حسابها وتناء
وتلوت قوائمى عند ما الاو * صال صارت من رعدتى أشلاء
يا أمانى من خيفتى هذ روعى * إن روعى أعرى بها العرواء (١)

(١) العرواء بضم ففتح قرة الحمى ومسها فى أول رعدتها اه

يا غياثى اذا دنا لهب الشمـ * ـس وأذكى لعابها الرمضاء
أنت لى جنة هناك ودرع * سابغ نتقى به اللأواء
يا عزيز الجناب دعوة عبـد * لك فى الرق يستحق الولاء
كيف عبد العزيز عبدك يلقى * ذلة أو اضاقة أو شقاء
أو يخاف الظما غدا وهو منسو * ب لسقيا أبيك نعمت سقاء
انه قارف الذنوب وأخطا * وبك الله عنه يمحو الخطاء
فبك ظنى أن لا تخيب ظنى * وبهذا اكتفيت ثم اكتفاء
فسلام عليك ثم صلاة * بفضاء العروض قامت أداء
وسلام عليك ثم صلاة * تمنح النفس من رضاك الرضاء
وعلى آلك الذين ولاهم * من يد الكرب ينقذ الاولياء
عدتى عند شدتى وملاذى * عندما ترسل الخطوب البلاء
عقد دينى ودادهم وهواهم * منه قلبى امتلا أتم امتلاء
هم الى جودك الوسيلة ان ردّ * فى الذنب دونه إقصاء
وعلى صحبك الجميع خصوصا * من حوى السبق وابتدا الخلفاء
الذى جيش الجيوش وقوى * عزمه يوم أمّر الامراء
الصديق الصديق أفضل من آ * من بالله ماعدا الانبياء
ثم من بعده على معتقيه * سدنا ينتهى اليك انتماء
ترجمان المحدثين فكم قد * بكشف فوافق الايحاء
ثم من طال فى بناء المعالى * عندما شاد بيتك البناء
الحيى الذى استحت منه أملا * ك السماء سمّا وزاد حياء
وعلى المرتضى وليك وابن الـعم * من حار بالخصوص الاخاء
خير صهر وعاصب زوّجه * خيرة الله بنتك الزهراء
أصل ريحانتيك ورث أصلا * طاب فرعا مغرسا ونماء
أى سبطى قد علاك جد * سما طيب اعيا وازكا
خير نجلين يمان لأد * أنجبت من كليهما النجباء
سادت الام فى نجبين رسود * فعزوا نسبتها والاباء
وسلام عليك ثم عليهم * وعلى كل من تحبى ...

وعلى عمك الذى طيب الله به بأنفاس روحه الشهداء
وعلى صنوه الذى بك أبقى * لبنيه الخلافة القعساء
وسلام عليك ثم على آل * واجبك الولاء نلى منك الحياء
وسلام عليك ثم صلاة * بشذا المسك يختمان الثناء
ما ابتدا مدحك امرؤ عند كرب * فانجلى حين وافق الانتهاء

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة عرض لابى طالب شخوص الى الشام فى تجارة وكان النبى صلى الله عليه وسلم بأاهه فسأله اخراجه معه فأبى عليه صيانة له فاغتم وبكى فأخرجه فرآه راهب من الاحبار يقال له بحيرا وقد أظلته غمامة فقال لابى طالب من هذا منك قال ابن أخى قال اماترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه والله انه لنبى كريم وانى لاحسبه الذى بشر به عيسى عليه السلام فان زمانه قد قرب وينبغى ان تحفظ به خشية ان تقتله اليهود فرده أبو طالب الى مكة

ولما جاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرين قال له أبو طالب يا ابن أخى ان خديجة بنت خويلد امرأة موسرة ذات تجارة عريضة وهى محتاجة الى مثلك فى امانتك وطهارتك ووفائك فلو كلمناها فيك فوكلتك ببعض أمرها وتجارتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعل ياعم ماراًيت فمضى أبو طالب اليها فكلمها فى توكيل النبى صلى الله عليه وسلم ببعض تجارتها فسارعت الى ذلك ورغبت فيه ووجهته الى الشام ومعه غلام لها قيم يقال له ميسرة فلما فرغ مما توجه اليه وقدم مكة اخبرها ميسرة بأمانته وطهارته وعن طائره ومايقول أهل الكتاب فيه وماظهر له من البركة وكثرة الارباح وسهولة الامور وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة برزة (١) مرغوبا فيها لشرفها ويسارها فدست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ان يتزوجها فرغب فى ذلك

(الفصل الثالث فى زواجه بخديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ومارزقه الله) *(من الذرية منها)*

ولما كانت خديجة رضى الله تعالى عنها رئيسة سريعة وهى يومئذ من اركى قريش نسبا

(١) فى القاموس امرأة برزة بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة اه

وأعظمهم

وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا كان كل من قومها حريصا على الزواج بها لو يقدر عليه
الا أنها اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وقالت له يا ابن العم انى قد رغبت فيك لقرابتك
منى وشرفك فى قومك وأمانتك فيهم وحسن خلقك وصدق حديثك فاخطبنى
من عمى عمرو بن أسد وكان شيخا كبيرا فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه فخرج
معه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على عمرو بن أسد فخطبها اليه فقبل فأمرت بشاة
فذبحت واتخذت طعاما ودعت عمها عمرا وبعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتى ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ورؤساء مضر فأكلوا فخطب أبو طالب فقال
الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (اى أصل) معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا
الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح وان كان
فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى المنتقى
فلما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت
وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة
فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم
فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله
على أربعمائة دينار ثم سكت ورقة وتكلم أبو طالب وقال قد أحببت أن يشركك عمها
فقال عمها اشهدوا على يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت
خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش وفى الامتاع ان الذى أصدقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وتمكن الجمع بتقويم النقد بذلك أو أن أحد الشيئين

سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام خمس عشرة سنة قبل الوحي والباقية بعده وكانت وفاتها في السنة العاشرة من النبوة وكان تزوجه بها بعد قدومه من الشام بشهرين وأيام وكان سنه صلى الله عليه وسلم يومئذ نحو خمس وعشرين سنة وسنها أربعون سنة فكان زواجها بأشرف العرب على الاطلاق زواج كفاءة جليلة وحسن تراض ووفاق وولدت له صلى الله عليه وسلم وبقي الخلف منهما ما تكون منه المجد في الآفاق

ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى ابن قصي قبل الاسلام ولدت منه القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى وقد مشى وهو ابن سنتين وهل يجوز أن يكنى غيره صلى الله عليه وسلم بأبي القاسم أو لا خلاف واليه أشار بعضهم بقوله

في كنية بقاسم خلف وقع * فالشافعي مطلقا المنع
ومالك جوزه والنهي حمل * على الحياة والنواوي حمل
هذا هو الاقرب اما الرافعي * يمنع من سمى محمدا فعي (١)

وقد روى الشيخان عن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بالبقيع فسمع قائلا يقول يا أبا القاسم فرد رأسه اليه فقال الرجل يا رسول الله اني لم اعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني جعلت قاسما اقسم بينكم وكنى أيضا أبي إبراهيم وأبي الارامل ذكره ابن دحية وأبي المؤمنين من قراءة أبي بن كعب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم

وولدت له أيضا زينب وهي اكبر بناته صلى الله عليه وسلم تزوجها أبو العاص بن الربيع واسمه لقيط بن الربيع وهو ابن خالتها وأمه هالة بنت خويلد بن أسد وكان تزوجه اياها قبل الاسلام فلما اكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة آمنت خديجة كما آمن بناته وصدقت زينب وثبت أبو العاص على دين قريش وكان من معدودي قريش ورجال مكة مالا وأمانة وتجارة فمشت اليه وجوه قريش فقالوا اردد على محمد ابنته ونحن نزوجك أي امرأة احببت من قريش فقال لا والله اني لا افارق صاحبتي فانها خير صاحبة وكانت هي تحبه حبا شديدا وتركته على شركه ثم انه أسلم أبو العاص بعد ذلك وهاجر فردت زينب اليه صلى الله عليه وسلم بنكاح جديد وقال

---

(١) أي يمنع من سمى محمدا أن يكنى بأبي القاسم

بل ردها بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل قبل انقضاء العدة وكان ذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة

ولما أسلم أبو العاص اتى مكة ثم رجع الى المدينة فكان بها فلما فتحت مكة أقام بها ولم يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة اثنتي عشرة وأوصى الى الزبير بن العوام وهو ابن خاله وكان لابي العاص بن الربيع من زينب علي وأمامة فأما علي فمات وهو غلام ولم يعقب وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله تعالى عنها فولدت له محمد بن الحنفية وقتل علي رضي الله عنه وهي عنده فحملها ابن عمها عبد الرحمن بن محمد الى المدينة وكتب معاوية رضي الله عنه الى مروان بن الحكم يأمره ان يخطبها عليه ففعل فجعلت أمرها الى المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو الذي كان الحسن بن علي استخلفه على الكوفة حين سار الى المدائن فأشهد المغيرة عليها برضاها بكل ما يصنع فلما استوثق منها قال قد تزوجتها وأصدقتها أربعمائة دينار فكتب مروان بذلك الى معاوية فكتب اليه هي املك بنفسها فدعها وما اختارت ثم انه بعد ذلك سار المغيرة الى الصحراء فمات وماتت بالصفراء وولدت للمغيرة ولدا اسمه يحيى كان يكنى به ولم يعقب وتوفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثمان من الهجرة بالمدينة وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في قبرها ومعه أبو العاص وجعل لها نعش فكانت أول من اتخذ لها النعش والتي أشارت باتخاذه اسماء بنت عميس رأته بالحبشة وهي مع زوجها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه

وولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وهي اكبر بناته بعد زينب تزوجها عتبة بن ابي لهب فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قالت له امه أم جميل حمالة الحطب هي بالحد[illegible] حرمت على ان عتبة ان يطلق رقية وعزم عليه ابوه أيضا ففعل فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان بن عفان بمكة وولدت له بأرض الحبشة عبد الله وبه كان

قوله فولدت [illegible] وهو [illegible] المتنبى وهو غلام [illegible] في كتب السير [illegible] [illegible] والمحرر[illegible] واحدها [illegible]

وولدت خديجة رضي الله تعالى عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها تزوجها عتيبة بن أبي لهب فلما نزلت تبت يدا أبي لهب أمر ابنه بفراقها ففعل فلما توفيت رقية زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم من عثمان أيضا فلم تزل عنده حتى توفيت في سنة تسع وصلى عليها أبوها صلى الله عليه وسلم ولم تلد من عثمان فبكى عثمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال انقطاع صهري منك يا رسول الله فقال كلا انه لا يقطع الصهر الموت انما يقطعه الطلاق ولو كانت عندنا ثالثة لزوجناك

وولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وهي أصغر بناته ولدت قبل النبوة بخمس سنين أيام بناء البيت وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر وتلقب بالبتول من البتل وهو القطع لانقطاعها عن نساء الامة فضلا ودينا وحسبا ونسبا وتلقب أيضا بالزهراء وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بالهام من الله تعالى لان الله تعالى فطمها وذريتها من النار وكانت أحب أولاده صلى الله عليه وسلم فكانت اذا دخلت عليه صلى الله عليه وسلم قام لها اجلالا والاحاديث في فضلها كثيرة ولما بلغت خمسة عشرة سنة تزوجها علي بن أبي طالب بالمدينة فولدت له الحسن والحسين رضي الله عنهما ومحسن درج صغيرا وولدت له من البنات زينب وأم كلثوم ورقية وسيأتي الكلام عليهن

وقد اختص ولداها السبطان بمزايا لا توجد في غيرهم فنسبوا اليه صلى الله عليه وسلم خصوصية لهم ولم تكن الاشرفية لفاطمة الا لعقب الحسنين فقط لاختصاص ذريتهما بشرف النسب وقد انقرض نسبه صلى الله عليه وسلم الا من فاطمة رضي الله عنها طاب أصلها أما وأبا وانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين ويقال لاولهما حسني وللثاني حسيني واتفقوا بالاجماع على أن المراد بأهل البيت في الآية الشريفة علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهما وهم أهل العباءة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود (المرط بالكسر كساء من صوف أو خز والجمع مروط وربما أطلق على ما نسج من الشعر تارة لبعضهم وهو خاص بالازار والخمار) فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثم قال انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن

سالمهم وعدو لمن عاداهم وهذه الآية دلت على منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى في اذهاب الرجس أي الاثم عنهم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وتحريمهم على النار الذي هو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه الالهام والانابة الى الله وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة وهي القطبية فلم يكن قطب الا منهم في كل زمان وهو المختار خلافا للمرسي ومن تطهيرهم أيضا تحريم الصدقة عليهم فرضا بالاجماع ونفلا على قول للامام مالك لانها أوساخ الناس مع انها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه وعوضوا عنها خمس الخمس من الفيء والغنيمة المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه واحتج وابتدار كه صلى الله عليه وسلم في تحريم الصدقات ولما اخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها اما علمت أنا لا نأكل الصدقة وفي رواية ان آل محمد لا يأكلون الصدقة وحكمة ختم الآية به المبالغة في وصولهم لاعلاه ودلت هذه الآية أيضا على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى وفضل أهل الكساء رضي الله تعالى عنهم وقد قيل في ذلك

ان النبي محمدا ووصيه * وابنيه وابنته البتول الطاهره
أهل العباء فانني بولائهم * أرجو السلامة والنجا في الآخره

وقال غيره

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا * تمسك في أخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا * محاسنها تحكى وآياتها تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى * وطاعتهم خير وودهم تقوى

ولا خفاء ان من ينتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم أو أب ففيه سر بالجملة ودمه الكريم فالمنتمي اليه هو بعضه في وجوب الاجلال والتعظيم والتعزير والبر والنصيحة وبعضه صلى الله عليه وسلم كجميعه كما قيل في مدح شريف

هو بعض النبي والله قد صـ ـاغ جميع النبي والبعض طهرا

ويوضح ذلك ان فاطمة رضي الله عنها بضعته صلى الله عليه وسلم وأولادها بضعة منها فهم بضعة منه [illegible] ولذا [illegible] وهكذا أبوهم وجوهرهم

وهلم جرا فكل من يوجد منهم في كل زمان بضعة منه بالواسطة فأقيم وجودهم مقام وجوده صلى الله عليه وسلم وفي هذا من مزيد الكرامة والتشريف مالا يخفى وحرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى أي ان تودوا قرابتي ويطلق أهل البيت اطلاقا آخر على كل حسني وحسيني وعلوي من ذرية محمد ابن الحنفية أوغيره من أولاد علي بن أبي طالب أو جعفري أو عقيلي أو عباسي فيطلق عليه اسم الشريف ولذلك تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحونا في التراجم بذلك يقول الشريف العباسي الشريف العقيلي الشريف الجعفري الشريف الزينبي فلما ولي الخلافة الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط لكونهم علويين فاستمر بذلك الى الآن قال الحافظ ابن حجر في كتاب الالقاب الشريف ببغداد لقب لكل عباسي وبمصر لقب لكل علوي انتهى قال العلامة الصبان ولاشك ان المصطلح القديم أولى وهو اطلاقه على كل علوي وجعفري وعقيلي وعباسي كما صنعه الذهبي وكما أشار اليه الماوردي ومثله قول ابن مالك في الالفية * وآله المستكملين الشرفا * وقد يقال على اصطلاح أهل مصر الشرف انواع عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينبيون وجميع أولاد بناته وأخص منه وهو شرف النسبة وهذا مختص بذرية الحسن والحسين انتهى وبالجملة فيجب تعظيم الجميع لانهم جميعا قربى وأشراف بالمصطلح العام وقد اراد بعض العلماء ان يقبل يد بعض كبار الاشراف فمنعه من ذلك فأنشده

أتمنعني اللثم من راحة * نماها الى الهاشمي الكرام
كأني اذا أنا قبلتها * لثمت يديه عليه السلام

وحسب أهل البيت من الكرامة قوله صلى الله عليه وسلم وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالواحدانية ولي بالبلاغ ان لا يعذبه ومن الآثار الواردة عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال الزموا مودتنا أهل البيت فان من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ولنا أبيات في ذلك وهي

انتمائي لكم بصفو صفاتي * يال بيت الزهراء ازهى صفاتي
حدكم في الوجود شمس وأنتم * أنجم زهر غير منكسفات
أنتم بضعة النبي نشأتم * عن صفي من بضعة مصطفاة
سيد الكونين اصلا وفرعا * في شعاب على العلى مشرفات

أبطي

ابطحي لولاه ما فاح من مكة شذا عرف التعريف في عرفات

لا ولا كان أهل بدر بدورا * يتبوأن في علي الغرفات

لسواكم ما رمت قط التفاتا * والبكم صرفت كل التفاتي

حاش لله ان أضام وأنتم * ملجأ للاّئذين كهف العفاة

ويقيني أرجو به ان يقيني * من عظيم الأهوال والآفات

كم مجير منكم حمي مستجيرا * وأغاث الملهوف بالمرهفات

كم لكم بالنوال دنيا وأخرى * من أياد على الورى عاطفات

بخلوص المديح أرجو خلاصي * من مساوي ايامي السالفات

ان نظمتم رجاء صدقي ولاكم * حاز أمنا من سطوة المرجفات

فأماني من حادثات زماني * انتمائي لكم بصفو صفاتي

ومن خصوصيات السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها انه يحرم التزوج عليها مخافة ايذائها بالغيرة التي هي من طبع النساء للاحاديث الدالة على تحريم نكاح عليها حتى تأذن ولقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وليس ذلك شاملا لجميع بناته صلى الله عليه وسلم بل هو خاص كما صوبه الحافظ ابن حجر بفاطمة الزهراء لانها اصيبت بأمها وأخواتها واحدة واحدة ولم يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عنها ألم الغيرة وتوفيت رضي الله عنها في ثالث رمضان ولها من العمر تسع وعشرون سنة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وصلى عليها العباس رضي الله عنه وولدت السيدة فاطمة رضي الله عنها زينب وام كلثوم ورقية فأما زينب فقد تزوجها ابن عمها عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب فولدت له عليا وعونا الاكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم وأما أم كلثوم فانه تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا وقتل عنها ثم تزوجها عون بن جعفر بن ابي طالب فماتت عنها ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات عنها ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله فماتت عنده ولم تلد لاحد من الثلاثة شيئا وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في يوم واحد وصلى عليهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأما رقية فماتت صغيرة

وولدت السيدة خديجة رضي الله عنها له صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو الملقب بالطيب والطاهر [illegible] ولد بعد البعثة وتوفي بمكة فقال العاص بن وائل قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله عز وجل ان شانئك هو الأبتر [illegible]

يوم موته فقالوا كسفت لموته فقال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وسبب ذلك اذا اراد الله ان يرى عباده آية تخوفهم بها اظهر لهم شيئاً من عظمته وسلطانه ولما مات بكى عليه صلى الله عليه وسلم وقال البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان وقال من لا يرحم لا يرحم ورأى صلى الله عليه وسلم خللا في قبر ابراهيم فقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه فهؤلاء أولاده صلى الله عليه وسلم كلهم من خديجة الكبرى أم المؤمنين رضي الله عنها وأما ابنه ابراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية ومات جميع اولاده صلى الله عليه وسلم في حياته الا فاطمة فبعده بستة أشهر ولم يكن له صلى الله عليه وسلم أولاد من غيرهما وقيل ان عائشة أسقطت سقطا ولم يثبت توفي ابراهيم صغيرا مرضعا وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية وهي مال من أموال بني النضير كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة وفي رواية بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الارض وسماه يومئذ ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أم برده خولة بنت المنذر زوج البراء بن أوس أحد بني النجار فكانت ترضعه والعقيقة هذه احدى الولائم الثمانية والثانية العرس الثالثة الخرس بضم الخاء المعجمة ويقال بالصاد المهملة طعام الولادة وهي غير العقيقة الرابعة الاعذار بكسر الهمزة وبالعين المهملة والذال المعجمة للختان الخامسة الوكيرة لبناء الدار السادسة النقيعة للمسافر من النقع وهو الغبار وقيل ان المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه له غيره السابعة الوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة طعام عند المأتم الثامنة المأدبة بضم الدال وفتحها طعام يتخذ ضيافة بلا سبب ونظمها العلامة بهرام المالكي رحمه الله فقال

ثمانية أسماء الاطعمة أتت * عن العرب نقلا لا ترى بقياس
وليمة عرس ثم اعذار خاتن * نقيعة مسفر ثم خرس نفاس
ومأدبة في دعوة ووكيرة * لاجل بناء محكم بأساس
عقيقة مولود كذاك حذاقه * اذا حذقه ماذي وقيس من الناس

وكمه جعل الحذاق بدل الوضيمة فهي حينئذ تسعة وزيد أيضا الاملاك للعقد والعتيرة ذبيحة لاول شهر رجب وعلى هذا فاسماء الاطعمة احد عشر وذيل الشمس التتائي بثلاثة

وتاسعة الاملاك للعقد قد أتت * عشيرة ذبح للاصبع مواسى
وحادية العشر فعسل وضجعة * بجيت حمالك الله شر أناس

وقد ورد فى حديث انس عند البيهقى انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة فلو كان ماذبحه جده فى سابع ولادته صلى الله عليه وسلم عقيقة لم يعدها النبى صلى الله عليه وسلم و يعق عن نفسه وأجيب عنه بأن مافعله النبى صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ليس اعادة للعقيقة وانما هو اظهار للشكر على ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لامته كما كان صلى الله عليه وسلم يصلى على نفسه كذلك والجواب المشهور ان مافعله جده عبد المطلب من العقيقة لم يقع عنه لان ذلك كان قبل الشرع فلا يتعلق به حكم والعقيقة التى فعلها صلى الله عليه وسلم عنه بعد النبوة على تقدير صحتها كانت بعد الشرع فهى المشروعة والواقعة عنه لانه بعد ولادته لم يقع عنه عقيقة مشروعة على ان ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة انما هو حديث منكر كما قاله بعضهم وقد نظم بعضهم عدة أولاد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

فأول ولد المصطفى القاسم الذى * به كنية المختار فافهم وحصلا
وزينب تتلو ورقية بعدها * وفاطمة الزهراء جاءت على الولا
كذا ام كلثوم تعد وبعدها * فى الاسلام عبد الله جاء مكملا
وكلهم كانوا أتوا من خديجة * وقد جاء ابراهيم فى طيبة تلا

وتوفيت السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها فى سنة عشر من المبعث قبل الهجرة بثلاث سنين و بعد مضى عشر سنين من مبعثه صلى الله عليه وسلم ودفنت بالحجون وهى ابنة خمس وستين سنة وستة أشهر وللنبى صلى الله عليه وسلم عند وفاتها تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما وذلك قبل موت أبى طالب بثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وقال مانالتنى قريش بشئ أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك ان قريشا وصلوا من ايذائه بعد موت أبى طالب الى مالم يكونوا يصلون اليه فى حياته وكان عليه الصلاة والسلام يسمى ذلك العام عام الحزن ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبر السيدة خديجة وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى هالة هند بن النباش بن زرارة وولدت له هند بن أبى هالة سمى باسم ابيه ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ بن عبد الله فطلقها فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكانت عمة ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة

ابن كعب بن لؤي وهو ابن عم خديجة لانها بنت خويلد بن أسد فآثر الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت خديجة ولدت لعتيق السابق ذكره جارية فتزوجها صيفي بن أمية فولدت له محمدا فيقال لبني محمد بن صيفي بالمدينة بنو الطاهرة قالت عائشة رضي الله عنها اني لاغار على خديجة وان كنت بعدها لما كنت اسمع من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولقد سمعته يقول كانت خديجة خير نساء العالمين وقال ان لخديجة بيتا في الجنة من قصب (أي قصب اللؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب (الصخب الصياح والمصدر الاصوات للخصومة والنصب أي لا تعب) واني لاعرف فضلها رحمها الله

قال بعض الصوفية ان أربعة من النساء احببن أربعة من الانبياء عليهم السلام فوجدن بذلك المغفرة الاولى خديجة بنت خويلد احبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بذلك المغفرة والقربة والاسلام ونجت من عبادة الاصنام وكانت أول امرأة اسلمت من نساء عصرها وبشرها جبريل بقصر فيها والثانية آسية بنت مزاحم احبت موسى الكليم فاورثها حبه جنة النعيم وبنى الله لها بيتا في الجنة وأنقذها من الملة والثالثة بلقيس احبت سليمان بن داود عليهما السلام فكان حبها باعثا لدخولها في الاسلام وكانت تعبد الشمس من دون الله حتى بلغت الحقائق ووصل اليها كتاب كريم

أول من يدخل من باب الحرم يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين هذا محمد رضيناه فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلموا إلي ثوبا فأتي به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال ليأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه حتى أتموا بناء الكعبة فأرضى الكل صلوات الله عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين وفي الإصابة أخرج الطبراني عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض وكان بناؤها قبل الهجرة بثماني عشرة سنة. تنبيه اختلفوا [illegible]

وكساها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم القباطي وكساها معاوية رضي عنه الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر رمضان وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي أيضا فكانت تكسى الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن في كل سنة وكانت كسوتها من غلة قريتين يقال لهما بسوس وسنديس من قرى القاهرة ارصادا الملك الصالح ابن الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبعمائة واحدى وخمسين الى أن صارت الكسوة من القاهرة المعزية على طرف الخزينة المصرية الخديوية وقد سئل الامام البلقيني هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز دورانها في المحمل الشريف فأجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي يرجى لمن يكسوها الخلع السنية في الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها ودوران المحمل الشريف فان في ذلك من التفخيم المناسب للمحل المنيف ما يليق بالحال هذا كلامه

وأول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالين من الذهب فضرب الاسياف بابا وجعل في ذلك الباب الغزالين فكان أول ذهب حليت به الكعبة وقد سبق ذلك في حفر زمزم في الفصل الاول من الباب الاول من المقالة الخامسة واول من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جعل على اساطينها صفائح ذهب وجعل صفائحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه أرسل لعامله على مكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين ابن هارون الرشيد أرسل الى عامله بمكة ثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على باب الكعبة فقلع منها ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتبة من الذهب وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل وقد سبق التنويه الى ذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الرابعة من الجزء الاول ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الاربعين وأرسل بخصوصه الى الانس والجن أجمعين أتاه جبريل من الله بالوحي وهو بغار حراء

العظائم

(الجبل المشهور بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها) الذي كان يخلو فيه للمجاورة والعبادة وخاطبه بالرسالة الآتية بالشريعة المطهرة والحنيفية السمحة إلى كافة الخلق فكان ذلك سببا لاسعادهم وموجبا لصلاح معاشهم ومعادهم وكان ذلك على فترة من الرسل ليس للناس شرائع ولا أحكام ولا علم بالتوحيد ولا أمر شرعي يحفظ دماءهم وأموالهم فجاءت شريعته جامعة للأحكام والحكم التي لا تحصى والنعم التي لا تستقصى فيا له من بعث محا الضلالة والعبث

(الباب الثاني في مبعثه صلى الله عليه وسلم ودعائه الناس إلى الدين الحق وهجرته) *(إلى الحبشة وإلى الطائف وفيه فصول)*

(الفصل الأول في رسالته صلى الله عليه وسلم على رأس الأربعين إلى كافة الناس) *(بشيرا ونذيرا)*

كان صلى الله عليه وسلم له الرياسة المؤثلة على قومه الذين أصابوا الملك وأطاعتهم العرب وجمع لهم ما لم يجتمع لغيرهم من مناصب الشرف في ذلك الوقت وهي الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة هي سدانة البيت الشريف أي تولية مفتاح بيت الله تعالى والسقاية سقاية الحجيج كلهم الماء العذب وكان نادرا بمكة يجلب الماء من الخارج ليسقي الحجاج منه بل وينبذ لهم التمر والزبيب للشراب أيضا والرفادة هي إطعام الطعام لسائر الحجاج فكانت تقدم الأطعمة في أيام الحج والندوة هي المشورة وكان يجتمع فيها من قريش ومن غيرهم من سنه أربعون سنة فلا ينعقد عقد نكاح الرجل من قريش إلا فيها وأما اللواء فراية معقودة على رمح منصوبة علامة لاجتماع الجيش لحرب الأعداء فيجتمعون تحت هذه الراية وقد كان اللواء عندهم والقيادة إمارة الجيش ورياسة الحروب فكان صلى الله عليه وسلم شهيرا بشرف نسبه في مكة المشرفة التي هي أم القرى وكان له صلى الله عليه وسلم محاسن سنية كقضائه حين حكموه في بناء الكعبة وكإعانته صلى الله عليه وسلم على إبطال ما كان يحاوله عثمان بن حويرث من التنصر وتزيين جعل الكعبة تحت ولاء الروم فببركته صلى الله عليه وسلم تورطه في المعاطب [illegible] الحويرث

ومن محاسنه أيضا ومكارم أخلاقه كفالته ابن عمه علي بن أبي طالب [illegible] وتبنيه زيد بن حارثة بن شرحبيل الذي وقع أسيرا بعد [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] لقريش [illegible]

قريش خيار بني آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بني هاشم كلهم * نبي الاله أبو القاسم

وكان صلى الله عليه وسلم أميا لا يكتب ولا يقرأ وفي وجوده بهذه الصفة تنبيه على ان كمال علمه مع حالة الامية من معجزاته ونسبته الى الام كأنه على حاله التي ولدته عليها لا يعرف كتابة ولا قراءة وفي الحديث انا امة أمية لا نحسب ولا نكتب وكانت الامية في حقه صلى الله عليه وسلم معجزة وان كانت في حق غيره غير محمودة قال القاضي عياض لان معجزته العظمى القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريقة المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك ووجود مثل ذلك ممن لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولم يلق مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر وليس فيه اذ ذاك نقيصة اذ المطلوب من القراءة والكتابة المعرفة وانما هي آلة وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة وقال أيضا ان من وصفه صلى الله عليه وسلم بالامية أو نحوها من اليتم وما جرى عليه من الأذى فان قصد بذلك مقصده من التعظيم والدلالة على نبوته ونحو ذلك كان حسنا ومن اراد ذلك على غير وجهه وعلم منه سوء مقصده لحق بالساب فيقتل أو يؤدب بحسب حاله انتهى

وكان صلى الله عليه وسلم يختلي في كل سنة شهرا مع أهل بيته في غار حراء بقرب مكة فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد عربة اي بجار الافكار ملازما للصمت آناء الليل وأطراف النهار حتى أتاه الوحي على رأس الاربعين سنة في محل العبادة بالنبوة فأول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات الوحي قيل مدتها ستة أشهر ابتداؤه شهر ربيع الاول ثم فجأه جبريل وهو بالغار المذكور في شهر رمضان فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم قال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه كذلك ثم أعاد جبريل فقال له اقرأ وأعاد محمد صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بقارئ فقال له جبريل بعد المرة الثالثة اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ علم الانسان ما لم يعلم فقرأها وما في قوله ما أنا بقارئ نافية في الشكل الأول والثانية للامتناع والثالثة للاخبار بالنفي المحض والثالثة استفهامية وكرر عليه الغط ليقبل بكليته ويتم توجهه لما يلقى عليه ولما عاد الى خديجة وأخبرها بالخبر قالت والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر ثم انطلقت به حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل

فأخبرته

فأخبره خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي نحو ثلاث سنين

وإنما كان بدء الوحي بالرؤيا الصادقة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تقبلها القوى البشرية فبدئ أول تباشير النبوة وخصال الكرامة أيسرها وتمرينا له فلما تمرن على ذلك في المنام جاءه الملك في اليقظة بصريح النبوة والكلام ثم بعد ذلك فتر الوحي نحو ثلاث سنين فيما جزم به ابن إسحاق وقيل سنتين ونصفا ليذهب عنه ما وجده من الروع وليزيد تشوقه إلى العود فصار يحزن لذلك حزنا شديدا ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وتتابع الوحي فهي أول ما نزل عليه بعد فترة الوحي ونزولها ابتداء رسالته صلى الله عليه وسلم وهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل مقارنة لنبوته وأما اقرأ باسم ربك فهي أول ما نزل مطلقا والقول بأن ما نزل مطلقا يا أيها المدثر باطل كما قاله النووي فظهر من نزول اقرأ باسم ربك أولا ونزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي أن نبوته صلى الله عليه وسلم كانت متقدمة على رسالته كما صرح به أبو عمر وغيره وعلى ذلك يحمل قول صاحب جامع الأصول الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة فكان في اقرأ باسم ربك نبوته وفي يا أيها المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع والاقتصار على الإنذار في هذه السورة مع أنه صلى الله عليه وسلم بعث مبشرا أيضا لأن ذلك كان في أول الإسلام فمتعلق الإنذار محقق فلما أطاع من أطاع نزل الله قوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فانقطعت الفترة بدعوته صلى الله عليه وسلم عموم الناس للإيمان

ثم أول شيء فرض الله عليه من شرائع الإسلام بعد الإنذار بالتوحيد والبراءة من الأوثان الصلاة أتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين ثم فارقه وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وعلمها الوضوء فتوضأت ثم قام فصلى ركعتين وصلت معه فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم إن الله تعالى أقرها في السفر وأتمها في الحضر وقال النووي أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكر في أول سورة المزمل بقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ثم نسخه بما في آخرها بقوله فاقرؤوا ما تيسر منه إذا أراد صلوا

ما تيسر لكم وفرض عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة انتهى

وقد اختلف العلماء في أول من أسلم والصحيح خديجة ثم أبو بكر ثم علي وكان عمره احدى عشرة سنة ثم زيد بن حارثة قال الثعلبي اجماع العلماء ان أول من اسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تبناه وصار يقال له زيد ابن محمد ولم يذكر في القرآن أحد من الصحابة باسمه الا هو كما انه لم يذكر امرأة باسمها في القرآن الا مريم وأول من اسلم من العبيد الباقين على الرق بلال المؤذن فأول فائز بالاسلام من الرجال الصديق على التحقيق وان قال شيخ الاسلام السراج عمر البلقيني وتبعه الحافظ العراقي ان أول من آمن به من الرجال ورقة ابن نوفل لنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وايمانه بالنبي وتصديقه برسالته صريحا أي بعدها بناء على انهما متقارنان أو قبلها لعلمه من الكتب القديمة كما جاء في أحاديث قصة بدء الوحي وغيرها في الصحيح وغيره وان مشى على ذلك أيضا جماعة من الائمة وعدوه في الصحابة واتسع الاسلام بعد ان اسلم أبو بكر فأسلم عثمان ابن عفان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص فهؤلاء الخمسة دعاهم أبو بكر فأجابوا ثم اسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وهو ابن عم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر فهؤلاء هم الذين سبقوا الناس الى الاسلام

وأول ما وجب الانذار والدعاء الى الله بالتوحيد بقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر فأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو الى الله سرا لعدم الامر بالاعلان وكان لا يظهر دعوته الا لمن يثق به وتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء كما يشير الى ذلك حديث ان هذا الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدا حتى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن ابي طالب مستخفيا من عمه ابي طالب ومن جميع اعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاء الله ان يمكثا ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه فقال

أبو طالب أي ابن أخي اني لا استطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت

وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأراده من الخير ان قريشا اصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ويقال عقيلا وطالبا وكان لابي طالب علي وجعفر وعقيل وطالب وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين اسلم منهم علي وجعفر وعقيل ومات طالب على دين قومه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيا فاتبعه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه

واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد ان أوحي اليه فقيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وهو الصحيح ولعل الذي قال عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقي ثلاث سنين يسرها ثم نزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الامر بالاعلان وذلك في قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فأعلن صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الاذى عليه وعلى المسلمين حتى اذن لهم في الهجرة الى الحبشة كما سيأتي

ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا عليا فقال اصنع لنا صاعا من طعام واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا (أي قدحا عظيما) من لبن واجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعل ودعاهم وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم اعمامه أبو طالب وحمزة والعباس واحضر علي الطعام فأكلوا حتى شبعوا قال علي وقد كان الرجل الواحد منهم يأكل جميع ما شبعوا كلهم منه فلما فرغوا من الاكل وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بدره أبو لهب الى الكلام فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا علي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل الى الكلام فاصنع لنا في غد كما صنعت اليوم

واجمهم ثانيا فصنع علي في الغد كذلك فلما اكلوا وشربوا اللبن قال لهم صلى الله عليه
وسلم ما أعلم انسانا في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد
أمرني الله ان ادعوكم عليه فأيكم يوازرني على هذا الامر ويكون أخي ووصيي وخليفتي
فيكم فأحجم القوم عنها جميعا قال علي فقلت واني أحدثهم سنا وارمصهم عينا وأعظمهم بطنا
واحمشهم ساقا أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليهم قال فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي
ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد
أمرك ان تسمع لعلي وتطيع واستمر صلى الله عليه وسلم على ما أمره الله تعالى لم يبعد عنه
قومه ولم يردوا عليه حتى سب آلهتهم وعابها وسب قومه وآباءهم الى الكفر والضلال
فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام وذب عنه عمه أبو طالب فجاء أبا طالب
رجال من اشراف قريش فقالوا يا أبا طالب ان ابن اخيك قد عاب ديننا وسفه احلامنا
وضلل آباءنا فانهه عنا أو خل بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا حسنا واستمر صلى الله
عليه وسلم على ما هو عليه فعظم عليهم وأتوا أبا طالب ثانيا وقالوا ان لم تنهه والا نازلناك
واياه حتى يهلك أحد الفريقين فعظم عليه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي
ان قومك قالوا لي كذا وكذا فظن صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله فقال يا عم لو وضعوا
الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر ثم استعبر فبكى وقام صلى الله عليه
وسلم فناداه أبو طالب أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشيء أبدا فأخذت
كل قبيلة تعذب كل من أسلم منها فمن لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بأنواع التعذيب ويقال
له لا تزل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ومن المسلمين من
مات من تعذيب المشركين وكان بعض المشركين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقولهم ان ما جاء به من الآيات سحر يؤثر ومن قول البشر وأساطير الاولين
ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب ومع ذلك فلا زال أذاهم شديدا عليه صلى الله عليه
وسلم حتى اسلم عمه حمزة فقل اذاهم وكان اسلامه سنة خمس من النبوة قبل اسلام عمر بن
الخطاب بثلاثة أيام وفي المواهب اللدنية قال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

وأحمد

وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

وفي هذه السنة أعز الله الاسلام أيضا باسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي وسبب اسلام حمزة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند الصفا فمر به أبو جهل بن هشام فشتم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكلمه وكان حمزة في القنص وكان على دين قومه فلما حضر أنبأته مولاة لعبد الله بن جدعان بشتم أبي جهل لابن أخيه صلى الله عليه وسلم فغضب حمزة وقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسه فوجد أبا جهل بن هشام قاعدا مع جماعة فضربه حمزة بالقوس فشجه ثم قال أتشتم محمدا أنا على دينه فكان اسلامه بركته صلى الله عليه وسلم فقامت رجال من بني مخزوم لينصروا ابا جهل فقال أبو جهل دعوه فاني سببت ابن أخيه سبا قبيحا ودام حمزة على اسلامه وعلمت قريش ان النبي صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع باسلام حمزة فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه وبقيت عداوتهم له وكانوا يسمونه صابئا لكونه خرج عن دين قومه لان الصابئ عند العرب من مال عن دين قومه الى غيره حكى ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه قال ما خلق الله رئيسا في الخير الا وله مقابل من أهل الشر خلق الله آدم وابليس والخليل والنمرود وموسى وفرعون ومحمدا صلى الله عليه وسلم وأبا جهل وهكذا أبدا وكانت كنية ابي جهل ابا الحكم فكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهل وهو عمرو بن هشام وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل

ويحكى بمناسبة ذلك ان السلطان محمود الاول الغازي ذهب الى قطب الاقطاب أبي الحسن الخرقاني ليزوره فقال حدثنا حديثا عن أبي يزيد لنسمعه منك فقال الشيخ كان أبو يزيد رجلا من أبصره نجا ومن نظر اليه اهتدى فقال السلطان محمود أهو اعظم من حضرة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو جهل وغيره من الكفار يبصرونه وينظرون اليه كمال النظر ولم ينجوا بل ماتوا على الكفر فأجابه الشيخ قدس سره بأن هؤلاء كانوا لا يبصرون تلك الحضرة بل كانوا يبصرون محمد بن عبد الله وينظرون اليه بالنظر الى انه رجل من بني آدم حتى لو كانوا ابصروه بوصف كونه محمدا رسول الله لفازوا بالسعادات وتخلصوا من الشبهات وتخلصوا عن الضلالات ومصداق ذلك قوله جل ذكره وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وتحقيق ذلك ان الجثة الانسانية والصورة

البشرية الجسمانية يشترك فيها الانبياء والاولياء والعلماء وتستوى فيها الخاصة والعامة وانما الذى يناط به مراتب الرجال ويظهر تفاوت الاقدار هو المعانى والكمالات الحاصلة للانسان مع تفاوتها وتكثرها المتعلقة بالقرب الالهى ولا يعرف صاحب هذه الاوصاف الا الكاملون فمن غرق فى بحار الضلالات وانغمس فى تيه الجهالات كيف يعرف كنه المتصف بصفات الكمالات

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلوا عنه بالحلم اه

فغير الاستمرار على الايذاء لجسمه الشريف تعرضوا لدعائهم رميه بالسحر والكهانة والجنون بعدما سبق منهم قبل النبوة انهم كانوا ينظرون اليه نظر كمال واجلال حتى سموه بالامين قبل النبوة واشتهر عندهم بهذا العنوان ولم يجربوا عليه بعد اشتهاره بذلك خللا ولا تناقضا فتناقض أمرهم فيه واختل اعتقادهم بعد النبوة لعمى بصيرتهم ورجعوا وصفوه بالجنون مثلا ولم يكن لهم شبهة فى ذلك الا ما رأوه منه عند نزول الوحى من الاستغراق لتلقيه ومن حمرة الوجه وكثرة الغطيط فعميت قلوبهم عن ادراك الفرق بين حالة نزول الملك وحالة الجنون مما لا يخفى على أدنى عاقل فكانوا ينظرونه كأنه رجل من بنى آدم ولا يلتفتون الى امانته ولا الى وصف النبوة فالمبالغة فى أذى قريش للمسلمين هى التى أوجبت الهجرة الى الحبشة مرتين كما ان المبالغة خصوصا فى ايذائه صلى الله عليه وسلم هى التى أوجبت الهجرة الى الطائف ثم الى المدينة

(الفصل الثانى فى الهجرتين الى الحبشة)

ولما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء والتعذيب فى الاسلام والفتنة ورأى ما هو من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبى طالب وانه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فى رجب سنة خمس من النبوة وقال لهم ان بها ملكا لا يظلم احد ببلاده فالحقوا ببلاده حتى يأتيكم الله بفرج مما انتم فيه وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش فخرجوا متسللين سرا وعدتهم اثنا عشر رجلا وأربع نسوة وكان فيهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة وامرأته أم سلمة ساروا الى ان وصلوا النجاشى ملك الحبشة فكان هذه أول هجرة فى الاسلام ثم خرج اثرهم المهاجرون جعفر بن أبى طالب ابن عمه ومعه زوجته اسماء بنت عميس وتتابع المسلمون الى الحبشة فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وبذا اصبح للمسلمين قديما وحديثا الهجرة عن ديار الكفر الى

الى ديار الاسلام ومن ديار الفسق الى ديار الطاعة فعلى المسلم ان ينتقل الى الارض التى يخف فيها الفسق أو الكفر اذا لم يجد دارا محضة لاهل الاسلام والتقوى ويشهد لذلك هجرة المسلمين من مكة وهى إذذاك دار كفر وجاهلية الى أرض الحبشة وهى دار كفر وأهل كتاب واغا تجب المهاجرة من أرض البدعة مالم يتمكن المقيم بها من وظيفة حسنة كالارشاد والهداية فالمقام بهذا القصد أولى لان الخروج سلامة والمقام كرامة وفيما لم يهاجر الى الحبشة الا البعض ممن حسنت هجرته لاسيما المستضعفين

وفى اثناء مكث المهاجرين بالحبشة فى الهجرة الاولى اسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس من النبوة بعد اسلام حمزة رضى الله عنه بثلاثة أيام قال ابن عباس لما اسلم عمر ابن الخطاب قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر فان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وكان أمر المسلمين قبله على غاية من الخفاء وبعده على غاية من الظهور

وسبب اسلامه انه وجد مع اخته بعض آيات من القرآن من سورة الانبياء وكانت خبأتها عنه فسلبها من يدها غصبا فقرأها فحلت فى قلبه محل الاعجاب واقحمه لفظها ومعناها فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم على يديه وكان ذلك اجابة لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام اسم أبى جهل فكان احبهما اليه عمر بن الخطاب فكان عز الاسلام بعمر بن الخطاب وذكر الدارقطنى ان عائشة قالت انما قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء واسلم عمر يوم الخميس وكان عمر لا يرام ما وراء ظهره فامتنع به وبحمزة الصحابة وفى البخارى لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينما عمر فى داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل وقال له مالك قال زعم قومى انهم يقتلونني ان اسلمت قال أمنت لاسبيل اليك فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون قالوا نريد عمر بن الخطاب الذى صبا فقال لاسبيل اليه فانا له جار فكر الناس وتصدعوا عنه وكان ابن مسعود يقول ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى اسلم عمر رضى الله عنه وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة وروى ابن شريح بن عبيد عنه انه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد

فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فلما قرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن كأنه علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ولعل واقعة سماع القرآن تعددت قبل اسلامه

ولما قرأ عليه الصلاة والسلام سورة والنجم وكان يرتل قراءته فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ارتصده الشيطان في سكتة من سكتاته فالقى عندها تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعها فوقعت في قلب كل مشرك بمكة وذلت منها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد معه كل مشرك غير الوليد بن المغيرة كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ملأ كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما في السجود بسجود النبي صلى الله عليه وسلم وعجب المسلمون بسجود المشركين معهم ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان كما قاله موسى بن عقبة وأما المشركون فاطمأنوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت ارض الحبشة ومن بها من المسلمين ثم بعد مكثهم هناك دون ثلاثة أشهر رجع كثير منهم عند ما بلغهم عن المشركين بسجودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم وظنوا اسلامهم

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة التي فشت في الناس ساءه ذلك فأنزل الله عز وجل وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى (قرأ) ألقى الشيطان في امنيته (أي قراءته) كما قال الفراء ويؤيده ما رواه ابن جرير والقاء الشيطان فيها انه تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلقه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته (قال اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه) فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته (بيانها) والله عليم (بالقاء الشيطان ما ذكر) حكيم (في تمكينه منه يفعل ما يشاء)

ويؤيده ما سبق فى الفصل الاول من هذا الباب من ان كفار قريش لما كانوا يطوفون بالكعبة كانوا يقولون واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فانهن غرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فكانت هذه العبارة مركوزة فى اذهانهم هاجسة فى خواطرهم يخيل لهم سماعها وان الشيطان نطق بها عند انقطاع نفس النبى صلى الله عليه وسلم فى التلاوة فحاكى بها صوته واللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقيل غير ذلك والغرانيق هى فى الاصل الذكور من طير الماء الابيض الطويل العنق وقيل اسود كالكركى وقيل انه الكركى ويتجوز به عن الشاب الناعم والمراد بها الاصنام حيث كانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع والفرق بين الصنم والوثن ان الصنم الصورة بلا جثة والوثن كالجثة معمولة من جواهر الارض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى تعمل وتنصب وتعبد ومنهم من لم يفرق بينهما واطلقهما على المعنيين وقد يطلق الوثن على غير الصورة وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنجم على أقوال أحدها انها نجوم من القرآن اذا نزلت وكان نزل منه شئ فى وقت فهو نجم ثانيها انه عنى بالنجم الثريا والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة ولا يذكرونه فى الاطلاق الا لها قال قائلهم

طلع النجم عشيا * ابتغى الراعى كسيا

وقال أيضا

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

يعنى الثريا وهى تطلع العشاء فى الثلث الاخير من فصل الخريف قبل الشتاء بشهر وذلك مبادى قوة البرد لان آخر كل فصل شبيه بالذى بعده فلهذا طلب الراعى الكساء وتطلع بالغداة فى الصيف وقت أوان اللبن فلهذا طلب الشكية تصغير شكوة وهى جلد الرضيع يتخذ للبن أصغر من الوطب الذى هو جلد الجذع وفى الحديث ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع رواه الامام أحمد

قال ابن دريد هى سبعة انجم ستة أنجم منها ظاهرة وواحد خفى يمتحن الناس به أبصارهم وعلى قول ابن دريد قول الشاعر

خليلى انى للثريا لحاسد * وانى على ريب الزمان لواجد
ايبقى جميع شملها وهى سبعة * وأفقد من احببته وهو واحد

وذكر القاضي عياض في الشفاء انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما والقول بأن المراد بالنجم الثريا قاله ابن عباس ومجاهد في رواية عنهما واختاره ابن جرير والزمخشري وقال السمين انه الصحيح انتهى وهي أشبه شيء بعنقود العنب ومن شعر سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله

وصغرت ثريه لكثره * والخصب في طلوعها والميره

وقال ابن قتيبة في كتاب الانواء جاءت أي الثريا مصغرة لاجتماعها ولم يتكلم بها الا كذلك وأصلها من الثروة وهي كثرة العدد وهي ستة انجم ظاهرة في خلالها نجوم كثيرة خفية ويسمونها نجما وأنواء

ومع ماقيل في هذه الآية وهي قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وانه حين قرأ سورة والنجم وبلغ فيها ومناة الثالثة الاخرى ارتصده الشيطان في سكتة من سكتاته فألقى عندها (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) محاكيا نغمته الى آخره فقد رد بعضهم هذا كله وقال انه موضوع وضعه الزنادقة ولا أصل له لان الشيطان لايلقي على الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام شيئا حيث هم معصومون وحل هذه المسألة يفهم مما كتبه البيضاوي والشهاب الخفاجي والشيخ زاده في هذا المحل يعني قوله تعالى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فانه يفهم من كلام البيضاوي انه هيأ في نفسه مايهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة قال الشهاب حديث صحيح والغين قريب من الغيم لفظا والمعنى انه يعرض لقلبي ويغشاه بعض امور من أمور الدنيا والخواطر البشرية مما يلزم التبليغ لكنها الاشتغال المانع عن ذكر الله يعدها كذنوب فيفزع الى الاستغفار منها والسبعين للتكثير لا للتخصيص انتهى كلام الشهاب قال البيضاوي في قوله تعالى (فينسخ الله مايلقي الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى مايزيحه انتهى كلام البيضاوي فقوله بعصمته عن الركون اليه الى آخره هو محل الاشارة الى الجواب كما يفهم بالتأمل (ثم يحكم الله آياته) قال البيضاوي ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) بما يفعله بهم قال البيضاوي حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه

ان

ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم ونزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد فى آخرها أى آخر سورة والنجم بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبأه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه أى سلاه الله بهذه الآية (وهو أى ما ذكر من قوله سبق لسانه سهوا وقوله تلك الغرانيق الخ) مردود عند سائر المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقول حسان رضى الله عنه

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

الرسل الترتيل فى القراءة بتؤدة وسكينة من غير سرعة وضمير تمنى فى البيت لعثمان رضى الله عنه وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث يظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بأنه مخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله وبأن الآية على هذا التفسير تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم سيأتى رده فى عبارة الشهاب (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفى شقاق بعيد) عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين اه كلام البيضاوى قال الشهاب قوله سبق لسانه سهوا هذا غير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم محفوظ عن السهو بما يخالف الدين والشرع لان التكلم بما هو كفر سهوا أو نسيانا لا يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام واذا سها صلى الله عليه وسلم فى صلاة ونحوها كان تشريعا حتى قال بعض العلماء ان سجدة السهو فى حقه صلى الله عليه وسلم سجدة شكر وقول البيضاوى فى عبارته المتقدمة وهو مردود عند المحققين قال الشيخ زاده يعنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام فى أنه قد سبق لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء أهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فنه قوله تعالى (ولو تقول) أى النبى صلى الله عليه وسلم

بأن كلف نفسه ان يقول مرة فى الدهر كذبا (علينا بعض الاقاويل) أى التى لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها (لأخذنا منه باليمين) أى بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط القلب وهو يتصل من الرأس اذا انقطع مات صاحبه ومنه أيضا قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لظهر صدق الله تعالى فى جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم وأما السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وأيضا فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فاذكره الامام النسفى فى تفسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها ولا يخلو الامر من احد ثلاثة أوجه إما ان يجرى ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا فى الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان يجرى الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا أيضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فكيف يقدر على ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم واما أن يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو أيضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق وأعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا فى حالة تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ فى كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءته صلى الله عليه وسلم ووقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذى تكلم بهذا او تكون هذه القاء فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم فى زمن الوحى كما ذكر انه ظهر فى صورة شيخ نجدى على المشركين الذين اجتمعوا فى دار الندوه

على

على قضية المكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى شوارهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر أيضا انه نادى يوم أحد ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز فى غير مقام تبليغ الوحى وأداء الرسالة له لانا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ولجوزنا فى كل ما بلغه الينا عن الله تعالى أن ينضم اليه غيره بخلط الشيطان فظهر مما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية ما فى الباب ان جماعة من المفسرين رحمهم الله ذكروها لكنهم ما بلغوا فى الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة فلذلك قال البيضاوى فى تفسير الآية القى الشيطان فى تشهيه ما يوجب اشتغاله فى الدنيا ولم يقل ما يوافق تشهيه من الكلام ثم قال البيضاوى وان صح فالظاهر ان مبنى الصحة أن تكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام عند قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب بالاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى ما من رسول ولا نبى قبلك الا مكنا الشيطان أن يلقى فى قراءتهم مثل ما ألقى فى قراءتك عند ما تمنيت فلا تهتم بذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين والتميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل عنه انتهى كلام البيضاوى

وعبارة العلامة الشهاب الخفاجى فى قوله وهو مردود عند المحققين وان صح فقد ذكرنا فيها ما قاله الشيخ زاده وقال الشهاب الخفاجى فيها قوله وهو مردود عند المحققين وان صح اشارة الى عدم صحته رواية ودراية اما الاول فلما قاله القاضى عياض انه لم يوجد فى شئ من كتب الحديث المعتمدة بسند صحيح معتمد عليه وبالغ بعضهم فقال انه من وضع الزنادقة واكثر المحدثين على عدم صحته وأما الثانى فلما مر فعلى تقدير صحته يكون خرج مخرج الكلام الوارد على زعمهم أو على الانكار لا غير او المراد بالغرانيق الملائكة واجلاله للابتلاء به واما كونه ابتلاء من الله ليختبر به الناس كما ذكره البيضاوى رحمه الله تعالى فلا يليق به لانه ان كان سهوا منه فقد علمت انه محفوظ عن مثله وان كان بتكلم الشيطان واسماعه لهم وكذلك لما يلزمه من عدم الوثوق بالوحى انتهى كلام الشهاب قال الشيخ زاده عند قوله فيما تقدم وقيل تمنى قرأ كقول حسان الخ ان التمنى فى اللغة يعنى يجئ بمعنى القلب والقراءة قال الله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى أى الا قراءة لان الامى لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قراءة وقال رواة اللغة

الامنية القراءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله عنه * تمنى كتاب الله اول ليلة *
وقيل الاولى في تأويل الآية ان يقال التمني بمعنى القراءة فقوله تعالى ألقى الشيطان
في أمنيته أي عند تلاوته القرآن في قلوب المشركين ما يجادلون به الرسول ويحاجون به
ويوقعون به شبهة في قلوب اتباعه ليمنعوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول
حرم عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى (فينسخ الله ما يلقي
الشيطان) في قلوب المشركين بانزال قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق) وقوله وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين به انما احل هذا بذكر اسم الله عليه
وحرم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام والملائكة عبدوا من دون الله تعالى مع
أنه تعالى لا يخزيهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا
الحسنى أولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله وما
تعبدون من دون الله وذلك لان ما لغير العاقل وان المراد الاصنام فقط انتهى عبارة
الشيخ زاده وهذا زبدة ما قيل في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الى آخره
وقد سبق ان من جملة المنكرين قصة ما في النجم القاضي عياض فانه قال هذا الحديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون
والمؤرخون انتهى ولا ينظر لرد ابن حجر على القاضي عياض بانه لافائدة فيما قاله
ولا يعول على كلامه لاسيما مع قول البيهقي ان رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم ومع
قول النووي نقلا عن البيهقي ونصه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود
المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم
فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر
ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسانه
صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك والا يلزم عدم الوثوق بالوحي وقال
الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي
وفي الابريز للعارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ ما يفيد تصحيح قول القاضي
عياض من ان حديث الغرانيق لا اصل له ورد قول ابن حجر المحتاج للتأويلات في تفسير
هذه الآية ثم فسرها صاحب الابريز بتفسير بديع واقرب للعقول وعبارته ان الله
تعالى

تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الانبياء الى امة من الامم الا وذلك الرسول يتمنى الايمان لامته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم فى ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذى قال له الرب سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الامة تختلف كما قال تعالى ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فاما من كفر فألقى اليه الشيطان الوساوس القادحة له فى الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وساوس لانها اللازمة للايمان بالغيب فى الغالب وان كانت تختلف فى الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات اذا تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمنى الايمان لامته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه امنية كل رسول ونبى والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه فى قلوب أمة الدعوى من الوساوس لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل فى قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به فخرج من هذا ان الوساوس تلقى أولا فى قلوب الفريقين معا غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين وهذا التفسير من أبدع ما يسمع لانه يوفى بثلاثة أمور العموم الذى فى أولها والتعليل الذى فى آخرها و يعطى الرسالة حقها انتهى كلام صاحب الابريز

ومنه يفهم أن القاء الوسوسة انما هو فى المتمنى للامة من أنبيائهم لهم وهو ايمانهم وطاعتهم وتوفيقهم بما هو وصفهم وليست الوسوسة متوجهة على الانبياء المعصومين الذين خاتمهم واكملهم صلى الله عليه وسلم فان من عرف ما يجب للرسل وما يستحيل عليهم وما يجوز لهم علم وجوب العصمة واستحالة ضدها

وبيان ذلك انه يجب فى حقهم الامانة والصدق والتبليغ والفطانة فأما الامانة فهى عصمة ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة أو خلاف الاولى فهم محفوظون من منهيات الظاهر ومن منهيات الباطن كالحسد والكبر والرياء وغير ذلك والمراد المنهى عنه ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو فى حال الصغر حتى ان المباح أو المكروه اذا وقع منهم كان صورة للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا فى حقهم فافعالهم دائرة بين الواجب والمندوب بل والاولياء الذين هم من أتباعهم من يصل منهم لمقام تصير حركاته وسكناته طاعات بالنيات فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة أو مرتين وشرب قائما

وأما الهرم فلم يقع منهم اجماعا وما أوهم المعصية فمؤول من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ولا يجوز النطق به فى غير مورده الا فى مقام البيان ودليل وجوب الامانة لهم انهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الاولى لكنا مأمورين به لان الله تعالى أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ان الله لا يأمر بالفحشاء

وأما الصدق فهو مطابقة خبرهم للواقع فى دعوى الرسالة والاحكام الشرعية والاخبار العادية لانهم لو لم يصدقوا لما كان معنى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى وأيضا صدقهم فى الاخبار العادية دليله داخل فى دليل الامانة وأما التبليغ فهو تأديته ما أوتوه مما أمروا بتبليغه للخلق بخلاف ما أمروا بكتمانه وما خيروا فيه ودليله انهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم وكاتم العلم ملعون ولو جاز عليهم الكتمان لكتم رئيسهم الاعظم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وأصح محامله ما نقله من يعول عليه فى التفسير عن على ابن الحسين من ان الله تعالى كان أعلم نبيه ان زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها اليه زيد قال أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من انه سيتزوجها والله مبدى ذلك بطلاق زيد لها وتزوجها صلى الله عليه وسلم ومعنى الخشية استحياؤه صلى الله عليه وسلم من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه أى من تبناه فعاتبه الله تعالى على هذا الاستحياء لعلو مقامه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم تعلق قلبه بها وأحبها فلا يلتفت اليه وان جل ناقلوه فان أدنى الاولياء لا يصدر منه مثل هذا الامر فما بالك به صلى الله عليه وسلم

وأما الفطانة فهى التيقظ لالزام الخصوم وابطال دعاويهم الباطلة ودليلها الآيات كقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم والاشارة بتلك عائدة على ما احتج به على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون وكآية يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وكآية وجادلهم بالتى هى أحسن أى بطريق تشتمل على نوع من الارفاق بهم ومن لم يكن فطنا لا تمكنه الحجة ولا المجادلة ومن ثبت لبعضهم من الكمال ثبت لغيره فتثبت الفطانة لجميعهم

ويستحيل

ويستحيل فى حقهم ضد هذه الصفات الاربعة فضد الامانة الخيانة وضد الصدق الكذب وضد التبليغ كتمان شئ مما أمروا به وضد الفطانة الغفلة وأما الجائز فى حقهم فهو سائر الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية كالاكل والشرب والنوم وما يكون من توابع الصحة او مما يستغنى عنه كالجماع للنساء حلالا سواء كان بالنكاح أو بالملك فيجوز لهم الوطء بالنكاح لما عدا الكتابية والمجوسية ونحوهما وما عدا نكاح الامة ولو مسلمة لانها انما تنكح لخوف العنت ولعدم المهر وكل منهما منتف اما الاول فللعصمة وأما الثانى فلانه يجوز للنبى ان يتزوج بدون مهر وعلم من تقييد النكاح بالحلال انهم لا يطؤن صائمات صوما مشروعا ولا معتكفات كذلك ولا حائضات ولا نفساء ولا محرمات بحج ولا عمرة ولا يجوز الاحتلام كما صححه النووى لانه من الشيطان وقد ورد ما احتلم قط وأما جواز وطئهم بالملك فيكون للامة الكتابية معللا بأنه صلى الله عليه وسلم شريف عن أن يضع نطفته فى رحم غير مسلمة وبانها تكره صحبته وأما الامة المسلمة بالملك فجائز باتفاق

ويجوز عليهم المرض الغير المنفر والاغماء الغير الطويل بخلاف الجنون قليله وكثيره واما سحر لبيد بن الاعصم له صلى الله عليه وسلم فى مشط سنة سبع من الهجرة باغراء اليهود للبيد على ذلك باعطائهم دنانير جعلتها له فى مقابلة ذلك فلم يؤثر هذا السحر الا فى بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم لا فى عقله فلم يكن قادحا فى منصبه النبوى وأما ما فى بعض الروايات من انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل اليه ان يفعل الشئ ولا يفعله فقال أبو بكر ابن العربى لا أصل له وأما السهو فممتنع عليهم فى الاخبار البلاغية كقولهم الجنة اعدت للمتقين وعذاب القبر حق وغير البلاغية كقام زيد وقعد عمرو وهكذا وجائز عليهم السهو فى الافعال البلاغية وغيرها كالسهو فى الصلاة للتشريع لكن لم يكن سهوهم ناشئا عن اشتغالهم بغير ربهم ولذلك قال بعضهم

يا سائلى عن رسول الله كيف سها * والسهو عن كل قلب غافل لاهى
قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

ومن السهو الفعلى حديث ذى اليدين لما قال له أقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله حين سلم من ركعتين فقال كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بل بعض ذلك كان فقوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن لم يخل عن مطابقة الخبر للواقع بحسب اعتقاده صلى الله عليه وسلم وقول ذى اليدين بل بعض ذلك كان فيه مطابقة الخبر للواقع بحسب

ما رآه وكل ذلك التشريع وتعريف سجود السهو وأما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية فالقولية كالجنة أعدت للمتقين والفعلية كصلاة الضحى اذا أمر بها المقتدى به فيها فلا يجوز نسيان كل منهما قبل تبليغ الاولى بالقول والثانية بالفعل وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من الله وأما نسيان الشيطان فيستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل وقول يوشع وما انسانيه الا الشيطان فكان قبل نبوته وعلمه بحال نفسه والا فهو رحمانى

وبالجملة فيجوز على ظواهر الانبياء ما يجوز على البشرية لا يؤدى الى نقص وأما بواطنهم فمنزهة عن ذلك متعلقة بربهم هذا تحقيق المقام فالتأويل اللائق بمقامهم هو الجدير بالقبول والمطابق للحق عند المحققين في فن الكلام من المتكلمين كالامام شرف الدين التلمسانى وكالامام السنوسى المغترف من بحر الله وقد سبق الكلام على ان مدح أصنام المشركين لاذكر لها في سورة والنجم وان هذا القاء من الشيطان في قلوبهم ليجادلوا به

وأما الهجرة الثانية فانه لما تبين للمشركين عدم ذكر آلهتهم غضبوا ورجعوا الى العداوة أشد من الاولى فلما بلغ ذلك القادمين حين دنوهم من مكة وكانوا قد خرجوا في رجب الى الحبشة وأقاموا بها شعبان ورمضان وقدموا في شوال كما سبق لم يدخل أحد منهم الا بجوار مجير أو مستخفيا الا عبد الله بن مسعود فانه دخل بدون جوار أحد ثم رجع وهاجر وممن دخل في الجوار عثمان بن مظعون فانه دخل بجوار الوليد بن المغيرة وكان قد اشتد الحال على من قدم مكة ولم يدخل في الجوار حتى ان عشائرهم تفعل بهم الأذى الشديد فلما وجد عثمان ابن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبنى لنقص كبير في نفسى فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال لم يا ابن أخى لعله آذاك أحد من قومى وأنت في ذمتى فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لى أحد ولا آذانى ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد ان أستجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد لى جوارى علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنى لا أستجير بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم

اى

الى برئيه من جواره الا ان يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن أخي كانت عينك عما اصابها الغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضي الله عنه بل كنت الى الذى لقيت فقيرا والله ان عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما اصاب أختها في الله عز وجل ولي فيمن هو احب الى منكم أسوة واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا ابا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخي ان شئت الى جوارك فعد فقال لا

وصار الامر يشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القادمين لقصد مكة من الهجرة الاولى وغيرهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم اذى شديدا فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة الى أرض الحبشة مرة ثانية فخرج ابن مسعود ومعه عدد كثير من الناس فكانت خرجتهم الثانية أعظم مشقة ولقوا من قريش تعنيفا شديدا ونالوهم بالاذى واشتد على قريش ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره للمهاجرين فقال عثمان بن عفان يا رسول الله فهجرتنا الاولى وهذه الآخرة ولست معنا فقال صلى الله عليه وسلم انتم مهاجرون الى الله والى لكم هاتان الهجرتان جميعا قال عثمان فحسبنا يا رسول الله

وبهذه الهجرة الثانية الى أرض الحبشة كانت عدة من بارض الحبشة من المهاجرين مائة نفس وواحدا ان حسب عمار بن ياسر فيهم الذكور منهم ثلاث وثمانون والاناث ثماني عشرة وخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ موضعا يقال له برك الغماد (بفتح الباء وكسرها والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها محل في اقاصي هجر أو باليمن ويقال هو مدينة الحبشة) ثم رجع أبو بكر في جوار سيد القارة (اسم قبيلة ومنهم مسعود بن ربيعة القاري) مالك بن الدغنة فلما رأت قريش استقرار المهاجرين في الحبشة وامنهم ارسلوا فيهم الى النجاشي عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم والتمسوا منه ردهم هاربا الى بلادهم من المسلمين فأبى ذلك

وردهما خائبين ثم بعد ذلك وقع من الحبشة تعصب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان هؤلاء قد دخلوا في غير ديننا فأرسل وراءهم وقال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم فقالوا نؤمن به ونصدقه فيما جاء به فقال للحبشة ما تقولون في نبيهم فلم يؤمنوا به فقال النجاشي لهم هؤلاء يؤمنون بنبيكم وأنتم لا تؤمنون بنبيهم فأنتم الآن طائفة ولكل منكم على دينه ولا أحد منكم يعارض هؤلاء فاستمروا في بلاده مدة وعادوا الى أوطانهم وكان اسلامه في سنة سبع من الهجرة ويدل على صحة اسلامه انه لما توفي في رجب سنة تسع من الهجرة قال النبي صلى الله عليه وسلم مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم أصحمة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلاة الغائب ولما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طعن المنافقون في ذلك فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الى آخرها قاله ابن جريج وقال آخرون نزلت في عبد الله بن سلام وسيأتي بيان ما صنعه النجاشي من كلام المهاجرين وغير ذلك مما يتعلق به في الفصل السابع في ظواهر السنة السابعة من الهجرة عند ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة وذلك الفصل المذكور من الباب الثالث من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وعزة أصحابه بالحبشة واسلام عمر ابن الخطاب واسلام عمه حمزة رضي الله عنهما اجتمعوا وأجمعوا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على معاداة بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوهم ولا يبايعوهم ويقطعوا عنهم الاسواق ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا بأعلى مكة عند المقابر وكتبوا ذلك صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بخط بغيض بن عامر وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة الشريفة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه صلى الله عليه وسلم فانحاز الهاشميون الى أبي طالب مسلمهم حتى أن كافرهم فعل ذلك حمية على عادة الجاهلية فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش مظاهرا اليهم وكانت امرأته أم جميل بنت حرب اخت أبي سفيان على رأيه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحمل الشوك فتضعه في طريقه صلى الله عليه وسلم وسماها الله تعالى حمالة الحطب وأقام بنو هاشم في الشعب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثلاث سنين وكان بنو هاشم محصورين في الشعب لا يخرجون الامن موسم الى موسم حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم من أراد

صلتهم

، فلبثهم الامر هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على شأنه من الدعاء الى الله والوحى عليه يتتابع

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر عمه أبا طالب بأن الله سلط الارضة على الصحيفة فلم تدع فيها غير اسم الله تعالى الذى كانت قريش تستفتح به كتابها وهو لفظ باسمك اللهم ونفت منها الظلم وقطع الرحم فانطلق أبو طالب فى عصابة حتى أتوا المسجد فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب انما اتيت فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخى أخبرنى بأمر فان كان الحديث كما يقول فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعناه لكم صاحبا فقتلتم أو استحييتم وأخبرهم الخبر فقالوا قد رضينا الذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما قال فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا ثم مشى فى نقض الصحيفة قوم من قريش وأخرجوا بنى هاشم وبنى المطلب من الشعب وذلك فى السنة العاشرة من مبعثه صلى الله عليه وسلم

ثم قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وكان شريفا فى قومه فأسلم ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم ورجع الى قومه فأسلم منهم على يده ناس قليل فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه وسأله ان يدعو عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال الطفيل فلم أزل ادعوهم حتى مضى الخندق ثم قدمت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس فخيبر فأسهم لنا مع المسلمين وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا من نصارى نجران (مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة سميت بنجران بن زيد ابن يشجب بن يعرب وهو أول من نزلها وقال فى النهاية موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن) حين بلغهم خبر من هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون أى تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق منكم فقالوا لهم

فسلام عليكم لانجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وكان من القادمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم اميرهم العاقب عبد المسيح من كندة ثم هاجر صلى الله عليه وسلم الى الطائف

قال الحافظ ابن عبد البر وغيره اول موروث في الاسلام عدي بن نضلة واول وارث نعمان بن عدي وكان عدي قدم مهاجرا الى ارض الحبشة فمات بها فورثه ابنه نعمان واستعمله عمر على ميسان ولم يستعمل من قومه غيره فراود امرأته على الخروج فأبت فكتب اليها يقول

فمن مبلغ الحسناء ان حليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية * وصناجة تحدو على كل ميسم
اذا كنت ندماني فبالاكبر اسقني * ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

والحنتم واحدة الحناتم وهو في الاصل جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر الى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم والصناجة آلة لهو وهي الطبل المعروف المذكورة في قول الحريري أحسب بالعيش يا صناجة الجيش فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكتب اليه يقول بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية اما بعد فقد بلغني قولك * لعل امير المؤمنين يسوءه * الى آخره وايم الله لقد ساءني ثم عزله فلما قدم عليه سأله فقال ما كان من هذا شيء وما كان الا فضل شعر وجدته وما شربتها قط فقال عمر أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا ابدا فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات وشعره صحيح تستشهد به أهل اللغة على ندمان بمعنى نديم وهذا مصداق قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية قال الشاعر

يقولون ما لا يفعلون مذمة * من الله مذموم بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحده بل زيادة * يقولون ما لا يفعل الامراء

*(الفصل

﴿الفصل الثالث في هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف قبل هجرته الى المدينة المشرفة﴾

لما توفي عمه أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة بعد ما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر واحد وعشرين يوما وله بضع وثمانون سنة نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته في حياته فهاجر الى الطائف في شوال سنة عشر من البعثة وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب فكانت تعاديه قريش وتقول له أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا فخرج الى الطائف مع مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وأن يناصروه على الاسلام ويقوموا معه على من خالفه من قومه لانهم كانوا أخواله فلم يجبه منهم أحد الى ذلك ومن هجرته صلى الله عليه وسلم الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة

ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وهم عبد ياليل واسمه كنانة وعبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف لهما اسلام وحبيب قال الذهبي وفي صحبته نظر وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه الى شيء من ذلك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس وقال لهم اكتموا علي وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاك من الارض وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اجتمع عليه الناس والجؤوه الى حائط بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا خذ قطفا من هذا العنب وضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه فأقبل عداس بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال

له صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت وما دينك يا عداس فقال نصرانى وأنا من أهل نينوى فقال صلى الله عليه وسلم أنت من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فانى خرجت والله من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفت ابن متى وانت أمى وفى أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى أمى فقام عداس وأكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال أحد الاخوين عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه فقال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه الا نبى فقال ويحك يا عداس ليصرفنك عن دينك وليفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه فأقام صلى الله عليه وسلم بالطائف عشرة أيام وشهرا لا يدع احدا من اشرافهم أى زيادة على عشرة بالليل واحد منهم الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد ثم ذهب الى نخلة وهى موضع على ليلة من مكة أقام بها أياما

وحضر اليه سبعة من جن نصيبين وهى مدينة بالشام ووادى نخلة موضع على ليلة من مكة وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فحين رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لقومهم وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معى فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابن أبى دب خط على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط قال ابن الاثير فى النهاية والزط قوم من السودان والهنود وكانت وجوههم المكاكى يقرعون فى دفوفهم كما تقرع النسوة فى دفوفهن حتى غشوه وغاب عن بصرى فقمت فأومأ الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا أراهم فلما عاد الى قال اردت ان تأتينى قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسألونى الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولا بعر وذكر فى كتاب القرى ان بأعلى مكة مسجدا يقال له مسجد الجن ومسجد البيعة أيضا يقال ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك

ولما

ولما أراد الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم اخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الى الاخنس ابن شريق رضي الله عنه ليجيره وكان ذلك قبل اسلامه وليدخل صلى الله عليه وسلم مكة في جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير فبعث صلى الله عليه وسلم الى مطعم بن عدي الذي مات على دين قومه قبل بدر بنحو سبعة أشهر يقول له اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك فدخل صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدي على راحلته ونادى يا معشر قريش اني قد أجرت محمدا فلا يؤذيه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله والمطعم ابن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان على المطعم فقال إذن قد أجرنا من أجرت ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في أمان مشرك لأن حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه الى أهله ولما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الوحي وأمره باظهار دينه وأيده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات اسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام في قريش وفي القبائل كلها وكان الاسراء به صلى الله عليه وسلم والمعراج ليلة سبع وعشرين من رجب وقال بعضهم انهما كانا يوم الاثنين فهما موافقان للولد والمبعث والهجرة والوفاة لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين

(الفصل الرابع في الاسراء به صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام وعروجه من المسجد الاقصى الى السموات العلى)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر قبل الهجرة بسنة اسرى به من حرم مكة المعظم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو اول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين الا اليه ولا تعقد الخناصر بعد

الوطنين الأهلية فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى السموات العلى الى السدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام قال الماوردي كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فانه أراد به الكعبة ولم يرد في أحاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش تلك الليلة بل لم يرد في حديث انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها وقد سئل الشيخ رضي الدين القزويني رحمه الله عن وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فأجاب بما نصه اما حديث وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت بل وصول النبي صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة أو منكرة قال النجم الغيطي رحمه الله وقد رأيت بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضي الدين رحمه الله هو الصواب وقد وردت قصة الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس في حديث أحد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة في رجله نعله وانما وقع ذلك في نظم بعض القصاص الجهلة الى ان قال وهذا باطل لم يذكر في شيء من الاحاديث بعد الاستقراء التام ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه رقى العرش وما وقع في بعض الاحاديث التي افتراها بعضهم لا يلتفت اليه ولا أعلم خبرا ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم رأى العرش الا ما رواه ابن أبي الدنيا عن ابن أبي المخارق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت من هذا أملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطبا من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في هذا الباب وما ذكر في السؤال يعني المتقدم من انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش بنعله فقاتل الله من وضعه ما أعدم حياءه وادبه وما أجرأه على اختلاق الكذب على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم

...ف الاقلام ...برها اه

...لكن بسياق والديه اه

وحدث

. وحديث صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما فقال بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وفي رواية بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه يعني من ثغره نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا فغسل قلبي ثم حشي والحديث فيه اختصار والاصل فاستخرج قلبه ثم شق واستخرج منه علقة وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم غسل بماء زمزم كما يدل عليه حديث آخر وفي رواية علقتين سوداوين وفي لفظ مضغة وقد اختلف في تفسير الحكمة فقيل هي العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك

قال الامام النووي في شرح مسلم وليس في هذا ما يوهم جواز استعمال الذهب لنا فان هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس يلازم ان يكون حكمهم حكمنا ولانه كان قبل تحريم أواني الذهب والفضة والتحريم انما وقع بالمدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر قال الشيخ محمد بن ابي جمرة الحكمة في شق صدره مع القدرة على ان يملأ قلبه صلى الله عليه وسلم ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى انتهى وكل هذه الامور يجب الايمان بها والقدرة صالحة لذلك وقد انخرقت العادات لكثير من أولياء الله تعالى المتطفلين على خوان هذا السيد العظيم المحبوب الاكبر فكيف به عليه الصلاة والسلام

وقد سئل الامام تقي الدين السبكي رحمه الله عن العلقة السوداء التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملائكة هذا حظ الشيطان منك فأجاب رحمه الله بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيئا وهذا معنى الحديث قيل له فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكنه ان لا يخلقه الله تعالى فيه فقال انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانساني ولابد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت وقال غيره لو خلق نبيه صلى الله عليه وسلم سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله تعالى على يد جبريل عليه السلام

ليتحققوا كمال باطنه باخباره صلى الله عليه وسلم عما شاهده في بعثه كما ر ولم يمكن الظاهر انتهى

وفي غسل قلبه بماء زمزم دون غيره انه أفضل المياه بعد النابع من اصابعه الشريفة ويليه ماء الكوثر ثم نيل مصر ثم باقي الانهر ونظم السبكي ذلك بقوله

وأفضل المياه ماء قد نبع * بين اصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر * فنيل مصر ثم باقي الانهر

وقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع وقال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت وقيل لانه لما كان ماء زمزم أصل حياة ابيه اسماعيل صلى الله عليه وسلم وقد ربي عليها وعليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب ان يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك فانه قد صارت الولاية اليه في الفتح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابة البيت لعثمان بن شيبة وعقبه الى يوم القيامة روى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ماء على وجه الارض ماء زمزم فيه طعام طعم وشفاء سقم وصححه ابن حبان وروى مرسلا من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ورجاله ثقات

قال ابن عباس رضي الله عنهما كنا نسميها يعني زمزم شباعة ونجدها نعم العون على العيال وروي فيه انه شراب الابرار كما عند الازرقي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد ان يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم كما رواه في الحلية وقال عبادة بن عبد الله بن الزبير لما حج معاوية حججنا معه فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين ثم مر بزمزم وهو خارج الى الصفا فقال انزع لي منها دلوا يا غلام قال فنزع له منه دلوا فأتى به فشرب وصب على وجهه ورأسه وهو يقول زمزم شفاء وهي لما شربت له قال الحافظ اسناده حسن وهو أحسن من كل اسناد وقفت عليه لهذا الحديث وقد جربه جماعة من العلماء والائمة فوجدوه صحيحا

وأما ما يذكر على بعض الالسنة من ان فضيلته ما دام في محله فاذا نقل تغير فقال الحافظ السخاوي انه شيء لا اصل له فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن عمرو ان

ماءك كأني ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الى عين ماء زمزم وبعث له براويتين وكان حينئذ بالمدينة قبل ان تفتح مكة وقد حملت عائشة رضي الله عنها في القوارير وقالت حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاداوى والقرب وكان يصب منه على المرضى ويسقيهم وكذا حنك به الحسن والحسين رضي الله عنهما ونقله جائز باتفاق الائمة الاربعة وفي ماء زمزم خواص منها انه لا يرفع ولا يغور واذا رفعت المياه وغارت قبل يوم القيامة ومنها انه يذهب الصداع ويبرد الحمى

قال القسطلاني وقد وقع في شق صدره الشريف من الخوارق ما يدهش السامع فسبيلك الايمان والتسليم من غير أن تتكلف الى التوفيق بين المنقول والمعقول للتبري مما يتوهم انه محال من شق البطن واخراج القلب المؤديين الى الموت لا محالة ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز في خبر الصادق الا في الامر المحال على القدرة انتهى

ثم بعد طهارة باطنه وظاهره بالوضوء ولباسه تشريفا لحضرة القدسية أتي بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه وهو مأخوذ من البرق لسرعة سيره ارسله الله تعالى من الجنة اجلالا وتعظيما على عادة الملوك اذا استدعوا عظيما بعثوا اليه النجيب مع أعز خواصهم للحضور بهم ومن عالم الغيب لا يوصف بذكورة ولا انوثة كالملائكة فحمل عليه فانطلق به جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به ونعم المجيء جاء الحديث بطوله ورأى الانبياء صلوات الله عليه وعليهم وصلى بهم

واختلف في صلاته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالانبياء قيل قبل عروجه وقيل بعده والاول استظهره ابن حجر وصحح الثاني ابن كثير قال بعضهم ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل العروج وبعده وكانت صلاته بهم ركعتين والظاهر انها كانت فريضة لانها كانت بأذان واقامة وهل كانت بالفاتحة أو غيرها لم يثبت ذلك وفي الاتقان ما يفيد انه قرأ فيها بأم القرآن قال النووي واختلف في هذه الصلاة فقيل انها اللغوية وهي الدعاء والذكر وقيل الصلاة المعهودة وهذا أصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية وانما يحمل على اللغوية اذا تعذر حمله على الشرعية ولم

يتعذر فهما فوجب الحمل على الصلاة الشرعية وهل صلى بأرواحهم متشكلة بصور أجسادهم أوهي وأجسادهم احتمالان وفي الحديث ما يدل لكل منهما وأما ما رآه في السموات فأرواحهم متشكلة بصور أجسادهم الا عيسى وادريس وصلى أيضا بالملائكة عند سدرة المنتهى

ورأى من آيات ربه الكبرى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى قال أبو بكر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فأوحى الى عبده ما أوحى قال فقال الله عز وجل لولا اني أحب العتاب لم أحاسب أمتك قال وذكر عن أمتي خصالا أولها قال لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد وثانيها قال لا أدفع أرزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيري وثالثها قال انهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي ورابعها قال انا العز وهم يطلبون العز من سواي وخامسها قال اني خلقت النار لكل كافر وهم يجهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها

وفرض الله عليه وعلى أمته تلك الليلة كل يوم وليلة خمسين صلاة في أول الامر فما زال يراجع حتى صارت خمسا في الفعل وخمسين في الاجر والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى السماء رأى تلك الليلة تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وفي اختصاص فرضها في السماء دون سائر الشرائع فانها فرضت في الارض التنبيه على مزيتها على غيرها من الفرائض وفي فرضها بتلك الليلة كما قال السهيلي التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائطها والتنبيه على انها مناجاة الرب عز وجل وان الله تبارك وتعالى قبل بوجهه على المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي أثنى علي عبدي الى آخر سورة الفاتحة وهو المشاكل لفرضها عليه فوق السماء السابعة حين سمع كلام الرب عز وجل وناداه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما تطهر المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسده كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شئ الا مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى السماء كما يرفع المصلي يديه اشارة

الى

الى القبلة العليا وهو البيت المعمور والى جهة عرش من ناجيه ويصلى له سبحانه وتعالى

قال بعض المفسرين الافعال التى كلفنا الله بها على قسمين منها ما يعقل معناه ووجه حكمته فيه كالصلاة والصوم والزكاة فان الصلاة تضرع وخضوع وتواضع وتذلل للخالق والزكاة سعى فى دفع حاجة الفقير والصوم سعى فى كسر الشهوة ومنها ما لا يعقل معناه ولا يعرف وجه الحكمة فيه كافعال الحج فانا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة والرمل ثم اتفق المحققون على انه كما يحسن منه تعالى أن يأمر عباده بالنوع الاول فكذا يحسن منه الامر بالنوع الثانى لان الاطاعة فى النوع الاول لا تدل على كمال الانقياد لاحتمال ان المأمور انما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه بخلاف الطاعة فى النوع الثانى فانها لا تدل الا على كمال الانقياد وكمال نهاية التسليم لانه لما لم يعرف منه وجه المصلحة البتة لم يكن وجه اتيانها الا محض الانقياد والتسليم وهذا معنى قولهم يجب علينا الايمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل وان لم نفهم حكمته كذلك يجب علينا الايمان والتصديق بكلام الائمة وان لم نفهم علته حتى يأتينا عن الشارع ما يخالفه ومن شعائر الاسلام الصلوات والجماعات وقراءة القرآن والمساجد والمحاريب فى زماننا اكثر اذا النبى صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا والاسلام لم يبلغ غير جزيرة العرب

ولما أصبح قص على قريش ما رأى فقال له المطعم بن عدى كل امرك قبل اليوم كان أمما (يعنى خفيفا) انا أشهد أنك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر رضى الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته وانا أشهد انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيأته وكيف قربه من الجبل وفى القوم من سافر اليه فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيأته كذا وقربه من الجبل كذا وسألوه أمارة فأخبرهم بالعير وانهم يقدمون يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبس الشمس وكان كما وصف صلى الله عليه وسلم (واختلف فى حبس الشمس فقيل وقوفها عن السير من الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل غير ذلك) فمازال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب مثله فجئ بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال

فقالوا له كم للمسجد من باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليها ويعدها بابا بابا وأبو بكر رضي الله عنه يقول صدقت صدقت أشهد انك رسول الله فقال القوم اما النعت والله لقد أصاب ثم قالوا لابي بكر أتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى ان قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع

وقد اختلف الناس في كيفية الاسراء فالاكثرون من طوائف المسلمين متفقون على انه بجسده صلى الله عليه وسلم والاقلون قالوا انه بروحه فالاسراء بالروح يحكى عن حذيفة وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم فقد قالوا ان ذلك كله كان رؤيا وهناك قول ثالث ان الاسراء كان بجسده الى بيت المقدس وبروحه من بيت المقدس الى السموات السبع والعرش هذا والجمهور ان الاسراء والمعراج كانا يقظة لا رؤيا لانه قد صح ان قريشا ... جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة فأخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ... ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وكذلك تجلى البيت المقدس له ونظره اليه وانكار قريش فهذا يدل على ان ذلك كله لم يكن رؤيا ولو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رؤيا لما كذب ولا انكر ذلك على غيره فضلا عن انكاره عليه لان آحاد الناس يرون في منامهم انهم ارتقوا الى السموات وليس ذلك بعجيب وأيضا الظاهر من قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده انه يقظة فان العبد كما في المحكم الانسان حرا كان أو عبدا لانه مملوك لباريه وهو في الاصل صفة لكنه استعمل استعمال الاسماء والمراد به هنا محمد صلى الله عليه وسلم ففي قوله بعبده دليل على ان الاسراء كان بروحه وجسده لا بروحه فقط اذ العبد اسم للجسد والروح وتعجب قريش من ذلك لاستحالتهم اياه مدفوع كما قال أهل الهيئة ان الفلك الاعظم في مقدار ما يتلفظ الانسان بلفظة واحدة يقطع ألف ميل وثلاثين فرسخا وكما قاله البيضاوي بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضعها الاعلى في أقل من ثانية وهي جزء من ستين جزأ من الدقيقة وقد برهن في الاحكام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض فالله قادر

على

على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى قال محشيه وأيضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم فان كان معراجه صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا كان نزول جبريل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم جواز أصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع صعود حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل في لحظة واحدة من العرش الى مكة وان كان ذلك باطلا كان ما ذكروا أيضا باطلا فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزوله هو زوال الحجب الجسمانية عن روحه صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل قلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء وأما جمهور المسلمين فيقرون بأن جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ما ذهب اليه الاكثرون من المسلمين وان ذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ما أسرى الا بروحه انتهى وقد ذهب أهل التحقيق انه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى انتهى قال بعضهم في هذا المعنى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم

أسرى الى الاقصى بجسمك يقظة * لا في المنام فيقبل التأويلا
اذ انكرته قريش قبل ولم تكن * لتري المهول من المنام مهولا

وقال آخر

ألم تر أن الله أسرى بعبده * الى المسجد الاقصى من البيت ذي الحجر
وطاف به الكونين في ليلة السرى * وعلمه دون مرة كلما يجري
دنا فتدلى قاب قوسين فاتها * وعلمه ما لم يكن قبله يدري
خليل ولم يعلم كليم ولم يسل * مسيح ولا خلق الى منتهى الحشر

وقوله وعلمه ما لم يكن قبله يدري خليل الى آخره اشارة الى ان معراجهم لم يكن كمعراجه مشتملا على تعليم كتعليمه وذلك لان المعراج كان لستة من الانبياء خاطبة الله تعالى آدم

أبو البشر وادريس وابراهيم وموسى وعيسى وصفوتهم نبينا صلى الله عليه وسلم فعراج آدم كان الى الجنة ومعراج ادريس الى السماء السادسة ومعراج ابراهيم الى ملكوت السموات والارض ومعراج موسى الى الطور ومعراج عيسى الى سماء الدنيا ومعراج المصطفى صلى الله عليه وسلم الى العرش فقد اشتركت الستة فى أصل المعراج ولكن ما كل بيضاء شحمة وفى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أعطيت تفاحة ليلة المعراج فأكلتها فصارت ماء فى ظهرى فلما رجعت واقعت خديجة فحملت بفاطمة فاذا هى حورية انسية سماوية أرضية

وفى وقوع الاسراء ليلا فوائد منها الزيادة الذين آمنوا ايمانا بالغيب وفتنة الذين كفروا زيادة على فتنتهم ومنها انه وقت الخلوة والاختصاص عرفا فان من خليس الملك نهارا وجليسه ليلا فرقا واضحا ولله در القائل

الليل لى ولأحبابى أحادثهم * قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا

وقول الآخر

قلت يا سيدى أتؤثر * الليل عن بهجة النهار المنير

قال لا أستطيع تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور

انما زرت فى الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نورى

ولانه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى قم الليل وليكون أبلغ للمؤمن فى الايمان بالغيب كما تقدم وفتنة للكافر وقال بعض أهل الاشارات لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن دحية أكرم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأمور منها انشقاق القمر وايمان الجن به وخروجه الى الغار ليلا والليل أصل ولهذا كان أول الشهر وسواده يجمع ضوء البصر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم أكثر أسفاره ليلا وقال عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل والليل وقت الاجتهاد للعباده فلما كانت عادته ليلا أكرم بالاسراء فيه وليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فاغفر له الحديث وهذه الخصوصية لم تحصل النهار به لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر ولا نطيل كلام الفلاسفة ان الظلمة

من شأنها الاهانة والشرو فقد ذكر صلى الله عليه وسلم بعد عوده الانبياء الذين رآهم فى بيت المقدس والسماء ووذكر الجنة والنار وسدرة المنتهى والانهار الاربعة وفرض الصلوات الخمس وانه رأى ربه عز وجل بعيني رأسه بلا كيف ولا أين ولا زمان

ولنذكر هنا مسألة الرؤية على وجه الاختصار فنقول أجمع العلماء على ان رؤية الله تعالى بالابصار مطلقة فى الدنيا جائزة عقلا اذ كل موجود رؤيته جائزة وليس دليل قاطع على استحالتها شرعا فرؤية النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ببصره جائزة عقلا بمعنى ان العقل اذا خلى ونفسه لم يحكم بامتناع رؤيته تعالى بالبصر ورؤية الله تعالى فى الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ممتنعة شرعا على غيره وانما اختلاف الصحابة فى وقوعها لا فى امكانها وجوازها ومما يدل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام اياها اذ لا يجوز على نبى جهل شئ مما يجوز لربه أو يمتنع عليه أو يجب له وكيفية الخلاف فى وقوعها ان جمهور المتكلمين وغيرهم من السلف والخلف قالوا انها لا تقع فى الدنيا وهو أحد قولى الاشعرى كما حكاه عنه القشيرى وهو قول عائشة رضى الله عنها بانكار رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء حين قالت لمسروق وكان متكئا عندها يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية فقال ما هن فقال من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فجلس وقال أنظرينى يا أم المؤمنين ولا تعجلينى ألم يقل الله ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض ثم قالت أولم تسمع ان الله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير أولم تسمع ان الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا الى قوله على حكيم قالت ومن زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله كما رواه مسلم ووافقها أبو هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والذى جزم به صاحب التحرير كما نقله عنه النووى وأقره إثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه ببصره قال والحجج فى هذه المسألة وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك

الا بالاقوى منهما وهو حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني من حديثه نظر محمد الى ربه قال عكرمة فقلت له نظر محمد الى ربه فقال قد جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم والنظر لمحمد صلى الله عليه وسلم وأخرجه البيهقي بلفظ ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وعن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فأخبره بانه رآه فالعقيدة على مذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنه

وأما ما قاله الامام مالك رضي الله عنه من ان الله سبحانه وتعالى لم يرى في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي ومقتضاه انه يقول بعدم رؤيته لاحد في الدنيا فيكون مذهبه مذهب من قال ان محمدا لم ير ربه فقد تأوله بعض المتأخرين بقوله هو كلام حسن مليح ليس فيه دلالة على استحالة الرؤية في الدنيا الا من حيث ضعف القوة الباصرة فاذا قوى الله من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية في أي وقت كان فلا مانع من ذلك وهو الحق فيجوز أن يقال ان الله تعالى أودع البصر الشريف قوة قدر بها على رؤيته تعالى كما كان صلى الله عليه وسلم يرى جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التي أمده الله بها دونهم قال الحافظ ابن حجر ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد التفرقة في الرؤية بين الدنيا والآخرة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وأخرجه أيضا ابن خزيمة من طريقين وهو ظاهر في انتفاء الرؤية عنه صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك بما قاله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ما قاله ابن حجر ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم نفاها عن غيره

واما ما تمسكت به عائشة رضي الله عنها فقد أجاب عنه صاحب التحرير كما نقله عنه النووي وأقره من قوله بعد نقله حديث ابن عباس وأنس السابقين ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من

وراء

ورآء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله تعالى لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا خالفه غيره من الصحابة لم يكن قوله حجة اتفاقا واذا صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما تتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير قال النووي والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مما لا ينبغي ان يشك فيه

ثم ان عائشة رضي الله تعالى عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها فيه حديث لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط من الآيات فاما احتجاجها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود رؤية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وان كان مذهب الجمهور ان المراد بالوحي هنا الالهام أو الرؤيا في المنام وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا من موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم

وما ذهبنا من انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني رأسه هو قول انس وعكرمة والحسن والربيع وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس وابو ذر وابراهيم التيمي رآه بقلبه قال ابن عطية وعلى هذا رأى ربه بقلبه رؤية صحيحة وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة اخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان يقول نظر محمد الى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وعليه فلابن

عباس مذهب كون الرؤية بالبصر وبالفؤاد وما قاله ابن عطية في الرؤية بالفؤاد اقره النووي وارتضاه ابن حجر ثم قال وليس المراد برؤية الفؤاد مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على الدوام فليس المراد بالرؤية المعرفة لان غيره صلى الله عليه وسلم من الاولياء اذا اطلقوا الرؤية والمشاهدة واسندوا ذلك لانفسهم انما يريدون بها المعرفة فقط قال بعضهم

دنا ليلة الاسراء من أحبه * وثانيه روح القدس والناس محدق
دنو اصطفاء لا دنو مسافة * وان كان في حالاته ليس يصدق

وقيل أيضا

تعين لرب العالمين مقرب * حبيب وذو كل حب ويستدنى
بأى ليلة الاسراء عيانا ترقيا * فكان دنو قاب قوسين أو أدنى
فقل لى عن صحة الف آية * وهل تنكر الازهار في الروضة العنا

ولم تثبت الرؤية في الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم حتى لموسى عليه السلام كما قيل

ولو قابلت لفظة لن تراني * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

خلافا لمن قال غير ذلك والحاصل انه على القول بوقوع الرؤية في الدنيا لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم ومن ادعاها في الدنيا يقظة فهو ضال باتفاق العلماء بل قيل بكفره وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء في الدنيا والصواب انه مختلف فيها وان المنع ارجح قولي الاشعري وذهب ابن الصلاح وغيره الى تكذيب مدعيها يقظة في الدنيا فان صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك يؤول بأن غلبات الاحوال تجعل الغائب كالمشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشئ واستحضاره له صار كانه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضى الله عنه فقال كنا نرى الله في ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق في زمان دون زمان ومكان دون مكان وسيأتي قريبا لذلك بعض تحقيق

ولم يستدل القوم بما يأتى النجم لاحتمالها رؤية المولى وجبريل وقد وردت الآثار بما يعضد كلا من الاحتمالين في الآيتين واما الراجح كما قاله بعض المتأخرين ان الرؤية بالبصر وان المرئى هو الله تعالى لا جبريل وقد ذهب جماعة الى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا اثبات لتعارض الادلة ورجحه أبو العباس القرطبي في المفهم وعزاه لجماعة من المحققين

وقواه

وقوله إنه ليس في الباب دليل قاطع وغالب ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال القرطبي وليست المسألة من العمليات حتى يكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات التي يطلب فيها الدليل القطعي ورده السبكي في السيف المسلول بأنه ليس من شرط جميع مسائل الاعتقاد الثبوت بالدليل القطعي بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الآحاد جاز أن يعتمد عليه في بعض تلك المسائل حيث لم يكن من مسائل الاعتقاد التي يشترط فيها القطع على أنا لسنا مكلفين بذلك

وقد اختلف في رؤيته في المنام ومعظم المثبتين للرؤية في الدنيا على جوازها من غير كيفية وجهة ونقل عن القاضي عياض اتفاق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها إن ادعاها من هو أهله كولي يوثق به ويكون ذلك تخصيصا للعموميات كقوله تعالى لا تدركه الأبصار وأما إن ادعاها من ليس من أهله كالعاصي والمقصر فإنا نكذبه ومع ذلك فالرؤية المنامية ليست من قبيل المشاهدة البصرية الحقيقية وإنما هي من قبيل نوع مشاهدة بالقلب دون العين وهي أيضا غير الرؤية القلبية التي في اليقظة فرؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء كانت يقظة بصرية أو قلبية يعني رؤية صحيحة حيث جعل الله تعالى بصره صلى الله عليه وسلم في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما نرى لا في جهة ولا بانحصار منزها عن صفات الحوادث والمحققون على أنه رآه بعينيه وبقلبه وإسراؤه ومعراجه صلى الله عليه وسلم كان يقظة أيضا على الصحيح كما قيل

أعلمت من ركب البراق عظيما ... وتلاه جبريل الأمين نديما
حتى سما فوق السماء قدوما ... ودنا فكلم ربه تكليما

* * *   * * *

أم من على الرسل الكرام تقدما ... ونوى الصلاة بهم وكبر محرما
وسرى إلى ذي العرش فرد أبعد ما ... خلع الأمين مكانه المعلوما

* * *   * * *

أم من كقاب القوس آية قربه ... بعلوه ودنوه من ربه
ورأى الإله بعينه وبقلبه ... وحوى من الغيب الخفي علوما

ولذلك لما أخبر قريشا بالدلائل القوية التي تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التي مر بها في طريقه وأنها تصل إليهم وقت كذا فكان كما أخبر لم يجدوا

خارقة الا ان رموه بالسحر وقالوا صدق الوليد ولوقوع الاسراء ليلا فوائد منها ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب ويفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك أي التي شاهدتها ليلة الاسراء الا فتنة للناس اي امتحانا واختبارا لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهذا السبب كانت امتحانا والمراد بالرؤيا في الآية الرؤيا البصرية حيث ان الاسراء كان في اليقظة بجسمه الشريف وانه لما وقع ذلك ليلا وكان خارقا للعادة أشبه الرؤيا المنامية فعبر عنه بالرؤيا مجازا وادل دليل على ان الرؤيا كانت بصرية قوله تعالى فتنة للناس كما ذهب اليه ابن عباس والمحققون وارباب البصائر اذلو كانت منامية لما حصل افتتان كما سبق اذ العاقل لا يستبعد الرؤيا المنامية ولا ينازع ولا يستعظم ذلك خصوصا من انسان لم يعهد عليه الا الصدق من صغره الى كبره صلى الله عليه وسلم

وأما رؤية المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد ورد من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي رواه الامام أحمد والبخاري والترمذي عن أنس وهو متواتر وفي رواية من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يتزيا بي رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم عن أبي قتادة وفي رواية من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة أي ان رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام حق ولو رآه الرائي على غير صفته الحقيقية التي هو عليها خلافا للحكيم الترمذي لان ادراكه على صفته الاصلية ادراك لذاته وادراكه على غير صفته الاصلية ادراك لمثاله وعدم تمثل الشيطان به لئلا يجعل ذلك وسيلة للكذب عليه في النوم وقوله فسيراني في اليقظة أي في الآخرة رؤية خاصة بصفة القرب والشفاعة وفيه بشرى بموته على الايمان وهذا عام في أهل الطاعة محتمل في أهل العصيان فقد تخرق لهم العادة اعواما وقولنا فيما تقدم رؤية خاصة أي والا فجميع أمته يرونه في الآخرة أو هذا قبل موته صلى الله عليه وسلم أي من رآه في المنام فسيوفقه الله تعالى للهجرة اليه ويراه بعيني راسه او فسيراه في الدنيا حقيقة كرامة له كما وقع لكثير من الاولياء وسألوه فأرشدهم وردهم دا انه يلزم عليه بقاء الصحبة وبأن جماعة رأوه مناما لم يروه يقظة وخبره لا يتخلف وأجيب بأن شرط الصحبة أن يراه في عالم الدنيا قبل موته

وبان

سو بأن من لم يبلغ درجة الولاية يراه قرب موته عند الاحتضار ورؤيته في اليقظة نص جمع من الائمة على امكانها ووقوعها وقيل المرئي مثاله لا حقيقة جسده الشريف ثم اعلم ان الرائين للنبي صلى الله عليه وسلم مختلفون في القرب منه والبعد فمنهم من يدنو منه حتى لا يبقى بينه وبينه حجاب ومنهم من يراه على بعد بعد رفع الحجاب رفعا غير تام وهذا القرب معنوي لا حسي بحيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ينتقل الى الرائي بأن يجيء اليه راجلا أو راكبا أو نحو ذلك اذ لا دليل عليه انتهى

وقد رفع سؤال العلامة كمال الدين بن أبي شريف صورته رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في النوم هل هي صحيحة ولو كانت على أي حال من الاحوال حتى لو رؤي على لون أسمر أو رؤي بلا لحية أو نحو ذلك أم كيف الحال وهل يشترط لصحة الرؤيا شيء أم لا وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي او كما قال وما حكم الله في ذلك فأجاب رحمه الله بأن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي ورد في الصحيحين وغيرهما من رواية غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة المعنى ويتعلق البحث فيه بقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام هل هو خاص بمن رآه صلى الله عليه وسلم بحليته وصفته أو هو لكل من رآه على أي صفة رآه وبقوله صلى الله عليه وسلم فقد رآني هل هو على ظاهره يعني فقد رأى ذاتي حقيقة أو هو مؤول فذهب جمع منهم ابن سيرين امام أهل التعبير الى اختصاصه بمن رآه صلى الله عليه وسلم على صفته ثم من هؤلاء من ضيق فقال على صفته التي توفي عليها حتى راعى عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم ومنهم من اكتفى بما تصدق عليه صفته صلى الله عليه وسلم في وقت من أوقاته بحال شبابه أو رجوليته أو كهولته أو ما بعد ذلك فهؤلاء يشترط عندهم في رؤياه صلى الله عليه وسلم ان يرى على صفته على اختلاف قولهم في المراد بالصفة وذهب آخرون منهم القاضي أبو بكر الباقلاني الى انه لا يختص بذلك والى ان المعنى في قوله فقد رآني على التأويل فقال القاضي أبو بكر المذكور كما نقله عنه الماوردي وغيره يعني فقد رآني فرؤياه حق ليست اضغاث أحلام ولا من شبهات الشيطان بل مثاله تعبير صحيح أي وليس المعنى انه رأى ذاته حقيقة قال فقد يراه الرائي على خلاف صفته المعروفة كمن رآه أبيض اللحية وقد يراه شخصان في زمن واحد في مكانين مختلفين فيراه أحدهما غير له وهو بالمشرق والآخر غير له وهو بالمغرب وعلى التأويل مشى الغزالي أيضا فقال ليس معناه فقد رأى جسمي وبدني قال بل المرئي

مثال بحقيقة روحه المقدسة التي هي محل النبوة لا بعين روحه ولا شخصه وذهب طائفة الى ان الحديث على ظاهره من ان المرئي حقيقة ذاته اذ لا مانع من ذلك والعقل لا يحيله ليحتاج الى تاويله اذ الرؤية أمر يخلقه الله تعالى في الحي ولا يتوقف على مقابلة ولا تحديق بصر ولا كون المرئي ظاهرا بل الشرط كونه موجودا فقط وقد دلت الاحاديث الصحيحة على بقاء جسمه الشريف وانه لا يبلى ففي حديث أوس بن أوس عن أبي داود والنسائي وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم على الارض اجساد الانبياء ومن أبي داود من حديث أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقد نصر القرطبي مذهب القاضي الباقلاني وشنع على القول برؤية الذات الشريفة حقيقة بانه يلزم عليه أمور منها انه لا يراه أحد على غير صفته التي مات عليها وان لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين متباعدين مع ان ذلك واقع ولا مانع منه عقلا ولا عادة وقد اجيب من طرف القائل عن رؤيته على غير صفته وفي مكانين مختلفين بان ذلك من غلط الرائي وان كلا من الصفة والمكان متخيل غير مرئي وذلك التخيل بحسب حال الرائي يستدل به على التعبير بالنسبة اليه وقد نصر النووي في شرح مسلم القول بان الرؤية للذات حقيقة وحكى مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني أولا ثم حكى مذهب القائل بان الرؤية للذات على ظاهرها ثم حكى عن القاضي عياض انه يحتمل ان يكون معنى الحديث اذا رآه على صفته المعروفة له في حياته فان رؤي على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ثم قال النووي وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة ثم قال النووي سواء على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازري انتهى كلام النووي وقد تعقبه العلامة ابن حجر في فتح الباري بان الذي قاله القاضي توسط حسن يمكن الجمع بينه وبين ما قاله المازري بان يكون رؤياه على الحالين حقيقة لكن اذا كانت على غير صورته كان النقص لتخيله الصفة على غير ما هي عليه ويحتاج ما يراه في ذلك المنام الى التعبير اه

وعن ليلة الاسراء وليلة القدر ونحوهما ذكر العلماء اختلافا في التفضيل بين الليل والنهار وممن ذهب الى تفضيل الليل النيسابوري لوجوه أحدها ان الليل راحة والنهار تعب وايضا فالليل حظ الفراش والنهار حظ المعاش ولان الله تعالى سمى

سمى ليلة القدر خير من ألف شهر وليس في الايام مثلها وقيل النهار أفضل لانه نور ونافع للعباد والمعاش

قال الحافظ السيوطي رحمه الله وقد وقفت على تأليف في التفضيل بين الليل والنهار لابي الحسن بن فارس اللغوي صاحب المجمل فذكره وجوها في تفضيل هذا ووجوها في تفضيل هذا فما ذكره في تفضيل الليل ان الله تعالى ذكر فيه سورة سماها سورة الليل ولم ينزل في النهار سورة تسمى سورة النهار وان الله تعالى قدم ذكره على النهار في أكثر الآيات كقوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وجعلنا الليل والنهار آيتين جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا وان الله خلقه قبل النهار وان ليالي الشهر سابقة على أيامه وان في الليالي ليلة خير من ألف شهر وليس في الايام مثلها وان في كل ليلة إجابة وليس ذلك في النهار الا في يوم الجمعة خاصة وانه وقت الخلوة والاختصاص عرفا فان بين خلوة الملك نهارا وخلوته ليلا فرقا واضحا وان النهار فيه أوقات تكره فيها الصلاة وليس في شيء من ساعات الليل وقت كراهة والصلاة من أشرف العبادات وان فيه التهجد والاستغفار بالاسحار وهما أفضل من صلاة النهار واستغفاره وانه أصلح لتلاوة الذكر قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال آتيه هو قانت آناء الليل وان الاسراء وقع بالليل قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وقال الله تعالى فاسر بأهلك بقطع من الليل وقال أهل العلم في الليل تقطع الاشغال وتجم الاذهان ويصح النظر وتؤلف الحكم وتدر الخواطر ويتسع مجال القلب ومؤلفو الكتب يختارونه على النهار لان القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن وكذلك مدبر والملوك وقديما كان يقال الليل نهار الاديب وقال القائل

ولم أر مثل الليل جنة فاتك * اذا هم أمضى أو شيمة ناسك

وعارضه صاحب النهار بان الله قدم ذكره في قوله والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها وبان التقديم لا يدل على فضيلة فقد قدم الله الموت على الحياة والجن على الانس والاعمى والاصم على البصير والسميع في قوله خلق الموت والحياة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والمتأخر مما ذكر أفضل من المتقدم قطعا وبأن النور قبل الظلمة قال الله تعالى الله نور السموات والارض وبأن الناس والشعراء ارادوا بذم الليل وشكوه كقول امرئ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقد استعاذوا بالله من الأيهمين ويقال الاعميين السيل والليل وبالليل تدب الهوام وتثور السباع وتنتشر اللصوص وتشن الغارات وترتكب المعاصي ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقد قال صلى الله عليه وسلم أقلوا الخروج اذا هدأت الرجل فان لله دواب يبثها وقد شبه الله تعالى به وجوه أعدائه فقال كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وكان الحسن يقول ما خلق الله خلقا أشد سوادا من الليل وقال تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قيل هو الليل اذا أظلم وتقول العرب للمكثار حاطب ليل لما يخشى عليه من نهش الهوام ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم الليل وأمر بغلق الأبواب وكف الصبيان بالليل

وافتخرت العرب بالايام دون الليالي فقالوا يوم ذي قار ويوم كذا والاسبوع أيامه مسماة دون الليل وانما تذكر بالاضافة الى الايام فيقال ليلة الاحد وليلة كذا وليس المضاف كالمضاف اليه والايام الشريفة أكثر من الليالي كيوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء والايام المعلومات والمعدودات وليس في الليل الا ليلة القدر وليلة نصف شعبان وقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها ولم يقل ذلك في شئ من الليالي هذا ما ذكره الجاحظ في بعض رسائله وأما أفضلية ليلة الاسراء على ليلة المولد فقد قال أبو أمامة ابن النقاش رحمه الله ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم وأما ليلة الاسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف والمأخوذ من كلام البلقيني رحمه الله ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر ولعل الحكمة في ذلك كما قاله في الاصطفاء اشتمالها على رؤيته سبحانه التي هي أفضل من كل شئ ولذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تفضلا منه تعالى وهذا مما يؤيد القول بتفضيل الليل على النهار وظواهر كلامهم ان الخلاف بين الليلة المعينة التي أسرى فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وأما الليلة المعينة التي أسرى به صلى الله عليه وسلم فيها وليلة القدر

القدر في كل عام فينبغي أن يكون فيها قول أبي امامة ابن النقاش السابق وأما طائر الليلة المعينة في كل عام فلاشك في ان ليلة القدر أفضل منها كما لا يخفى وبالجملة فما أحسن قول ابن الفارض

وخير الليالي ليلة القدر ان دنت * كما ان أيام اللقا يوم جمعة

فالأزمان متكافئة في حد ذاتها والتفضيل انما هو بالخصوصيات المنسوبة اليها فقد ذهب العز ابن عبد السلام الى أن التفضيل انما هو بين العقلاء ولا يجري في غيرهم من الاماكن والازمان الا باعتبار ما يقع فيها من الاعمال والعبادات لا في ذواتها ومذهب غيره ان التفضيل يكون بالذات كتفضيل العلم على الظن وبالصفة كتفضيل القادر على العاجز وبالطاعة كتفضيل الولي على غيره من المؤمنين وبالثواب كتفضيل الجماعة على المنفرد وبالشرف كتفضيل الشريف على العامي وبالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود وبما حل فيه كتفضيل مزاره صلى الله عليه وسلم على سائر البقاع وبالاضافة كبيت الله وبيت الله وبالانتساب كزوجاته صلى الله عليه وسلم وذريته وبالثمرة والجدوى كتفضيل الرسالة على النبوة وبتفاوت الثمرة وتحققها كما في العلوم المدونة وبما يخصه الله تعالى على الاماكن والازمان بفضله وكرمه كاختصاص عرفة بالوقوف فلا عبرة بمذهب من سوى بين الاعيان والازمان والاماكن وزعم انه لا مزية لشئ على شئ وانما هو مجرد ترجيح بلا مرجح فان قوله باطل ويكفي في فساده انه يقتضي ان ذوات الرسل كذوات أعدائهم وان البيت الحرام كغيره من البيوت والحجر الاسود كغيره من الاحجار من غير فرق ولا قائل بذلك بل التفضيل له معان وأسباب ومن هذا يعلم أن باب التفضيل بين العقلاء ليس بكثرة الثواب والعمل فقط وهو الحق فان تفضيل الانبياء بقرب المنزلة من الله وعلو المرتبة وكثرة الخصائص والمعجزات كخاصة الاسراء لنبينا صلى الله عليه وسلم واضافته اليه في قوله سبحان الذي أسرى بعبده قال أبو سليمان القاسم الانصاري لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله اليه بم أشرفك فقال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فأنزل الله تعالى فيه سبحان الذي أسرى بعبده ولذلك قيل

يا قوم قلبي عند أسماء * يعرفه السامع والرائي
لا تدعني الا يا عبدها * فانه أشرف أسمائي

وقال الشيخ أحمد العراقي

وهان على اللوم في حب حبها * وقول الاعادي انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمي وانني * اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقال القاضي عياض

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

وقال آخر

وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلبا له * فان وصلوا فضل وان هجروا عدل
وان أحسنوا لم يحسنوا غير وصفهم * وان صدوا فالفعل من أجلهم يحلو

ثم أقام عليه الصلاة والسلام بعد الاسراء بمكة على الاذى صابرا وعلى نصح الامة مثابرا ويأتي موسم الحج فيعرض نفسه الشريفة حتى بايعه بنو الانصار على أن يؤووه اذا أتاهم وينصروه على الكفار ثم أذن له في الهجرة الى المدينة ثم في القتال ومقاتل ذلك بالقبول والامتثال وأقام بالمدينة عشر سنين كوامل وفيها أنزل غالب القرآن وشرع غالب الاحكام التي بهرت الاواخر والاوائل

(الباب الثالث في هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وما ترتب على ذلك من المظاهر الاسلامية والظواهر العلمية وفيه فصول)

(الفصل الاول في الاسباب الباعثة على هذه الهجرة والتمهيد لها)

قد اوحي صلى الله عليه وسلم رسالته ثلاث سنين كما تقدم في الفصل الاول من الباب الثاني ثم اعلن بها في الرابعة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم في والموسم ويسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق المواسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وقد تقدم الكلام على سوق عكاظ في الفصل الثالث من الباب الثاني من المقالة الرابعة من الجزء الاول وان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تجيء سوق ذي المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ان

ان يمنعوه وينصروه حتى يبلغ رسالة ربه فكان يقول عني يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وكان وراءه أبو لهب يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وقد عرض على بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة المبايعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء فقال له ذلك الرجل أنقاتل العرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركه السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فقدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب والذي نفسي بيده ما يدعي النبوة كاذبا أحد من بني اسماعيل قط وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم وقد بشر بظهوره وهجرته صلى الله عليه وسلم من ملوك حمير الملك الحارث الرايش أبو التبابعة في أبيات يقول فيها

أنا الملك المتوج ذو العطايا * حللت الحجر من أوطان شام
لنوطئها الانام الى بلاد * تداولها الملوك من آل رام
لأنا الاعلون اذا بطشنا * وانا المقيمون لكل دام
وانا يوم نغضب أو نسامى * تكاد الارض ترجف بالانام
وان نرمي بقسر عن علينا * ويشرق وجهها بعد الظلام
وفينا الملك والاملاك منا * ونحن الاكرمون بنو الكرام
أتونا بين حرب أو نسامى * ومنهم من يغاير أو يسامي
فان أهلك فقد أملت ملكا * لكم يبقى الى الوقت التهامي
وكان بعدنا منا ملوك * يدعون الانام بغير دام
ويخرج بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام
يفارق أهله وله كتاب * يوافق خطه رجع الكلام
وأحمد اسمه يا ليت أني * أعمر بعد مخرجه بعام
ويدعى بعده خلفاء * ويملك بعده أولاد عام

ث أولاد عامر وهم أولاكر

بينما كان صلى الله عليه وسلم في بعض المواسم اذ دعته الجرأة احد بني عامر

النبوة فلقي رهطا من الخزرج وكانوا ستة وقيل ثمانية أراد الله بهم خيرا فقال لهم من أنتم فقالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ورأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض والله انه النبي الذي يوعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا له انا تركنا قومنا الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان الله يجمعهم بك فلا رجل أعز منك وكان الاوس والخزرج أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة نحو مائة وعشرين سنة

ولما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا إنا نشير عليك ان تمكث على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى هذا ابتداء إسلام الانصار فانهم أجابوه وانصرفوا راجعين الى بلدهم من غير مبايعة ويقال هم أهل العقبة الأولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا فاجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا منهم خمسة من أهل العقبة الاولى فبايعهم وعاهدهم وهذه المبايعة في الحقيقة يقال لها العقبة الأولى وان كانت هي الثانية فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها وكذلك بعث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه يعلمان من أسلم منهم القرآن ومن أراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من يسلم منهم الى الاسلام وكان مصعب يؤم الأوس والخزرج وجمع بهم أول جمعة جمعت في الاسلام حين بلغ المسلمون منهم أربعين رجلا بارساله صلى الله عليه وسلم اليه بالتجميع قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وسمتها الانصار إياها يوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى والا فكانت تسمى في الجاهلية يوم العروبة أي الرحمة ولم يجمع صلى الله عليه وسلم بمكة مع فرض الجمعة وهو بها لعدم التمكن من فعلها هناك ولم يأمر بها مصعبا عند ارساله الى المدينة لعدم وجود شرطها من العدد المذكور حينئذ وفشا الاسلام بالانصار وأسلم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وفي عام

سنة

سنة اثنتي عشرة من النبوة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل سنة إحدى عشرة من النبوة كما سبق

وهناك عقبة ثالثة وهو أنه خرج جماعة من الانصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم غير المسلمين حتى اذا قدموا على مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فلما مضى ثلث الليل اجتمعوا في الشعب وهم ثلاثة وتسعون رجلا وامرأتان أم عمارة إحدى بني مازن ابن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه الا انه أحب ان يظهر على أمر ابن أخيه ويتوثق به فلما جلس كان أول متكلم فقال يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل ما رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة في قومه وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم (٢) أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وانتهت البيعة في العقبة فهذه بيعة العقبة الثالثة التي هي في الحقيقة بيعة ثانية لان الاولى لم تكن بيعة كما تقدم ولعل من عد البيعات

---

(٢) قوله الهدم يروى بسكون الدال وفتحها فالهدم بالتحريك القبر يعني اني أقبر حيث تقبرون وقيل هو المنزل أي منزلكم منزلي والهدم بالسكون وبالفتح أيضا هو إهدار دم القتيل يعني إن طلب دمكم فقد طلب دمي وان أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الالفة بيننا كما يؤخذ من النهاية انتهى مصححه

ثلاثا اعتبار ان العقبة الاولى الذى اجتمع فيها الجمسة من الخزرج كانت بيعة سكونية لانها كالبيعتين الاخيرتين لم يصدر بما حصل فيها مخالفة حيث ان أهل الاولى عادوا فى العقبة الثانية وبايعوا مع من حضر معهم من الانصار على نصرته صلى الله عليه وسلم على عدوه والايمان بما جاء به وهذا من أعظم درجات الايمان فبهذا استحق أهل العقبة الاولى الستة فضل المبايعة وعدت مبايعة العقبات ثلاثة فيمن أحسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنهم بالله وبايعوا نبيهم صلى الله عليه وسلم على الموت فعوضوا بالامن والسلامة من الموت ولهذا قيل ليس فى خصال الخير وان جلت ولا فى أنواع البر وان عظمت أعلى من حسن الظن بالله تعالى

ولما تم أمر البيعة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة وبقى أصحابه فى ضنك من إيذاء المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فمكث أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم الا وهو يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون ثم صاروا يرحلون من مكة أرسالا أى طوائف سرا الا عمر بن الخطاب فانه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من المشركين ولا قصده بسوء فلما قدموا المدينة أنزلهم الانصار فى دورهم وواسوهم ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذنه فى الخروج فيقول له لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فرجا أبو بكر ان يكون ذلك الصاحب وترصد برفاقته واسطر صحبته صلى الله عليه وسلم وورد فى حق أبى بكر حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر ولما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام إظهارا كليا

ثم لما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيع وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج جميع أصحابه من المهاجرين اليهم تحذروا خروجه صلى الله عليه وسلم فاجتمعت قريش فى دار الندوة للمشاورة فى اخراجه او حبسه أو قتله وهى دار قصى بن كلاب وهو اول من بناها وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها ومنعوا الناس من الدخول اليهم لئلا يدخل أحد من بنى هاشم فيطلع على حالهم فلما قعدوا للتشاور تزيا لهم ابليس بصورة شيخ نجدى متطلس ووقف على الباب فلما رأوه قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا

قالوا

قالوا ادخل فدخل وكان قد اجتمع فيها أشراف قريش من كل قبيلة فزعم ابن دريد في الوشاح انهم كانوا خمسة عشر رجلا وقال ابن دحية في مولده انهم كانوا مائة رجل ثم شرعوا في الكلام فقال بعضهم ان هذا الرجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما كان وإنا لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال بعضهم رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ الشيخ النجدي عدو الله ورسوله فقال بئس الرأي والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب الى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ وقال بعضهم رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال الشيخ والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه ثم يسير بهم حتى يطأكم بهم فقالوا صدق الشيخ فقال أبو جهل أرى ان يعطى خمسة رجال من خمسة قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في هذه البطون ولا يقدر بنو هاشم على حرب قومهم جميعا فصوب الشيخ النجدي قول أبي جهل فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله فأخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما أنزل عليه في ذلك اليوم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون

ولما استقر رأي قريش بعد المشاورة على قتله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وأخبره بذلك وقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه وقال له ان الله يأمرك بالهجرة الى المدينة ثم سأل جبريل عمن يهاجر معه قال أبو بكر الصديق فهو في ذلك سماه الله صديقا وقد سبق ان سبب تسميته صديقا في المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت في كل ما تخبر به ولعل هذا سبب ثان لتأكيد التسمية بالصديق وتحققها فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا وأى يهجموا ويقوموا عليه وهو إذ ذاك داخل الدار فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر وكان أول من شرى نفسه ونزل فيه قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله وذكر الغزالي في الاحياء ان الله تعالى أمر جبريل وميكائيل ان يهبطا الى

الارض ويحفظا من عدوه فسر لامكان حسر بل عدد رأسه وهيكا ئيل عند رجليه وأنشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قصة مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف ان يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهموني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدوا له وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد ونثر على رؤسهم كلهم ترابا في يده وهو يتلو يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون كما قيل

وقريش إذ رام الرحيل مهاجرا * ملؤا المسالك راصدا ومشاجرا
فمضى لحاجته ولم ير حاجزا * والقوم يقظى والبصائر نوم

* * *

نثر التراب على رؤس الحسد * وسرى وقد وقفوا له بالمرصد
فتولوا الاعمى العيس مغلول اليد * أنف الشقي بعفص أجدع مرغم

ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله قد خرج محمد عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع عليه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فجهزر وحات النبي صلى الله عليه وسلم وعيرهن جهاز السفر أحسن جهاز ووضعن لهن سفرة أي زادا في جراب وكان في السفرة أي في الزاد شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب المشتمل على الزاد وأبقت الاخرى نطاقا لها فبذلك سميت ذات النطاقين كما روي في صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة روى عنها ابناها عبد الله وعروة وجماعة أسلمت قديما بمكة وهاجرت الى المدينة وتوفيت بمكة بعد ابنها عبد الله بيسير سنة ثلاث أو أربع وسبعين وقد جاوزت المائة ويروى انها قالت للحجاج بلغني انك تعيرا بني عبد الله بن الزبير بابن ذات النطاقين انا والله ذات النطاقين اما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه عند أشغالها وفي حديث أم اسماعيل أول ما اتخذ الناس المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا المنطق النطاق وجمعه مناطق وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الاسفل عند معاناة الاشغال لئلا تعثر في ذيلها ومنه سميت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ذات النطاقين لانها كانت تطارق نطاقا فوق نطاق وقيل كان لها نطاقان تلبس احدهما وتحمل في الآخر الزاد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما في الغار وقيل شقت نطاقها نصفين فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شدادا لزادهما وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ووقف على الحزورة ونظر الى بيت الله الحرام وقال حين خرج وجه من أم القرى والله انك لاحب أرض الله الي وانك خير بقعة على وجه الارض وأحبها الى الله تعالى ولولا أهلك أخرجوني لما خرجت منك وقال صلى الله عليه وسلم ان خير بلدة على وجه الارض وأحبها الى الله مكة وسميت أم القرى لانها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وأيضا الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد للام وقيل لان الكعبة أول بيت وضع للناس وما أحسن ما قاله بعض الشعراء

لا تسكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم
خاف الاله على الذي قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

أي خاف الله ان يسلب أهل مكة القادم الى الحرم فصار يقصد مكة الناس بالاحرام وأما حديث اللهم كما أخرجتني من أحب البقاع الي فاسكني أحب البقاع اليك فلم يصح عنه صلى الله عليه وسلم لان مكة افضل من غيرها لوجوه منها انه تعالى أوجب قصدها للحج والعمرة الواجبين وقصد المدينة سنة وان فضلت باقامة النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة فمكة أفضل لانه أقام بها ثلاث عشرة أو خمس عشرة وبالمدينة عشرا فان فضلت بكثرة الطارقين فمكة أفضل لكثرة من طرقها من الاولياء والصالحين والانبياء والمرسلين فما من نبي الا حجها وهي مقر ابراهيم واسماعيل ومولد سيد المرسلين وليست المدينة كذلك وان ذهب الى تفضيلها على مكة الامام مالك ولو صح الحديث السابق فهو مجاز لوصف المكان بما يقع فيه كبلد آمن أو خائف ووصف بانه محبوب لما فيه مما يحب الله من اقامة الرسول به الى القيامة وتكميل ارشاد الامة والدين به وأحسن من

هذا ان يكون المعنى كما أنزحتى من أحب البقاع الى فى أمر معاشى فاسكنى الأحب اليك فى أمر معادى وهو ظاهر فانه لم يزل فى زيادة من دينه وبلوغ أمره الى ان تكامل وتشرف ذلك فى قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم الآية وسيأتى قريبا بيان ذلك على وجه أوضح

(الفصل الثانى)

(فى سيره مهاجرا الى المدينة مع صاحبه صديقه رضى الله تعالى عنه)

(وهو ابتداء التاريخ الاسلامى)

لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر أمر أصحابه فهاجروا الى المدينة وبقى هو وأبو بكر وعلى فخرج هو وأبو بكر مستخفين من قريش فلما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق عليهم خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن يرده ولما خرج أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأحب ان أكون امامك وأتخوف الطلب فأحب ان أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر لا يمس شيئا فى رجليه خفى لانه لم يتعود الحفا فحمله أبو بكر رضى الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل قال أبو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخله فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلتمس الغار بيده فى ظلمة الليل مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل صلى الله عليه وسلم الغار وجعل رأسه فى حجره ونام ورأى أبو بكر رضى الله عنه جحرا فألقمه عقبه فلدغ أبو بكر رضى الله عنه فى رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال له لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وبات فى الغار وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار وأمر حمامتين وحشيتين فباضتا وما أحسن ما قيل

وحاقت سليك العنكبوت من العداء * فأرخت ستار الغار مكرا باستترا
وواقفها فى الذب عنك حمائم * أبين سراعا فانثنين به وكرا

فلما أتى الكفار طرق حديقة * غيا الحبا تلك الحديقة والمكرا

وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم ومعهم من يقص الأثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما أدري بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنتظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم بصرهم فجعلوا يترددون حول الغار لا يرون أحدا ويقولون لو دخلا هذا الغار تكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت فعلمنا ان الله تعالى حماهما بالحمام وصرف عنهما كيد الاعداء بالعنكبوت ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك روى ابن وهب ان حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله الآن البيوت تطهر من نسجها لانه يورث الفقر والى ذلك يشير صاحب البردة بقوله

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

وقيل في هذا المعنى

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

(وما أحسن قول ابن النقيب)

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وروي لما اطلع المشركون فوق الغار وأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقال حسان بن ثابت

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

قال أبو بكر كما فى الصحيحين نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فى الغار ثلاث ليال وقيل بضع عشر يوما وروى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما رأى القافة أى القائد وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة قال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أى بالمعونة والنصرة فأنزل الله سكينته عليه أى على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان السكينة لا تفارقه وهى أمنة تسكن عندها القلوب وأيده أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنود أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابى بكر أنت صاحبى فى الغار وصاحبى على الحوض قال الحسن بن الفضيل من قال ان أبا بكر رضى الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفى سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا

قال بعض النقاد ما معناه ولما غار الحق تعالى على نبيه وصاحبه من أعدائهما أدخلهما غار الحفظ والامان وأذهب عنهما الهموم بجميل رعايته والاحزان كما صرح بذلك القرآن بالى انسياده فى الغار فكشف فى تلك الخلوة لصديقها الحجاب ودعا له بالبركة من عقبه الى يوم الحساب وكان الله معهما فى هاتيك الخلوة والمتجلى عليهما فى تلك الخلوة فنعتهما اسم الجلالة لفظا ومعنى فانه من حيث اللفظ يقال رسول الله وخليفة رسول الله ولم يكن ذلك الا للصديق رضى الله عنه ومن حيث المعنى فانه معهما بالامداد والاسعاد واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه عبد الله ابن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل فساروا على طريق السواحل ونزل صلى الله عليه وسلم بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد فمسح ضرع شاة مجهودة وشرب من لبنها وسقى أصحابه واستمرت تلك البركة فيها فلما جاء زوجها أكثم بن الجون ورأى ما بالشاة من اللبن سألها فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق وصارت تصف أوصافه الى ان قالت له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر يبادرون الى أمره فقال والله هذا صاحب قريش ثم هاجرت بعد ذلك هى وزوجها فأسلما وكان أهلها يؤرخون

يوم

بيوم نزول الرحل المبارك ولما مرت قريش سألوها عنه ووصفوه فقالت ما أدري ما تقولون قد صافني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي يريد وقد أن خرج من مكة سمع صوت لا يرى صاحبه

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتديا به * وقد فاز من أمسى رفيق محمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له من صريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * ترددها في مصدر ثم مورد

فعرف الناس توجهه الى المدينة ولما سمع حسان بن ثابت قال في جوابه هذه الابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ثم تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه سراقة بن مالك المدلجي وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن اتى بهما فركب فرسه وتبعهما فرآه فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أوتينا قال كلا فلما دنا سراقة صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني الله العزيز الجبار الواحد القهار ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات وقال اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي والله لكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما قال سراقة ودنا الي حتى سمعت قراءته حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وأنشد بعضهم لابي بكر رضي الله عنه قصيدة مطلعها

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار

* لاتخش شيئا فان الله ثالثنا * الى آخر القصيدة المذكورة في بعض السير قال ومع ان مثل هذه القصيدة الساقطة لا يسمح الذوق السليم بنسبتها الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه على فرض كونه يقول الشعر فقد كان عبد البر في ترجمة الصديق رضي الله تعالى عنه ما لفظه روى سفيان بن حسين عن الزهري قال سألني عبد الملك بن مروان قال رأيت هذه الابيات التي تروى عن أبي بكر رضي الله عنه فقلت له حدثني عروة عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام حتى مات انتهى فقد يحتمل ان تكون هذه الابيات نظمت على لسانه وانه أنشدها كما قيل فيما نسب اليه من قوله بعض أبيات منها قوله

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام أي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها أي لم ينشئ الشعر حتى مات وأما ما روي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه انه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

فمحمول على انه لم يسمع ذلك منه على فرض انه من انشائه وكذلك ما ذكره صاحب الينبوع في قوله ليس عمل الشعر رذيلة فقد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه أشعر من ابي بكر وعمر ولو انه بظاهره مناف لقول عائشة الا انه يحمل على الانشاد كثره وقلته فان عليا رضي الله عنه دون بأسه ديوان ولا مانع ان يكون كله مما عمل به ان لم يستقم انشاء الشعر * ولما بلغ أبا جهل أمر سراقة أنشد يقول

بني مدلج اني إخال سفيهكم * سراقة يستغوي بنصر محمد

عليكم به ان لا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

وأما

فأما سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * بأمر جوادي حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فإنني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر تودّ النصر فيه بأنها * لو ان جميع الناس طرّا تسالمه

وأسلم سراقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من حنين والطائف وكان شاعرا مجيدا رضي الله عنه

فلما بلغ خروج النبي صلى الله عليه وسلم جندب بن ضمرة الجندعي قال لا عذر لي في مقامي بمكة وكان مريضا فأمر أهله فخرجوا به الى التنعيم فمات فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فلما رأى ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج خرجوا فطلبهم أبو سفيان وغيره من المشركين فردّوهم وسجنوهم فافتتن منهم ناس وأقام علي رضي الله عنه بعد مخرجه عليه الصلاة والسلام بمكة ثلاثة أيام حتى أدّى ما كان عنده من الودائع وأدركه بقباء وقد نزل على كلثوم بن الهدم وقيل سعد بن خيثمة يوم الاثنين ثاني وقيل ثامن ربيع وكانت مدة مقام علي هناك مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أو ليلتين وأمر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ من الهجرة لدولة الاسلام قال ابن الجزار ويعرف بتمام الاذن وقيل ان عمر رضي الله عنه أول من أرخ وجعله من المحرم وقيل يعلى بن أمية إذ كان باليمن وقيل بل أرخ بوفاته صلى الله عليه وسلم

ومن فوائد التاريخ معرفة الآجال وحلولها وأوقات التواليف ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكذابين وصدق الصادقين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وأخرج البخاري في الادب والحاكم عن ميمون بن مهران قال رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أي شعبان الذي نحن فيه أو الذي مضى او الذي هو آت ثم قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فقال ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين فقال اكتبوا على تاريخ فارس فقال ان فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله فاجتمع رأيهم ان الهجرة كانت عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت الانصار لما بلغهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجون كل يوم لمقيه فاذا اشتدت الهاجرة (ويقال الهجير وهو اشتداد الحر نصف النهار وهو المراد بالعليا والهاجرة السفلى هي التي بعد الضحى وقبل الزوال) رجعوا فلما كان يوم قدومه فعلوا ذلك فرآه رجل من يهود فنادى بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم أي حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الانصار الاوس والخزرج بسلاحهم فتلقوه ونصروه على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم وهم الذين قال تبارك وتعالى فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم في حقهم آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال صلى الله عليه وسلم للانصار أنتم شعار والناس دثار والشعار الثوب الذي يلي الجسد والدثار الثوب الذي يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم والانصار لقب اسلامي لهم لنصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم وانما كانوا يسمون أولا أولاد قيلة والاوس والخزرج الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة الواردة في فضلهم وفضل المهاجرين الذين آثروا رضوان الله ورضوان رسوله صلى الله عليه وسلم على حظوظ أنفسهم فتركوا بلادهم ومهادهم وهاجروا مع المصطفى من مكة الى المدينة التي هي مهاجره وقال حسان رضي الله عنه في مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثلاث وخمسون سنة فأقام بقباء موضع بالمدينة في بني عمرو بن عوف على فرسخ من المسجد النبوي أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس * مسجدها الذي نزل فيه لمسجد أسس على التقوى من أول يوم الآية وهو أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة ظاهرا وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء ضحى يوم الجمعة فأدركته صلاة الجمعة في الطريق في بني سالم بن عوف فصلاها في مسجدهم الذي في بطن وادي رانوناء معصومة وأخرى بعدها الف ممدودة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة عن كان معه بالمسلمين وهم مائة فكانت هذه الجمعة أول جمعة صلاها بالمدينة وخطب بها وهي أول

خطبة

خطبة خطبها في الاسلام

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ولعل اشتداد غضبه كان عند انذاره أمرا عظيما ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وكان اذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وكان أحيانا يتوكأ على قوس ولم يحفظ عنه انه توكأ على سيف وعند الامام أحمد وغيره من حديث سعد بن عائذ وسعد القرظ مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما يوم الجمعة فاذا انصرف من الجمعة طواهما ورفعهما وفي حديث عمرو بن أمية عبد الساتر قال كاني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه ومن جملة خطبته صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزئ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ثم توجه بعد صلاة الجمعة على راحلته متوجها الى المدينة فلما أشرف عليها قال هذه طابة اسكنيها ربي تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة فقد أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وكيف لا تطيب بالحبيب حيا وميتا وهي معمورة أبوابها وطرقها بين ملائكة إنسا وجنا ولا يدخلها ببركته الطاعون ولم يصب عليه الصلاة والسلام قط بالطاعون ولا بذات الجنب ولا جنون ولا سل ولا احتلم ولا تثاءب لان هذه من الشيطان وقد عصمهم الله من ذلك ولا تسمى مدينته الشريفة العلية في الاسلام يثرب كما كانت تسمى في الجاهلية لكراهة لفظ التثريب الذي هو كالتعنيف والتعيير والاستقصاء في اللوم ومنه لا تثريب عليكم قال صلى الله عليه وسلم يقولون يثرب وهي المدينة قال النووي في شرح مسلم يعني ان بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب واسمها المدينة انتهى

ومع ذلك فما زال صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يذكرون يثرب في مدحهم كقول سيدي عبد الرحيم البرعي

يا ساكن القبر المنير بيثرب * يا منتهى أملي وغاية مطلبي

فلعل قراش المديح يحسن معها هذا التعبير والعبرة في مثل هذا بالنية وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فاني أشفع لمن يموت بها لا يريد احد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى ذوب الملح في الماء وكان عليه الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون يا رسول الله هلم الينا الى القوة والمنعة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة من قبل الله تعالى وقد أرخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت حيث مسجده الشريف الآن ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها ومشت حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه من بني مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدرا والمشاهد ثم قامت ومشت والتفتت خلفها ثم رجعت الى مبركها أول مرة بجعل باب المسجد وبركت فيه ثم تحلحلت بجيم أي تحركت وألقت عنقها بالارض وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى اللهم أنزلنا منزلا مباركا ولما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحببنني قلن نعم يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم ان قلبي يحبكم وفي هذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس وقد أتى بسط الكلام على السماع في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من المقالة الخامسة من الجزء الثاني قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره بعضهم عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لانه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه رحله بإذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وأراده قوم في النزول عليهم فقال المرء مع رحله فأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وكان نازلا من آخر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبي أيوب سبعة أشهر وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار رضوان الله عليهم أجمعين وكان موضع المسجد مربدا أي محلا

لتجفيف

تحفظ من التمر لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر أسعد بن زرارة أو معاذ بن عفراء فدعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولعل إطلاق اليتم عليهما باعتبار ما كان إن كان صدور ذلك منهما وقيل بل كان الموضع لبني النجار وكان فيه قبور المشركين وخرب ونخل فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشتريه من بني النجار فقال لهم ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة ثم بناه باللبن وسقفه بالجريد وجعل عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن معهم في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أي هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا لا المحمول من خيبر من نحو التمر والزبيب وعمل فيه المسلمون والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم من الشعر إنشاؤه وإنشاده أي الإتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعني بقوله تعالى وما علمناه الشعر فإنه فرض وقوع الكلام موزونا منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اعتبارا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم أنه إذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو منشدا لقائله لا يأتي به موزونا

وعن عائشة رضي الله عنها لما قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بشيء من الشعر قالت كان أبغض الحديث إليه الشعر غير أنه كان يتمثل ويجعل أوله آخره وآخره أوله أي غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار ويقول كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا أي وذلك قول سحيم عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله عنه إنما قال الشاعر كذا فأعاد صلى الله عليه وسلم كالأول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من أشعر الناس قال الذي يقول

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وإن لم تطيب طيبا

الأصل وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وعن الخليل كان الشعر أحب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام وهذا
لا يخالف قول عائشة رضي الله عنها كان أبغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر
لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم
الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل
الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح

وقد كان له صلى الله عليه وسلم شعراء مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان
ابن ثابت وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر ويستنشده فقد ذكر بعضهم انه صلى
الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده
وهو يقول هيه يا خنساء ويومئ بيده وكذلك سمع الشعر من النابغة الجعدي حين دخل
عليه وأنشده

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد القوم أصدرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وسماعه صلى الله عليه وسلم قصيدة
كعب بن زهير واجازته عليه بالبردة الشريفة أدل دليل على عدم كراهته للشعر المباح
وقال بعضهم أجمع أهل العلم بانه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ومن
شعرها في أخيها المذكور

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلساء في اشعار النساء

وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر
فان الشعر ديوان العرب وفي كلام عمر رضي الله عنه أفضل صناعات الرجل تعلم
الابيات من الشعر يقدمها في صدر حاجته ويستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها
لؤم اللئيم

وفي كتاب تحقيق النصرة للزين المراغي قيل وضع صلى الله عليه وسلم رداءه وهو في شرب
فوضع الناس أرديتهم وهم يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك إذن للعمل المضلل

وآخرون

وآخرون يقولون

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائماً وقاعدا
* ومن يرى عن التراب حائدا *

ويروى عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه كان رجلاً متنطعاً أي متنزهاً فكان اذا جعل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فاذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنشد يقول أي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه * لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها الخ وكان عثمان هذا ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وجعل قبلة المسجد الى بيت المقدس الى ان حولت في السنة الثانية وجعل طوله مما يلي القبلة والى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعل له أربعة أبواب من جهتي المشرق والمغرب ففي جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة وبنى بيتين الى جنبه باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد ثم تحول عليه الصلاة والسلام من دار أبي ايوب الى مساكنه التي بناها وبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع ببعيرين وخمسمائة درهم الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وأم بركة المكناة أم أيمن وخرج عبد الله بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه معهم بعيال أبيه وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان أقام بعد خروج النبي عليه الصلاة والسلام بثلاثة أيام ثم أدركه بقباء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أخرجه عنه ابن عساكر ما علمت أحداً هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده سهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم وقال شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد لانهم كانوا يردون من أراد الهجرة ويحبسونه وكان صحيح الايمان يجتهد في اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم كما وقع لجندب بن ضمرة الجندعي لما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم قال لا عذر لي في مقامي بمكة وكان مريضاً فأمر أهله فخرجوا به الى التنعيم فمات فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع

أجره على الله وأول كلمة سمعت منه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة وفي لفظ يسند ظهره إليه إذا تكلم يوم الجمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس فيه فقال له الناس يا رسول الله قد كثر الناس من المسلمين وإنهم يحبون أن يروك فلو اتخذت منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فيراك الناس قال نعم قال من يصنع لنا هذا المنبر فقام إليه رجل فقال أنا قال تصنعه قال نعم ولم يقل إن شاء الله قال ما اسمك قال فلان قال اقعد فقعد ثم عاد فقال من يصنع لنا هذا المنبر فقام إليه رجل فقال أنا قال تصنعه قال نعم ولم يقل إن شاء الله قال ما اسمك قال فلان قال اقعد فقعد ثم عاد فقال من يصنع لنا هذا المنبر فقام إليه رجل فقال أنا فقال تصنعه قال نعم إن شاء الله قال ما اسمك قال باقوم وكان نجارا قال اجلس فصنعه فصنع له المنبر ثلاث درجات بينه وبين الحائط ممر الشاة فلما كان أيام معاوية جعل المنبر ست درجات وحوله عن مكانه وكسفت الشمس يومئذ وحن الجذع الذي يخطب عليه صلى الله عليه وسلم حديث متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجم الكثير وإلى حنين الجذع أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله

وحن إليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الأحبة

وأشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم فيها وسرى السرور بحلوله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وعن البراء بن عازب قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء كفرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت ذوات الخدور على الأسطحة من قدومه صلى الله عليه وسلم تقول

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي
* أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع *

وسميت ثنية الوداع لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديما وهي موضع من مكة والمدينة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها والبركة حاصلة فيها إلا أنها النمو والزيادة في غير المكيل [illegible] كون المد بها لا يكفي في غيرها وهذا مخصوص لمن سكنها ولمسلم

اللهم

اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين وفي لفظ أنه صلى اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانه دعا لمكة وأنا أدعو للمدينة بمثل ما دعاك لمكة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان وجاء الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها (ويأرز بكسر الراء أي ينضم ويجمع بعضه الى بعض) وفي رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز كما تأرز الحية الى جحرها ومكة أفضل من المدينة لان مكة شرف فضل الله اياه بها على غيرها بما يكون له اياه فيه مرجوحة وهذا قول الجمهور وعند الامام الشافعي مكة أفضل من المدينة وحكي عن مالك ومطرف وابن حبيب من أصحابه لكن المشهور عن مالك وأكثر أصحابه تفضيل المدينة وقد رجع عن هذا القول أكثر المنصفين من المالكية واستثنى القاضي عياض البقعة التي دفن * فيها النبي صلى الله عليه وسلم فحكى الاتفاق على انها أفضل بقاع الارض وأنشد بعضهم

جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا مأواها

وزاد بعضهم بعد هذين البيتين

وبهذه ظهرت مزية طيبة * فغدت وكل الفضل في معناها
حتى لقد خصت بروضة جنة * الله شرفها بها وحباها
ما بين قبر للنبي ومنبر * حيا الاله رسوله وسقاها

ورجح بعضهم المدينة لان ميل كل نفس حيث حل حبيبها كما قال بعضهم

على ربع العامرية وقفة * ليملي علي الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم وأكثر اليهود يستقبلون بيت المقدس وأمره الله ان يستقبل بيت المقدس فرحت اليهود فاستقبل بيت المقدس ستة عشر شهرا وكان يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام

ثم إن اليهود افترقوا فرقاً كثيرة ولكن المشهور من فرقهم ثلاث الربانيون والقراؤون والسامريون وهؤلاء مجمعون على نبوة موسى وهارون ويوشع عليهم السلام وعلى التوراة وأحكامها وإن كان فيها بعض تغيير في الكلام عن مواضعه لكنهم يستخرجون منها ستمائة وثلاثة عشر فريضة يتعبدون بها وينفرد الربانيون والقراؤون عن السامرة بثبوت أسفار الأنبياء المذكورة ويقولون عنهم ستة عشر كتاباً ويضمونها إلى خمسة أسفار التوراة ويعبرون عن الأربعة وعشرين كتاباً وأسفارهم على مراتب الأولى التوراة وهي خمسة أسفار الأول يذكر فيه مبدأ الخليقة والتاريخ من آدم إلى يوسف عليهما السلام والثاني يذكر فيه استخدام المصريين لبني إسرائيل وظهور موسى عليه السلام وهلاك فرعون ونصب قبة الزمان وأحوال التيه وإمامة هارون عليه السلام ونزول العشر كلمات وسماع القوم كلام الله سبحانه وتعالى والثالث يذكر فيه تعليم القرابين بالإجمال والرابع يذكر فيه عدد القوم وتقسيم الأرض عليهم بالقرعة وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام إلى الشام وأخبار المن والسلوى والغمام والخامس إعادة أحكام التوراة بتفصيل الجمل وذكر وفاة هارون ثم موسى وخلافة يوشع عليهما السلام

المرتبة الثانية أربعة أسفار تدعى الأولى أولها سفر يوشع عليه السلام يذكر فيه ارتفاع المن وأكلهم الغلال بعد قرب القربان ومحاربة يوشع الكنعانيين وفتحه البلاد وقسمها بالقرعة ووفاته وثانيها يعرف بسفر الحكام فيه أخبار قضاة بني إسرائيل في السبي الأول وثالثها شموئيل عليه السلام وتوليته طالوت وقتل داود جالوت ورابعها يعرف بسفر الملوك فيه أخبار ملك داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وانقسام الملك بين الأسباط والملاحم والجلاء الأول وفي آخره خراب بيت المقدس

المرتبة الثالثة أربعة أسفار تدعى الأخيرة أولها سفر شعيا عليه السلام يذكر فيه توبيخ الله تعالى لبني إسرائيل والإنذار بعاقبتهم وبشرى الصابرين والإشارة إلى البعث الثاني والخلاص على يد كورش الملك وثانيها سفر أرمياء عليه السلام يذكر فيه خراب البيت بالتصريح والهبوط إلى مصر وثالثها سفر حزقيل عليه السلام يذكر فيه حكم طبيعية وملكية ورموز وشكل بيت المقدس وأخبار يأجوج ومأجوج ورابعها اثنا عشر سفراً فيها الإنذارات بخراب دور بلاد وغيرها والإشارة إلى المطر والخصب وتوبة يونس عليه السلام

السلام وغيره وابتلاع الحوت له وتوبة قومه ويحيى عليه وصلاته وقتله وموت زكريا عليه السلام وإشارات إلى اليوم العظيم وبشارة بوجود الخضر عليه السلام

المرتبة الرابعة تدعى الكتب وهي أحد عشر سفرا أولها تاريخ من آدم إلى البيت الثاني ونسب الأسباط وقبائل العالم وثانيها مزامير داود عليه السلام وعدتها مائة وخمسون مزمورا ما بين طلبات وأدعية عن موسى عليه السلام وغيره وثالثها قصة أيوب عليه السلام وفيه مباحث كلامية ورابعها أمثال حكمية عن سليمان عليه السلام وخامسها أسماء الحكام وسير الملوك وسادسها نشيد غرامه لسليمان عليه السلام محاورات بين النفس والعقل وسابعها تدعى جامع الحكمة لسليمان عليه السلام وفيه الحث على طلب اللذات العقلية الباقية وتحقير الجسمية الفانية وتعظيم الله تعالى والخوف منه وثامنها تدعى الأرواح لأرميا عليه السلام فيه خمس مقالات على حروف المعجم وتدل على الندب وتاسعها قصة ملك ذي القرنين وعاشرها دانيال عليه السلام وفيه تفسير منامات بختنصر وولده ورموز على ما يقع في الممالك وحال العرب والسور والحادي عشر لعزرا عليه السلام وفيه قصة عود القوم من أرض بابل إلى البيت الثاني وبنائه وتجديد الديانة ومن شرح لعزرا نص التوراة ومن ثم تعاب عليها فيقولون عن موسى عليه السلام ولله در ابن سهل الإسرائيلي الأندلسي حيث يقول

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلى قد كان ذاك وإنما * شريعة موسى عطلت بمحمد

ثم لما استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأظهرت أحبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وانضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين واجتمع عليه أصحابه صلى الله عليه وسلم وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار إسلام شرع الله جهاد الأعداء ومن هذا الوقت ظهرت الغزوات

(الفصل الثالث في ذكر الظواهر الحادثة بعد الهجرة إجمالا)

ولما مكث صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة يدعو إلى الله تعالى بغير قتال صابرا على إيذاء العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بالصبر والعفو وعدم الإذن بالقتال لكن لمن قاتله بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (المراد مع

محمد رسول الله وقد يكتفى بالجزء الاول عن كلمتى الشهادة أى عن العشر كلمة منها لانه صار شعارا لمجموعهما فيشمل كلمة الشهادة أو كلمة الاخلاص أو قول لا اله الا الله فهو لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى محمد رسول الله) فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى وقيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام أو قتل نفس وهى الكلمة العالية والمرتبة العالية من استمسك بها فقد سلم ومن اعتصم بعصمتها فقد عصم لقوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها هذا وقع العصمة الدنيوية وأما وقع العصمة الاخروية فمن قال لا اله الا الله دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى والامر الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم وهى أول آية نزلت فى شأن القتال وظاهر هذا السياق يقتضى ان الآية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لان الآية ظاهرها الاباحة والمباح ليس مأمورا به ثم أبيح الابتداء بالقتال حتى لمن لم يقاتل لكن فى غير الاشهر الحرم التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا بعد فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا فى أى زمن فظهر ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية عشر ممنوعا لانه صلى الله عليه وسلم كان فى أثناء ذلك مأمورا بالتبليغ وكان التبليغ انذارا بلا قتال لانه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا فى قتال من قاتل ثم أبيح قتال من لم يبدأ بالقتال فى غير الاشهر الحرم ثم أمر بالقتال مطلقا لمن قاتل ومن لم يقاتل فى أى زمن سواء فى الاشهر الحرم وغيرها وقيل ان القتال فى الحالة الثالثة كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الاولى

ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام الاول محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون اذا كانوا فى بلادهم فجهادهم فرض كفاية على المسلمين فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاقامة الكعبة وانما دل لذلك قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر وهو دليل كان فرض كفاية

في حق الأنصار وفرض عين في حق المهاجرين. الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية أي الذين صالحهم ووادعهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وأنفسهم لأنه صلى الله عليه وسلم قال من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل في الإسلام تقية من القتل وهم المنافقون وكان صلى الله عليه وسلم مأمورا أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضا عنهم إلا قيما على شعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة ولا يخالف ما رواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم أنطلق ومعي رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار فإن هذا الحديث ورد في قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أصلا بدليل الخبر أي لأن صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر (أي جماعة فيهما) ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت إلى آخره

وكان الجهاد في عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين وقيل فرض كفاية وكان إذا غزا بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولذلك وقع لمن تخلف عنه في غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران في كتب الفقه وقد غزا صلى الله عليه وسلم بنفسه

(الباب الرابع)

(في تفاصيل الظواهر التي حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)*

(الفصل الأول في ظواهر السنة الأولى من الهجرة وما فيها من الغزوات)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ظهر يوم الاثنين فنزل قباء وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجد قباء الذي نزل فيه لمسجد أسس على التقوى وخرج منها يوم الجمعة فمر على دار بني

دور الأنصار إلا قالوا له يا رسول الله إلى العدد والعدة ونعرضون بأنفسهم فيقول خلوا
سبيلها فإنها مأمورة ثم سارت حتى انتهت إلى موضع مسجده الذي بعده الشريف
وما ذكر فيه كفاية من الإشارة إلى ذلك الآن فلم يزد فيه أبو بكر في أيام خلافته شيئا
وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهده عليه الصلاة والسلام ثم غيره عثمان بن عفان
في خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة
منقوشة وسقفه بالساج ثم لما صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك الذي عمر
جامع دمشق استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز وكتب إليه في سنة ثمان ع
وثمانين من الهجرة يأمره بعمارة مسجده صلى الله عليه وسلم وبإدخال بيوت أزواجه فيه
حتى تصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع فأجابه أهل المدينة إلى ذلك ففعل عمر
ابن عبد العزيز كذلك وقد عمر المسجد الشريف جماعة من ملوك الإسلام وقد احترق
هذا المسجد في زمن الملك الأشرف قايتباي الظاهري فعمره ووضع الدرابزينات حول
الحجرة الشريفة وعمل فيه منبرا وسقفه وذهب سقفه ثم في سنة ست وتسعين وثمانمائة
وقعت صاعقة بالليل على منارة المسجد النبوي احترق منها سقوف المسجد الشريف
النبوي وجميع ما فيه من المصاحف والكتب وغير ذلك ولم يبق سوى الجدران
ووردت الأخبار بذلك إلى السلطان المذكور فجدد عمارته فكانت في غاية الحسن

ولما تمت العمارة التي صرف عليها أكثر من مائة ألف دينار أرسل إلى المدينة المنورة
خزانة كتب وجعل مقرها مدرسة التي عمرها هناك وأرسل عدة مصاحف وأوقف
عليها ما يلزم ووقفه والمدرسة باقية عامرة على يسار الداخل للحرم النبوي ولم يزل بها أمر
الحاج المصري وقد اعترض أهل الزيغ والنفاق ومن في قلبه مرض ونفاق بحلول
هذه الحادثة بالحرم الشريف وإن لم تصب الحجرة الشريفة ما يخل بالمقام المنيف
فكان الرد على المنافقين وعلى الضلال الفاسقين بأنه ليس في هذا أدنى نقص
في حقه صلى الله عليه وسلم وأن حرمته لم تزل عند الله تعالى وعند أهل الإيمان في أعلى
درجات المقام الأعظم وإنما المال من مال من أهل طيبة عن سنته رماهم الله تعالى
بهذا الأمر لما فاتهم من تعظيمه صلى الله عليه وسلم بمسجده الكمال رحمته بهم ورأفته قال
الشريف السمهودي وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للإنذار
خص بها القدر الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أن أعمال أمته تعرض عليه فلما
ساءت

حسنات الاعمال المعروضة بسبب ذلك الانذار باظهار النار المحارقة فيها يوم القيامة والعرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وقال الشاعر في هذا المعنى

لم يحترق جرم التي زينته * يخشى عليه ولا هالك عار
لكنما ايدي الروافض لامست * ذاك السنا فطهرته النار

وفي هذه السنة دخل بعائشة رضي الله تعالى عنها بعد ثمانية أشهر من الهجرة وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة وكان عقد عليها قبل الهجرة بثلاث سنين وفيها خطبته وفيها آخى بين المسلمين من المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة وأربعون وقيل مائة فاتخذ صلى الله عليه وسلم عليا أخاه وآخى بين أبي بكر وخارجة ابن زيد الانصاري وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ الانصاري وبين عمر وعتبان بن مالك الانصاري وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الانصاري وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت الانصاري وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك الانصاري وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب الانصاري وأول مولود للمهاجرين بعد الهجرة عبد الله بن الزبير وأول مولود للانصار النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهم أجمعين

وكان المقصود من المواخاة ان يكون بينهم معظما اخص من غيرها بأنه مخصوصا بمعاونته ومناصرته ومواساته حتى يكونوا يدا واحدة على الاعداء بالنسبة للجهة الاجتماعية وان يكون حب كل أحد لاخيه جاريا مجرى حبه لنفسه حتى قال بعضهم ان هذه المواخاة كان فيها حكم التوارث وانهم كانوا كذلك الى ان نزل بعد غزوة بدر وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين بلا توارث فالاخاء وقع مرتين

﴿وفي هذه السنة الاولى من الهجرة كانت غزوة الابواء﴾

وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة موضع بناحية ينبع وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقيل ان هذه الغزوات كانت في السنة الثانية وغزوة الابواء هي غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج غازيا حتى بلغ ودان وهي قرية كبيرة بينها وبين الابواء نحو ستة

أميال والابواء قرية بين مكة والمدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين
يعترض عيرا لقريش وبني ضمرة وكان عدد من معه ستين رجلا من أصحابه وفي هذه
الغزوة صالح بني ضمرة وعقد الصلح معهم سيدهم وهو مجدي بن عمرو الجهني على ان
لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا
نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني
ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصرة على من رامهم الا ان يحاربوا
في دين الله ما بل بحر صوفة أي ما في منه ماء بل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أي امانهما انتهى وكان
لواؤه أبيض مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وكان اللواء مع حمزة واستعمل
على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة ولم يلق كيدا بعد خمس عشرة ليلة هذا
ما قاله بعض أهل السير والصحيح انها كانت في الثاني عشر من شهر صفر من السنة
الثانية من الهجرة

وأما غزوة بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو وآخرها طاء مهملة فالصحيح أنها
كانت في شهر ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر من السنة الثانية وبواط جبل بالينبع
وسبب هذه الغزوة ان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه ان عيرا لقريش نحو الفين وخمسمائة
بعير ومائة رجل من قريش معهم أمية بن خلف ذاهبة الى مكة فخرج صلى الله عليه
وسلم لاعتراضها في مائتين من أصحابه وحمل اللواء سعد بن ابي وقاص وهو العلم الذي
يحمل في الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وكان أبيض واستعمل على المدينة السائب
ابن عثمان بن مظعون وقيل سعد بن معاذ فانتهى الى بواط فلم يلق كيدا أي حربا فرجع
الى المدينة بدون حرب

وأما غزوة العشيرة بالعين المهملة والشين المعجمة وبالمهملة أيضا على صيغة التصغير
وهي بطن الينبع وهو منزل الحاج المصري لبني مدلج فكانت على الصحيح في جمادى
الاولى سنة اثنين لقصد ادراك عير قريش المتوجهة الى الشام وذلك ان قريشا جمعت
أموالها في تلك العير ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك
العير الا حويطب بن عبد العزى وقال ان في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير
وكان قائدها ابا سفيان وكان معه سبعة وعشرون رجلا وقيل تسعة وثلاثون رجلا

منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهي العير التي خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجعت من الشام وكانت سبب الوقعة ببدر الكبرى خرج صلى الله عليه وسلم في مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالتصغير (وأما التي بغير تصغير فهي غزوة تبوك) واستخلف على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء حمزة ابن عبد المطلب وكان اللواء أبيض فخرجوا على ملل من بني دينار وبها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بأيام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله عليه وسلم فيها بني مدلج وكنى فيها عليا بأبي تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب الذي سفته عليه الريح فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب فلما قام قال له ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فتخضب هذه ووضع يده على لحيته وفي السنة الاولى من الهجرة وادع صلى الله عليه وسلم اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم

(الفصل الثاني)

(في ظواهر السنة الثانية من الهجرة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام وعن ابن عباس انه قال أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا الى المدينة أمره الله تعالى أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة وصلى بعد الهجرة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس وكان يحب أن يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام فأنزل الله قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وروى ابن وهب عن يونس عن الزهري قال لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس وقد تشوف النبي الى ذلك قريبا فلما حولت القبلة كان النبي عليه الصلاة والسلام في مسجد القبلتين في بني سلمة فكان يصلي به الظهر الى بيت المقدس وقد صلى بأصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ووقع نصفها الى بيت المقدس ونصفها الى الكعبة فسمي ذلك

المتصدقة عبدالله ابن وهب في شعبان فرض صوم رمضان وأمر الناس باخراج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاعا من تمر أو من زبيب أو من بر وقال اعنوهم (يعني المساكين) عن ذل السؤال في هذا اليوم

قال ابن حجر وثواب الصوم الناقص كالكامل في الفضل المرتب على رمضان من غير نظر لايامه أما ما يترتب على صوم الايام من ثواب واجبه أي فرضه ومندوبه عند سحوره وفطوره فهو زيادة يفوق بها الناقص وكأن حكمة أنه عليه السلام لم يكمل له رمضان الاسنة واحدة والباقية ناقصة زيادة طمأنينة نفوسهم على مساواة الناقص للكامل وقوله من غير نظر لايامه بمعنى أن ما تم قوله فيه قال الفضل المرتب على رمضان ليس الابمجموع الفضل المرتب على أيامه وأجيب بمنع الحصر وان لرمضان فضلا من حيث هو بقطع النظر عن مجموع أيامه كما في مغفرة الذنوب لمن صامه ايمانا واحتسابا والدخول من باب الجنة المعد لصائمه وغير ذلك مما ورد أنه يكرم به صوام رمضان وهذا لا فرق فيه بين كونه ناقصا أو تاما وأما الثواب المرتب على كل يوم بخصوصه فأمر آخر فلا مانع أن يثيب الكامل بسببه مالا يثيب الناقص وقوله وكأن حكمته الخ قال السويري كذا وقع لابن حجر هنا ووقع له في مجلس آخر أنه قال لم يصم شهرا كاملا الاسنتين وجرى عليه المدري في شنه وقال هنا وقع له هنا غلط سببه اعتماده على حفظه انتهى أقول لا يلزم ان ما هنا غلط لاحتمال ان ما قال المدري هنا لم يطرح عليها التي ظهرله ثم رأيت العلامة الاجهوري استوعب ما ذكرفقال

وفرض الصيام ثاني الهجرة * فصام تسعة نبي الرحمة
أربعة تسع وعشرين وما * زاد على ذا بالكمال اتسما
كذا لدميري وقال الهيتمي * ما صام كاملا سوى شهر اعلم
وللدميري انه شهران * وناقص سواه خذ بياني

وفي هذه السنة أري عبدالله بن زيد صورة الاذان في النوم وورد الوحي بذلك والذي قاله النووي في الروضة ان الاذان شرع في السنة الاولى من الهجرة وفيها زوج علي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله تعالى عقد على فاطمة لعلي في السماء ونزل الوحي بذلك وقيل كان ذلك (أي الاذان) في السنة الاولى وسببه انه عليه الصلاة والسلام شاور أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة اذ كان اجتماعهم بمنادي الصلاة

جامعة

ساعة والأذان على المنابر من خصائص هذه الأمة وليس لمن سواهم منابر يؤذنون عليها بل ولا هذا الأذان المخصوص

ولما قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة إلا ليالي حتى غزا غزوة سفوان في السنة الثانية ويقال لها غزوة بدر الأولى خرج خلف كرز بن جابر الفهري وقد أغار على سرح المدينة أي على النعم والمواشي التي تسرح بالغداة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ولذا قيل لها بدر الأولى وفاته كرز بن جابر ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه اللواء وكان أبيض وفي هذه السنة أيضا بعث عبد الله ابن جحش في ثمانية أنفس إلى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش فمر بهم عير لقريش فغنموها وأسروا اثنين وخمسوا وأعطوا الخمس له صلى الله عليه وسلم وهي أول غنيمة غنمها المسلمون

وفي سنة اثنتين من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى وبدر اسم للوادي أو لبئره وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وعدة المشركين ألف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وهي أفضل غزواته صلى الله عليه وسلم لأنهم بذلوا في نصرته الأرواح والأجسام ووقفوا على قدم الإخلاص فاستحقوا مزيد الإكرام وظفروا بالسعادة الكبرى والمنزلة الرفيعة في الدنيا والأخرى ونطق بفضلهم أشرف الكتاب فكان الدعاء بذكرهم مستجاب وغدت لأولي أعقابهم لدفع كل مهمة رضي الله عنهم وعن جميع الأمة وليس في غزواته ما يعدل بها في الفضل ويقرب منها إلا غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان ويقال لها بدر القتال وبدر الفرقان لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل وأظهر الله بها الدين من يومئذ وقيل فيها صادف قريش وذلك أن العير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة وجدها قد مضت قبل ذلك بأيام لم يزل مرتقبا قفولها من الشام فلما سمع برجوعها من الشام دعا المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس للإجابة وآخرون لم يخفوا لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يعد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اهتم بها بل قال من كان ظهره حاضرا فليركب معنا وكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل

من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير وانه تركه معهما ينتظر رجوع العير فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليسير مسرعا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقال يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها فتجهز الناس سراعا حتى أقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج ولم يتخلف من أشرافهم الا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا أفلس بها وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر من المهاجرين سبعة وسبعون وباقيهم من الانصار وما فيهم سوى فارسين المقداد بن عمرو الكندي والزبير بن العوام ونزل في بدر وبني له عريش وجلس فيه ومعه أبو بكر رضي الله عنه

وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسسان خبر العير فرجعا بخبر العير الى المدينة على ظن انه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما انه سار خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر وأسهم لكل منهما ولو لم يحضرا القتال ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب ويقال لها العقاب والاخرى مع بعض الانصار قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب ولما سار وادي ذفران بلغه مسير العير وهو واد قرب من الصفراء أتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأخبرهم الخبر وقال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة مسرعين فماذا تقولون فقالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو فهلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له اذا خرجنا للعير فعند ذلك تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهذا سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون فعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد ابن الاسود فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك فوالله لا نقول لك كما قال

قوم

قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول إنا معكما مقاتلون فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوهم فأشرق عند ذلك وجهه صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي فقال عمر يا رسول الله إنها قريش والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم استشارهم ثانيا فقال أشيروا علي أيها الناس ففهمت الأنصار أنه يعنيهم لأنهم أكثر الناس عددا فقال له سعد بن معاذ سيد الأوس لعلك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت منه كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنحن عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبي صلى الله عليه وسلم وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك وقال أبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين إنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم والطائفتان العير وهم قريش والنفير والمراد في الآية بغير ذات الشوكة لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا وأما الشوكة ففي النفير لعددهم وعدتهم فقوله تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني وتودون أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا شوكة لها أي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى ولكن الله يريد الطائفة الأخرى وهي نفير قريش الذي يريد حمايته تلك العير وهي المرادة من قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته الآية ومعنى إحقاق الحق تحقيق الوعد من النصر والظفر بالأعداء ومعنى إحقاق الحق الثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة لأن الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سببا لعزة الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل الذي هو الشرك وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والإيمان فقد أعلمه الله تعالى بتحقيق وعده بالظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم أنهم ملاقوا القتال وأن العير لا تحصل لهم ثم رحل

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من بدر فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون الخبر فأصابوا راوية لقريش فيها غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوا أنهما لأبي سفيان فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضرباً قالا نحن لأبي سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى (أي جانب الوادي المرتفع) فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري وجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبراه كم هم فأبيا فقال كم تنحرون من الجزر كل يوم قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والألف أي لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش فعدا له من فيهم من الأشراف وهم كثيرون منهم أبو جهل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها (أي أشرافها وعظماءها) ثم بعث صلى الله عليه وسلم عدي وبسبس رضي الله عنهما إلى بدر يتحسسان الأخبار (التحسس بالحاء المهملة أن يتفحص الشخص عن الأخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا) قبل وصوله صلى الله عليه وسلم وقبل وصول قريش إليها فأناخا قريباً من بدر عند تل ثم أخذا شناً لهما يستقيان فيه وكان مجدي ابن عمرو على الماء وإذا جاريتان يتخاصمان وتعلق إحداهما الأخرى على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك الذي لك فقال مجدي بن عمرو الذي على الماء صدقت ثم خلص بينهما فلما سمع بذلك عدي وبسبس جلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا ثم إن أبا سفيان تقدم على العير حذراً حتى ورد الماء فلقي ذلك الرجل الذي على الماء فقال له هل أحسست أحداً قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرف وجه عيره عن الطريق وترك بدراً بيسار وانطلق

حتى

حتى أسرع فلما علم أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش وكان قد بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا استنفروا بالجحفة إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا ونقيم عليه ثلاثة أيام فلا بد أن ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان أي تضرب بالدفوف وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وأراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا من الماء ليس معه ومن الماء شيء فظمئ المسلمون وأصابهم ضيق شديد وأجنب غالبهم فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا وكان الوادي كثير التراب تدخل فيه الاقدام فأمطرت السماء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولبدت الارض وزال غبارها وشدتها وشربوا وملؤوا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة وطابت نفوسهم بذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا منه ويصلوا الى الماء وكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وأصاب المسلمين ليلا النعاس شديدا وبات النبي صلى الله عليه وسلم من ليلتهم يصلي تحت شجرة وقد حصل النعاس لهم وهو دليل على الطمأنينة فلما أن طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال في خطبة خطبها فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه الى أن قال وإن الصدق في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد أقبلت بالدروع السابغة والجموع الوافرة والاسلحة الباهرة قال اللهم إن هذه قريش قد أقبلت بخيلائها (أي تكبرها وعجبها وفخرها) تحادك وتخالف أمرك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به اللهم أحنهم بالغداة ووعده بإحدى الطائفتين وإن كان لا يخلف الميعاد وكان من حكمة الله تعالى أن جعل المسلمين قليلا في أعين المشركين لئلا يستعدوا لهم فيقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ليقوى قلبهم على قتالهم وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم

في أعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وحين رأى المسلمون أن لا بد من القتال ضجوا
بالدعاء الى الله تعالى فأنزل الله تعالى عند ذلك إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني
ممدكم بألف من الملائكة مردفين (أي متتابعين) فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة
ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي
رضي الله عنه في صور الرجال عليهم عمائم بيض وثياب بيض قد أرخوا أذنابها بين
أكتافهم وعلى جبريل عليه السلام عمامة صفراء أرسلها من خلفه وعن عروة بن
الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فأمده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل
وألف مع ميكائيل وقيل أيضا أمده بألف ثم زاد ثم زيد في الوعد ثلاثة آلاف
لقوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين فوقع الوعد بها لكن لم تحصل الخمسة آلاف وكان ذلك معلقا على
شرط وهو الصبر والتقوى عن حوز الغنائم فلم يصبروا وفات الامداد بما زاد على
الثلاثة آلاف وقيل كان الامداد يوم بدر بخمسة آلاف وإنما كانت الملائكة مشاركة
لهم في بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وإن الملائكة
مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التي أجراها الله تعالى في عباده
وإلا فجبريل وحده قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ولهابهم العدو وبعد ذلك
فالصحيح أن الملائكة قاتلت يوم بدر ولم تكن لتكثير السواد فقط

وعند التحام الحرب نادى منادي قريش يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي أو قال قوموا يا بني هاشم
فقاتلوا فلما قدم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي ودنوا منهم وقالوا من أنتم لأن هؤلاء الثلاثة
كانوا متلثمين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي
قالوا نعم أكفاء كرام وبارز عبيدة بن الحارث عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي
الوليد فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وأما علي فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة
قوله فدففا وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بسيفيهما على عتبة فدففا
عليه أي عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه وأضجعوه الى جنب موقفه صلى الله عليه وسلم
أجهزا عليه فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها فقال عبيدة
وتمما عليه ألست شهيدا يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد ثم
اه

هذه

فهذه أول مبارزة وقعت في الإسلام وفي الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسماً أن آية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه يوم بدر ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه بقدح في يده (أي سهم) فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني من نفسك (أي مكني من القصاص من نفسك) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي اقتص فاعتنقه وقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل الصفوف قال لهم إن دنا القوم منكم فانضحوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم لا ترموهم على بعد لأن النبل معها بعد يخطئ ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى العريش يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض وأبو بكر يقول دع بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك فكان المصطفى في مقام الخوف وهو مقام أعلى والصدّيق في مقام الرجاء وهو مقام دونه ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجراً بين الصفين وقال لا أفر إن فرّ هذا الحجر

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم بن الجموح الأنصاري بخ بخ (كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه مع التنوين وعدمه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين عبيدة بن الحرث المطلبي فقتلا يوم بدر جميعاً وقال ابن إسحاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لا يقاتل أحد في هذا اليوم فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الجنة وكان عمير واقفاً في الصف بيده تمرات يأكلهن فسمع ذلك فقال بخ بخ ما بيني

ومنى أن أدخل الجنة الآن فتقى لي هؤلاء وألقى التمرات من يده وأخذ السيف وقاتل القوم وهو يقول

ركضا إلى الله بغير زاد * إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * إن التقى من أعظم السداد
وخير ما قاد إلى الرشاد * وكل حي فإلى نفاد

وبعد تعديل الصفوف كان أول من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم وإسكان الهاء وفتح الجيم وبالعين المهملة مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله إليه فقيل إنه أول من يدعى من شهداء هذه الأمة وإنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء وقاتل في ذلك اليوم المؤمنون ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء ناولها له علي رضي الله عنه فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه (أي قبحت وذابت) ثم نفحهم بها فلم يبق من المشركين رجل إلا امتلأت عينه وأنفه وفمه فلا يدري أين توجه يعالج التراب لينزعه من عينه وقال لأصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة على المشركين وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأنزل الله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه لما كان يوم بدر أم رمت فرس نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن ابن أبي بكر وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأسن ولد أبيه فلما أسلم في هدنة الحديبية وهاجر إلى المدينة قال لأبيه لقد هدفت لي يوم بدر مرارا فأعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لي لم أعرض عنك وكان حرسه صلى الله عليه وسلم ببدر سعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله ويوم أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعباد بن بشر وحرسه ليلة خيبر أبو أيوب الأنصاري وحرسه بلال بوادي القرى فلما أنزل الله تعالى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

وفي يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل ابن خويلد فقال علي أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه فإنه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش

اليوم

اليوم يوم الرفعة والعلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم فانظروا الى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت يوما وهو على مائدة لعبد الله ابن جدعان ونحن غلمان وكنت أسن منه فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش جحشا على احديهما أي خدش خدشا لم يزل أثره به فحمل عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل ابن هشام الى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى لنجاة المسلمين من هذا الفاجر وكان يكنى أبا الحكم فكناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وأمه أسماء بنت مخرمة بن نهشل (استطراد) كان المغيرة بن عبد الله بن المغرض الملقب بالاقرع يريد التزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم فأبى قومه فقالوا لم نعطوه شيئا فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفاني المجوسي مهر الرباب * فدى للمجوسي خال وعم
شهدت عليك بطيب الاروم * بانك بحر جواد خضم
وانك سيد أهل الجحيم * اذا ما تردبت فيمن ظلم
تجاور هامان في قعرها * وفرعون والمكتني بالحكم

فقال المجوسي ويحك سألت قومك فلم يعطوك شيئا وجئتني فأعطيتك تجزيني هذا القول فقال أما ترضى ان جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وانهزم الباقون وغنم عليه الصلاة والسلام متاعهم وكان من جملة الاسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انقضى القتال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى الى القليب وكانوا أربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له أصحابه أتكلم قوما موتى فقال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكانت غيبته تسعة عشر يوما وأرسل زيد بن حارثة بشيرا ووصل الى المدينة وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت النبي عليه الصلاة والسلام

وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم لسقمها وفيها هلكت أو قبل وكانت وقعة بدر المذكورة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفراء راجعا من بدر أمر عليا بضرب عنق النضر بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري وكان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم واذا تلا صلى الله عليه وسلم يقول لقريش ما يأتيكم محمد الا بأساطير الاولين فلما قتل النضر أنشدت أخته النبي صلى الله عليه وسلم وهي قتيلة هذه الابيات

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح غادية وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليه وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته * ان كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هناك تشقق
قسرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولانت ضنء نجيبة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من تركت وسيلة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
او كنت قابل فدية فلينفقن * أعز ما يغلى به من ينفق

ذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال لو سمعت شعرها قبل ذلك لما قتلته وقيل ان الذي أمر بقتله المقداد بن الاسود وقال بعضهم ان الزبير بن بكار قال سمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات قتيلة بنت الحارث ويقول انها مصنوعة وغيره ايضا وقال بعضهم الصحيح ان قتيلة ابنة النضر هي جدة الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث الموصوفة بالجمال وهي صاحبة عمر بن عبد الله بن ربيعة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه وكان يتغزل في شعره بالثريا المذكورة فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن الزهري ونقلها الى مصر فقال عمر المذكور في زواجهما وورى بالثريا وسهيل النجمين المعروفين اللذين يضرب بهما المثل في بعد الاجتماع

أيها

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يماني

ثم قتل النضر بن الحارث أي أمر بضرب عنقه وعقبة بن أبي معيط بن أمية ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا لأهل العالية قبل قربه من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لأهل السافلة بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة ينادي في أهل العالية يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بمثل ذلك ويقولون قتل فلان وفلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الأشرف يكذبهما ويقول إن كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها

قال ابن إسحاق وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب قريش في بدر بحجر الكعبة فتذاكرا قومهما وما نزل بهم من القتل والأسر وكان عمير بن وهب ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة قبل الهجرة وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر فقال صفوان والله ما في الحياة بعدهم خير فقال له عمير صدقت أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي قبله علة ابني أسير في أيديهم وكان عمير شجاعا وكان صفوان ذا مال كثير فاغتنمها الفرصة صفوان وقال له أما دينك فعلي قضاؤه وأما عيالك فهم مع عيالي أواسيهم ما بقوا ولا يكون في يدي شيء فيعجزون عنه فعاهده عمير على ذلك وقال اكتم شأني وشأنك فقال صفوان أكتم ذلك ثم إن عميرا أحد سيفه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر وما أكرمهم الله تعالى فيه وما فعل بأعدائهم ويشكرون الله تعالى إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد بعيره متوشحا سيفه فقال هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا بشر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال أدخله علي فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى عمير فأخذ بحمائل سيفه وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار ادخلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمير آخذ بحمائل سيفه في عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا عمير وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنعم صباحا وكانت هذه تحية العرب في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير أكرمنا بالسلام تحية أهل الجنة فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الأسير الذي عندكم قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا قال أصدقني يا عمير ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال يا عمير قعدت أنت وصفوان بن أمية بحذاء الكعبة فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله تعالى حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتينا من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لأعلم أنه ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله تعالى الى الاسلام لعل الله يهديهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأظهر الاسلام وأسلم ولده وهب أيضا رضي الله تعالى عنهما

قال ابن اسحاق وأسلم بعد ذلك الأسر جماعة منهم أبو وداعة السهمي وعبد الله بن خلف الجمحي ووهب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي وأسلم السائب بن عبيد وهو الأب الخامس للامام الشافعي رضي الله عنه وكان صاحب راية بني هاشم يوم بدر من كفار قريش وكان صاحب الراية أبا سفيان لكن لغيبته في العير حملها السائب لشرفه وأما الأب الرابع فهو شافع بن السائب الذي ينسب اليه الامام الشافعي رضي الله عنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم قال الامام الشافعي رضي الله عنه هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم فيجتمع الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في جد الامام الشافعي التاسع الذي هو جد النبي صلى الله عليه وسلم الثالث وهو عبد مناف

ولما

ولما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة وكانت وقعة بدر وأسر فيها من أسر من أهل مكة قال عليه الصلاة والسلام لأهل بدر إن بكم عيلة فلا يفلتن منهم من الأسارى أحد إلا بفداء أو ضربة عنق وقال استوصوا بهم خيرا وكان فداؤهم أربعين أوقية عن كل إنسان إلا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فإن فداءه كان مائة أوقية فكان من لا مال له من الأسارى قبل منه أن يعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة فإذا حذقوا كان فداءه ومنه تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الأنصار ومن هنا يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على تعلم الكتابة التي هي العدد الأولى للنوع البشري وهي أس سائر الوظائف والتعليمات التي كانت جارية في عهده صلى الله عليه وسلم وقد من النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسارى بدر وخلى سبيلهم من غير شيء ولما طلب صلى الله عليه وسلم من العباس أن يفدي نفسه قال علام تأخذ مني الفدا وقد كنت أسلمت أنا وأم الفضل وفيه آل بدي ولكن القوم أكرهوني على الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ظاهر أمرك أنك كنت علينا ولكن الله تعالى يعوضك عما أخذ منك وأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وقد أعطى الله العباس خيرا مما أخذ منه وفي هذه الآية بشرى عظيمة للعباس إذ أخذ أكثر مما أعطى ويغفر له ما أخطأ ولما نزلت قال العباس يا رسول الله وددت أنك أخذت مني أضعافها وفي البخاري أنه أتي بمال من البحرين (أي خراجها وهو أول خراج حمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان مائة ألف) فأمر بصبه في المسجد وكان أكثر مال أتي به فخرج إلى المسجد ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فسأله فقال خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إلي فقال لا فقال ارفعه أنت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال كالأول فقال لا ثم نثر منه ثم احتمله فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا من حرصه وذكر السهيلي في الفضائل أن أبا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه

ولما فدى العباس نفسه ورجع إلى مكة وأظهر إسلامه وجمع أمواله هاجر إلى المدينة ولازمه صلى الله عليه وسلم في غزواته كان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويعظمه ووصفه عليه الصلاة والسلام فقال أجود الناس كفا وأحناه عليهم وروى السهمي بسند

ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال الا أسرك يا عم قال بلى بأبي أنت وأمي فقال عليه الصلاة والسلام ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء

وكان الذي أسر العباس أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو وكان قصيرا دميما وكان العباس عظيم الخلق طويل القامة من معتلي الطعن حتى انه كان يدرك فم الطعنة وهي راكبة على البعير وهو على قدميه في الارض وفي مسند البزار قيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته فقال ما هو الا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة والخندمة جبل حول مكة وذكر أبو عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد أعانك عليه ملك كريم ولما فدى العباس نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تركت أكثر من هذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين ما دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما أدري ما يصيبني فان حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي فقال العباس أشهد انك صادق وأشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما اذا أخبرتني بذلك فلا ريب اليوم وأم الفضل هي لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وولدت أم الفضل للعباس ستة نجباء عبد الله بن عباس صاحب التفسير الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل واخوته الستة عبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وكثير واخته لم ير في كثرتهم لان امهم واحدة أم حبيب وفي أم الفضل يقول الشاعر

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعرفه وسهل
كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له أبناء سوى هؤلاء الستة من غير أم الفضل عون والحارث وتمام وكان أصغرهم تمام وأفرده حتى ساوى فقال سه مه كثرة عدم الذكر وكان العباس يحمل تماما هذا ويقول

تموا

عوا بنيهم فصاروا عشره * يا رب فاجعلهم كراما برره
* واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره *

وقد أجاب الله دعاء العباس في بنيه الا أنهم كانوا كما أرادوا وهم واسعوا فكلهم له
رواية وبني ومع ذلك فقال ما رؤيت قبور أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور
بني العباس بن عبد المطلب ولدتهم أمهم أم الفضل في دار واحدة استشهد الفضل
بأجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفي عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن
وقثم بسمرقند وكثير وأمه سبأ المذكورة أخذته الذبحة بينبع رضي الله عنهم أجمعين
وخرج محمد بن يزيد في الكامل ان العباس كان الى منكب عبد المطلب وكان عبد الله
ابن عباس الى منكب العباس وكان علي بن عبد الله الى منكب أبيه عبد الله وطاف
علي هذا بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس
مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل هو علي بن عبد الله بن العباس فقالت
لا إله إلا الله ان الناس لمرذولون عهدي بالعباس وهو يطوف بالبيت كأنه فسطاط
أبيض أي وقال بعضهم ما أدرك الاسلام من العرب عشرة أطوال جدا منهم
عبادة بن الصامت ومن جملة الأسارى أيضا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب تأخر
اسلامه الى عام الخندق وقيل بل أسلم حين أسر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له افد نفسك برماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي بجدة أرماحا غير الله
أشهد أنك رسول الله ثم فدى نفسه بها وأعانه عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور
المشركين توفي نوفل بالمدينة بعد خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنهما

وقيل ان العباس أسلم قبل وقعة بدر وكان يخفي اسلامه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم
ان يفدي نفسه قال علام تأخذ مني الفداء وقد كنت أسلمت أنا وأم الفضل وفي نسخة أني
مسلم ولكن القوم استكرهوني على الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ظاهر
أمرك انك كنت علينا ولكن الله تعالى يجزيك على ما أخذ منك وأنزل الله تعالى
يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا الآية ولما نزلت قال
العباس يا رسول الله لوددت انك كنت أخذت مني أضعافا والمأخوذ منه مائة أوقية من
الذهب كما في الامتاع وقدم النبي صلى الله عليه وسلم على غيرهم من أسرى بدر وخلى

سلهم بن عمرو ففدى نفسه كالعباس رضي الله تعالى عنه ولما فدى العباس نفسه رجع الى مكة وأظهر اسلامه وجمع أمواله وهاجر الى المدينة ولازمه صلى الله عليه وسلم في غزواته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعظمه وكانت الصحابة تعظمه وتقدمه ويشاورونه ويأخذون برأيه ولما قيل له أيما أكبر أنت أو النبي صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله

قال ابن اسحاق ولما بلغ النجاشي نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان جعفر إذ ذاك بأرض الحبشة فأرسل الى النجاشي والى أصحابي ذات يوم فدخلنا عليه فوجدناه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقال اني أبشركم بما يسركم انه قد جاءنا من نحو أرضكم عين لي فأخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه تقابل فقال له ببدر فنكب الله أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جعفر الملك جالس على التراب وعليك هذه الثياب قال انا نجد فيما أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله تعالى ان يحدثوا لله تواضعا اذا أحدث لهم نعمة قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر وقتل أفاضل رؤسائهم قالوا ان ثأرنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله تعالى عنهما فيما أسلفناه قبل ذلك ومعهما هدايا فهو من كفار قريش الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا وتحفا للنجاشي فلما وصلا اليه ردهما خائبين ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ذلك بعث الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه بكتاب يوصيه فيه على المسلمين الذين عنده بالحبشة

وقدمت في الكلام عليه في الفصل الثاني في الهجرة الى الحبشة من الباب الثاني من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وسيأتي الكلام على ذلك في قدوم جعفر من الحبشة في غزوة خيبر

وقال ان عمرو بن العاص اسلم على يد النجاشي ولهذا لغز وقال ما هو الصحابي الذي اسلم على يد تابعي ومستأنفا ما قاله بعض أهل السير حكاية عن عمرو بن العاص عن نفسه من انه قال لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلموا والله اني أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا واني قد رأيت أمرا فما ترون فيه قالوا وماذا رأيت قال رأيت ان نلحق بالنجاشي فنكون

فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكون تحت يديه أحب الينا من ان نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأي قلت فاجمعوا له ما نهدي له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه اليه في شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده قال فقلت لاصحابي هذا عمرو بن امية الضمري لو قد دخلت على النجاشي وسألته اياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش اني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت اصنع فقال مرحبا بصديقي أهديت الي من بلادك شيئا قال قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا قال ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه قال أتسألني ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام لتقتله قال قلت أيها الملك أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى اصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت اصحابي اسلامي ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت اين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام المنسم وان الرجل لنبي اذهب والله أسلم فحتى متى قال قلت والله ما جئت الا لاسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله اني أبايعك على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا اذكر ما تأخر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها قال فبايعته ثم انصرفت قال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم ان عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين اسلما

واختلفت الصحابة فيما يفعل بالاسارى فمنهم من أشار بقتلهم ومنهم من أشار بفدائهم
قال في المواهب وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلماء ان الامام مخير
فيهم ان شاء قتل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان شاء فادى بمال
كما فعل باسارى بدر وان شاء استرق من أسر وان شاء من وأطلق من غير شئ وهذا
مذهب الشافعي وطائفة من العلماء

ولما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وخرج من مضيق الصفراء قسم
النفل (أي الغنيمة) وكانت الابل وأفراسا وسلاحا وأنطاعا وثيابا وأدما كثيرا كان
قد جلبه المشركون للتجارة غنيمة فرس ونادى الني صلى الله عليه وسلم من قبل قتيلا
فله سلبه وأنزل الله تعالى في أصحاب بدر يسألونك عن الانفال الآية وأول من حل
له أكل الغنائم وأخذها من هذه الامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الانبياء من قبل
يجاهدون ويقاتلون ويستعبدون الارقاء ولكن ما كانت الغنائم تحل أكلها
لهم واذا غنموا من أموال المجاهدين شيئا كانت تنزل نار فتحرقه وكان ذلك علامة
قبولهم

وفي الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت
لكم الجنة ويضرب بأهل بدر المثل في عدم المؤاخذة قال بعض الشعراء

يا بدر أهلك جاروا * وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي * وحسنوا لك هجري
فليصنعوا كيف شاؤا * فانهم أهل بدر

(وقال ابن الفارض)

فما صنع القوم ما شاؤا لانفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وأول أبيات الشاعر السابق فيها من المحسنات البديعية غير التلميح نوع يقال له غرسة
الالفاظ لاسيما اذا كان المخاطب اسمه بدر وهو ان يسوق الشاعر أو الناثر وقعة
أو نكتة يستجمع فيها من الكلام أو من الوقائع وهو غير الوقوع وان حصل للشاعر
أو الناثر في ذلك قرائن بعد بيت الركان بقوله كما في لابن حجة الحموي حسام
الدين لولو صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر
القلزم وظفر الحاجب بهم وقال ابن حجة مخاطبا الفرنج

عدوكم

فدونكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر فى البحر لا يخفى من الغرر

ومنه قول الصفى الحلى فى بديعيته

ومن غدا اسم امه نعت الامة * فتلك آمنة من سائر النقم

ومنه قول ابن الساعاتى وقد قصد الملك الناصر يوسف قائلا عند ذكره مثل يعقوب

من حزن الشام خاطبنا لا فرح * دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف *

ومن غريب الاتفاق ما نقل من ان المأمون صنع تابوتا يحمله جماعة من الغلمان على أكتافهم ويطوفون به فى خلال البستان والمأمون جالس وعنده جوارى أخيه هارون الرشيد وجده موسى الهادى فدعا الشعراء ذات يوم ليقولوا فى ذلك شيئا فأنشدوا ما عندهم الا ابا نواس فسأله المأمون فتلا قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة فلمح بالسكينة لنفسه الخليفة المأمون وبالبقية للجوارى وموسى وهارون لانه وجد وهذا وان كان من غريب الاتفاق الا انه لا يخلو عن التهور والخروج عن اللائق والمراد أهل بدر فى الحديث الذين حضروا وقعتها مع النبى صلى الله عليه وسلم استشهدوا فيها أم لا لانهم ارتقوا الى مقام ... الانعام عليهم بمغفرة ذنوبهم السابقة واللاحقة فلا يؤاخذهم بها لسابقتهم فى الله ونصرهم دينه والمراد اظهار العناية بهم لا الترخيص لهم فى كل فعل والخطاب لقوم منهم على انهم لا يقارفون ذنبا وان قارفوه لم يصروا وقال القرطبى هذا خطاب اكرام وتشريف تضمن ان هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وأهلوا لان يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة ولا يلزم من وجود الصلاحية لشئ وقوعه ولقد أظهر الله تعالى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به عنهم فى ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال أهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا وان قدر صدور شئ من أحدهم بادر الى التوبة

والشهداء ثلاثة أقسام الاول شهيد فى حكم الدنيا والآخرة فى ترك الغسل والصلاة عليه وهو من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا والثانى شهيد فى الدنيا دون الآخرة وهو من قاتل رياء وسمعة ويقتل ولا يغسل ولا يصلى عليه والثالث شهيد فى الآخرة فقط وهو المطعون والمبطون والغريق والحريق والمهدوم وطالب العلم اذا مات على طلبه والمرأة تموت فى الولادة ومن قتل مظلوما أو دون أو باع فى غربته ... وكل هؤلاء يغسلون

وتصلي عليهم وهم شهداء في الدار الآخرة لا في الدنيا قاله الامام الرافعي لان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قتلا وهما شهيدان بالاجماع اه‍ استطراد للمناسبة وقال عمر بن عبد العزيز كان أبي اذا خطب ونال من علي تلجلج في كلامه فقلت يا أبت انك تمضي في خطبتك فاذا أتيت الى ذكر علي عرفت منك تقصيرا قال أوفطنت لذلك قلت نعم قال يا بني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم لتفرقوا الى أولاده فلما ولي عمر الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكبه في هذا الامر العظيم لاجله فكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان فحل هذا الامر عند الناس محلا عظيما وأكبروا ومدحوه حتى قال كثير في أبياته في حق عمر بن عبد العزيز

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم

ونقل انه قال ان سبب محبتي عليا اني كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك أي في سب علي فأتيته يوما وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه فلما فرغ التفت الي وقال متى علمت ان الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم فقلت لم أسمع بذلك قال فالذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا الا بخير اه‍ ولا مانع ان يقال انه بحسن سريرته السرية وسيرته عدله العمرية لما رأى الحق للامام علي أبطل من عهده ما عهده على المنابر وهذا ما يقتضيه حسن الظن في حق هذا الخليفة الموصوف بالعدل في الباطن والظاهر بدليل استبداله ذلك بالآية الشريفة وهي ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر فيحمل ذلك الامر بعدم السب والنهي عنه اذ هو من الفحشاء والمنكر لاسيما وان الغالب في الخلفاء والسلاطين والملوك انما يأمرون بما يأمرون به من تلقاء أنفسهم كأمر الخليفة المعتضد بالله بسب معاوية على المنابر كما حكاه ابن جرير وان صح انه أمسك عن ذلك بعد ان أنشأ كتابا قرئ على المنابر فيه سب معاوية وعابه حتى قيل له ان هذا يثير على العامة الخوارج علينا في كل بادية فاذا سمعوا سب معاوية مال اليهم كثير من الناس وخرجوا عن طاعة الخليفة فيكون عمر بن عبد العزيز بادر بازالة المنكر من بدايته الامر به بدون ان ينظر لمصلحة ومانع وهذا فضله أكمل

روى

روى انه لما سئل عن علي ومعاوية قال دماؤهم قد طهر منها سيوفنا أفلا نطهر من الخوض فيها ألسنتنا

(وفي منتصف شوال من هذه السنة الثانية كانت غزوة بني قينقاع)

بضم النون واسكان الياء وتثليث النون بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي المنافق وسائر الخزرج فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بني قريظة والنضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على ان ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه فكانوا أول من غدر من يهود وبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وتشبث به عبد الله بن أبي ابن سلول وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى الآية فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله ان ينزل عليكم مثل ما نزل بقريش من النقمة (أي ببدر) اسلموا فانكم قد عرفتم اني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وقد قالوا ذلك لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية فبينما هم على بغيهم وعنادهم بكفرهم اذ جاءت امرأة كانت تحت رجل من الانصار الى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ منهم في أمر حلي لها فجاء رجل من بني قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فخل درعها الى ظهرها بشوكة فلما قامت انكشفت فضحكوا منها فقام اليه رجل من المسلمين فاتبعه فقتله فقتل اليهود المسلم ونبذوا العهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم واما تخافن من قوم خيانة الآية فتحصنوا في حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا سبعمائة منهم أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيلهم وان يخرجوا من المدينة وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال والسلاح فخمسها وأمر صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وأن يمهلهم فوق الثلاث

فقال ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم سعيد وذهبوا الى أذرعات بلد بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم حيث قال لابن أبي ابن سلول لا بارك الله لك فيهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا وأخذ صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي منها القوس المسماة بالكتوم التي لا يسمع لها صوت اذا رمي بها وهي التي رمى بها صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأخذ صلى الله عليه وسلم درعين منهما الدرع المسماة بالسعدية بسين مهملة وعن بعضهم انه قال انها درع داود التي لبسها حين قتل جالوت وأخذ صلى الله عليه وسلم ثلاثة أرماح وثلاثة أسياف وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم وكانوا صاغة لا أرض لهم وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة

(وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة السويق)

لما أصاب قريش في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا ويثأر منه ومن أصحابه عن أصيب من المشركين يوم بدر فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بنذره حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى ليلا الى بني النضير وهم حي من يهود خيبر ينتسبون الى هارون بن عمران نجيب الله فأتى حيي بن أخطب وهو من رؤساء بني النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها الطاهرة ليأخذ اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحب ان يعرفه فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم (أي المال الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه للنوائب وما يعرض لهم وكان حليا يعيرونه لأهل مكة) فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به وسقاه خمرا فلما كان الليل خرج أبو سفيان ومن معه فلقي رجلا من الانصار في حرث له فقتله وقتل أجيرا كان معه وحرق بيتهما ورأى ان يمينه قد حلت فمضى هاربا وقد خاف الطلب وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من المهاجرين والانصار في طلبهم وكان خروجه لخمس من ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب ويلقون جرب السويق من قمح أو شعير مطحون وهو عامة أزوادهم فأخذها المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام ولالقاء السويق من جهة القوم فيها وأخذ المسلمين له ذلك سميت غزوة السويق ولم يلق فيها كيدا

وفي

وفي هذه السنة مات عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وفيها أيضا هلك أمية بن أبي الصلت من رؤساء الكفار قرأ الكتب واطلع على الإنجيل فكفر حسدا لأنه رجا أن يكون هو المبعوث ونزل في حقه قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وكان سافر إلى الشام ورجع عقب وقعة بدر الشامية فمر بالقليب وفيه قتلى بدر وكان ممن في القليب عتبة وشيبة ابنا خال أمه فجدع أذني ناقته وقال قصيدة

هلا بكيت على الكرا * م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام على فرو * ع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكيـ ـنات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيا ت المعولات من النوائح
ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح
شمط وشبان بهاليل مغاوير دحادح
إن قد تغير بطن مكة فهي موحشة الأباطح

وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها لأن أمية كان يحرض قريشا بعد وقعة بدر على المسلمين ومع ذلك فله أشعار تفهم منها ميله إلى اعتقاد أن دين الإسلام حق فمن ذلك قوله

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

الحمد لله ممسانا ومصبحنا * بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها * مملوءة طبق الآفاق سلطانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا * ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربينا آباؤنا هلكوا * وبينما نقتني الأولاد أفنانا
وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا * أن سوف يلحق أخرانا بأولانا

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن كاد أمية ليسلم وروي أن أمية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف الثقفي لما مرض مرضه الذي مات فيه جعل يقول قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي وأنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلا حتى ظن من حضره من أهله أنه قد قضى

ثم أفاق وهو يقول لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر
ثم انه بقي بعد ذلك من حضره ساعة ثم أغمي عليه ما شاء من شواهد حياته وأفاق وهو يقول لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

ثم أقبل على القوم فقال قد جاء وقتي فكونوا في أهبتي وحدثهم قليلا حتى يئس القوم

وكان أمية يعتقد في الجاهلية ويؤمن بالبعث وأدرك الاسلام ولم يسلم وانه لما غشي عليه وأفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في رؤس الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الوليد يوما ثقيلا
اجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الدهر ان للدهر غولا

ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر عن سهيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع قول أمية

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجدا

قال آمن شعره وكفر قلبه وكفر قلبه بعدم اعتقاده بالنبي صلى الله عليه وسلم وما سلف ذكره في الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الرابعة من عدة من آمن به صلى الله عليه وسلم كقس بن ساعدة والقصيدة التي فيها بشرت به صلى الله عليه وسلم وقيل فيه لا الادعان بعد البعث حمله على عدم الايمان الحسد واتخذ الجاهلية وعليه الشقاء وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة أيام انه كان في غزوة في سماع

(وفي هذه السنة الثامنة من الهجرة كانت وقعة ذي قار بين بكر بن وائل والفرس)
(حبس كسرى ابرويز والغلبة على المرزبان والهرمزان الفرس وقتل المرزبان)

وسبب هذه الوقعة المشهورة في أيام العرب يوم ذي قار أن كسرى ابرويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه فهلك في الحبس وكان النعمان قد أودع حلقته وهي السلاح والدرع

والدرع عند هانئ بن مسعود البكري فأرسل كسرى يطلبها من هانئ المذكور فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته وكان كسرى لما أمسك النعمان قد جعل موضعه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي فاستشار كسرى إياسا المذكور فقال إياس المصلحة التغافل عن هانئ بن مسعود المذكور حتى يطمئن وتتبعه فتدركه فقال كسرى إنه من أخوالك ولا تألوه نصحا فقال إياس رأي الملك أفضل فبعث كسرى بالمرزبان في ألفين من الأعاجم وبعث ألفا من بهرا (قبيلة) فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذي قار فنزلوه ووصلت إليهم الأعاجم واقتتلوا ساعة وانهزمت الأعاجم هزيمة فاضحة وأكثرت العرب الأشعار في ذكر هذا اليوم وقيل إن هذه الوقعة كانت في سنة أربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن في عام وقعة بدر وهذا القول هو الأقوى والأصح

(وفي هذه السنة كانت غزوة قرقرة الكدر)

وهي أرض مما يلي جادة العراق إلى مكة فيها طيور في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قوما من بني سليم وغطفان يريدون الإغارة على المدينة فسار إليهم في مائتين من أصحابه وجعل اللواء لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوصل إلى ذلك الموضع فلم يجد به أحدا منهم وأرسل نفرا من أصحابه إلى أعلى الوادي واستقبلهم في بطن الوادي فوجد خمسمائة بعير مع رعائها فغنمها فخمس الإبل فخص كل واحد بعيران ورجع إلى المدينة وقيل كانت هذه الغزوة في المحرم سنة ثلاث ويمكن أن يجمع بين القولين بأنها ابتدأت في أواخر شهر الحجة وانتهت إلى أول المحرم [illegible] وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم

(الفصل الثالث)

(في حوادث السنة الثالثة من الهجرة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة الثالثة من الهجرة كانت غزوة أنمار)

ويقال لها غزوة غطفان وغزوة أنمار وذي أمر بفتح الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء اسم ماء وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين ثم ثاء مضمومة ابن الحارث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب [illegible]

ذي أمر غطفان تسمى بذي أمر باسم الماء الذي به يريدون الاغارة على أطراف المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في اربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول في السنة الثالثة من الهجرة واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا في رؤس الجبال وفي هذا المحل أصاب صلى الله عليه وسلم المطر الكثير فبل ثيابه وثياب أصحابه فنزع صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على الشجرة ليجفا واضطجع فرآه من المشركين فبعث المشركون دعثورا الذي هو سيد القوم وأشجعهم فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به فجاء ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله ودفعه جبريل في صدره فوقع على ظهره فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني اليوم فقال لا أحد وكن خير آخذ فتركه وعفا عنه فقال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله والله لا أجمع الناس عليك أبدا فدفع له النبي صلى الله عليه وسلم سيفه فقال دعثور والله لأنت خير مني ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفعه في صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فأسلمت فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

وفي هذه السنة في شهر رمضان ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وكانوا قد سموه حربا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وحنكه بتمرة وفيها قتل محمد بن مسلمة الانصاري كعب بن الاشرف اليهودي وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وذلك ان عثمان بن عفان خطب حفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها فرده عمر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي فكان ذلك فتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج عثمان أم كلثوم

(وفي هذه السنة كانت غزوة بحران)

بفتح الباء الموحدة وقد تضم وسكون الحاء المهملة ساكنة وهو موضع بالحجاز بينه وبين المدينة ثمانية برد وهي هذه الغزوة غزوة بني سليم

لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بنجران جمعاً كثيراً من بني سليم فخرج في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى من السنة الثالثة من الهجرة فأحث السير حتى بلغ نجران وكان قبل أن يصل إلى ذلك بليلة لقي رجلاً من بني سليم فأخبره أن القوم تفرقوا فحبسه إلى أن وصل فوجدهم كذلك قد تفرقوا ورجعوا إلى مياههم فأقام صلى الله عليه وسلم ولم يلق حرباً وكانت غيبته عشر ليال وكان قد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم

(وفي هذه السنة كانت غزوة أحد)

وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة باتفاق الجمهور وأحد بضمتين وهو جبل من جبال المدينة على نحو ميلين منها يقصد لزيارة مشهد سيدنا حمزة ومن معه من الشهداء وقيل إنه أفضل الجبال

لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله تعالى عنهم فإنهم أسلموا بعد ذلك ورجال آخرون من أشراف قريش إلى أبي سفيان رضي الله تعالى عنه فإنه أسلم بعد ذلك أيضاً وإلى من كان له تجارة في تلك العير التي كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لأربابها فقالوا إن محمداً قد وتركم أي قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا وقالوا نحن طيبو النفوس أن تجهزوا بأرباح تلك العير جيشاً إلى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من يجيب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي فجمع لأهل العير رؤوس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار ديناراً وقيل نصف دينار وأنزل الله في تلك الحادثة آية إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم أبو سفيان ابن حرب وساروا من مكة حتى نزلوا بذي الحليفة مقابل المدينة يوم الأربعاء لأربع مضين من شوال وذو الحليفة هو ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه

وقد أخرج أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقراً تنحر فأولت أن الدرع المدينة وأن البقر

أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها فقالوا والله ما دخل علينا في الجاهلية أفيدخل علينا في الإسلام قال فشأنكم إذاً فذهبوا فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته فقالوا ما صنعنا رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه فجاؤا فقالوا شأنك يا رسول الله قال الآن إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل وأخرج أحمد والبزار والطبراني والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل المشركون يوم أحد كان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا نخرج بنا يا رسول الله نقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ثم ندموا فقالوا يا رسول الله أقم فالرأي رأيك فقال ما ينبغي لنبي أن يضع أداته إذا لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه اهـ واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم

وخرج صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه وصار بين المدينة وأحد ونزل الشعب من أحد وجعل ظهره إلى أحد ثم كانت الوقعة يوم السبت للنصف من شوال وعبأ عليه أصحابه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لأبي بردة ولواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار وعلى ميمنة المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ولواؤهم مع بني عبد الدار وجعل صلى الله عليه وسلم الرماة وهم خمسون وراءه والتقى الناس ودنا بعضهم من بعض وقامت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله تعالى عنها فإنها أسلمت بعد ذلك وأم حكيم بنت طارق زوج عكرمة رضي الله تعالى عنها في النسوة اللاتي معها أخذن يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن المشركين على القتال لحرب المسلمين وتقول

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق * أو تدبروا نفارق
* فراق غير وامق *

يريدون نحن بنات الكوكب وإنه لا ينال وقال ابن زملة بنت طارق وأم حكيم بنت طارق قالت ذلك وقالته النساء معهن وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع قولهن هذا قال اللهم بك أحول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل واشتد القتال بين أصحاب

لواء

لواء المشركين ورأى النساء رجالهن أدار أعطافهن حتى ولوا وتركن ما كن فيه
وانهزم المشركون حتى انهزمت هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات ما دونهن مانع ولا
دافع حتى لو شاء المسلمون لأخذوهن ودخل المسلمون عسكر المشركين
وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتال الأسد الشديد وقتل أرطاة حامل لواء
المشركين الى ان قتل ضربه وحشي عبد جبير بن مطعم وكان حبشيا يجر به فقتله وكان
حمزة مشغولا عنه بقتال سباع بن عبد العزى وفي قتل وحشي حمزة يقول حسان

ما للشقي دنس أزرا حكم * سلب بدا وحشي من قاتل

وقتل أيضا مصعب بن عمير حامل لوائه صلى الله عليه وسلم فظن قاتله انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لقريش اني قتلت محمدا وشاع ذلك وانتهى النضر بن انس الى
جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما
تصنعون في الحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه فاجتهدوا في القتال ثم ان كعب
ابن مالك الشاعر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته بشر الناس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أنصت فاجتمع عليه المسلمون ونهضوا معه نحو
الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير والحارث بن الصمة الانصاري وغيرهم وأدركه
أبي بن خلف في الشعب فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وطعنه
بها في عنقه فكر أبي بن خلف منهزما وقال له المشركون ما بك من بأس فقال والله لو
بصق علي لقتلني فمات بسرف وهم قافلون وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على رجل قتل نبيا أو قتله نبي فمات عدو الله في مرجعهم الى مكة
وكان أبو عزة الجمحي أحد رؤساء حزب المشركين ووقع أسيرا في بدر فمن عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه ان لا يكثر عليه جمعا وأرسله بغير فدية فلما كان يوم أحد
ظاهر قريشا وخرج معهم للحرب فأسر من الغد فلما وجهوه للسيف وقال ان
لمحمد عندي حسنى أطلقني يوم بدر فلم يزالوا به حتى خرج معهم فأسر يوم أحد فضرب
عنقه وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الذي جدع أنف حمزة ومثل به ممن مثل
فانهزم يوم أحد فمشى على وجهه فبات قريبا من المدينة فلما أصبح دخلها فأتى منزل
عثمان بن عفان بن أبي العاص فضرب بابه فقالت له امرأته أم كلثوم بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس هو هنا فقال ابعثي اليه فان له عندي ثمن بعير ابتعته منه عام
الاول وجئته به فأرسلت اليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال

لمعاوية أهلكتني وأهلكت نفسك بما جئت به قال يا ابن عم لم يكن احد أقرب إليّ ولا أمس رحماً بي منك فجئتك لتجيرني فأدخله عثمان داره وصيّره في ناحية منها ثم خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ له منه أماناً فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن معاوية بالمدينة وقد أصبح بها وقال اطلبوه فقال بعضهم ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه فيه فدخلوا منزل عثمان فأشارت ام كلثوم الى الموضع الذي صيّره عثمان فيه فاستخرجوه من تحت حمارة لهم فانطلقوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان حين رآه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لأطلب له الامان فهبه لي فوهبه له وأجّله ثلاثاً وأقسم لئن وجد بعدها يمشي من أرض المدينة وما حولها ليقتلن وخرج عثمان فجهزه واشترى له بعيراً وقال ارتحل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد وأقام معاوية الى اليوم الثالث ليعرف اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ويأتي بها قريشاً فلما كان اليوم الرابع قال صلى الله عليه وسلم ان معاوية قد أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه فطلبوه فأصابوه وقد أخطأ الطريق فأدركوه وكان اللذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرماه بالنبل حتى مات ومعاوية هذا ابو عائشة بنت معاوية ام عبد الملك بن مروان

ولما قتل مصعب اعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية علي بن ابي طالب وانهزم المشركون فطمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بملازمته فأتى خالد مع خيل المشركين من خلفهم وصرخ ابليس ان محمداً قد قتل وانكشف المسلمون واصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء على المسلمين وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعداً وكان عدة الشهداء منهم سبعين رجلاً وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابته حجارتهم حتى وقع واصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفتاه والذي كسر رباعيته عتبة بن ابي وقاص والذي شج وجهه عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته وجعل الدم يسيل على وجهه الشريف وهو يقول كيف يفلح أمة خضبت وجه نبيها اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون والى ذلك اشار من قال

وأهلك قومه في الارض نوح * بدعوته لا تذر ربي فأفنى
ودعوة احمد رب اهد قومي * فهم لا يعلمون كما علمنا

ونزل في ذلك قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون

وضرب

ورمي بالمصطفى على شقه الأيمن فجرح وجهه ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته
الشريفة من الضربة فنزع أبو عبيدة عامر بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى
الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي عبيدة الواحدة ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى
ومالت هند وصواحبها بالتمثيل من الصحابة يجدعن الآذان والأنوف وبقرت هند عن
كبد حمزة ولاكتها وصعد زوجها أبو سفيان على الجبل وصرخ بأعلى صوته الحرب
سجال يوم بيوم يوم أحد بيوم بدر أعل هبل أي زد علوا فقال صلى الله عليه وسلم
قم يا عمر فأجبه فقال الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وفي الصحيح
أن أبا سفيان قال إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه إن موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ثم التمس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه فقال لئن أظهرني الله
بقريش لأمثلن بثلاثين منهم فلما رأى المسلمون حزنه وغيظه على ما فعل
بعمه قالوا لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد فأنزل الله تعالى وإن
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فكفر عن يمينه ونهى عن المثلة

وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما رأينا المصطفى باكيا قط أشد من بكائه على حمزة
وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم يا أسد
الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات وليس هذا نوح
ولا تعديد شمائل بل إنه إظهار صفاته وشمائله ثم أمر فسجي ببرده ثم أتى بالقتلى
يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه وهذا دليل لأبي حنيفة فإنه يرى الصلاة على الشهيد
خلافا للشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى ثم أمر بحمزة فدفن واحتمل أناس من المسلمين
إلى المدينة فدفنوا بها ثم نهاهم صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وقال ادفنوهم حيث
صرعوا وقال ودفن معه في قبره عبد الله بن جحش وأصيبت عين قتادة فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت بعد ذلك أحسن عينيه وكان ساقطا بها
ثم جرت حتى ردها على وجنته وهو بين السهام يوجهه عن وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم واستشهد أنس بن النضر عم أنس بن مالك ووجد به بضع وثمانون ... أو رمية
فنزلت من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية

ونزل في شهداء أحد كما رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله (أي لأجل دينه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد) أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون من ثمار الجنة قال الصاوي وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين قال القاضي زكريا وهو غلط إنما نزل فيهم آية البقرة

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وأما ملك الجبال وقد بعثه إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً وكان دأبه صلى الله عليه وسلم الصفح الجميل وكان صفحه شكراً للنصر والظفر كما قال عند فتح مكة لأهلها وكانوا قد أخرجوه منها وهي أحب البقاع إليه أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وكان ممن استشهد في أحد سعد بن الربيع وأخذ ميراثه أخوه وكان لسعد ابنتان وكانت امرأته حاملاً وكانت المواريث على عوائد الجاهلية ولم تكن الفروض نزلت فنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فدعا أخا سعد فقال أعط ابنتي أخيك ثلثي الميراث وادفع إلى زوجته الثمن والباقي لك ولم يورث الحمل يومئذ ثم ورث بعد ذلك

قال النووي في الروضة إن تحريم الخمر كان بعد غزوة أحد وذكر أرباب السير أنه كان في حصار بني النضير في ربيع الأول سنة أربع ولم يباشر صلى الله عليه وسلم القتال في غزوة من الغزوات إلا في أحد ولم تقاتل معه صلى الله عليه وسلم من الملائكة إلا في بدر وإلا في حنين وأحد ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء في وجوه القوم في شيء من الغزوات إلا في هذه الثلاث على خلاف في الثانية ولم يجرح أي لم يصب صلى الله عليه

وسلم

وسلم جراحة في غزوة من الغزوات إلا في أحد ولم ينصب صلى الله عليه وسلم المنجنيق في غزوة من الغزوات إلا في غزوة الطائف وغاية نصبه على بعض حصون خيبر ولم يتحصن بالخندق إلا في غزوة الأحزاب

(وفي هذه السنة الثالثة من الهجرة كانت غزوة حمراء الأسد)

وهو جبل بناحية العقيق بينه وبين المدينة ثمانية أميال وذلك أنه لما كان صبيحة يوم أحد وهو سادس عشر شوال من هذه السنة أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس فخرج ومن خرج على ما بهم من الجهد والجراح حتى كان أسيد بن حضير به تسع جراحات يريد أن يداويها فلما سمع النداء ترك المداواة مسارعة لطاعة الله ورسوله وسار عليه الصلاة والسلام طالبا لقاء العدو حتى انتهى إلى حمراء الأسد وكان المشركون قد صاروا النهار أحمد ودفع لواءه وهو معقود لم يحل إلى علي أو إلى أبي بكر إظهارا للقوة وإرهابا للعدو وأقام بها ثلاثا ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد معبد بن أبي معبد الخزاعي سائرا إلى مكة ولقي أبا سفيان وكفار قريش بالروحاء فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم وقالوا قد أجمعنا الكرة على المسلمين لنستأصل بقيتهم فقال معبد الخزاعي إني أنهاكم عن ذلك فلا ترجعوا إلى المدينة وثبط عزم أبي سفيان عن الرجعة وكبر عليهم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا مسرعين على ظهورهم حيث لم يأمنوا أن تكون الدولة للمسلمين حتى أتوا مكة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وكان خليفته على المدينة ابن أم مكتوم

(الفصل الرابع)

(في حوادث السنة الرابعة من الهجرة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة كانت غزوة بني النضير)

ونقل عن النووي في الروضة أن غزوة بني النضير كانت سنة ثلاث وأن تحريم الخمر كان بعد غزوة أحد وكلامه يدل على أن تحريم الخمر كان سنة ثلاث ورجح الدمياطي أنها في صفر وأن التحريم كان في السنة الثالثة والقول أن التحريم كان السنة الرابعة

المشهور وهناك قول آخر راجح وهو انها كانت في غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة
بدليل ان أنسا كان ساقيهم ولما ورد النهي عن ذلك أراقها ولو كان ذلك سنة أربع
لكان أنس يصغر عن ذلك ويرجحه قولهم ان تحريم الخمر كان قبل الفتح وربما يجمع
بين الاقوال بما رواه أحمد عن أبي هريرة انها حرمت ثلاث مرات قال قدم المصطفى
المدينة وهم يشربونها ويأكلون الميسر فسألوه عنهما فأنزل الله تعالى يسألونك عن
الخمر والميسر الآية فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير ومنافع للناس
وكانوا يشربون الخمر حتى صلى يوما رجل من المهاجرين وأم أصحابه في المغرب فخلط في
في قراءته فأنزل الله تعالى الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربونها ويقصدون وقت ثم نزلت الآية
التي في المائدة بالتأكيد وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الى قوله تعالى فهل أنتم منتهون
قالوا انتهينا ربنا

قال المفسرون لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
وقوله كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب بين لهم الله في
هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات والحلال بل هما من جملة
المحرمات وروى أبو ميسرة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
الآية فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي
في المائدة يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه الى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال قد
انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو
داود والنسائي

وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك
قبل ان تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل

منكم

منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل
فضرب رأس سعد ففزره فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر إلى قوله فهل أنتم منتهون

وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى ثملوا وعبث
بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا
أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تحريم الخمر في هذه الآية
يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون وقوله فهل أنتم منتهون
لفظه استفهام ومعناه الأمر أي انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لأنه تعالى ذم الخمر
والميسر وأظهر قبحهما للمخاطبين كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف
والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الأمور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم
تزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لأن الله تعالى قرن الخمر والميسر
بعبادة الأصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة منهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما
وقال في آخر الآية فهل أنتم منتهون ومعناه الأمر وقال بعضهم الحكمة في وقوع
التحريم على هذا الترتيب أن القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم به كثيرا
فعلم الله تعالى أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج
والرفق

وسبب تلك الغزوة على بني النضير أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم ليستعين بهم في دية
رجلين من بني كلاب بن ربيعة موادعين له كان عمرو بن أمية الضمري قد قتلهما
في رجوعه من بئر معونة ظانا أنهما حربيان وكان النبي عاهدهما أمانا ولم يشعر به
عمرو وكان صلى الله عليه وسلم قد عاهد مع بني النضير على ترك القتال وعلى أن يعينوه
في الديات فحضر إليهم وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة منهم أبو بكر وعمر
وأسيد بن حضير فأجلسوهم تحت جدار من بيوتهم وأرادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم
وأمروا أن يصعد رجل إلى الجدار ويلقي عليه رحى فلما علم بذلك انصرف عنهم إلى المدينة
حيث كان ذلك منهم نقضا للعهد وأرسل إليهم أن اخرجوا من بلدي لأن مساكنهم
كانت من أعمال المدينة فأبوا الخروج وأذنوا بالمحاربة فحاصرهم وغزاهم وجاء مرة
في ربيع الأول وبعد [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى

على ان لهم ثلث ما حملت الابل من أموالهم الا السلاح وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم وأرضهم فأجابهم الى ذلك فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير تجلدا فمضى من بني
النضير الى خيبر وناس الى الشام وغنم أموالهم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خالصة له دون المسلمين لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب يقسمها كيف شاء
وجد شاء الا سهل بن حنيف وأبا دجانة فذكرا فقرا فأعطاهما منه شيئا

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أموال بني النضير قال للانصار ان
اخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال بينكم وبينهم
جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم قال السعدان سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت فقالت الانصار مثل ذلك
تبعا للسعدين ففرح صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار
وأبناء أبناء الانصار وأنزل الله فيهم قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة أي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون فلهذا قسم صلى الله عليه وسلم الاموال على
المهاجرين بحسب ما اقتضته المصلحة فعين لابي بكر وعبد الرحمن بن عوف وصهيب
وابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ضيعة معروفة ومن الانصار أعطى سهل بن حنيف
وأبا دجانة لذكر فقرهما وفي بني النضير نزلت سورة الحشر التي سماها ابن عباس رضي
الله عنه سورة النضير كما رواه سعيد بن جبير

وفي سنة أربع قصرت الصلاة الرباعية الى ركعتين في السفر وهذا مبني على ان هذه
الصلاة أربعة تامة ثم قصرت في السفر وقيل انها فرضت في الحضر أربعا وفي السفر
ركعتين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره كذا في المواهب اللدنية وفي الوفا
الذي عليه الاكثر ان الصلاة نزلت تامة من بدء الامر والله أعلم وقد سبق التنبيه
الى ذلك في الفصل الاول من الباب الثاني في بعثه صلى الله عليه وسلم

وفي هذه السنة الرابعة نزلت آية التيمم وهي قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا قال في معالم
التنزيل وكان بدء التيمم ما روي عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي

بكر

بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه فجاء
أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام
فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء
فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر ثم قال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني
من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن
حضير وهو أحد النقباء وكان رئيسا في الجاهلية والإسلام ما هي بأول بركتكم يا آل
أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وقوله فتيمموا
الصعيد أي ائتوه واعلم من خصائص هذه الأمة لتسهيل عليهم أسباب العبادة ويدل
على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس
بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت الأرض كلها لنا مسجدا وجعلت
تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء أخرجه مسلم

وفي السنة الرابعة في ذي القعدة كان رجم اليهوديين اللذين زنيا ونزل قوله تعالى ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وفي العمدة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا
زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا
نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة
فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله
ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فأمر بهما النبي
صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة والذي وضع
يده على آية الرجم عبد الله بن صوريا

واختلف العلماء في أن الإسلام هل هو شرط في الإحصان أم لا فذهب الشافعي إلى أنه
ليس شرطا فإذا حكم الحاكم على الذمي المحصن رجمه ومذهب أبي حنيفة أن الإسلام
شرط في الإحصان واستدل الشافعي بهذا الحديث ورجم النبي صلى الله عليه وسلم
اليهوديين وأجاب بعض السادة الحنفية عنه بأن قالوا رجمهما بحكم التوراة فإنه سألهم عن ذلك
وأن ذلك عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقالوا إن حد الزنا نزل بعد ذلك
فكان ذلك الحديث منسوخا وهذا يحتاج إلى معرفة التاريخ أعني القول بالنسخ وقوله

(نهاية الاعتبار)

قد رأيت الرجل يجي على المرأة المحدق الرواية بفتح الشين المعجمة وسكون الجيم وفتح النون والمعنى أي يعسل ومنه المحدق وفي كلام بعضهم ما يشعر بأن اللفظة بالحاء المهملة يقال حبى الرجل يحبو حبوا اذا أكب على الشيء فحصل من هذا ان السادة الحنفية يشترطون في الرجم الاسلام وقد استدلوا على ذلك بما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس وهو في المسجد فناداه يا رسول الله اني زنيت فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال يا رسول الله اني زنيت فأعرض عنه فجاء لشق وجهه حتى في ذلك أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبك جنون قال لا يا رسول الله فقال أحصنت قال نعم يا رسول الله قال اذهبوا به فارجموه انتهى والرجل ماعز بن مالك رضي الله عنه

وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سمع جابر بن عبد الله يقول كنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلى فلما اذلقته الحجارة (بالذال المعجمة والقاف أي أوجعته وأوهنته) هرب فأدركناه بالحرة فرجمناه ويستدل للرجم أيضا بما روى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني انهما قالا ان رجلا من الاعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنشدك الله الا ما قضيت بيننا بكتاب الله تعالى فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله تعالى وائذن لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته واني أخبرت ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني انما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله تعالى أما الوليدة والغنم فرد عليك وأما ابنك فان عليه جلد مائة وتغريب عام ثم قال لرجل من أسلم اغد يا أنيس الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها قال فغدا اليها فاعترفت فرجمت قوله إلا قضيت بيننا بكتاب الله تطلق هذه اللفظة على القرآن خاصة وقد تطلق على حكم الله مطلقا والاولى حمل هذه اللفظة على هذا لانه ذكر فيه التغريب وليس ذلك منصوصا في كتاب الله الا أن يوجه ذلك بواسطة أمر الله بطاعة الرسول واتباعه وفي قوله ائذن لي حسن الادب في المخاطبة للاكابر وقوله كان عسيفا

اى

أي إسقاطًا لحقه وإنما قذفت به أي من الرجم وقوله رددته عليك الله أي ... نصبًا على اسم
المصدر على اسم المفعول وقال في النهاية وجه الرجم لأنه صلى الله عليه وسلم أمر برجم
الغامدية وماعز وكانا محصنين وأخرج ماعز إلى الحرة وقيل إلى البقيع ففر إلى الحرة
فرجم بالحجارة حتى مات

وصار رواه الجماعة أنه عليه الصلاة والسلام رجم المرأة التي زنى بها العسيف وقال عليه
الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد
إحصان وقتل النفس بغير حق وقال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر مما أنزل
في القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وسيأتي قوم ينكرون ذلك ولولا
أن الناس يقولون إن عمر زاد في كتاب الله لكتبتهما في حاشية المصحف وعليه إجماع
الصحابة رضي الله عنهم ووصل إلينا إجماعهم بالتواتر ولا معنى لإنكار الخوارج الرجم
لأنهم ينكرون القطعي برجم النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مكابرة وعنادا وقوله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة عام في المحصن وغيره إلا أنها نسخت
في المحصن بما ذكر فبقي معمولا بها في غيره ويزاد على المائة لغير المحصن بالسنة
تغريب عام والرجم على المحصن بما ذكر ولا رجم عليه لأنه لا يتنصف وفي العيني أن
قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة نسخ في حق المحصن
فبقي في حق غيره معمولا به ويكفيه أي يكفي في الناسخ القطع برجم النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون من نسخ الكتاب بالسنة القطعية لأنه صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان
قد أحصن وثبوت الرجم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواتر المعنى

(وفي هذه السنة في جمادى الأولى كانت غزوة ذات الرقاع)

وقال النووي في الروضة إنها كانت لعشر خلون من المحرم سنة خمس والرقاع جمع رقعة
قيل سميت به لأن فيه حجارة وسودا أو لأن جبلهم كان به سواد وبياض أو لأن
صلاة الخوف كانت فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها أو لأنها غزوة فيها أقدام
الصحابة وتشققت أظفارهم حتى كانوا يلفون على أرجلهم الخرق ويقال للخرق رقاع
وتسمى غزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة وغزوة بني محارب وبني ثعلبة
وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بني محارب وبني ثعلبة أجمعوا جموعا من غطفان
لحربه فخرج في أربعمائة من أصحابه رضي الله عنهم فغزا نجدا يريد بني محارب وبني

فطلبه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم نجداً لم يجد بها أحداً غير نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعاً من غطفان فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم وهم غافلون حتى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة الخوف فهمّ بهم المشركون وقال قائلهم دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم فنزل جبريل عليه السلام عليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالأخرى أخريين ونزل بها القرآن وهي قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية وكفى الله المؤمنين شرهم بعد أن تعرض لهم بالأمر كمين منه لهم فلم يقدروا على ذلك أنه جاء رجل من غطفان وهو غورث بالغين المعجمة والثاء المثلثة فقال يا محمد أريد أن أنظر إلى سيفك هذا وكان محلى بفضة فدفعه إليه فاستله وهزه وهمّ به فكبته الله ثم قال يا محمد أما تخافني فقال له لا ما أخاف منك ثم رده عليه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم والمفسرون على أن هذه الحادثة كانت في غزوة أنمار المتقدمة ولا مانع من تعدد النزول لتعدد الأسباب كما هو ظاهر بعضهم ورجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

(وفي هذه السنة كانت غزوة بدر الموعد وتسمى غزوة بدر الصغرى ويقال)
(الصفرا بالفاء وبدر الثانية والآخرة)

وسميت بدر الموعد لأن أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام المقبل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فأقاموا وانتظروا ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة في ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من النبي صلى الله عليه وسلم فجمع قريشاً وقال لهم إنه لا يصلح هذا العام الجدب لما قال محمد فارجعوا ورجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحاً كثيراً وفيه نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفيها ولد الحسين رضي الله عنه

(وفي هذه السنة كانت غزوة الخندق ويقال لها غزوة الأحزاب)

وهي الغزوة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الإيمان في قلوب أوليائه

المس

النفس وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والنفاق المنافقين ولم تكن فيهما الغزوة
في شوال أو في ذي القعدة من السنة الخامسة كما ذكره أرباب السير بل صحح النووي
في الروضة أن الأصح أنها كانت في الرابعة ويقويه أن ابن عمر رضي الله عنه يقول ردني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أجازني يوم الخندق
وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما إلا سنة واحدة وغزوة أحد كانت سنة ثلاث
فتكون غزوة الخندق سنة أربع فهي قبل غزوة دومة الجندل

وقال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضي الله تعالى عنه في
أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الأحزاب التي هي غزوة الخندق قد
استكمل الخمس عشرة فيكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة
فعلى ذلك لا مانع أنها كانت في الخامسة

وسبب هذه الغزوة أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من كبرائهم
منهم سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعظيمهم سلام بن
مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى أن قدموا مكة على قريش
يدعونهم ويحرضونهم ليحزبوا الأحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
الأحزاب عشرة آلاف وكان المدبر لأمرها والقائم بشأنها أبو سفيان وأنزل الله تعالى في
ذلك صدر سورة الأحزاب

فلما سمع صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم
وشاورهم في أمرهم وقال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فأشار عليه سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه بالخندق حيث قال يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا
تخوفنا الخيل خندقنا علينا فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة وعند
ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والأنصار
وأمرهم بالجد ووعدهم النصر إن هم صبروا فعمل الخندق من مكائد الفرس لا من
مكائد العرب ولما نظر المشركون إلى الخندق قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت
العرب تكيدها

وفي أمره صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي وفي
التماس عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي لؤلؤة غلام المغيرة أن يعمل له رحى يطحن
بها دلالة على استحسان دخول الإسلام على أدوات الأ[illegible] الموجودة

بالمناقب الاحمدية كما هو جار الآن بالبلاد الاسلامية الراغبة في تجديدها الاقلاع للحرب والسلم

وعمل صلى الله عليه وسلم بنفسه في حفر الخندق ولما بدا صلى الله عليه وسلم قال بسم الله وبه بدينا (بضم الباء وكسر الدال) ولو عبدنا غيره شقينا * يا حبذا ربا وحب دينا وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار عن جلدة بطنه الشريف

لاهم لولا انت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

وان الالى قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

يمد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا وروي ان حفر الخندق كان في زمان عسرة ومجاعة حتى ان الاصحاب رضي الله عنهم كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد والجوع الذي بهم ولبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون زادا وعن ابي طلحة شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين ذكره الترمذي في الشمائل ولهذا اشار صاحب البردة بقوله

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

وهذا منه صلى الله عليه وسلم تعليم للامة للصبر على الجوع والا ففي الحقيقة هو مطعم مسقي من فيض مولاه لانه كان يطعم ويسقى من ربه وانما العادات الظاهرية قد تجري مجراها ولو في حق الانبياء حتى انه صلى الله عليه وسلم في الصوم كان يفطر كالطاعم الا ان تكرمة له صلى الله عليه وسلم واذا حصل له في النادر اذاية بجوع مثلا كان ذلك على وجه الابتلاء الذي كان يحصل لاخوانه من الانبياء والمرسلين تعظيما لاجرهم واظهارا لجواز الاعراض البشرية عليهم صلوات الله وسلامه عليهم

وعن انس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال

اللهم لا خير الا خير الآخرة * فبارك في الانصار والمهاجرة

وفي رواية فأكرم الانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا

وفي رواية ما بقينا ابدا ولما خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق قطع لكل

عشرة أربعين ذراعا فاختصم المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا ونحن أحق به وقال الأنصار سلمان منا ونحن أحق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يقول بعضهم

لقد رقي سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

وإنما وقع التخاصم في سلمان رضي الله عنه لأنه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال وفي رواية كان يحفر كل يوم خمسة أذرع من الخندق في عمقها خمسة أذرع فعانه قيس بن صعصعة فصرع وتعطل من العمل فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوءه في ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفأ الإناء خلف ظهره ففعل فنشط في الحال كما ينشط البعير من العقال وهو أول مشهد شهده سلمان الفارسي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعمل صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق بنفسه ترغيبا وجعل النساء والذراري في الآطام وعلى حصن بعض النساء حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه وكان من دأبه أن لا يقتحم المخاوف أما المنافع حتى كان يكون بذاته لا يطيق أن يحمل الغداء ومنعه عن الجهاد لأنه كان معدا للتحريض على القتال بحماسة شعره الذي هو أحد من آلات القتال وكانت وطأته بهجاء المشركين وتأييد الدين ومع ذلك لم ينسبه أحد من أعدائه إلى الجبن ولم يهجه به كما قلت

حسان كان هماما * بطبعه الشر روّح
وكم تحسس سهم * وسط الحروب يشجّ

وكان عليه مدار عظمى الحروب ووقود الإسلام وإن لم يخض في غمر المعامع ولا كان له فيها إقدام ومما يدل على ذلك أنه في بعض الأيام وهو مع النساء إذ مر يهودي فجعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان لا آمن هذا اليهودي أن يدل على عورة الحصن فيأتون النساء فانزل فاقتله فقال حسان رضي الله عنه يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا أي لست ذا رأي الحرب فلما يئست منه أخذت عمودا ونزلت فقعدت باب الحصن وأتته من خلف فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقالت يا حسان انزل إليه واسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل فقال ما لي به يا بنت عبد المطلب إلى سلبه حاجة يعني أنه لم يمنعه سلبه إلا أنه خشي من [illegible]

انسان يستطيع ان يثبت ما عليه من سمع هذه الحكاية ينتبه الى الحسن الذي لا يليق بحال الصحابة رضوان الله عليهم مع ان هذا لا تثبت صحته وانما لا يدل على شجاعة وليست الشجاعة في الحروب صفة لكل انسان وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا مع جمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فممن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله عنهم وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضي الله عنهما

ولما فرغ منه صلى الله عليه وسلم أقبلت قريش ومن معها من بني قريظة وقبائل العرب المشركين واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصار وكان جماعة من المنافقين مثل أوس القيظي وأمثاله يستترون حس الاسلام ويقولون ارجعوا الى منازلكم واعلموا ان منازلكم عورة خالية عن المحافظة فانها خارج المدينة ونحن نخاف ان يظفر بها جيش العدو كما أخبر به قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وكان المشركون يداومون الحرب لكن الله تعالى لم يمكنهم من وراء الخندق فان شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والاحجار وكان النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في الليالي يحرس بعض مواضع

ثم نصر الله نبيه على المشركين واختلفت كلمتهم بهبوب ريح الصبا العاصفة في الليالي الشديدة البرد كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها فجعلت الريح تقطع أطناب خيامهم وتكفئ قدورهم وتلقيهم على بعض امتعتهم ولا تجاوز عسكرهم وتضرب عليهم التراب وترميهم بالحصا وانقلبوا خاسئين وكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان إهلاك عاد بالدبور وهي الريح الغربية ووقع بينهم الاختلاف فرحلت قريش مع أبي سفيان ورحلت غطفان وهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الآن نغزوهم ولا يغزونا وكان كذلك حتى فتح مكة

وظهر للنبي صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات منها أن كدية (أي صخرة) اشتدت عليهم فدعا بماء وتفل فيه ونضحه عليها فانهالت تحت المساحي وروى البيهقي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون ظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء وأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها (أي المدينة) فكأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب أي في بياضها وصغرها وانضمام بعضها إلى بعض والأنياب جرباء بكسمائها والحيرة كل أرض ذات حجارة سوداء كأنها محرقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها أي الأراضي الثلاث فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب أي المدينة قصور الحيرة وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق أي الخوف ونزل قوله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا

ومنها أن بنت بشير بن سعد أخت النعمان جاءت بتمر قليل إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاها وقال هاتي ما معك فصبته في كفيه فما ملأهما ثم دعا بثوب فبسط له وبدد ذلك التمر عليه ثم قال لإنسان اصرخ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب ومنها ما رواه جابر قال كانت عندي شويهة غير جد سمينة فأمرت امرأتي أن تخبز قرص شعير وأن تشوي تلك الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا نعمل في الخندق نهارا وننصرف إذا أمسينا فلما انصرفنا من الخندق قلت يا رسول الله صنعت لك شويهة ومعها شيء من خبز الشعير وأنا أحب أن تنصرف إلى منزلي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصرخ في الناس معه إلى بيت جابر وأقبل رسول الله والناس معه فقدمته له ذلك فبرك وسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما صدر قوم جاء قوم حتى صدر أهل الخندق عنها

وقال سلمان الفارسي كنت قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أعمل في الخندق فغلظ علي الموضع الذي كنت أعمل فيه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة المكان أخذ المعول وضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى قال فقلت بأبي أنت وأمي ما هذا الذي لمع تحت المعول فقال أرأيت ذلك يا سلمان فقلت نعم فقال أما الاولى فإن الله فتح بها علي اليمن وأما الثانية فإن الله فتح بها علي الشأم والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها علي المشرق وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل الخندق وأقبلت قريش في أحابيشها أي حلفائها ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد وكان بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسد قد عاهدوه صلى الله عليه وسلم فما زال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد وصاروا مع الاحزاب فعظم الخطب حتى ظن المؤمنون كل الظن كما ى ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى قضاء الحاجة كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقال ابن عباس كان الذين جاؤهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان انتهى والمراد من فوقهم من جهة المدينة ومن أسفل منهم من جانب أسفل الوادي

وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة ورسول الله مقابل لهم وليس بينهم قتال غير المراماة بالنبل والحصار كما سبق ثم خرج عمرو بن عبد ود من ولد لؤي بن غالب يريد المبارزة فبرز اليه علي رضي الله عنه فقال عمرو يا ابن أخي والله ما أحب ان أقتلك فقال علي لكني والله أحب ان أقتلك فحمي عمرو ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا ثم التقيا فاستقبله علي بدرقته فضربه فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع النبي صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قتله وانكشفت الغبرة وإذا علي على صدره يذبحه ثم أهب الله ريح الصبا الى آخر ما سنذكره ثم أقبل علي ووجهه يتهلل ولم يكن في العرب درع مثل درع عمرو فخرجت خيلهم منهزمة وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو وخرج في إثرهم الزبير وعمر فناوشوهم ساعة وحمل الزبير

على رجل منهم فشقه نصفين وقطع سرجه حتى وصل الى كاهل الفرس فقيل له ما رأينا مثل سيفك فقال ما هو السيف ولكنه الساعد ثم اتفق الكفار على ان يحملوا جميعا بعطف منهم أحدقوا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم طلوع الشمس وأحدقوا بالخندق من كل وجه ووجهوا نحو خيمته كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلهم يومه الى هوى الليل حتى كشفهم الله وهزموا وشغل المصطفى عن العصرين والعشاءين فأقام لكل اقامة وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قلوبهم نارا ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جمعا وفرق الاحزاب نعيم بن مسعود الاشجعي الذي أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما ولم يعلم قومه وأمره صلى الله عليه وسلم بالتخذيل حيث قال له خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة (بفتح الخاء وسكون الدال أى ينقضي أمرها بالخدعة) وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر يوم الخندق يمدح قومه ويعتذر من الهزيمة

ومشفقة تظن بنا الظنونا * وقد قدنا عرندسة طحونا
كأن زهاءها أحد اذا ما * بدت أركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات * على الابطال واليلب الحصينا
وجردا كالقداح مسومات * نؤم بها الغواة الخاطئينا
كأنهم اذا صالوا وصلنا * بباب الخندقين مصافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيدا * وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم في السلاح مدججينا
بأيدينا صوارم مرهفات * نقد بها المفارق والشئونا
كأن وميضهن معريات * اذا لاحت بأيدي مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل * ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه * لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا * به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا * لدى أبياتكم سعدا رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحا * على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب * كما زرناكم متوازرينا

تجمع من كنانة غير عزل * كأسد الغاب قد حمت العرينا

فأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه فقال

وسائلة تسائل ما لقينا * ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا * على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدق * به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا * بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا في فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا
وفي أيماننا بيض خفاف * بها نشفي مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أسدا * شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا * على الأعداء شوسا معلمينا
لننصر أحمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا * وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك * وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعدا سفاها * فإن الله خير القادرينا
سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا

قوله عدلا هو بكسر العين أي معادلا اهـ

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة حم حم لا ينصرون كذا في سيرة ابن هشام

(وفي بقية ذي القعدة وصدر ذي الحجة من هذه السنة كانت غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس وسيد الأوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لما رجع صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة ودخل بيت عائشة رضي الله عنها فبينما هو يغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليهما السلام

فقال

بعد صلاة الظهر فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم فقال جبريل ما وضعت ملائكة الله السلاح منذ نزل بك العدو إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال صلى الله عليه وسلم إن في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض إليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا وكان جبريل على فرس أنثى فقال ولأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الأنصار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وأعطى الراية علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ونادى مناد بأمره صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي ثم سار إليهم صلى الله عليه وسلم وقد لبس سلاحه وركب فرسه والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة وقدم صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه برايته إلى بني قريظة ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أسلم اللواء لأبي قتادة الأنصاري ورجع إليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال لعلك سمعت منهم أذى فقال نعم يا رسول الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل دون ذلك وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به إليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه ولا زال محاصرهم حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فلما أيقنوا أنه صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا م

يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وأنا عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فإذا آمنتم به أمنتم على أموالكم ودمائكم ونسائكم وأبنائكم وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن هذا النبي من بني إسرائيل وكان يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم وأن دار هجرته المدينة بل كان هذا غير خاص ببني قريظة دون غيرهم كان كذلك فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود بني قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون في كتبهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة قال كعب فإن أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال كعب فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة (أي غفلة) فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن يحدث فيه من كان قبلنا وقال لهم عمرو بن سعد قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا أبدا نؤديه القتل خير من ذلك قال فإني بريء منكم

وبعد الحصار أرسلوا نباش بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة أي الدرع فأبى صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ثانيا أنه لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش إليهم بذلك ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا لأنه كان من حلفاء الأوس وبنو قريظة من الأوس وكان مناصحا لهم لأن ماله وولده وعياله كانا في بني قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وسبب ما بهم وقام كعب بن أسد فقال لأبي لبابة قد عرفت ما بنا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق

حصننا

فبقي حتى نزل يصلي حتى كاد يموت ولو قال عاقبة الآثام أو محو ولم يطأ له أرضا
ولم يكن عليه جناح أبدا ما ترى فقد أحصرنا على عدوك أننزل على حكم محمد قال نعم
فانزلوا وأشار بيده إلى حلقه إشارة إلى الذبح ومعناه لا تفعلوا فإنه لا يبقيكم قال أبو لبابة
فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله لأن في قولي تغييرا
لشيء من الأمانة بدليله صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تخونوا الله والرسول الآية وقيل نزلت فيه ولا [illegible] نزلت في ذلك وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا الآية وسالت عيني أبي لبابة بالدموع وانطلق على وجهه ولم يأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وربط نفسه إلى عمود بالمسجد يقال له اسطوانة التوبة
كان أكثر تنفله صلى الله عليه وسلم عنده وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت
أو يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يرى في
بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد
استبطأه قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى
يتوب الله عليه فنزلت توبته وولي النبي صلى الله عليه وسلم إطلاقه بيده بعد أن أقام
مربوطا بالجذع ست ليال لا يحل إلا للصلاة

ثم إن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا
ناحية بين السلاح والمتاع فأخرجوا النساء والذراري من الحصون وجعلوا
ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الأوس وقالوا
يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت يعنون بني
قينقاع لأنهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وكانوا قد نزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له
أي على أن يخرجوا فطلبت الأوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهبهم بني قريظة
كما وهب بني قينقاع لإخوانهم بني الخزرج فلما كلمه الأوس أبى أن يفعل ببني قريظة
ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا
بلى فصار حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن
لسعد بن معاذ وليس إذنه صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ في ذلك لكونه لا يجوز له صلى
الله عليه وسلم الحكم بنفسه [illegible] فإن من خصائصه صلى الله عليه
وسلم أن يحكم لنفسه ولو [illegible] يحكم [illegible] من باب أولى ومعنى الحكم [illegible]

عبارته أن يقول للمحارب أنزلك فالله على إلزام كذا أو كذا أو على ما فيه رأي فلان
وحكمه فيك ومن هذا الأصل تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة بأمر النبي صلى الله
عليه وسلم فالحكم في المحاربين من خصائص الإمام الأعظم ومن حقوقه فلا يجوز لأحد
أن يفتات عليه ولا أن يفعله بغير إذنه فالحكم في الحقيقة منه صلى الله عليه وسلم وقد رده
إلى سعد وفوضه إليه * وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق
وضع في خيمة في المسجد يداوي فيها الجرحى من الصحابة فأتاه قومه فحملوه على حمار
وساروا به وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فقد رأيت عبد الله بن أبي ابن سلول وما صنع في حلفائه
كل ذلك وسعد بن معاذ ساكت فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه لقد آن لسعد أن
لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فأتى سعد على حمار فلما دنا من ناس من
باب المسجد وانتهى رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وهم
حوله جالسون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار قوموا إلى سيدكم فقاموا
صفين كل رجل منهم يحيي سعدا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احكم
يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أبني
قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به سعد
قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات
وما أحسن قول من قال

إن دهري جار كلي * في عدوي أغيظه
وهو قد يحكم يوما * حكم سعد في قريظه

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ
فقطع أكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فنزفه فلما رأى
ذلك قال اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة
حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم
ليستعين بهم المسلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت حكم الله فيهم فلما فرغ
من قتلهم انفتق عرقه فمات رضي الله عنه * كما أن فرسا ونسب لحسان بن ثابت في رثائه قوله

لقد سجمت من دمع عيني عبرة * وحق لعيني أن تفيض على سعد

و ل

قتيل ثوى في معرك فجعت به * عيون ذوارى الدمع دانية الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا * وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حيي قريظة بالذي * قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم * ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألى * شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا * إلى الله يوما للوجاهة والقصد

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد في حصونهم فقسمه صلى الله عليه وسلم فجعل للفارس لأنه أسهم سهما له وسهمين لفرسه وللراجل سهما وكانت خيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارسا ووقع في سهم النبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو ابن خنافة من بني عمرو بن قريظة ويقال ريحانة بنت شمعون فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالأسارى أن يكونوا في دار زيد بن أسامة رضي الله عنه والذرية في دار ابنة الحارث النجارية لأن تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب وأمر بالمتاع أن يحمل وترك المواشي هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم سائرا إلى المدينة ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق أي حفر بها حفائر ثم أمر بهم فكل من أنبت أي أدرك فجاؤوا بهم أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق وقتل منهم امرأة واحدة وهي بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت طرحت على خلاد بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فشدخته في هذه الغزوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أجر شهيدين وقتلها قصاصا لا لكونها كانت تقاتل إذ المرأة لا تقتل وهذا مما يستدل به الفقهاء في كتب الفقه في قتال المشركين على أن المرأة لا تقتل كما قاله الشافعي وقول أبي الخطاب عمر بن دحية العربي المغربي

إن من أكبر الكبائر عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

انتهى ثم أبى كعب بن أسد سيد بني قريظة فقال له كعب بعد أن عرض عليه الاسلام لولا ان تعيرني يهود بالجزع من السيف لاسلمت فأمر صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه وكان المتولي لقتل بني قريظة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما وينسب لحسان بن ثابت قوله

لقد لقيت قريظة ما أساها * وما وجدت لذل من نصير
غداة أتاهم يهوي اليهم * رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى * بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء * دماؤهم عليهم كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم * كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيري

وقوله

لقد لقيت قريظة ما أساها * وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح * بأن الهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى * غزاهم في بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صفوف * له من حر وقعهم صليل

ولما انقضى شأن بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك ثم انفجر جرح سعد بن معاذ الذي في يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات سعد منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله عليه وسلم بموته فأتى جبريل فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فرحا به فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى سعد بن معاذ فوجده قد مات ولما دفن سعد رضي الله عنه وشيعه النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة والملائكة سبح صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه فقالوا يا رسول الله لم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك

ذلك فقال كان يقصر في الطهور من البول بعض التقصير ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني قريظة الى نجد او الشام ليباع ويشترى بها سلاح

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفرق بين الام وولدها في السبايا من بني قريظة وقال لا يفرق بين ام وولدها حتى يبلغ فكانت ام الولد تباع من المشركين هي وولدها وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة

وفي هذه السنة الرابعة بعد صفر قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة (عضل بفتح المهملة والمعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ينسبون الى عضل بن الديش والقارة بالقاف وخفة الراء بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديش المذكور وقال ابن دريد القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فسموا بها كذا في المواهب اللدنية) وطلبوا منه ان يبعث معهم من يفقههم في الدين فبعث معهم عشرة وهم عاصم بن ثابت بن ابي الافلح وخبيب بن عدي ومرثد بن ابي مرثد الغنوي وخالد بن البكير الليثي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وامر عليهم مرثد بن ابي مرثد فلما وصلوا الى الرجيع ماء لهذيل على اربعة عشر ميلا من عسفان غدروا بهم وقاتلوهم فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة وهم زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فاخذوهم الى مكة فهرب عبد الله بن طارق في الطريق وقاتل الى ان قتلوه بالحجارة فلما وصلوا الى مكة في ذي القعدة حبسوا كل واحد منهما حتى خرج الاشهر الحرم ولما انسلخ الاشهر الحرم أخرجوا خبيبا وزيدا من الحرم الى التنعيم ليقتلوهما في الحل واجتمع خبيب وزيد في الطريق فتواصيا بالصبر والثبات على ما لحقهما من المكاره وقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فتركوه فصلى ركعتين وقال والله لولا ان تحسبوا ان ما بي من جزع لزدت ويعرف بن عمه انه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا (يعني متفرقين) ولا تبق منهم أحدا فلم يحل الحول ومنهم أحد حي ثم انشأ خبيب يقول

فلست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
الى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر الشين المعجمة الجسد وقد يطلق على

الحصول لكن المراد بها هنا الحسد قال أبو هريرة كان خبيب أول من سن الركعتين
عند القتل لكل مسلم قتل صبرا لأنه فعلهما في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك
من فعله وقررهما واستحسن المسلمون وفي سنة والصلاة خير ما ختم به عمل العبد وفي
هذه السنة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بتعلم السريانية وسيأتي
ذلك وصدق في ترجمته النبي عليه الصلاة والسلام في الفصل الرابع من الباب السادس
من الجزء الثاني من المقالة الخامسة

وفي هذه السنة الرابعة وقيل في الخامسة نزلت آية الحجاب والمراد بالآية الطائفة من
القرآن نزل فيها الأمر بالستر وهي قوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن
(ولا تبرجن) قيل هو التكسر والتغنج وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال
(تبرج الجاهلية الأولى) قيل إن الجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام وقيل هي زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس قميصا
من الدرع غير مخيط من الجانبين فيرى خلفها منه وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام
والجاهلية الأخرى قوم يعملون مثل فعلهم آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى ولا يستلزم أخرى
كقوله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى ولم يكن لها أخرى ونزل فيها أيضا قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية قال أكثر المفسرين نزلت
هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أنس بن مالك رضي الله عنه كنت ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة
فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في مبنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي بها عروسا فدعا القوم فأصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله
عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وظن أنهم قد خرجوا
فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي
صلى الله عليه وسلم فرجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا
فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه
الستر ونزلت آية الحجاب

قال

فقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحيي من الحق وهذا أدب من الله أدب به الثقلاء قال [...] أنس نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى قوله وإذا سألتموهن أي نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسألوهن من وراء حجاب أي من وراء ستر يسترهن عنكم فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ونزل فيها أيضا قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين (أي يغطين) عليهن من جلابيبهن الآية والجلابيب جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هي كل ما تستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي لا يتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن وكان المنافقون يمشون في طرق المدينة يتعرضون للنساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل واحد تخرج الحرة والأمة في درع وخمار فشكوا ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء بقوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك الآية قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع ولكاع كلمة يقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والخامل القليل العقل مثل قولك يا خسيس

وفي هذه السنة توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسلمت وتوفيت مسلمة بالمدينة

(الفصل الخامس في ظواهر السنة الخامسة وما فيها من الغزوات)

فيها غزوة ذات الرقاع ولم تذكر في ظواهر سنة أربعة إلا أنه كما تقدم صحح بعضهم أنها كانت في سنة خمسة

(وفي هذه السنة كانت غزوة دومة الجندل)

بضم الدال المهملة وفتحها وواو ساكنة ثم ميم مفتوحة ثم هاء مضاف الى الجندل بفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة آخره لام بلد بين الحجاز والشام وهو أول طرف الشام على عشر مراحل من المدينة وعشرين من الكوفة وثمان من دمشق واثنتي عشرة من مصر سميت بدومى بن إسماعيل كان نزلها وكانت بعد غزوة ذات الرقاع بشهرين وأربعة أيام بناء على ما صححناه وروي من أن ذات الرقاع كانت في سنة خمس وصاحب دومة الجندل يسمى أكيدر ويقال ان منزل أكيدر كان أولا في دومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب فخرج معهم للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق الا حيطانها مبنية بالجندل فأعاد بناءها وغرس الزيتون وغيره فيها وسماها دومة الجندل للفرق بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينهما وزعم بعضهم ان تحكيم الحكمين بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل

وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فندب الناس واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة بضم العين المهملة الغفاري وخرج لخمس ليال بقين من ربيع الاول في ألف فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بني عذرة يقال له مذكور رضي الله عنه فلما دنا منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا ورجعت كل سرية بابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا انك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع صلى الله عليه وسلم المدينة ولم يلق حربا

وفي رجوعه وادع أي صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزاري ان يرعى بتغلمين وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا لان أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانحدر الى أرضه مغيرا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة فجحظت عيناه فسمي عيينة وهذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من

تركه

حركة الناس اتقاء فتنته وقيل إن ذلك إنما قيل في مخرمة بن نوفل ولا مانع من تعدد ذلك وقد أدركته فتنته بعد ذلك في زمن الصديق رضي الله عنه فإنه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرسل به إلى الصديق في وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون أي عدو الله كفرت بالله بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهرا للإسلام * وفي غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة [illegible] وكان ابنها رضي الله [illegible] معه صلى الله عليه وسلم

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد رضي الله عنها

(وفي هذه السنة غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة)

بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل لما قتلوا عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وغيرهما من الصحابة الذين قتلهم هذيل وجد النبي صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا على أصحابه الذين قتلوا بالرجيع وأراد أن يغتنم منهم فأمر أصحابه بالتهيؤ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي أهل الرجيع وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشام أولا ليصيب من القوم غرة وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام ثم خرج إلى طريق مكة وأخذ السير حتى نزل غران (بضم المعجمة وفتح الراء وهي منازل بني لحيان وهو واد بين أمج وعسفان وبينه وبين عسفان خمسة أميال) حيث كان مصاب أصحاب الرجيع واستغفر لهم وأقام هناك يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية فوجد بني لحيان قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال وفاته الغرة منهم فخرج في مائتي راكب إلى المدينة ولم يلق كيدا وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة قال جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجه إلى المدينة يقول آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر (أي مشقته)

وكآبة المنقلب (أي حزن المنقلب) وسوء المنظر في الاهل والمال ومنها خروجه لغزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد واستعمل في غزوة بني لحيان على المدينة ابن أم مكتوم وبعض أهل السير جعل غزوة بني لحيان في شهر ربيع الاول سنة ست والصحيح انها كانت في جمادى الاولى من السنة الخامسة على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة * وفي هذه السنة لما رجع صلى الله عليه وسلم من بني لحيان وقع على الابواء وزار قبر أمه وفيها فك رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه عن الرق وكان اسلامه في السنة الاولى من الهجرة وفيها انكسف القمر في جمادى الآخرة فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخسوف حتى انجلى القمر

(الفصل السادس في ظواهر السنة السادسة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة كانت غزوة الغابة وتعرف بذي قرد)

والغابة الشجر الملتف وذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وقيل بضم القاف وفتح الثاني موضع على بريد من المدينة على طريق خيبر كانت هذه الغزوة في السنة السادسة من الهجرة بعد غزوة بني لحيان وقال البخاري كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وفي مسلم نحوه ولكن اجماع أهل السير على خلافهما وهي الغزوة التي أغار فيها عيينة بن حصن في خيل من غطفان وفزارة على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة قبل خيبر وكانت اللقاح عشرين لقحة واللقحة ذات اللبن القريبة من الولادة وكان أول من علم بهم سلمة بن الاكوع الاسلمي رضي الله تعالى عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس لطلحة يقوده فلقي غلاما لعبد الرحمن بن عوف فأخبره ان عيينة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعين فارسا من غطفان فخرج سلمة في أثر القوم كالسبع وكان يسبق الفرس شوطا حتى لحق بهم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع (أي يوم هلاك اللئام) فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وكان اذا دخلت الخيل في بعض مضايق الجبل علا سلمة الجبل ورماهم بالحجارة حتى هربوا وألجأهم الى القاء كثير من الرماح والبرد

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع الفزع يا خيل الله اركبي وهو نادى صلى الله عليه وسلم بذلك كما نادى في غزوة بني قريظة

واول

وأول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن الأسود رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم للمقداد الامير لواء في رمحه ثم قال له اخرج في طلب القوم ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد رضي الله عنهما فأمر بلاحق به الفرسان وأمر عليهم سعد بن زيد وكان شعارهم (أي علامتهم التي يعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط) يا منصور أمت أمت تفاؤلا بأن يحصل لهم النصر بقتلهم عدوهم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم

وأقبل صلى الله عليه وسلم في المسلمين حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس وكان ابن الأكوع قد استنقذ من غطفان أكثر اللقاح فنحر بلال رضي الله عنه ناقة منها وقسم صلى الله عليه وسلم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وبعث سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فقال اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة فقالت الأنصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون في المحل ويحملون الكل ويحمون عن العشيرة فقال صلى الله عليه وسلم خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين ورجع صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء وهي القصوى وهي الجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وردف خلفه ابن الأكوع رضي الله عنه وأعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الأكوع سهم الراجل والفارس جميعا فجمع له بينهما وهذا استدل به من يقول إن للإمام أن يفاضل في الغنيمة وهو مذهب الإمام أبي حنيفة وإحدى الروايتين عن أحمد وعند الإمام مالك والإمام الشافعي رضي الله عنهما لا يجوز ولعله لعدم صحة ذلك عندهما

وروي عن سلمة قال قلت يا رسول الله انتخب مني فوارس أدرك القوم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] إذا ملكت فأسجح (بهمزة قطع مفتوحة فسين مهملة فجيم مكسورة فحاء مهملة أي فارفق وأحسن من السماحة وهي السهولة)

(وفي هذه السنة كانت غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع)

بضم الميم وفتح الراء المهملة وسكون المثناة تحت وكسر السين المهملة وسكون المثناة تحت وآخره عين مهملة اسم ماء من مياههم والمصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار

سيد بني المصطلق وقائدهم رضي الله عنه فإنه أسلم قد جمع لحرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فدعاهم إلى حرب المصطفى فأجابوه وتهيؤا
للسير معه فبعث المصطفى بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين يعلم علم
ذلك فلقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى المصطفى فأخبره بذلك فأسرع
الخروج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع واستخلف على المدينة
زيد بن حارثة وكان معه من أفراسه لزاز والظرب ولما وصل إليهم عرض عليهم الإسلام
فأبوا وحاربوا فأصابهم قتلا وأسرا وغنما واستاق إبلهم وشياههم وكانت الإبل
ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان
حبشيا واسمه صالح وكان النبي يأتي أهل بيت

وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك على عائشة رضي الله عنها وهي مشهورة في كتب السير
والمغازي وتروى عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أقبل من سفره حتى إذا كان قريبا من المدينة وكان معه عائشة رضي الله تعالى عنها
في سفره ذلك فقال فيها أهل الإفك ما قالوا وقد برأ الله عائشة أم المؤمنين في كتابه الكريم
في عدة آيات أولها إن الذين جاؤا بالإفك إلى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة
ورزق كريم قال أبو الفرج ابن الجوزي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أول
نسائه خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة ثم زينب بنت جحش ثم
جويرية ثم صفية ثم ميمونة فلما كان في واقعة القصة احتاج إلى مراعاة الوقت
وخاطره الكريم صلى الله عليه وسلم لا يحتمل جاء التخفيف بقوله تعالى ترجي من تشاء
منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ولم يكن عنده
صلى الله عليه وسلم آثر من عائشة رضي الله عنها ولا أعلى منزلة منها إليه ويقال
عائشة بعد خديجة بدون فاصل هو أحد أقوال فإن بعضهم يقول إنه تزوج سودة بنت
زمعة رضي الله عنها ودخل بها في مكة وعقد عقده على عائشة رضي الله عنها بمكة ولم
يدخل بها إلا في المدينة ولعل القائل بأنها بعد خديجة في العقد لا في الدخول وحسبك
من فضل عائشة رضي الله عنها ومن أعظمها أنه قد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها
وتبرئتها الذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة في ذلك فقال
علي غيرها من النساء كثير وقال عمر من زوجكها يا رسول الله قال الله قال أفتظن

ان

أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم إلى آخر الآية كذلك وأما أهل الإفك وهم مسطح بن عباد بن عبد المطلب وحسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ابن سلول فجلدهم صلى الله عليه وسلم ثمانين ثمانين إلا عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فلم يجلده.

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوما أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جلد فيه وروى عن عائشة أنها برأته من ذلك وكان عبد الله ابن أبي بن سلول هو المقصود بقوله تولى كبره فله عذاب عظيم في الآخرة وهو أشد أهل الإفك إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر قال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي (يعني عبد الله بن أبي ابن سلول) فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا (أي صفوان بن المعطل صاحب القصة) ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام أسيد بن حضير (وهو ابن عم سعد بن معاذ) فقال أعذرك يا رسول الله منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا بني الخزرج فأمرنا فعلناه فقام سعد بن عبادة (وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن أخذته الحمية) فقال لأسيد بن حضير كذبت والله لا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وقال كذبت لعمر الله لنقتلنه وإنك لمنافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وأما المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت بين أسيد ابن حضير وسعد بن عبادة سيد الخزرج كما ذكره ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله وغيره وأما ما نقل من أن المراجعة في ذلك كانت بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فهو وهم نبه عليه ابن خلدون في السير وأشد دليل على ذلك أن سعد بن معاذ مات بعد فتح بني قريظة لا شك في أثناء السنة الرابعة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهرا من موت سعد بن معاذ والإجماع بين الراجحين أي الرابعة والخامسة كانت بعد غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة انتهى

وفي هذه الغزوة قتل رجل من الأنصار رجلا من المسلمين خطأ ظنه كافرا واسم القتيل هشام من بني ليث بن بكر وكان أخوه مقيس مشركا فقدم المدينة وأظهر الإسلام طالبا دية أخيه فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فأقام قليلا ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا ومن قوله

حلفت به وبرى وأدركت ثورتى * وكنت الى الاوثان أول راجع

وهو ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة

وفي هذه الغزوة أيضا ازدحم جهجاه الغفاري أجير عمر رضي الله عنه وسنان الجهني حليف الانصار على الماء فاقتتلا فصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وصرخ الجهني يا معشر الانصار فغضب عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم فقال ابن أبي ابن سلول أوقد فعلوها قد كاثرونا في بلادنا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لمن حضر من قومه هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم على أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم فأخبر زيد بن أرقم وهو الاذن الواعية وهو غلام حديث السن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله فقال صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ثم أمر بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه ليقطع ما الناس فيه فلقيه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله رحت في ساعة منكرة لم تكن تروح فيها فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرتحل الا ان يبرد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال عبد الله بن ابي بن سلول فقال وماذا قال فأخبره بقوله وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فحلف عبد الله انه لم يقل ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن ارقم لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا ونزلت آية لئن رجعنا الى المدينة فدعي زيد بن ارقم فبادر ابو بكر وعمر الى زيد رضي الله تعالى عنهم ليبشراه فسبق أبو بكر فأقسم عمر ان لا يبادره بعدها الى شيء وقال أـ ذا ـ والله عمر حه ان سبب أـ ه الغزو وهو الذي نزل فيه وجاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول وكان حسن الاسلام واسمه أيضا عبد الله وكان برا بأبيه فتقدم رؤوس الناس فقال لأبيه فاعترض اباه عند المدينة وقال والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له فحينئذ دخل وقال يا رسول الله بلغني انك تريد قتل ابي عبد الله لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به وأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني واني أخشى ان تأمر به غيري فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل ابي

عبد الله بن أبيّ تمشي في الناس فأقبله وأقبل مؤمنا بكافر وأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا

وكانت في جملة السبي برّة بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت ابن قيس وابن عم له فخلصها ثابت لابن عمه بنخلات له بالمدينة في حصته من برة وكاتبها على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بإسلامها وقالت له إني برة بنت الحارث سيد قومه أصابنا من الأسر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على مال لا طاقة لي به وإني رجوتك فأعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير لك من ذلك قالت ما هو قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس رضي الله عنه فطلبها منه فقال ثابت هي لك يا رسول الله وأدّى ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة وسمّاها جويرية وكان اسمها برة كما تقدم وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب وكانت أولا تسمى زمانها كذا ذكره أبو عمر وسبب ذلك ما في برة من تزكية النفس

وقد ذكر أن عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها ولا مانع من أن يكون علي رضي الله عنه أسرها ثم وقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عمه رضي الله عنهما عند القسمة لأنه لم يثبت في هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع في غزوة بدر

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة مليحة فجاءت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها فلما قامت على الباب كرهتها فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم (وإنما كرهت ذلك لما علمت ما اتسمت من الغيرة) وعرفت أن رسول الله سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وكان من أمري ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وإني كاتبته على نفسي فجئت أسألك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك فيما هو خير من ذلك فقالت وما هو يا رسول الله قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت قد فعلت قالت فتسامع الناس (يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية) فأرسلوا ما في أيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله لا نبقي

أي تشترى قالت فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق خرجه بهذا السياق أبو داود وعن جويرية رضي الله عنها قالت لما أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى

وقد حدث يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ صدقاتهم فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبينما هم على ذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله والله ما جئنا لذلك فأنزل الله فيه وفيهم يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم إلى آخر الآية وكان شعار المسلمين يا منصور أمت

وفي هذه السنة كسفت الشمس وأما ما قيل من أن آية التيمم نزلت في غزاة بني المصطلق فقد قال النووي في الروضة إن آية التيمم نزلت في سنة أربع

(وفي هذه السنة كانت غزوة الحديبية)

وتخفف وتشدد وهي قرية قريبة من مكة بينها وبين المدينة تسع مراحل سمي المكان باسمها وقيل بشجرة وقيل قرية قريبة من مكة على تسعة أميال من مكة وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعضهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فأخبر أصحابه أنه معتمر فخرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست لا يريد حربا بالمهاجرين والأنصار ألف وأربعمائة من أهل [illegible] ومن حولهم من عربه وساق الهدي وأحرم بالعمرة

(في سيرة سيد المرسلين)

سار معتمرا من ذي الحليفة ولبى بها فلبى معه جمهور الصحابة واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة المنورة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم كلثوم بن الحصين وقيل استخلف أبا رهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة وسار حتى وصل الى ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة وأمر بالنزول فقالوا نزل على غير ماء فوقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء في ذلك المكان حتى صدر الناس عنه وأرسلت قريش للقتال ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف رضي الله عنه فإنه أسلم بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان قريشا لبسوا جلود النمور (أي أظهروا العداوة والحقد) وقد نزلوا بذي طوى وعاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبدا ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه وهذه عادة العرب أن الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي عنه من ذلك استمالة وتأليفا له وكان المغيرة بن شعبة قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف ويقول كف يدك عن مس لحية رسول الله قبل أن لا تصل اليك فإنه لا ينبغي لمشرك ذلك وإنما فعل ذلك المغيرة رضي الله عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فلما أكثر عليه غضب عروة وقال ويحك ما أفظك وما أغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ثم قام عروة من عنده وهو يرى ما يصنع أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى قريش وقال لهم اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والله ما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه

وورد أيضا في حديث الحديبية أنه لما نزل صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ جمع عائذ وهي الحديثات النتاج والمطافيل ذوات الأطفال الصغار جمع مطفل أي أنهم حضروا مع الإبل ذات الألبان ليتزودوا بذلك ولا يرجعون حتى

الخروج أو العود المطافيل النساء معهن أطفالهن أي إنهم خرجوا بنسائهم معهن
أولادهن لإرادة طول المقام ليكون أدعى لعدم الفرار وإنما قال بديل بن ورقاء لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هم مقاتلوك وصادوك عن البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن
شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس
فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد
سالفتي (وهي أعلى العنق) أو لينفذن الله أمره قال بديل سأبلغهم ما تقول ثم دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى أهل مكة
وأشراف قريش يعلمهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا ومعظما لهذا البيت فقال
يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني
وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها
مني عثمان بن عفان فإن بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
ابن عفان رضي الله عنه فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يعلمهم بذلك فخرج
عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة وبلغ من بمكة من الصحابة بعمرة أنه ما دين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فلما وصل إليهم عثمان عرفوهم ذلك
فقالوا يردون عليه أن محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان من إبلاغ رسالة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت
لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش وأمسكوه وحبسوه
ثلاثة أيام

ولما حبس عثمان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قد قتل
وبسبب ذلك ... رجال الذين دخلوا مكة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
والمشركين فتراموا بالنبل والحجارة فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك
لا نبرح حتى نناجز القوم (أي نقاتلهم) ودعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيعة الرضوان
فبايعهم على أن يقاتلوا ... ولا يفروا ... إما الفتح وإما الشهادة ولم يتخلف أحد
... من أحد ... الناس وكان ... (بكسر
ثم) ... صلى الله عليه وسلم ... الحديث فيبس
... فقال وأي ... صلى الله عليه وسلم ... عروة بن
الكمي

الحديبية وكان صلى الله عليه وسلم جالسا تحت شجرة أو سمرة (وسمرة بفتح السين المهملة وضم الميم بعدها راء مفتوحة مهملة وآخرها هاء شجر الطلح) وكان عدد المبايعين ألفا وثلاثمائة وسميت هذه البيعة بيعة الرضوان لأن الله تعالى ذكر في سورة الفتح الذين صدرت عنهم هذه البيعة بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل فبايع عنه صلى الله عليه وسلم ووضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم إن هذه عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك وكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم

وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين أو خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يصيبوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة إلا مكرزا فإنه أفلت وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه سهل أمركم فقال سهيل يا محمد إن الذي كان من حبس أصحابك عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك فإنه لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا له كارهين حين بلغنا وكان من سفهائنا فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان رضي الله عنه والعشرة رجال رضي الله عنهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم الذين

ولما علمت قريش بذلك [illegible] جاؤوا [illegible] أهل الرأي بالصلح على أن يرجع [illegible] من [illegible] لا يدخلها [illegible] وتتحدث العرب [illegible] عمرو [illegible] ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أن يرجع [illegible] لئلا تتحدث العرب بأنه دخل [illegible] سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال [illegible]

وسلم قال له فخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال له سهيل والله
لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة (بالضم أي بالشدة والإكراه) ولكن ذلك من
العام القابل ثم التأم الأمر بينهما على الصلح على ترك القتال إلى آخر ما يأتي ولم يبق
إلا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر حتى أتى أبا بكر فقال أليس برسول الله قال بلى قال
ألسنا بالمسلمين وهم بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية (بفتح الدال وكسر النون
وتشديد الياء التحتية صفة والخصلة المذمومة) في ديننا قال يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه
رسول الله قال وأنا أشهد ثم أتى رسول الله فقال له ذلك فقال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف
أمره ولن يضيعني فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال سهيل هات اكتب
بيننا وبينكم كتاب صلح فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال له اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف الرحمن الرحيم الا صاحب اليمامة اكتب باسمك اللهم
فقال المسلمون لا نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
باسمك اللهم وكتب ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل
لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب اسمك
واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لرسول الله وان
كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله اكتب محمد بن عبد الله
وفي رواية كان الكاتب علي بن أبي طالب وكان قد كتب محمد رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي امح رسول الله واكتب مكانه محمد بن عبد الله فقال
علي لا والله لا أمحوك أبدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأرنيه فأراه اياه فأخذ الكتاب
بيده الكريمة ومحا رسول الله وكتب مكانه محمد بن عبد الله وكان ذلك معجزة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كتب بيده الشريفة ولم يكن يكتب أول نبوته
صلى الله عليه وسلم ثم تلي على علي بعدما كتب في كتاب الصلح محمد بن عبد الله فقال يا علي
ستكون لك يوم مثل هذه أو دعه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين
يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن
وليه رده عليه وان كان مسلما ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان من أحب
أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل
علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثا لا

معهم سلاحهم إلا كسلاح المسافر وهي السيوف في القرب لا يدخلها بغيرها وأشهدوا على ذلك الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وهو كاتب الصحيفة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سهيل بن عمرو ورجالاً من قريش حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص

ولما بلغ هذا الشرط أن من أتى محمداً من قريش ردّه إليهم وإن كان مسلماً ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه تعجب المسلمون من هذا الشرط فقالوا سبحان الله كيف يرد من أتانا مسلماً وقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً وتم الكتاب نسختين فوضعت إحداهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الأخرى سهيل بن عمرو ولما فرغ من كتاب الصحيفة وثب من كان من هناك من خزاعة فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده وقال بنو بكر نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام وأن الله يجعل فيه فرجاً للمسلمين وهو أعلم بما علمه ربه وإن كان أمر هذا الصلح قد عظم على المسلمين حتى كادوا يهلكون لما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع من غير فتح وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا من المدينة لا يشكون في فتح مكة للرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الشروط الصعبة انضم إليها أمره صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه في كتابة الصحيفة أن يمحو لفظ رسول الله ولم يمحه ومحاه النبي صلى الله عليه وسلم وكتب بدلها ابن عبد الله بيده وكان هذا من الخطب الجسيم الذي وقع الريب في القلوب الضعيفة حتى إن لا يفهم الأسرار في الأزمان الحديثة والحال أنها واردة وثابتة بالأحاديث الصحيحة قد يقع في الوهم من أن هذه الكتابة قادحة في المعجزة باطل لأن الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع الحروف ولا قوانين الخط وأشكالها من الأئمة على ما كانت عليه وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات وتمامها كما كان من المعجزات في كتابة شروط الصلح إخباره صلى الله عليه وسلم علياً بأنه سيكون لك يوم مثل هذه الواقعة وهو إشارة منه صلى الله عليه وسلم لما يقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فإنهما في حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال إلى رأس الحول ووقع ذلك وظهر يوم التحكيم لما قال حكم أهل الشام حين كتبه

تنبيه هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لو مرة ا الك أمير المؤمنين ما قاله الملك كما سيأتي في مبحث خلافته

وأما ما ورد من أنه رضي الله تعالى عنه في عام الحديبية وفي غزوة بني المصطلق قال الحسن وابن حجر قال يوم غزوة أحد وهو صاعد إلى السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فهذا من الموضوع كما ذكره ابن تيمية بل إن معناه موضوع لم يرد من طريق يعتمد وإن كان المدح في علي لا يستنكر وذلك للإجماع على شجاعته وكرامته والمراد بالفتى الشجاع السيد وفي الحديث أن ملكا يقال له رضوان نادى يوم بدر من السماء لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى ابن الفتى يعني إبراهيم وأخو الفتى يريد عليا كرم الله وجهه ابن تيمية وقد علمت ما في هذا الكلام وإن كان معناه لا يستنكر على علي رضي الله عنه

وأتى أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيده من مكة في أثناء الكتاب وكان قد أسلم فقال سهيل بن عمرو هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فرده صلى الله عليه وسلم إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جندل أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا واصطلحنا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم

ولما تم الصلح وكان قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا فتوقفوا فغضب حتى شكا إلى زوجته أم سلمة فقالت يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ولكن اخرج وانحر واحلق فإنهم يتبعونك فخرج ونحر وحلق رأسه خداش وكان الحالق له صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي رضي الله عنه فلما رآه الناس نحر وحلق فعلوا مثله وقد نحروا الهدايا على الهدايا الذين حصروا الحديبية وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة مع ناجية حتى نحرها عند المروة وقسموا لحومها على فقراء مكة قال ابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين وفي غالب السير قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين وفي الثالثة أو الرابعة قال والمقصرين قالوا لم ظاهرت (أي أظهرت) الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا (أي لم يرتابوا أن يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين

أي

أي لأن الظاهر من حالهم أنهم أمروا فيه بشيء وهو بعد أن يحلقوها بعد ما ... بالبيت)

وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً لأن الناس أمن بعضهم بعضاً ورضي من الله تعالى قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة كما تقدم وعن جابر أنهم كانوا يوم الحديبية أربع عشرة مائة فبايعناه صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة [illegible] وفي رواية وقيل عدد الناس خمس عشرة مائة فأكثر وقيل غير ذلك قال أهل السير أقام النبي صلى الله عليه وسلم عشرين يوماً بالحديبية ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وما فتح من قبله فتح أعظم من هذا الفتح فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحداً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر ببركته صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة بكراع الغميم نزلت إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً إلى آخرها وسمي فتحاً لأنه كان مقدمة [illegible] مبادئ الإسلام ولما نزلت قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

ثم إن أبا بصير عتبة بن أسيد بن جارية هرب ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان قد أسلم وحبسه قومه بمكة وهو ثقفي من حلفاء بني زهرة فبعث الأزهر بن عبد عوف وعمه عبد الرحمن بن عوف والأخنس بن شريق سيد بني زهرة كتاباً مع رجل من بني عامر ابن لؤي ومعه مولى لهم يطلب أبا بصير فأسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتملاه فلما نزلوا ذي الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين ثم ضرب به العامري فقتله وفر الآخر وأتى أبو بصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد وفت ذمتك رددتني إليهم وأنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويله (أي ويل أمه) مسعر حرب لو كان له رجال ففطن أبو بصير من هذا القول أنه سيرده فخرج إلى سيف البحر على طريق قريش الذي كانوا يأخذونه إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال فخرجوا إلى أبي بصير فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ثم [illegible] أبا جندل بن سهيل بن عمرو الذي رد إلى قريش بالحديبية [illegible]

من القبائل فى سبعين رجلا كانوا أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة التى هى زمن الهدنة خوفا أن يردهم الى أهليهم بحكم الشروط واجتمع الى أبى جندل أناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون فأقاموا مع أبى جندل وأبى بصير فقطعوا مادة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير لقريش الا أخذوها وقتلوا أصحابها وقال فى ذلك أبو جندل

أبلغ قريشا عن أبى جندل * أنا بذى المروة بالساحل
فى معشر تخفق أيمانهم * بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة * من بعد اسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء باسلامه * أو يقتل المرء ولا آمل

فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ويتضرعون اليه ويناشدونه بالله والرحم أن يرسل الى أبى بصير وأبى جندل بن سهيل ومن معهم فيقدمون عليه وقالوا إنا أسقطنا هذا الواحد من الشروط فى أبى جندل وآمن وقال قالوا من خرج منا اليك فأمسكه فى غير حرج فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع أبا جندل من أبيه يوم الصلح والقضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير فيما أحبوا وفيما كرهوا وأن رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت أولى لأنها كانت سبب الكثرة للمسلمين فان المشركين لما أمنوا الناس اختلطوا بالمسلمين فعرفوا الاسلام فأسلم كثير منهم

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بصير أن يقدم عليه بالمدينة هو وأبو جندل الذى كان اجتمع به مع رفاقه ويأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا الى بلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش فلما قدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بصير وكان حينئذ مشرفا على الموت مات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس من أصحاب أبى جندل ورجع سائرهم الى أهليهم وأمنت عيران قريش وظاهر

وظاهر بعض الروايات يدل على أن قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة نزلت في قصة أبي بصير

ولم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الفتح ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم أبوه سهيل بن عمرو المدينة أول إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فمكث بها شهرا ثم خرج إلى الشام مجاهدا وخرج معه ولده أبو جندل فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا هنالك رضي الله تعالى عنهما وهاجرت في مدة الصلح أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وجاء فيها أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش بالحديبية فلم يفعل وقال أبى الله ذلك وأنزل الله فيه على رسوله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ورسوله فكان في الآية بيان أن ذلك الرد في الرجال لا في النساء لأن المسلمة لا تحل للكافر فلا تقدر ردهن لورود النهي فيلزم رد مهورهن فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا ترجع المؤمنات إلى الكفار إذا عرف الإسلام وأن لا تكون كافرة في نكاح مسلم لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فمنع الله من رد النساء ونسخ ذلك الشرط المكتتب وحرم الله حينئذ على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فطلق الأصحاب كل امرأة مشركة في نكاحهم وطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين له مشركتين بمكة وعن ابن عباس نعي من كانت له امرأة بمكة فلا يعدها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وفي غزوة الحديبية صار صلح مصر للروم حين غلبت الروم فارسا وأخرجوهم من الشام

وفي هذه السنة ماتت أم رومان بنت عامر بن عويمر أم عائشة رضي الله عنها كانت أسلمت قديما وكانت أولا تحت عبد الله بن سخبرة فولدت له الطفيل وهو أخو عائشة لأمها ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر فولدت له عبد الرحمن وعائشة

وفي السنة السادسة فرض الحج على ما نقله الجمهور وقيل كان قبل الهجرة حكاه إمام الحرمين في النهاية وقيل غير ذلك

وفي هذه السنة نزل حكم الظهار وذلك أن أوس بن الصامت غضب على زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم وقال لها أنت علي كظهر أمي وكان ذلك أول ظهار في الإسلام وكان الظهار طلاقا في الجاهلية ثم ندم على ما قال فأتت خولة النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible] تغسل رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات
مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي وتفرق أهلي ظاهر مني فقال صلى الله عليه وسلم
حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو إلى الله فقري وفاقتي ووحدتي وصبية صغارا
إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أراك
إلا حرمت عليه فجعلت ترفع صوتها باكية وتقول اللهم إني أشكو إليك فبينما هي
على تلك الحالة إذ تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي فنزل جبريل عليه
السلام بهذه الآيات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع
تحاوركما الآيات فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن الصامت وتلا عليه الآيات
المذكورة فقالت عائشة تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء إني كنت أسمع كلام خولة
ويخفى عليّ بعضه وهي تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم فما برحت حتى نزل جبريل
بهذه الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس أعتق رقبة قال مالي بهذا قدرة
قال فصم شهرين متتابعين قال إني إذا لم آكل في اليوم مرتين كل بصري قال فأطعم ستين
مسكينا قال لا أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمسة عشر صاعا وكانوا يرون أن عند أوس مثلها وذلك لستين مسكينا لكل مسكين
نصف صاع وهذا أول ظهار في الإسلام

وفي رمضان هذه السنة استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجدب الناس فمطروا
فقال صلى الله عليه وسلم أصبح الناس مؤمنا بالله وكافرا بالكواكب قاله مغلطاي
واستسقى في موضع المصلى وصلى صلاة الاستسقاء روي أنه قحط الناس على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأتاه المسلمون وقالوا يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر
وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس معه يمشي وعليه السكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم وصلى بهم
ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين والاستسقاء
في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة
الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه
لكي ينقلب القحط إلى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة قبل أن
يستسقي ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا اللهم اسقنا غيثا مغيثا وحيا ربيعا وجدا طبقا غدقا مغدقا عاما
هنيئا مريئا مريعا مرتعا وابلا شاملا مسبلا مجللا دائما درورا نافعا غير ضار عاجلا

غير

غير رائث غيثاً اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهوراً تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما رد يده إلى نحره حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه إلى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا تقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وقالوا يا رسول الله قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله تعالى أن يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال حوالينا ولا علينا اللهم على رؤوس الظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام فتصدعت عن المدينة حتى كانت في مثل الترس عليها كالفسطاط تمطر مراعيها ولا تمطرها قطرة وفي رواية لما صارت المدينة كالفسطاط ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله أبو طالب لو كان حياً لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا رسول الله كأنك أردت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل

(الفصل السابع)

(في حوادث السنة السابعة وما فيها من الغزوات)

(وفي هذه السنة من الهجرة كانت غزوة خيبر في منتصف المحرم)

وخيبر مدينة بينها وبين المدينة ثمانية برد ذات حصون أعظمها يسمى القموص لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج إليها غازيا ودفع اللواء إلى علي وسار فلما أشرف قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله ونزلوا على خيبر ليلا فلم يصح لهم تلك الليلة ديك وكان صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فبات لم يسمع أذانا فلما أصبحوا خرجوا إلى أعمالهم بمساحيهم ومكاتلهم لعدم علمهم فلما رأوه صلى الله عليه وسلم عادوا وقالوا محمد والخميس (أي الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام مقدمة ومـ

(وهو مثلث مؤخر وقلب) فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إنا إذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وبهذا استدل على أن إيراد آيات القرآن على
سبيل الاقتباس والاستشهاد لا بقصد التلاوة والقراءة جائز فيما يحسن ويجمل لا في المدح
ولغو الحديث وبه قال النووي في شرح مسلم ونظائر هذا كثيرة كما ورد في فتح مكة
أنه صلى الله عليه وسلم جعل يطعن في الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقا كما سيأتي وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال آمنت بالذي خلقك فسوّاك فعدلك
ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كتب
عبد أبي في وصيته وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن قحافة عند
خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت
عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني فيه ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم
الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وروي أن عثمان بن عفان يوم الدار
أشرف من داره على الناس وقد أحاطوا به فقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم
مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم
لا تقتلوني فإنكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه فكل هذا كغيره من حديث فتح مكة
يدل على جواز الاقتباس انتهى

وفرّق صلى الله عليه وسلم الرايات ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر وإنما كانت الألوية
وكانت رايته يومئذ سوداء تسمى العقاب لكون لون العقاب أسود ثم حاصرهم وضيق
عليهم وأخذ الأموال وفتح الحصون حصنا حصنا إلى أن انتهى إلى حصنيهم الوطيح والسلالم
وكان آخر الحصون افتتاحا وكان حصارهم بضع عشرة ليلة وأخذت من سباياهم صفية
بنت كبيرهم حيي بن أخطب اصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها وجعل
عتقها صداقها وبهذا أخذ الإمام أحمد رضي الله عنه فحكمه عنده وهو من مفردات
مذهبه وقال غيره إن هذا من خواصه صلى الله عليه وسلم وكانت صفية رأت في المنام
وهي عروس بكنانة بن أبي الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فذكرته لزوجها
فقال ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ولطمها وعرس صلى الله عليه وسلم
بها في الطريق في قبة وبات أبو أيوب الأنصاري يحرسه فلما أصبح
رآه

رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مالك فقال خفت عليك من امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد

وكانت الراية مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكان يقاتل قتالا شديدا ثم أخذها عمر فقاتل قتالا شديدا فقال صلى الله عليه وسلم أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار يأخذها عنوة فتطاول المهاجرون والأنصار إليها ورجا كل واحد أن يكون هو صاحب ذلك وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما أصبحوا جاء علي فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن بهما رمد ثم أعطاه الراية وعليه حلة حمراء فنهض بها وأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهودها وقال من أنت فقال علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم يا معشر اليهود فخرج مرحب صاحب الحصن من الحصن ولم يكن في أهل خيبر أشجع من مرحب وعليه مغفر يماني وعلى رأسه بيضة وله رمح له ثلاثة أسنان وينادي من يبارز وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب * إذا الحروب أقبلت تلهب
إن حماي للحمى لا يقرب

فخرج علي كرم الله وجهه وهو يقول

أنا الذي سمتني أمي حيدره * أكيلكم بالسيف كيل السندره
ليث بغابات شديد القسوره

(والسندرة مكيال معلوم) ومعلوم أن حيدرة اسم من أسماء الأسد وهو أشار بها إلى ذلك إلى أن أمه فاطمة لما ولدته سمته باسم أبيها وكان أبوه غائبا فلما قدم سماه عليا ولذلك قال علي رضي الله عنه يوم خيبر أنا الذي سمتني إلى آخره فخرج إليه مرحب فاختلفا ضربتين فسبقه علي رضي الله عنه فقد البيضة والمغفر ورأسه حتى [illegible] والله أعلم وكان فتح خيبر على يد علي رضي الله عنه بعد حصار بضع عشرة ليلة وإلى ذلك يشير بعضهم

وشاد أنصاره [illegible] * [illegible]
[illegible] في الهوى [illegible] * [illegible] في الوغى [illegible]

وفتح المسلمون حصون خيبر كلها عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم بضم السين المهملة فانهما فتحا صلحا وكان أعظم حصون خيبر حصن القموص كصبور من حصون الكتيبة الثلاثة وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي رضي الله عنه ومنه سبيت صفية رضي الله عنها وقيل ان اسمها قبل أن تسبى زينب فلما صارت من الصفي سميت صفية والصفي ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم وكان في الجاهلية للامير الخمس ربع الغنيمة ومن ثم قيل له المرباع قال السهيلي رحمه الله كانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه الصفي والهدية وخمس الخمس هكذا قاله ولا يخفى انه يزاد على ذلك الفيء وباقي حصون الكتيبة الثلاثة هو حصن الوطيح وحصن سلالم المتقدمين

وقد حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من النساء المسلمات فرضخ لهن عليه السلام من الفيء ولم يضرب لهن بسهم وقيل ضرب لهن أسهم الرجال وكانت قد خرجت معهم عشرون امرأة وفي حديث ابن أبي الصلت عن امرأة غفارية سماها قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من غفار وهو يسير الى خيبر فقلنا يا رسول الله قد أردنا الخروج معك لنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا من الفيء

واستشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في مسيره الى خيبر انزل يا ابن الاكوع فاحد لنا من هناتك فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

وقتل عامر بن الاكوع رضي الله عنه بسيف نفسه رجع عليه وهو قاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه

وفي خيبر وقد أهدت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة فأخذ منها قطعة ولاكها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وكان بشر قد أساغ تلك اللقمة والمصطفى صلى الله عليه وسلم لم يسغها الا انها أثرت في لهواته قبل أن ينطق الله له ذراعها بالغدر بما دس فيها من السم القاتل من ساعته ودعا صلى الله عليه وسلم باليهودية فاعترفت ثم قال لها ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا أرحت الناس منك فقال ما كان الله

ليسلطك

فتسلط على ذلك ولم يعاقبها لأنه كان لا ينتقم لنفسه وإلى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمّت له اليهودية الشا ة * وكم سام الشقوة الأشقياء
فأذاع الذراع ما فيه من شر * بنطق إخفاؤه إبداء
وبخلق من النبي كريم * لم تقاصص بجرحها العجماء

أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل في الشاة ومرات كثيرة طلب الشقوة ويتحلى بها الأشقياء الذين لا خلاق لهم فأخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من سم إخفاء ذلك الناطق عن الحاضرين إبداء وإظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم تقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها لأن السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر

وما قيل إنه أمر بها فقتلت به قصاصا لعله هو غير ما روي عن ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء وهذا يعضد قول ابن إسحاق أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته إن أكلة خيبر لم تزل تعاودني وهذا زمان انقطاع أبهري والأبهر عرق في الظهر وقيل هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق بعده حياة وقيل الأبهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم وله شرايين تتصل بأكثر أطراف البدن فالذي في الرأس منه يسمى النأمة ومنه قولهم أسكت الله نأمته أي حياته ويمتد إلى الحلق ويسمى فيه الوريد ويمتد إلى الصدر فيسمى الأبهر ويمتد إلى الظهر فيسمى الوتين والفؤاد معلق به ويمتد إلى الفخذ فيسمى النسا ويمتد إلى الساق فيسمى الصافن ولم تكتب ليهود خيبر كتابا بإسقاط الجزية عنهم وإعفائهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يقرهم بإقرارهم ويخرجهم متى شاء

ثم في زمن خلافة القائم بأمر الله أظهر يهودي عند رئيس الرؤساء ببغداد وأظهر كتابا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ووقع الناس منه في حيرة فعرضه على الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي فتأمله وقال إن هذا مزور فقيل له من أين ذلك فقال فيه شهادة معاوية رضي الله عنه وهو أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة وفتح خيبر سنة سبع من الهجرة ولم يكن

فصالحنا في ذلك الوقت ولا خير فيما جرى وفيه استشهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه ومات منه
يوم بني قريظة بسهم أصابه ذلك قبل فتح خيبر بسنتين أو نحو

وفي هذا الباب فتح فدك وهي قرية بينها وبين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مرحلتان ويقال ثلاث مراحل قال أهل السير لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بعث محيصة بن مسعود الحارثي الى فدك يدعوا أهلها الى الاسلام فدعاهم اليه فخوفهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى حربهم كما أتى الى حرب أهل خيبر فقالوا ان عامرا وياسرا والحارث وسيد اليهود مرحب في حصن نطاة ومعهم ألف مقاتل وما نظن ان محمدا يقربهم فمكث محيصة عندهم يومين فلما رأى انه لا رغبة لهم في الصلح أراد أن يرجع فقالوا له اصبر حتى نستشير أكابرنا ونبعث معك من يصالح محمدا وبقاهم في هذا الرأي اذ أتاهم خبر حصن الناعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه فوقع في قلوبهم خوف عظيم فأرسلوا جماعة من يهود فدك الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحوه فبعد القيل والقال الكثير استقر الامر على ان يعطوا النبي صلى الله عليه وسلم نصف أرض فدك ونصف ثمارها فرضي النبي صلى الله عليه وسلم فصالحهم على ذلك وكانوا يعملون على ذلك حتى أخرجهم عمر وأهل خيبر الى الشام وأعطاهم قيمة النصف من المال كما سيأتي فكانت خيبر للمسلمين وفدك خالصة له لانها فتحت من غير ايجاف (أي بغير لواء سابق في السير) ولا ركاب فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله وانصرف صلى الله عليه وسلم عن خيبر الى وادي القرى فحاصرها ففتحها عنوة وقسمها وأصاب بها غلاما له قتله سهم غرب (سهم غرب بالاضافة ويسكن الراء لاضافته وهو من لا يعرف راميه) فقيل هنيئا له الجنة فقال عليه السلام كلا ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار

وعن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أيهدى اليه أم لا والذي نفسي بيده لا يأخذ منه أحد شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار وان كان شاة تيعر (بفتح التاء وسكون الياء بعدها مهملة مفتوحة ويجوز كسرها

كسرها أي قطعها وشدد ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر فروة بن عمرو الساعي أن يجمع غنائم خيبر في حصن نطاة فجمع وكان في أسلاب الغنائم مصاحف عبرانية من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعها إليهم ويوم جمع غنائم خيبر وأجلى اليهود أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي أن من آمن بالله واليوم الآخر لا يصيب أحد امرأة من السبي غيرها لمن حتى يستبرئها (أي حتى تحيض) وفي لفظ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أذينة ينادي أن من آمن بالله واليوم الآخر لا يسقي ماءه زرع غيره ولا يقع امرأة حتى تمضي عدتها (أي حتى تحيض) ولم تزل يهود خيبر وأهل فدك على شروطهم هذه إلى أن أجلاهم عمر رضي الله عنه منها ومن غيرها من بلاد العرب وهي الحجاز مكة والمدينة واليمامة وطرقهما وقراهما كالطائف وفدك وخيبر للمدينة حيث بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه لا يجتمع دينان بأرض العرب وفي رواية بجزيرة العرب انتهى والعرب أفضل الأجناس وأعرقهم نسبا وأكرمهم أخلاقا وأرقهم طباعا وأوفرهم كرما وأجمعهم للخلال الكريمة وأبعدهم عن الأخلاق الذميمة وهم بحور الكرم والوفاء قال الأصمعي وخصت العرب بإطعام الطعام والأنفة من الضيم وقال المأمون فضلت العرب على سائر الأجناس بالسؤدد ولو لم يكن فيهم إلا أنهم لا يصلحون للاسترقاق لكفى وأرق العرب طباعا قريش وأهل الحرمين وقال أخصب العرب من سكن الآكام لأن العمائم تيجانها والسيوف سياجها والشعر ديوانها وإنما قيل الشعر ديوان العرب لأنهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب ولأنه مستودع علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم ولهذا قيل

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به * والشعر أفخر ما ينبي عن الكرم
لولا مقال زهير في قصائده * ما كنت تعرف جودا كان في هرم

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضع الله عزهم ومن أعز العرب نفسا وأشرفهم هِمما الأنصار وهم الأوس والخزرج أبناء قيلة لم يؤدوا إتاوة قط في الجاهلية إلى أحد من الملوك وكتب إليهم تبع أبو كرب يدعوهم إلى طاعته ويتوعدهم إن لم ينقادوا له فكتبوا إليه

العبد منكم نؤم عما الا * ومكانه بالمنزل المتدلل
إنا أناس لا نسام بأرضنا * غصص الرسول فما الام المرسل

فلما دنا القتال منهم كانوا يقاتلونه نهارا ويحرسون النبي ليلا فسلم من قتالهم ورحل عنهم وحسب الأنصار من الفضل ما روي أنهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته يزداد وجعا طافوا بالمسجد وأشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل فأخبره بذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأخبره بذلك ثم دخل عليه العباس فأخبره بذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة جمعها قوله وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلكم يحبون من هاجر إليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة انتهى وبالجملة فكل واحد من العرب يرى في نفسه العزة وأنه سيد قومه وملكه وأكرمهم ولا سيما رؤساؤهم الذين هم فيهم كالملوك قال الشاعر

وإذا سألت عن الكرام وجدتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان

(رجوع) ثم سار صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان قد كتب إلى النجاشي يطلب [illegible] المهاجرين وخطب أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بالحبشة وأصدقها النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار وبها اجتمع جعفر بن [illegible] وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة في سهامهم من غنيمة خيبر ففعلوا فما أحسن زواج الحضرة النبوية بهذه الكريمة التي كانت على يد هذا الملك الموفق والنجاشي الذي طلع بدره على سماء الإيمان وأين [illegible] الكافور الجمالي الذي هو ملك الجمال وعلى ذكر الكافور فحسن ما رواه [illegible] أنه لما خرج [illegible] في بعض الغزوات فتوهم أن يقطع يده فلم يقطع فقال حسان [illegible] وفي كافور حتى [illegible] فلما وضعه على الجرح انقطع دمه فقال له صلى الله عليه وسلم [illegible] هذا [illegible] من قول امرئ القيس

وحكي

فكرت ابنة وصلها في هجرها * فجرت مدامع مقلتي كالعندم
وطفقت أمسح مقلتي بنحرها * إذ عادة الكافور إمساك الدم

فقال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة

وفي هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ودعاه إلى الإسلام فلما وصل إليه الكتاب أسلم وكتب بجواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه بإسلامه وأرسل الهدية وكان باقيا على إسلامه إلى زمان عمر بن الخطاب وفي خلافته قدم مكة للحج وحين كان يطوف في المطاف وطئ رجل من فزارة إزاره فانحل فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه فشكا الفزاري إلى عمر واستعان به فطلب عمر جبلة وحكم بأحد الأمرين إما العفو وإما القصاص فقال جبلة أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهو سوقة فقال عمر الإسلام سوى بينكما لا فضل لك عليه إلا بالتقوى قال قد كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فأتنصر فقال عمر إذا أضرب عنقك فقال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري فلما كان الليل ركب في بني عمه وهرب إلى قسطنطينية وتنصر هناك ومات مرتدا وبعض أهل الإسلام على أنه عاد إلى الإسلام ومات مسلما

وفي هذه السنة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم روي في صحاح الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك يدعوهم إلى الإسلام قيل له إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما فصاغ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب واتخذ بعده ذوو اليسار من أصحابه فصاغوا خواتم من ذهب فلما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه لبسوا أيضا خواتيمهم فجاء جبريل عليه السلام من الغد وقال لبس الذهب حرام لذكور أمتي فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح أصحابه أيضا خواتيمهم ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما حلقته وفصه من فضة ونقش فيه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر واتخذ بعده أصحابه فاتخذوا خواتيمهم من فضة

وفي هذه السنة بعث رسله إلى الملوك وقيل كان إرسال الرسل في آخر سنة ست وصحح صاحب المواهب أن إرسال الرسل كان في أول السنة السابعة ووصولهم إلى المرسل إليهم كان في أول السابعة وقد تقدم الكلام على بعث الرسل إلى الملوك في أوائل السا...

عشر من الباب الأول من المقالة الرابعة من الجزء الأول من هذا التاريخ وقد أتى ذلك
في الفصل الرابع من الباب السادس

وفي هذه السنة في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون كانت عمرة القضاء ويقال
لها عمرة القضية لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا أي صالحهم عليها
ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص قال السهيلي رحمه الله وهذا
الاسم أولى لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال الحافظ ابن
حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص لأنها
كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن
البيت فيه سنة ست واشتقت قضاء من المقاضاة التي صد عن البيت فيها فإنها لم تكن
قضاء بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم
التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء
وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي قرنها مع حجته في حجة الوداع بناء على
ما هو الراجح من أنه كان قارنا وكلها في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته

وخرج صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقدهم عليه في سنة الحديبية من أن
يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام وأمر
أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وأن لا يتخلف أحد
ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم أحد إلا من استشهد منهم بخيبر ومن مات وخرج معه صلى
الله عليه وسلم قوم من المسلمين عمارا غير الذين شهدوا الحديبية وكانوا في عمرة القضاء ألفين
واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها أي جعل
في كل بدنة نعلا علم أنها هدي وجعل عليها ناجية بن جندب وحمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة
رضي الله عنه وعلى السلاح بشير بن سعد فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه فقيل
يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر
السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح
ولكن يكون قريبا فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فأخبر قريشا
به فبعثوا مكرز بن حفص في نفر حتى لقي النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ما
عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم
أن

*أن لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف في القرب وقال صلى الله عليه وسلم اني لا أدخل عليهم بسلاح وقال لمكرز وهو الذي يعرف بالغدر والوفاء ثم رجع مكرز الى مكة مسرعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم

فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة راكبا ناقته القصوى وأصحابه محدقون به قد توشحوا السيوف يلبون ثم دخل من الثنية وهي (كداء بفتح اوله والمد (وهي طلعة الحجون التي بأعلى مكة ينحدر منها الى المقابر على درب المعلاة) على طريق الابطح وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وحمل صلى الله عليه وسلم السلاح في بطن يأجج (كيمنع ويضرب وينصر موضع قرب من الحرم) وخلف عنده جمع من المسلمين من اصحابه عليهم أوس بن خولي وقعد جمع من المشركين على جبل قعيقعان ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قال كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه ان يرملوا الاشواط الثلاثة أي ليروا المشركين ان لهم قوة فلما رأوا ذلك قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد أوهنتهم انهم ليسعون سعي الظبي واعلم أن أمره صلى الله عليه وسلم بالرمل في الاشواط كلها ارفاقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم أي جعل وسط ردائه تحت عضده الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر وفعلت الصحابة رضي الله عنهم كذلك فهذا أول رمل واضطباع في الاسلام وكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون انها ليست سنة عليهم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون

وأقام صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام فلما كانت الثالثة التي هي أمد الصلح جاءه حويطب
ابن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضي الله عنهما وما كانا أسلما بعد ذلك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوانه إلى الخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا ننشدك الله والعهد
الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
وأصحابه من مكة وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله
عنها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي أخت أم الفضل
زوج العباس رضي الله عنهما وأخت أسماء بنت عميس لأمها زوج جعفر رضي الله عنه
وكان تزوجه بها صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم بالعمرة وقيل بعد أن حل منها وقيل
وهو محرم وبنى بها في عوده من مكة بمحل يقال له سرف [illegible]
[illegible] أميال من مكة واتفق أنها ماتت بعد ذلك بسرف ودفنت فيه وفي بعض السير أنها
لما أتت مكة قالت أخرجوني من مكة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أني
لا أموت بها فحملوها حتى أتوا بها سرف إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحتها في موضع القبة فماتت هناك سنة ثمان وثلاثين وهناك عند قبرها سقاية
وفيها حرم الحمر الأهلية والنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وفيها النهي عن متعة
النساء بالضم والكسر وهي أن يتزوج امرأة ليتمتع بها مدة ثم يخلي سبيلها ويحصل الفرقة
بانقضاء الأجل بغير طلاق ثم حللها يوم حنين ثم حرمها تحريما مؤبدا وفيها جاءته
مارية القبطية بنت شمعون أهداها له المقوقس ملك مصر والإسكندرية وأختها
سيرين مع هدية من ذهب وقدح من قوارير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب
فيه وهدية من عسل من بنها العسل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعسل بنها
بالبركة وبغلته دلدل بضم الدالين ولم يكن في العرب غيرها وهي أول بغلة ركبت في
الإسلام وكانت بيضاء وقيل شهباء أهداها له أيضا المقوقس وكان يركبها في السفر
وعاشت بعده حتى كبرت وسقطت أضراسها وكان يجش لها الشعير وقيل كانت
ذكرا لا أنثى وكل ذلك مع حاطب بن أبي بلتعة

وفي هذه السنة أيضا كان تزوجه بأم حبيبة وفيها أسلم أبو هريرة وعلى أشهر الأقوال
اسمه عبد شمس بن عامر فسمي في الإسلام عبد الله وقيل له لم كنيت أبا هريرة فقال
كنت أرعى غنم قومي وكانت لي هريرة صغيرة ألعب بها فكنوني أبا هريرة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا هر وكان أحفظ أصحابه لأخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وتسليم آثاره ولم يشتغل بالسجع ولا بالغريب ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن مات مختاراً للعدم والفقر ومروياته في كتب الأحاديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً

وفي هذه السنة قدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة وكان قد خرج في أثر المهاجرين بالهجرة الأولى التي كان أميرها عثمان بن عفان رضي الله عنه فهاجر جعفر ابن أبي طالب مع أصحابه وزوجته أسماء بنت عميس وتتابع المسلمون الى بلاد الحبشة فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ثم بلغ المهاجرين أن المشركين قد لانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا الى مكة ثم لعلمهم أنهم عادوا له بالشر فرجعوا الى الحبشة ولم يدخل أحد منهم مكة الا ابن مسعود فانه دخل ثم خرج ومعه عدد كثير من المسلمين وهذه هي الهجرة الثانية كما ستأتي الاشارة الى ذلك في الفصل الثاني في الهجرتين الى الحبشة من الباب الثاني من المقالة الخامسة من الجزء الثاني ونقلوا أن المهاجرين كانوا يزيدون على مائة نفس أحسن النجاشي جوارهم وكانوا آمنين على دينهم يعبدون الله كما يريدون فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة جمعت قريش من الأدم كل ما يستطرف من متاع مكة وأهدوه الى النجاشي وبطارقته جميعاً وبعثوا به عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط فقدما على النجاشي والمهاجرون عنده بجوار وأحسن جوار فلما دخلا عليه سجدا له وقربا هداياهما اليه فقبلها منهما وقالا له ان قوماً من عشيرتك من هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه أحد منا الا السفهاء وقد كان بيننا وبينهم فجاؤوا البلد ليفسدوا عليك دينك وملكك فادفعهم الينا لنكفيكهم فغضب النجاشي عند ذلك فقال والله لا أسلمهم الكفاية حتى اروى على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقولون فان وجدتهم على خلاف ما يقولون أحسنت جوارهم ما جاوروني فأرسل اليهم فجمعهم فدخلوا عليه في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وصاحبه عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس عنده فلما انتهوا اليه قالوا انما نسجد لله فلم يسجدوا للملك فلما سألهم النجاشي عن ذلك قالوا ما نسجد الا لله الذي خلقك وملكك وقد علمنا به الصادق تحية أهل الجنة وهي السلام فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والانجيل فقال لهم أيكم يكلمني فقال جعفر أنا أيها الملك فأذن له فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فسألهما النجاشي فقالا بل أحرار كرام فقال جعفر ... أهل

أهرقنا دماء بغير حق فنقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل أخذنا
أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال النجاشي إن كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال
عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وإياهم على دين واحد وأمر
واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا الملك قومهم أشراف قومهم من
آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه فقال
النجاشي لجعفر وأصحابه ما هذا الدين الذي اتبعتموه وفارقتم فيه دين قومكم ولم تدخلوا
في ديني ولا في دين أحد من الأمم فقال جعفر أيها الملك أما ما كنا عليه فهو دين الشيطان
لأنا كنا قوما أهل جاهلية نكفر بالله ونأكل الميتة ونأتي الفاحشة ونقطع الأرحام ونسيء
الجوار ويأكل القوي منا الضعيف وأما الدين الذي تحولنا إليه فدين الإسلام فإن الله
عز وجل بعث إلينا رسولا نعرف صدقه وأمانته وعفافه وهو الذي بشر به عيسى ابن
مريم عليه السلام فقال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فدعانا إلى الله عز
وجل لنوحده ونعبده ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة وعدد النبي أمور
الإسلام وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر وأن نخلع ما كنا نعبد من دون الله وآباؤنا من
عبادة الأصنام من الحجارة والأوثان فصدقناه وآمنا به ومعه كتاب كريم مثل كلام الذي
أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام فقال النجاشي لقد جئت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر
بضرب الناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال لهم أنشدكم الله
الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا
اللهم نعم قد بشرنا به عيسى ابن مريم عليه السلام وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد
كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قالوا يقرأ
علينا كتاب الله عز وجل ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بصدق الحديث
وأداء الأمانة وحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم وكف الأذى والكف عن المحارم
والدماء وينهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات فحرمنا ما
حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى
عبادة الأوثان عن عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما
قهرونا وظلمونا وشقوا علينا ذلك وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من
سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فأعجب النجاشي قوله
ثم قال له هل عندك مما جاء به عن الله من شيء قال جعفر نعم فقال النجاشي اقرأه علي

فقرأ

فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي إن هذا الكلام والذي أنزل على عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة ثم أقبل على جعفر وأصحابه وقال مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد أنه رسول الله الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه امكثوا في أرضي ما شئتم وأمر لهم بكسوة وطعام وقال لعمرو بن العاص وصاحبه انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا ولا أكاد فخرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينهم غدا ولأعيبنهم عنده بما أستأصل به خضراءهم فقال له صاحبه وكان أتقى الرجلين لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن المسيح ابن مريم عبد فلما كان الغد غدا إليه فقال له أيها الملك إنهم يقولون في المسيح قولا عظيما فأرسل إليهم فاسألهم فأرسل إليهم فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فقال له جعفر نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ثم قرأ عليهم صدرا من سورة مريم فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته بدموعه وبكوا أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم وقال والله يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هذا على ما تقولون في ابن مريم ثم قال لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (والسيوم الآمنون) من سبكم أو آذاكم غرم ثم من سبكم أو آذاكم غرم ثم من سبكم أو آذاكم غرم ثلاث مرات وقال انظروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب إبراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم فقال عمرو لم يكن حزب إبراهيم فأخذ ثم المراء في شأن إبراهيم وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وقال النجاشي أعطاهما كل رشوة فقبضوها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ملكني فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وأقام جعفر وأصحابه عنده في خير دار وأحسن جوار

ـ فهم من فيض عين النجاشي وأصحابه بالدموع حين سماع قراءة جعفر رضي الله عنه
ورا ن اره رآن ان له ولحيته عروه يالحر ... ا ربه الا ... ن

الملك علماء الاراضي المجاورة لارض العرب وبعد أن تكون هذه السورة نزلت قبل هجرتهم
من القراءة عليهم لان الهجرة لا تكون قلوبهم حتى تفيض دموعهم ويدل عليه ما صح
ان وفد الحبشة القادمين مع جعفر عليه صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم سورة يس وقد
تقدم عن عروة بن الزبير ان غضب النجاشي على عمرو وأصحابه كان بحضور عمرو بن أمية
الضمري وان عمرو بن العاص طلب من النجاشي قتله والخطب سهل فلعل الواقعة
تعددت وبالجملة فالقصة واحدة وهي انه لم يحصل من عمرو بن العاص مرادا ولا قدر على
اخفار أصحابه صلى الله عليه وسلم

وروت أم سلمة رضي الله عنها انه نزل بالنجاشي من نازعه في ملكه قالت أم سلمة رضي
الله عنها والله ما علمنا حزنا قط أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك على
النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرفه قالت وسار النجاشي
وبينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يخرج حتى
يحضر وقعة القوم فقال الزبير بن العوّام أنا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها
حتى خرج اليهم وحضرهم ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوّه والتمكين له في بلاده
فظهر واستوثق له أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم

وفي سنة ست من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بفتح
الضاد وسكون الميم الى النجاشي بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام وكتب فيه ما صورته
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة أما بعد فاني أحمد اليك
الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم
روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطاهرة المطهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى
فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له
والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت
اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاؤك فأقرهم ودع التجبر فاني أدعوك
وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى
فلما وصل اليه الكتاب أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الارض
تواضعا ثم قال أشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة
موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل فأسلم وحسن اسلامه

وكتب

وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابته وتصديقه واسلامه على يد جعفر كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي أصحمة بن أبحر سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته لا اله الا الله الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه وأنى أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابني أرها وان شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله فاني أشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فتحصل من ذلك ان النجاشي هذا وهو أصحمة الذي هاجر اليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة وكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام مع عمرو بن أمية الضمري سنة ست من الهجرة وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة وأما النجاشي الذي ولي بعده وكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما

ولما خرج جعفر رضي الله عنه من الحبشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعث النجاشي ابنه أرها في ستين رجلا من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبوا سفينة في اثر جعفر وأصحابه حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا والحكمة في ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم لو أنهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصلوا اليه ربما كان الكفار يقولون ان محمدا اتاه ملكه (أي قوة وسلطان) وان ابن ملك الحبشة وأصحابه فأراد الله تعالى ان يظهر للناس كون أن قوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله عز وجل لا بسبب دخول أحد من قومه من ملك أو سلطان أو وزراء أو أعوان كما هو مصرح به في بعض الكتب المعتبرة ووافى جعفر وأولاده [illegible] وجملتهم [illegible] ومن دخل في الاسلام ثبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر [illegible] يقول رجال من الحبشة انهم [illegible] من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الى النجاشي فما مكثوا حتى سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله تعالى ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا من أهل الصوامع وأما قوله تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة كذا في تفسير البغوي رحمه الله تعالى

ولما أقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه قام صلى الله عليه وسلم إلى جعفر وقبله بين عينيه وقال ما أدري بأيهما أسر بقدوم جعفر أم بفتح خيبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم إنها مكروهة وحديث جعفر يحتمل أن يكون قبل النهي عنها ولم يجب بذلك الإمام مالك رضي الله عنه فإنه لما قدم سفيان بن عيينة رضي الله عنه وصافحه الإمام مالك وقال لولا أنها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومني النبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام مالك تعني جعفر بن أبي طالب قال نعم قال ذاك خاص ليس بعام أي وذلك من خصوصيته فقال له سفيان ما عم جعفرا يعمنا أو ما يخصه يخصنا أي فالأصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان أتأذن لي أن أحدث بحديث في مجلسك قال نعم فقال حدثني فلان عن فلان عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر الحديث المتقدم به وأما المصافحة فعلمها أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام تحيتكم المصافحة

ولما رأى جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجل أي مشى على رجل واحدة إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أشبهت خلقي وخلقي وفي لفظ جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لأنه رضي الله عنه كان يحب المساكين ويجلس إليهم ويحدثهم ويحدثونه وذكر بعضهم أنه لما قال له صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقي وخلقي رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم

رقصه وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عندما يصيبهم من لذة المواجد في مجالس الذكر والسماع

(الفصل الثامن)

(في ظواهر السنة الثامنة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلموا وفيها في جمادى الأولى غزوة مؤتة وهي قرية من قرى البلقاء بالشام قبل الكرك وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم وكانت الروم والعرب المتنصرة في نحو مائة ألف وسبب هذه الغزوة أنه أرسل صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير إلى ملك بصرى بكتابه فعرض له بمؤتة عمرو بن شرحبيل الغساني فقتله ولم يقتل له صلى الله عليه وسلم رسول غيره فبعث صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف وأمّر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال إن أصيب فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن أصيب فأميركم عبد الله بن رواحة الأنصاري فإن أصيب فليفتح الله على يدي رجل من المسلمين وأشار بيده إلى خالد بن الوليد فلما التقوا مع الروم أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذها بشماله فقاتل حتى قطعت شماله فحضن الراية وقاتل حتى قتل رضي الله عنه وسمي ذا الجناحين لأنه صلى الله عليه وسلم قال إن له جناحين يطير بهما حيث شاء من الجنة ويحكى أنه وجد في مقدمه أربعة وخمسون ما بين طعنة رمح وضربة سيف وقتل في السنة الثامنة من الهجرة وهو ابن نحو من أربعين سنة وكان أسن من أخيه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي وتقول واعماه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم انصرف إلى أهله وقال اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم وضم عبد الله بن جعفر إليه ومسح رأسه وعيناه تدمعان وقال اللهم اخلف جعفرا في ذريته بأحسن ما خلفت به أحدا من عبادك الصالحين وكان لجعفر من الولد عبد الله الجواد وعون ومحمد استشهدا بصفين وقيل إنهما قتلا بالطف مع الحسين عليه السلام وحمل ابن زياد رؤوسهما مع رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ولم يكن لعون عقب

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري فاستشهد وفي أثناء استشهاد هؤلاء الصحابة الكرام كان صلى الله عليه وسلم جالسا على المنبر وقد كشف الله له عن معركتهم فكان يخبر باستشهاد كل واحد منهم ويصلي عليه وأمر أصحابه بالاستغفار له

وفي الصحيح من حديث جعفر قال لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج الى مؤتة قال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم السوء وردكم سالمين غانمين فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع نحو مائة الف وقدم الطلائع أمامه ولما نزلوا معان من أرض الشام بلغهم ان هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت اليه المستعربة من لخم وجذام والقين وبلي وبهراء ووائل فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فإما ان يمدنا بالرجال وإما ان يأمرنا بأمره فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة فقال والله يا قوم ان الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضوا لوجوههم

وفي الاكتفاء ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف وانحاز المسلمون الى مؤتة التي تسمى الغزوة بها فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عباية بن مالك ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ثم أخذها جعفر فقاتل حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل رضي الله تعالى عنه وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * علي إذ لاقيتها ضرابها

وقد سبق ذكر هذه الغزوة عند الكلام على قيصر هرقل في الفصل الرابع عشر من الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول من هذا التاريخ؛ وفي هذه السنة على ما قيل أعني الثامنة أو السابعة أو التاسعة من الهجرة اتخذ المنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثل الغابة وفي رواية من طرفاء الغابة والخطابة وهي الكلام المنثور المسجع وهو أول منبر عمل في الاسلام وفيها كان مولد ابراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام وهو ثالث أولاده وأمه مارية سريته صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم

وفي

وفي هذه السنة كان نقض الصلح وغزوة فتح مكة الذي هو أعظم الفتوح الإسلامية لأن الله أعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا وأزال الله به الشرور وزاد به المصطفى السرور وذلك أن بني بكر بن عبد مناة اعتدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكان في صلح الحديبية أنه لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش ولا يتعرضون لمن دخل في عقده يعني اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وكانت خزاعة ممن دخل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده وبنو بكر ممن دخل في عهد قريش وعقدهم وكانت بينهم حروب في الجاهلية فكلمت بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم بكر بن فبيتوا خزاعة أي جاؤوا البلد بغتة فنالوا منهم عشرين ثم ندمت قريش على ما فعلوا وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم المدينة مستغيثين به وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد وأنشده أبياتا وهي

لاهم إني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فوالدا كنا وكنت الولدا * وواحدا كنت وكنا العددا
إن قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فلما سأله بهذه الأبيات أن ينصره قال له صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم ومسك عنانه صلى الله عليه وسلم وقال لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب مما أنصر به نفسي وبنو كعب هم خزاعة ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة عليه صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين

إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان وقد جاء ليشد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلقي أبو سفيان بديلاً فقال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت إلى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال أوما أتيت محمداً قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها النوى فأتى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ليشد العقد فدخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس وما أحببت أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر ثم خرج وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً فذهب إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى علي رضوان الله عليهم على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره ويشفع بهم فلم يفعلوا ثم قال لفاطمة أن تأمر ابنها الحسن وهو غلام يدب بين يدي أبويه حتى يجير له فأبت فقال لعلي كرم الله وجهه يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني فقال والله لا أعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس (أي اطلب الأمان) ثم الحق بأرضك قال له أو ترى ذلك يغني عني شيئاً قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك فقص ما جرى له مع أبي بكر وعمر وعلي وأنه قد أجار بين الناس فقالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا والله إن الرجل ما زاد على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ولم يعلموا به أحداً ثم أعلم الناس بأنه يريد مكة وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم أي نأخذهم بغتة أي على حين غفلة من قبل أن يعلموا به وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة وبعثه مع سارة مولاة بني هاشم يعلمهم بذلك فأطلع الله رسوله على ذلك وأرسل علياً والزبير فأخذا منها الكتاب فقال لحاطب ما حملك على هذا فقال والله إني مؤمن بما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ صحبتك ولكن لي بين أظهرهم

اهل

أهل وولد وليس لي عشيرة تحميهم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه منافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وأنزل الله عز وجل في حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة الآية وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من الأعراب فجلبهم وهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وقد أهدر صلى الله عليه وسلم دم سارة حاملة كتاب حاطب بعد الفتح ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار عامدا إلى مكة فكان جيشه عشرة آلاف فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد وهو الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر وفي ذلك [illegible] خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وكان العباس رضي الله عنه أسلم قديما وكان يكتم إسلامه فخرج بعياله مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة ثم حضر أبو سفيان بن حرب على يد العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استأمن له فأسلم وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وفي رواية عروة فلما دخل أبو سفيان مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة أسلم قال أبو سفيان يا محمد إني قد استنصرت إلهي واستنصرت أنت إلهك فوالله ما لقيتك من مرة إلا ظهرت علي فلو كان إلهي محقا وإلهك مبطلا لظهرت عليك فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وممن أسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد وأمه هند بنت عتبة وكان معاوية يقول إنه أسلم يوم الحديبية فكتم إسلامه عن أبيه وأمه وقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما ذهب أبو سفيان لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه يا عباس بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة ثم مر [illegible] كثير العين

الهيثمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع لا تمر قبيلة إلا سأل عنها فإذا
أخبرته فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء
(وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها والعرب تطلق الخضرة على
السواد كما تطلق السواد على الخضرة) فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من
الحديد لأن فيها ألفي دارع فلما رأى ذلك أبو سفيان قال سبحان الله من هؤلاء يا عباس
قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار قال ما لأحد بهؤلاء من
قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قال ويحك يا أبا سفيان
إنها النبوة قال نعم إذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى إذا جاءهم
صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من
دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويلك وما تغني دارك عنا شيئا قال ومن أغلق عليه بابه
فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن فتفرق الناس إلى
دورهم وإلى المسجد واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وإن وجدوا متعلقين
بأستار الكعبة وبهذا استدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال الإمام الشافعي
وفي بعض السير لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطرق بالأبواء أبا سفيان ابن
ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت
عبد المطلب فأعرض عنهما صلى الله عليه وسلم فجاءه أبو سفيان وعبد الله بن أمية
من قبل وجهه فقال صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم
الراحمين وقبل منهما إسلامهما فأنشده أبو سفيان معتذرا إليه أبياتا فضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وكان أبو سفيان بعد ذلك
ممن حسن إسلامه وقيل إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء
منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول أرجو أن يكون خلفا من
حمزة وقال صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان ابن الحارث حين جاءه مسلما بعد أن كان
عدوا له كثير الهجاء كل الصيد في جوف الفرا (وهو بفتح الفاء حمار الوحش والمعنى
أن حمار الوحش من أعظم ما يصاد وكل صيد دونه كما أنك من أعظم أهلي وأمسهم رحما بي
ومن أكرم من أتى وكل دونك) وكان أبو سفيان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جملة من يشبهونه وهم ستة [illegible] جعفر بن أبي طالب والحسن بن علي وقثم
ابن

ابن العاص والسائب بن عبد بن عبد الله بن نوفل بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته سعد بن عبادة بالحجون فلما بلغه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة وفيه أنه يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسعى في الغبار الحسي بما يسعى في الغبار المعنوي لاحقا وهو ما قال سادة الأول أول الفكر آخر العمل فالساعي في التعمير ينبغي أن يكون ساعيا في التدمير لا سيما التيسير الذي أوليس أنه صلى الله عليه وسلم كان في بنائه قريش الكعبة ينقل في بنائها بنفسه معهم وأنه لما اختلفوا حتى احتكموا إليه في وضع الركن إلى موضعه كان هو الآخذ له بيده ووضعه بالركن والآمر بالإصلاح أخذ كل واحد طرفا من الثوب ورفعه إلى ما يحاذي موضعه والمتناول للحجر من الثوب والواضع له بيده الشريفة في محله فحق على من وضع بناها أن يرفع بناها

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يدخل الزبير ببعض الناس من كداء وسعد بن عبادة ببعض الخزرج ببعض الناس من ثنية كدى وأمر عليا أن يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قوله ذلك اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ثم أمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء في بعض الناس وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتل إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلا فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ألم أنهكم عن القتال فقالوا إن خالدا قوتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلان ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من كداء وهو على ناقته مراسور القمع ورجع

وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين ووضع الجزية يوم الاثنين وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين وعن عائشة رضي الله عنها كان لواؤه يوم فتح مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وهي التي كانت تسمى ... وعن جابر رضي الله تعالى عنهما أنها ... دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء ... الكاف والمد ... من أعلى مكة ... المعروف ... قال إنه دخل ... وهي ثنية كدى ... الكاف ...

ويقولون وسهم يروح برح صلى الله عليه وسلم من هذه وبهذا استدل على أنه
يستحب دخول مكة من الأولى والخروج منها من الثانية واغتسل صلى الله عليه وسلم
لدخول مكة وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا وكان شعار
المهاجرين يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله
أي شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضا في ظلمة الليل عند اختلاط الحرب لو وجد
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسرها ونادى
مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره وكذلك إلى
الناس يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمرهم بقتال وكان بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية
عوفا أبا عبد الرحمن وعم خالد كانا أقبلا من اليمن وأخذوا ما معهما وكان من السرايا التي
بعثها صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام سرية مع خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني
جذيمة فأقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوه
فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فأمرهم خالد
فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه ذلك رفع
يديه إلى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين ثم
أمر عليا رضي الله عنه أن يودي لهم الدماء والأموال ففعل ذلك ثم سألهم هل بقي لكم دم أو
مال فقالوا لا وكان قد فضل مع علي قليل مال فدفعه إليهم زيادة تطييبا لقلوبهم فأعجب
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وأنكر عبد الرحمن بن عوف على خالد فعله فقال خالد أثأرت
بأبيك فقال عبد الرحمن بل ثأرت بعمك الفاكه وفعلت فعل الجاهلية في الإسلام
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينهما فقال يا خالد دع عنك أصحابي فوالله
لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله تعالى ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته
وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة
وملكها عنوة بالسيف وإلى ذلك ذهب مالك وأصحابه وهو الصحيح من مذهب أحمد رضي
الله عنه وقال أبو حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما إنها فتحت صلحا ولما دخل صلى
الله عليه وسلم مكة وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مشدودة بالرصاص لكل حي
من أحياء العرب صنم وكان هبل أعظمها وهو على باب الكعبة فلما طاف جعل يشير
بقضيب بيده إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فما أشار
لصنم إلا وقع لوجهه وفي ذلك قال تميم الخزاعي

وفي

في الاصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الثواب أو العقابا

ثم أمر بهبل فكسر وهو واقف عليه

وروي ان الزبير بن العوام قال لابي سفيان ان هبل الذي كنت تفخر به يوم أحد قد كسر قال دعني ولا توبخني لو كان مع اله محمد إله آخر لكان الامر غير ذلك و يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح كان بها من الاصنام ثلاثمائة وستون صنما حول الكعبة منها اساف ونائلة فكسرا مع الاصنام وفي ذلك يقول فضالة الليثي

لولا رأيت محمدا وجنوده * بالفتح يوم تكسر الاصنام

لرأيت نور الله أصبح بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وكان عليه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح (أي من النوافل) ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية ثم قال يا معشر قريش فاجتمع به المشركون في المسجد الحرام آيسين من أرواحهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد الحرام وأحاط جنده بالمسجد ودخل معه خواصه وفتح له باب الكعبة حتى دخل وصلى بها وأقام الخواص حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم على معاصيهم سوءهم وهم ينظرون أمره ونصع الخوف في أعدائهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على عتبة الباب وأهل قريش وهم منكسو رؤسهم خوفا وحزنا وقال يا أهل مكة بئس العشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس والآن قد أظفرني الله عليكم كما ترون فما ترون أني فاعل بكم فقام سهيل ابن عمرو وهو كان من رؤساء قريش وقال يا محمد أنت أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت ان عذبت فجرم عظيم وان عفوت فافضل وكرم ودمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم وقال بل أقول مثل ما قال أخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم صلى الله عليه وسلم بعد ما ولم يسب ذراريهم وكان
الله قد أمكنه منهم فكانوا له فيئا ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم
يسترقوا ولم يؤسروا والطليق هو الأسير إذا أطلق وروي أن عائشة رضي الله عنها
نذرت إن فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلي في البيت ركعتين فلما
فتحت مكة وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سألت النبي صلى الله عليه وسلم
أن يفتح لها باب الكعبة ليلا وفي بدرها [illegible] عثمان بن طلحة رضي الله عنه بالمفتاح إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إنها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وأدخلها الحجر وقال صلي فيها فإنها من الحطيم أي الحجر
من البيت إلا أن قومك قصرت بهم النفقة (أي الحلال) فأخرجوه من البيت ولولا
حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت
الحطيم في البيت وألصقت العتبة على الأرض ولئن عشت إلى قابل لأفعلن ذلك ولم يتيسر
صلى الله عليه وسلم ولم يفرغ الخلفاء لذلك

ولما اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطواف فطاف بالبيت
سبعا على راحلته واستلم الركن ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صور الملائكة
وصورة إبراهيم وفي يده الأزلام يستقسم بها فقال صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله جعلوا
شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم أمر بتلك الصور فطمست وصلى في البيت ثم
جلس على الصفا فاجتمع الناس لبيعته على الإسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة
لله ولرسوله وبايع الرجال ثم النساء وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه
حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أحد عشر رجلا وست نسوة فإنه
أمر بقتلهم أينما ثقفوا بين الحل والحرم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة فأما الرجال
الأحد عشر فأحدهم عبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب بن فهر وقد كان قدم
المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه
وسماه عبد الله والثاني عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان من الرضاعة
فلما جاء به عثمان وشفع فيه ثم قال بعدما أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا
يا رسول الله أمنه فصمت طويلا ثم أمنه فأسلم وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه [illegible]

أحدكم

أحدكم فيقتله فقالوا هلا أومأت إلينا فقال إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين وكان
أسلم قبل الفتح وكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يبدل القرآن ثم ارتد
وهرب إلى مكة ثم أسلم يوم الفتح وعاش إلى خلافة عثمان وولي مصر والثالث عكرمة بن
أبي جهل استأمنت له زوجته أم حكيم وجاء عكرمة حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقت فإنك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك
عبد الله ورسوله والرابع الحويرث بن نقيذ كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
و قتله علي رضي الله عنه والخامس مقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح
الياء التحتية وآخره سين مهملة وابن صبابة الذي بالصاد المهملة المضمومة
وبالموحدتين وسببه أن أخاه هشام بن صبابة قدم المدينة وأسلم وكان مع النبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة المريسيع فقتله أنصاري من بني عمرو بن عوف ظنا أنه مشرك فقتله
خطأ فقدم مقيس المدينة يطلب دم أخيه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الأنصاري بالدية
فقبل الدية فأسلم مقيس وبعدما أخذ الدية قتل الأنصاري وارتد ورجع إلى مكة مشركا
والسادس هبار بن الأسود وكان كثيرا ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فعرض هبار مع جماعة لطريق زينب ونخس بها وضربها بالرمح فسقطت عن ناقتها
وكانت حاملا فألقت حملها ومرضت وماتت بهذا المرض فغضب عليه النبي صلى الله
عليه وسلم غضبا شديدا وأهدر دمه ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
جاءه هبار معتذرا وقال يا محمد أنا تائب مقر بالإسلام وقد كنت قبل هذا عدوا ولا
ضالا والآن قد هداني الله للإسلام وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
واعتذر إليه معتذرا بندمه فقبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه وقال
يا هبار عفوت عنك والإسلام يجب ما كان قبله والسابع صفوان بن أمية ولما علم أن
النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه يوم فتح مكة هرب مع غلامه يسار إلى جدة يريد
أن يركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد
قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه عليك قال هو آمن قال
يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي
دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان
فداك أبي وأمي اذكر الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين وهوازن واستعار منه النبي صلى الله عليه وسلم مائة درع فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل عارية مضمونة وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة فمر صفوان على شعب مملوء من الابل والغنم وسائر أنعام الغنيمة وكان صفوان ينظر الى تلك الاموال ولم يرفع بصره منها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظه فقال يا أبا وهب أيعجبك هذا قال نعم قال وهبتها لك كلها فقال صفوان ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبي وأسلم هنالك والثامن حارث بن طلاطلة وهو من جملة مؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يوم فتح مكة قتله علي بن أبي طالب والتاسع كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وكان هجا النبي صلى الله عليه وسلم فجاء وهو جالس في المسجد فدخل وأسلم وأنشده قصيدته التي أولها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * فلما بلغ الى قوله

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
أنبئت ان رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن عفونا مؤمل وقيل خلع النبي صلى الله عليه وسلم وكساه بردته جائزة له فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن بعنا برد النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وقيل الملك المؤيد أو الهادي اشتراها لـ صاحب جاه في بادية انه اشتراها بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتار والصحيح ان هذه البردة ليست بردة كعب بن زهير وهي التي اشتراها معاوية وفقدت بزوال بني أمية وانما هي التي أهداها صلى الله عليه وسلم لأهل أيلة في غزوة تبوك مع كتابهم أمانا واشتراها أبو العباس السفاح بأربعمائة دينار ولم تزل هي الى أخذها التتر والا فقد كانت عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم وأخرج الامام أحمد بسند في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه

مرارا ثمان وعشر فهو عند العلماء مدخل ولوزه ثياب يلبس يوم الأضحى والفطر ايضا
ولعل هذا هو الموجود في الخزينة الخديوية المصرية

وكان إسلام كعب في السنة التاسعة * والعاشر وحشي بن حرب قاتل حمزة وكان كثير من المسلمين يحنقون عليه لقتله حمزة ويوم فتح مكة هرب إلى الطائف وأقام هنالك إلى زمان قدوم وفد الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء معهم ودخل عليه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت وحشي قال نعم قال أأنت قتلت حمزة قال قد كان من الأمر ما بلغك يا رسول الله قال اجلس واحك لي كيف قتلته فلما قص عليه قصة قتله قال أما تستطيع أن تغيب وجهك عني وكان وحشي بعد ذلك إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فر منه وتخفى والحادي عشر عبد الله بن الزبعرى وكان من شعراء العرب وكان يهجو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض المشركين على قتالهم ويوم الفتح لما سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب إلى نجران وسكن بها ثم بعده وقع الإسلام في قلبه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه من بعد قال هذا ابن الزبعرى ولما دنا منه قال السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله

وأما النساء الست اللاتي أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماءهن يوم الفتح فإحداهن هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر جالس أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وهي متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة في كونها لم تسغ كبده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح فإن أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها وإنك لهند فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فهم أعلم فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا يأتين ببهتان يفترينه قالت والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد

ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فلما رجعت جعلت تكسر صنمها وتقول كنا منك في غرور الثانية والثالثة قريبة بالقاف والموحدة مصغرا وفرتنا بالفاء المفتوحة والراء المهملة الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون كذا ضبطه القسطلاني في المواهب اللدنية وهما قينتان أي مغنيتان لابن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما مع ابن خطل فأما قريبة فقتلت مصلوبة وأما فرتنا فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنها فأسلمت الرابعة مولاة بني خطل وقتلت يوم الفتح الخامسة مولاة بني عبد المطلب وقتلت ولاه عمرو بن صيفي بن هاشم السادسة سارة وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة من المدينة ذاهبة الى مكة الى قريش وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب في ذلك الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وكانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وتغيبت يوم الفتح حتى استؤمن لها فعاشت حتى أوطأها رجل فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري أنها أسلمت

وأذن بلال الظهر على الكعبة فقالت جويرية بنت أبي جهل لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال على ظهر الكعبة وقال الحارث بن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن أسيد لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم ما قالوه فقال الحارث أشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعاه فقال هاك مفتاحك يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته وكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف

وفي رمضان هذه السنة يوم الفتح أسلم أبو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما روي أن أبا بكر لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بأبيه أبي قحافة ليسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تعب الشيخ ألا تركته حتى أكون أنا آتيه في منزله فقال أبو بكر بأبي وأمي هو أولى أن يأتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة أبي قحافة أم

الخير

ابن عامر توفي في السنة الرابعة عشرة من الهجرة في خلافة عمر بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بسنة وكان ابن سبع وتسعين سنة

قال ابن هشام وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت الأنصار به فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان

واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضي الله عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم وفرقها صلى الله عليه وسلم في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها من غنائمه من هوازن وقال إنما جزاء السلف الحمد والأداء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن خزاعة قتلت رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف إلى الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ولا لأحد يكون بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ألا وإنها اعتي هذه حرام لا يعضد شجرها ولا يختلى خلاؤها ولا ينفر صيدها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودى أو يقيد فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه إلا الإذخر فإنا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال إلا الإذخر ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الأثوع الهذلي من بني بكر فإنه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به [illegible] خراش يشحذ [illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا [illegible] ما طال من العدال [illegible] قال ابن هشام وبلغني أن أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فأراد [illegible] صلى الله عليه [illegible] لم يقتص

يدها ففزع قومها الى اسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم يستشفعون به فلما كلّم اسامة فيها تلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمني في حدّ من حدود الله تعالى فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فانما أهلك الناس قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها

ثم قام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم

*(وفي هذه السنة كانت غزوة حنين وهي غزوة هوازن)

وحنين اسم واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال وتسمى غزوة أوطاس وهو واد لهوازن وسبب غزوة حنين انه لما فتحت مكة تجمعت هوازن بنسائهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقدمهم مالك بن عوف النصري وانضمت اليهم ثقيف وهم أهل الطائف وبنو سعد بن بكر وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مرتضعا عندهم وحضر بنو جشم وفيهم دريد بن الصمة وقد جاوز المائة برأيه وقال رجزا

يا ليتني فيها جذع * أخبّ فيها وأضع

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة لست خلون من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان يقصر الصلاة بمكة من يوم فتحها الى خروجه هذا وخرج معه اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف التي كانت معه وفتح الله بها مكة وانتهى الى حنين والمشركون بأوطاس وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيش المسلمين لن نغلب هؤلاء من قلة وفي ذلك نزل قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا فلما التقوا انهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين في نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته واستمر صلى الله عليه وسلم ثابتا وتراجع المسلمون واه لواه الاسد بدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبغلته الدلدل البدي فوضعت بطنها على الارض وأخذ حفنة من تراب

ورمى

فرمى بها في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه (أي قبحت وذلت) فلم يبق عين إلا دخل فيها من ذلك التراب فكانت الهزيمة عليهم ونصر الله المسلمين وأنزل الله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وقال عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب * وهذا يدل على كمال شجاعته وتمام صولته وقوته صلى الله عليه وسلم إذ في هذا اليوم الشديد اختار ركوب البغلة التي ليس لها كر ولا فر كما يكون للفرس ومع ذلك توجه نحو العدو وحثها نحوهم بعد هزيمة من معه وما هذا كله إلا لوثوقه بالله وتوكله عليه وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب إلى آخره من الشعر لأن شرطه كما تقدم في بناء المسجد الشريف أن يكون عن قصد ووزن وإنما قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لأن العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم إلى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياة أبيه فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك واستشهد من المسلمين أربعة وقتل من المشركين أكثر من سبعين ولما أفضى المسلمون في القتال إلى الذرية فنهاهم عن ذلك ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه

ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث عبيدا أبا عامر الأشعري لغزو أوطاس لطالب دريد بن الصمة وأصحابه فهزمهم وقتلهم واستشهد أبو عامر رضي الله عنه بعد قتله جماعة منهم وكان في السبي الشيماء أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة واسمها حذافة وإنما غلب لقبها فلا تعرف في قومها إلا به

ولما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن وأمر بطلبهم قال لخيله إن قدرتم على بجاد رجل من بني سعد فلا يفلتن منكم فأخذته الخيل وضموه إلى الشيماء بنت الحارث (وتكنى أبا ذؤيب كما تكنى بأبي كبشة) أخت النبي صلى الله عليه وسلم وأتعبوهم في السياق فقالت الشيماء تعلمون والله أني أخت صاحبكم فلم يصدقوها وأخذها طائفة من الأنصار وكانوا أشد الناس على هوازن فأتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد إني أختك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علامة ذلك فأرته عضة بإبهامها وقالت هذه عضة عضضتنيها وأنا متوركتك بوادي السرر ونحن يومئذ نرعى البهم أبوك وأبي وأمك وأمي وقد كنت يا رسول الله حلابي لك عنز أهلك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فوثب قائما وبسط رداءه ثم قال اجلسي عليه ورحب بها ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما ثم قال إن أحببت

فأنتِ عندنا محببة مكرمة وإن أحببتِ أن ترجعي إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك قالت بل أرجع إلى قومي فأسلمت وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية وأمر لها ببعير أو بعيرين وسألها من بقي منهم فأخبرته بأختها وأخيها وعمها وأخبرته بموت باقيهم ثم قال ارجعي إلى الجعرانة تكونين مع قومك فإني أمضي إلى الطائف فرجعت إلى الجعرانة ووافاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة فأعطاها نعما وشاء وكلمته في بجاد أن يهبه لها ويعفو عنه ففعل صلى الله عليه وسلم وقد سبق نص ذلك في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وورد في الحديث النبوي أنه صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته رضي الله عنها وهو يقول إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله وإن آخر وطأة وطئها الله بوج اهـ قال العلماء إن هذا الحديث من حيث المعرض وغامضه فإن وج واد من الطائف وحنين واد قبله فأراد صلى الله عليه وسلم غزاة حنين لأن غزوة حنين آخر غزوة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك الآتيتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما وطأة أي قتال وإنما كانتا مجرد خروج إلى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج على ما قبله من الحديث هو الأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ووفاته كانت في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وبينهما سنتان ونصف فكأنه قال وإنكم لمن ريحان الله أي من رزقه وإنا مفارقكم عن قرب إلا أنه صانع عن قوله وإنا مفارقكم عن قرب على سبيل التعريض بقوله وإن آخر وطأة وطئها الله بوج إشارة لما أراده وقصده من قرب وفاته بحصول الغزوة المؤرخة * وفيها توفيت زينب وفيها علا السعر فقالوا اسعر لنا وفيها ولد إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام وفيها مات حاتم الطائي وكان شاعرا جوادا يضرب بجوده المثل ومن جمل ما ورد أن الذي أسف عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في زمن الفترة كانوا أربعة الأول الملك أنوشروان لعدله والثاني أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم لبره والثالث حاتم الطائي لكرمه والرابع امرؤ القيس لشعره

في

عليه ونال فيها كثير من المسلمين أجر الشهادة وانهزمت ثقيف الى الطائف وكان هذا سبب غزوة الطائف

سبب غزوة الطائف

وفي هذه السنة كانت غزوة الطائف والطائف بلدة كثيرة الفواكه وهي أبرد مكان بالحجاز ويرتفع عن سطح الماء في ذروة الجبل التي هي على ظهره أكثر ثمرها الزبيب وهي طيبة الهواء تقع جنوبي شرقي مكة أمام الصد على الله وسبب هذه الغزوة أنه لما انهزمت ثقيف من حنين الى الطائف وأغلقوا أبواب مدينتهم سار النبي صلى الله عليه وسلم وحاصرهم بضعاً وعشرين يوماً وقاتلهم بالمنجنيق ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة (الدبابة هيكل وهي شيء يتخذ من خشب يغطى بالجلود يتخذ في الحرب يدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها) وزحفوا الى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل وأصابوا منهم قوماً وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم ثم رحل عنهم ونزل بالجعرانة واجتمعت فيها الغنائم وأتى إليه وفد هوازن ودخلوا عليه ... وقالوا قد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك وإن في الحظائر الأمهات والأخوات والعمات والخالات يريدون عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك لأن مرضعته صلى الله عليه وسلم من هوازن ويرجون عطفك فقال صلى الله عليه وسلم إن أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فرد علينا أبناءنا ونساءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فرد عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب قائلاً أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا وقولوا إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فإن إخوانكم قد جاءوا تائبين وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد خيرناهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً فمن كان عنده منهن شيء وطابت نفسه أن يرده فليرده فقال الناس رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ثم لحق مالك

(هبات الأعطار)

ابن عوف مقدم هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه واستعمله على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل وكانت هذه السبي الذي أطلقه ستة آلاف

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه سبي هوازن كان ممن عرض عليه بنت حاتم الطائي فقالت يا رسول الله أنا بنت من كان يحمل الكل (أي الشيء الذي يحصل منه التعب) ويكسب المعدوم (أي يعطيه له تبرعا) ويعين على نوائب الزمان أنا بنت حاتم الطائي فمنّ عليها صلى الله عليه وسلم ورد لها مالها وقال اكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فقالت يا رسول الله وقومي يا نبي فقال وقومك فقالت كرمت بيت مكرم فقالت يا رسول الله أتأذن لي أن أدعو لك بدعوات فأذن لها وقال لأصحابه انصتوا وعوا فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سببا لردها وحسبك هذا في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني من الباب الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني من هذا التاريخ

قال القاضي محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الأنباء كان غنائم السبايا ستة آلاف ومن الإبل والغنم ما لا يدرى عدده واستعمل أبا الجهم بن حذيفة بن غانم العدوي على النفل (أي الغنيمة) يوم حنين وذكر ابن الأثير في الكامل في أخبار يوم حنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة (وهي ما بين الطائف ومكة) وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي انتهى وبالجعرانة قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم

وقيل كانت عدة الإبل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام أخي أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم من قريش وكذلك أعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ومالك بن عوف مقدم هوازن فأعطى لكل واحد من الأشراف مائة من الإبل وأعطى الآخرين أربعين أربعين وأعطى العباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضها وقال في ذلك أبياتا

أتجعل

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لم يرفع

أي ومن تضعه بعدم الإعطاء لا يرتفع بعد ذلك والعبيد بضم العين اسم فرسه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقطعوا عني لسانه فأعطي حتى رضي ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما

فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قديما ركنه قد تهدما

تعالى علوا فوق عرش إلهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

وقال ابن أسد هذه الأبيات والتي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه حتى قطع بها لسانه أي منعه من الغنيمة

ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم ولم يعط الأنصار من ذلك شيئا وجدوا في أنفسهم فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال إن قريشا حديث عهد بالجاهلية أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ويومئذ قال ذو الخويصرة بن زهير لم تعدل هذه القسمة ولا أريد بها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم يخرج من ضئضئ (أي أصل) هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ثم خرج ذو الخويصرة بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية لأن في رأس عضده مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض أول من بويع من الخوارج بالإمامة وأول مارق من الدين والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون به ويجعل مرتكبها مخلدا في النار ويحكمون بأن دار الإسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة ثم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وعاد إلى المدينة واستعمل على مكة عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة وترك معه معاذ بن جبل

فيه الناس حج بالمسلمين هذه السنة عتاب المذكور وهو أول أمير أقام حج الإسلام وكان عليه الورع والزهد وحج المشركون على مشاعرهم

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه وكان من حديث ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جهة فأصابه سهم فقتله فقيل له ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه

(الفصل التاسع)

(في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من الغزوات)

وفي هذه السنة كانت غزوة تبوك وهي آخر غزواته وتبوك بفتح التاء المثناة الفوقية وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها كاف في طرف الشام من جهة القبلة بينها وبين المدينة المنورة نحو أربع عشرة مرحلة سميت الغزوة بعين تبوك وهي العين التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمسوا من مائها شيئا حتى أتى صلى الله عليه وسلم إليها فورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال معاذ فجئناها وقد سبق إليها رجلان من المنافقين والعين مثل الشراك تبض بشيء قليل من الماء فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا فقالا نعم فقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم أمر برفع ماء بها فرفعوا له من تلك العين قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بعد ذلك بماء كثير فشرب النبي صلى الله عليه وسلم وسقى الناس وكفاهم

وقال

وقيل لها غزوة العسرة سميت بذلك لوقوعها في زمن الحر والجدب في البلاد وجدبه والناس في
عسر ويقال لها الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها

وحض صلى الله عليه وسلم من عنده من المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم
بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة وكان أول من جاء بها أبو بكر جاء بماله كله
أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير
وجاء طلحة بمال وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الفضة وجاء سعد بن
عبادة بمال وجاء محمد بن مسلمة بمال وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقا من تمر وجهز
عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش وكفاهم مؤنتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ضر عثمان بن عفان ما فعل بعد اليوم

وسار صلى الله عليه وسلم إلى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه على المدينة وعلى عياله
فقال علي أتخلفني في الصبيان والنساء قال أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون
من موسى غير أنه لا نبي بعدي وليس المراد بهذا الحديث أن جميع المنازل الثابتة
لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي من النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لما صح
الاستثناء كما زعم الشيعة والرافضة استدلالا به على استحقاقه الخلافة بعده صلى الله
عليه وسلم بل المراد أن عليا خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان
هارون خليفة عن موسى مدة غيبته للمناجاة وأما الاستثناء فمنقطع والمعنى لكنك
لست نبيا كهارون لأنه لا نبي بعدي ولئن سلم أن الحديث يعم المنازل كلها فهو عام
مخصوص إذ من منازل هارون كونه أخا نبيا والعام المخصوص غير حجة في الباقي
أو حجة ضعيفة على الخلاف وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفا وكانت الخيل
عشرة آلاف وتخلف عبد الله بن أبي ابن سلول ومن تبعه من أهل النفاق وتخلف
ثلاثة من الصحابة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ولم يكن لهم عذر
ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها
وكان إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم يجلس للناس فلما فعل ذلك
جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل
منهم النبي صلى الله عليه وسلم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ثم
جاءه كعب بن مالك وكان قد تقدمه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فسألهم عن سبب
تخلفهم فأقروا أن لا عذر لهم فأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم ونهى صلى الله

ونهى عن كلامهم من بين من تخلف عنه فاجتنبهم الناس وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فلبثوا على ذلك خمسين ليلة ولما مضت أربعون ليلة من الخمسين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم وجاءت امرأة هلال اليه صلى الله عليه وسلم تستأذنه في خدمته فأذن لها من غير أن يقربها فلما مضت لهم خمسون ليلة من حين النهي عن كلامهم نزلت توبتهم فآذن النبي صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عليهم وذهب الناس يبشرونهم وجاء كعب الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور فقال له صلى الله عليه وسلم أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقال أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله عز وجل فقال بل من عند الله عز وجل وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الى قوله تعالى وكونوا مع الصادقين قال كعب فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الى قوله تعالى فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

وأما ما ورد في هجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام حرام محله اذا كان لحظوظ النفس أو لمتعلقات الدنيا وأما اذا كان المهجور مبتدعا أو متجاهرا بالفسق ونحو ذلك فلا يحرم هجره لما ثبت من هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا

ولم يجاوز صلى الله عليه وسلم تبوك حين استشار أصحابه في مجاوزتها فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم استشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا وهذا صريح بأن تبوك لم يجاوزها ولا حصل قتال فيه وانما أتاه صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بها يحنة بضم الياء التحتية وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم هاء ابن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصالحه أهل جربا بالمد أذرح غدوة مقصورة بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة الساكنة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء الشراة وأهل ميناء وأهدى يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه صلى الله عليه وسلم بردا وهو البردة التي كانت عند الخلفاء في العباسيين اشتراها أمير من أهل أيلة أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار وكانت التي اشتراها

واشتراها معاوية من ذرية كعب بن زهير وفقدت عند زوال دولة بني أمية وقد تقدم في غزوة فتح مكة أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي خلعها على كعب بن زهير جائزة على قصيدته المشهورة قد اشتراها معاوية من ذريته ثم فقدت بزوال بني أمية فلا أدري هذه أو الراجع في عهده فصالح النبي صلى الله عليه وسلم يحنة على إعطائه الجزية فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتاب الصلح وكتب أيضا لأهل أذرح وجرباء كتاب الصلح وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وصالح أيضا أهل ميناء على ربع ثمارهم من هذا يفهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرض في غزوة تبوك لبلاد الروم وقد سبق الكلام عليه في الفصل الرابع عشر من الباب الأول من المقالة الرابعة من الجزء الأول من هذا التاريخ

ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك كان هرقل بحمص وقدم من القسطنطينية إليها وكانت قاعدة مملكته بالشام وكانت في زمانهم أعظم من دمشق ولم يكن هو الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوته من جهته ولا أحد من جيشه بذلك وبعث صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه فلما قرأه جمع قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم وقال قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل يدعوني إلى ثلاث خصال إما أن أتبعه على دينه أو أن أعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا أو نلقي إليه الحرب والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذن موضع قدمي هاتين فهلم فلنتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيدا لأعرابي من الحجاز فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم قال إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ثم دعا رجلا من عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال ادع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه فجاء بالتنوخي فدفع إليه هرقل كتابا وقال اذهب بكتابي هذا إلى هذا الرجل فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال هل يذكر صحيفته التي كتب إلي بشيء وانظر إذا قرأ كتابي هل يذكر الليل وانظر إلى ظهره هل فيه شيء يريبك قال فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبيا على الماء فقلت أين صاحبكم قيل ها هو ذا فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال ممن أنت فقلت أنا أحد تنوخ قال هل

للتنوخي الذي بعثه به أسألك أن تراهم قلت إني رسول قوم وعلى دين قوم حتى أرجع إليهم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه
والله ممزقه وممزق ملكه وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس
يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير قلت هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها
صاحبي فأخذت سهما من جعبتي فكتبتها في جفن سيفي ثم ناول الصحيفة رجلا عن
يساره قلت من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم قالوا معاوية فإذا في كتاب صاحبي
تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله أين النهار إذا جاء الليل فأخذت سهما من جعبتي
فكتبته في جفن سيفي فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال إن لك حقا وإنك رسول
فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا سفر مرملون فناداه رجل من أصحابه فقال
أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو بحلة صفورية فوضعها في حجري فقلت من صاحب الجائزة
قيل لي عثمان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل هذا الرجل فقال فتى
من الأنصار أنا فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعال يا أخا تنوخ فأقبلت أهوي حتى كنت قائما
في مجلسي الذي كنت بين يديه فحل حبوته عن ظهره وقال ههنا امض لما أمرت به
فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة
فانصرف الرجل إلى هرقل وذكر له ذلك فدعا قومه إلى التصديق بالنبي صلى الله عليه
وسلم فأبوا حتى خافهم على ملكه وهو في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف وأهدى
هرقل له صلى الله عليه وسلم هدية فقبلها وفرقها على المسلمين وأقام صلى الله عليه وسلم
بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة وفي هذه الغزوة خرج النبي صلى
الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام في العدد الذي لم يقع مثله كان العدد ثلاثين
ألفا أو أكثر وكانت السنة سنة جدب ولهذا لم يوردها إلا أعلام الناس بوجوههم أن يكون ما فيهم
بحسب ذلك ومع هذا الاهتمام في الاستعداد لم يلق محاربا ولا وقع قتال وذلك لأن
أهل جزيرة الشام لم يكن بعد قد تسمع العرب بالغدر وتعتاد الظفر ورجع النبي صلى
الله عليه وسلم إلى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف
الروم وقد قدمنا نص ذلك في الفصل الرابع من المقالة الرابعة من الجزء الأول

وفي هذه السنة هدم مسجد الضرار الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في سورة براءة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية أنزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا أضيافا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وكانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة ولما فرغوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك وقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ولما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك ونزل بذي أوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه إتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر بن عدي وعامر بن السكن وقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله

يقول الفقير محمد نجل مؤلف هذه السيرة المحمدية علي فهمي رفاعة كان الوالد أحسن الله إليه وأسبغ نعمة الرحمة والرضوان عليه سابقا نوى أن في نيته أن يضع مضابطا للغزوات جملا لما سبق وعدد كل غزوة من الغزوات ولكن أبى الله إلا ما أراد وما كان إلا إتمام المقصود في حياته والمراد فبادرت لإتمام ما نواه وجمعت هذا الجدول بالإفادة فطرفه الأصل معتمدا على ما نقله في تاريخ السنين باعتبار الباب والفصل

(جدول بضبط ما عرف من الغزوات التي سبق ذكرها مفصلا)

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد [illegible]	عدد [illegible]	ملحوظات
١	١	غزوة الأبواء وتسمى غزوة ودّان	٧		ودّان قرية كبيرة بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال والأبواء قرية ما بين مكة والمدينة وفي هذه الغزوة عقد صلى الله عليه وسلم الصلح مع بني ضمرة مخشي ابن عمرو الجهني على أن لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثر عليهما ولا يعينوا عليه عدوا وكتب بينه وبينهم كتابا في ذكره عند ذكر هذه الغزوة في هذا الكتاب وكان العامل على المدينة سعد بن عبادة وكون هذه الغزوة كانت في السنة الأولى هو ما قاله أهل السير والصحيح أنها كانت في السنة الثانية
٢	١	غزوة بواط	٢	١	بواط بضم الموحدة وفتحها قيل إنها كانت في السنة الأولى والصحيح أنها في الثانية وبواط جبل بالينبع وكان كثيرا ما يركب أمية بن خلف وحامل اللواء في هذه الغزوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه والعامل على المدينة السائب بن عثمان ابن مظعون وقيل سعد بن معاذ ولم يخرج صلى الله عليه وسلم إلى بواط بعد كذا ورجع إلى المدينة بدون حرب
٣	١	غزوة العشيرة	٢ ٠		العشيرة بالعين المهملة والشين المعجمة وبالمهملة أيضا على صيغة المصغر موطن بطن الينبع والصحيح أنها كانت في السنة الثانية

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد المجاهدين	عدد المشركين	ملحوظات
					الناقة وكان قائد المشركين فيها أبا سفيان وكان فيهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وقد كانت هذه الغزوة سبب الوقعة بدر الكبرى واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد والحامل للواء حمزة بن عبد المطلب ولم يكن في هذه الغزوة حرب لكون العير التي كان فيها أبو سفيان قد مضت قبل أن يصل إليها صلى الله عليه وسلم وقد وادع فيها بني مدلج
١	٢	غزوة سفوان ويقال لها بدر الأولى			استعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة والحامل للواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٢	غزوة بدر الكبرى	٣١٣	١	هذه الغزوة أفضل الغزوات ويقال لها بدر القتال وبدر الفرقان ولم يكن في المجاهدين سوى فارسين المقداد بن عمرو الكندي والزبير بن العوام وكان الحامل للواء مصعب بن عمير وكان الإمداد فيها من قبل الله تعالى بالملائكة بنص القرآن في قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وأول غارة وقعت في الإسلام كانت في هذه الغزوة واستشهد أربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار وقتل

(تابع الايجاز)

نمرة	سنة	اسماء الغزوات	عدد الشهداء	عدد القتلى	ملحوظات
					من المشركين سبعون وأسر سبعون وانهزم باقيهم
٦	٢	غزوة بني قينقاع		٧	قينقاع شعب الصاغة واسكان الا ا وبما بالسوق بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وحلفاء الخزرج ولما كانت وقعة بدر نبذوا عهده صلى الله عليه وسلم وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب ومدة الحصار خمسة عشر ليلة
٧	٢	غزوة السويق	٢	٢	سبب هذه الغزوة هو ما وجد في نفسه أبو سفيان بعد هزيمته في غزوة بدر الكبرى ونذر أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا ويثأر منه ومن أصحابه عمن أصيب من المشركين يوم بدر وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسة أيام وسميت غزوة السويق لالقاء السويق من رحال المشركين عند هزيمتهم لخفتها ولا أحد المسلمين لذلك ولم يكن في هذه الغزوة كيد
٨	٢	غزوة قرقرة الكدر	٢		قرقرة الكدر أرض مما يلي جادة العراق الى مكة وكان الحامل للواء علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل كانت هذه الغزوة في المحرم سنة ثلاث ويمكن الجمع

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد الجيش	عدد الأسرى	ملحوظات
					من القولين أنها ابتدأت في أواخر الحجة وأخذت من المحرم أياما وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم
٩	٣	غزوة ذي أمر وهي غزوة غطفان وغزوة أنمار	٤٥٠		أمر بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء اسم ماء وسبب هذه الغزوة أن دعثور بن الحارث الغطفاني جمع جمعا وخرج من ديار غطفان يريد الإغارة على أطراف المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في أصحابه واستخلف عثمان بن عفان على المدينة فهرب المشركون في رؤوس الجبال وفي هذا المحل أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصاب أصحابه من كثرة المطر فنزع صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على الشجرة واضطجع فرآه رجل من المشركين فجاء إليه دعثور وقال من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله ودفعه جبريل في صدره فوقع ووقع السيف من يده فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجاره فأجاره فأسلم وحمل أصحابه على الإسلام ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية

عددها	سنة	اسماء الغزوات	عدد الالوية فيها	عدد [illegible]	ملحوظات
١	٢	غزوة بحران وتسمى غزوة بنى سليم	٣		بحران معدن بالحجاز أو ضبطها وجاء في جهة الفرع سالكة موضع على ثلاثة برد من المدينة لم يلق صلى الله عليه وسلم حربا لتفرق المشركين ورجوعهم الى اهلهم وكانت غيبته عشر ليال وكان المستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
١١	٣	غزوة أحد	١	٣	كان قائد جيش المشركين أبا سفيان وقالوا ان عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين احدهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاخرى لابي بردة وكان اللواء مع مصعب بن عمير وفي هذه الغزوة قتل حمزة رضي الله عنه قتله وحشي وكان حبشيا وكان عدة الشهداء من المسلمين سبعين وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين
١٢	٣	غزوة حمراء الاسد			حمراء الاسد محل بناحية العقيق على ثمانية أميال من المدينة وكان الحامل للواء عليا أو أبا بكر رضي الله عنهما
١٣	٤	غزوة بنى النضير			وفي هذه الغزوة فرضت الصلاة الرباعية في السفر ونزلت آية ... وسبب الغزوة انه صلى الله عليه وسلم استعان بهم في دية رجلين موادعين له كان عمرو بن أمية الضمري قتلهما غلطا فاتاهما حرسان

كذا

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد المقاتلين	عدد الأسرى	ملحوظات
					وكان صلى الله عليه وسلم قد ساقه دفع بني النضير على ترك المال وأعانهم له في الديات فلما حضر إليهم هو وبعض من أصحابه أرادوا الغدر به فانصرف إلى المدينة وجهز إليهم وغزاهم
١٤	٤	غزوة ذات الرقاع	٤		الرقاع كذا لأن أقدامهم نقبت فلفوا عليها الخرق وقيل لأن فيها بياضا وسوادا ولأن جبلهم كان به سواد وبياض أو لأن شجرة الخوف كانت بها وقيل ذلك لترقيع الدابة وبأولادها حرب فيها أقدام الصحابة وسقطت أظفارهم وتسمى هذه الغزوة بغزوة الأعاجم وغزوة بني محارب وغزوة بني ثعلبة ثم بعد هذه الغزوة رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكانت مدته ١٥ خمس عشرة ليلة
١٦		غزوة بدر الموعد	١٥		٣ ... هذه ... وداعية بدر ... وكان على فرس أبو ... ان خرج ... صلى الله عليه وسلم ... ولم يحصل حرب ... رجع ... إلى ... رجع الأسارى ...

رقم	سنة	اسماء الغزوات	[illegible]	[illegible]	ملحوظات
					ورجعوا كسيرا وفيها نزلت آية فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة
١٧	٤	غزوة الخندق			وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة الاحزاب وذكر بعض أهل السير انها كانت في السنة الخامسة والصحيح في الرابعة كان المدبر لامر هذه الغزوة والقائم بشأنها ابا سفيان وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق باشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فكان من مكايد الفرس لا من مكايد العرب ولما فرغ منه صلى الله عليه وسلم أقبلت قريش ومن معها من بني قريظة وقبائل العرب المشركين واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن ومكث العدو [illegible] مدة لم يكن بينهم الا الرمي بالنبل والحصار ولم يتمكن المشركون من عبور الخندق ثم نصر الله النبي صلى الله عليه وسلم فهبت ريح عاصفة في ليال شديدة البرد فقطعت أطناب [illegible] واكفأت قدورهم [illegible] ومع ذلك لم يعاودوا عسكرهم فرحلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزوننا حتى فتح مكة

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد القتلى من المسلمين	عدد القتلى من الكفار	ملحوظات
١٧	٤	غزوة بني قريظة	٣	٠	بنو قريظة قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الأوس جهز صلى الله عليه وسلم أصحابه إليهم بأمر الوحي عقب غزوة الخندق فسار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحاصروهم خمسا وعشرين ليلة إلى أن نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يجمع ما وجد في حصونهم فقسمه صلى الله عليه وسلم بين أصحابه
١٨	٥	غزوة دومة الجندل	١		دومة الجندل [illegible] الجندل [illegible] الذي بين الحجاز والشام وهذه الغزوة أول غزوات الشام وصاحب دومة الجندل هو أكيدر وهو الذي أسلم ويزعم بعضهم أن تحكيم الحكمين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان بدومة الجندل وسبب الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن بها جمعا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة وكان [illegible] [illegible] غزوة [illegible] بدون حرب [illegible] [illegible] أكيدر أهل دومة الجندل وفي رجوعه صلى الله عليه وسلم صالح عيينة ابن حصن [illegible]

عدد	سنة	اسم الغزوة	عدد القتلى	عدد الأسرى	ملاحظات
					زعيم قبيلة غطفان من المدينة وكان لا يؤمن لا بمحمد ولا بربه، ولما عمي خاطره وجهه واتجه إلى أرضه أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ثم انتهى به الحال إلى أن أسلم بعد الفتح وشهد بعض المشاهد وكان من المؤلفة وارتد زمن الصديق رضي الله عنه ثم أسلم ولم يزل مظهرا للإسلام
١٩	٥	غزوة بني لحيان	٢		لما أن بكر بالإلام وفجعهاه لهم من هذيل بسبب هذه الأمر وهو إرادتها عامة صلى الله عليه وسلم بن هذيل بعدما وجهت وفعه عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وغيرهما من الصحابة الذين قتلهم هذيل ولما وصل صلى الله عليه وسلم إليهم فروا في رؤوس الجبال وقاتلوا الأرض فيهم فلم يلق حربا ولم يخرج لغزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد وكان المستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
٢	٦	غزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد	٥		قرد بفتح القاف والراء وبالدال المهملة وضع على بريد من المدينة على طريق خيبر قال البخاري وسلم كانت قبل خيبر بثلاثة أيام ولكن أجمع أهل السير على خلافهما وهذه هي الغزوة التي أغار فيها

عدد	سنة	اسماء الغزوات	عدد المسلمين	عدد الكفار	ملحوظات
					عيينة بن حصن في أربعين فارساً من غطفان وفزارة على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة واللقاح ذوات اللبن القريبات من الولادة فنادى صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وأول من أقبل عليه صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن الاسود رضي الله عنه فعقد له لواء في رمحه ثم ذهب به الفرسان وأمّر عليهم سعد بن زيد
٢١	٦	غزوة بني المصطلق			ويقال لها أيضاً غزوة المريسيع وسبب هذه الغزوة أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق وأتباعه جمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جموعاً فبعث بريدة بن الحصيب ليعلم ذلك فلقي الحارث وكلمه ورجع إليه صلى الله عليه وسلم وأخبره [illegible] على [illegible] المريسيع [illegible] وصل [illegible] عرض عليهم الإسلام [illegible] فقاتلهم [illegible] ٣٣ [illegible]

(نهاية الايجاز)

عدد	سنة	أسماء الغزوات	عدد الغزاة	عدد الأسرى	ملحوظات
٢٢	٦	غزوة الحديبية	١٤٠٠		الحديبية بئر قرب من مكة وقيل شجرة. وقال في سبب هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا منام وقبل أن يخرج الى الحديبية انه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفاتيح الكعبة بيده وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعضهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فأخبر أصحابه انه معتمر فخرج من المدينة في ذي القعدة بالمهاجرين والانصار لا يريد حربا حتى وصل الى ثنية المرار مهبط الحديبية وأمر بالنزول ووقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء في ذلك المكان ولم يقع فيها قتال
٢٣	٧	غزوة خيبر		٠	خيبر بلدة بينها وبين المدينة ثمانية برد وفرق صلى الله عليه وسلم الرايات يومئذ ولم تكن قبل ذلك الا الألوية واستشهد بها من المسلمين نحو من عشرين رجلا
٢٤	٨	غزوة مؤتة	٣	١	قرية من قرى البلقاء بالشام وهذه الغزوة هي أول الغزوات بين المسلمين والروم وانضم الى الروم بعض العرب المتنصرة
٢٥	٨	غزوة فتح مكة	١		خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والانصار واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم

عددها	سنتها	اسماء الغزوات	عدد القتلى منا	عدد القتلى منهم	ملحوظات
٢٠	٨	غزوة حنين	٠	١٢	حنين واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال وتسمى هذه الغزوة بغزوة أوطاس وخرج معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف التي كانت معه وفتح بها مكة
٢	٨	غزوة الطائف			الطائف بلدة كثيرة الفواكه وهي أبرد مكان بالحجاز فالفواكه تجيء منها إلى مكة أيام الصيف
٢١	٩	غزوة تبوك	٠	٣	تبوك في طرف الشام من جهة القبلة بينها وبين المدينة نحو أربع عشرة مرحلة وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة وعلى عياله عليا رضي الله عنه ويقال لها غزوة العسرة ويقال لها أيضا الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وتخلف عن الخروج معه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي المنافق ومن تبعه من أهل النفاق

وفي سيرة الأمين المأمون لأبي الفتح محمد بن سيد الناس رحمه الله وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين غزوة وقيل سبعا وعشرين قاتل منها في تسع بدر وأحد والخندق وبني قريظة وبني المصطلق وخيبر وحنين والطائف وقد قيل قاتل [illegible] وفي الغابة ووادي القرى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] بعوثه وسراياه خمسين مرة

وفي دخول هذه السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قبل غزوة تبوك تتابعت الوفود من جميع الجهات فإنهم كانوا منتظرين ما يقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه فلما حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجا ووفد عليه عروة بن مسعود الثقفي وكان غائبا عن حصار الطائف وأسلم وحسن إسلامه فقال أمضي إلى قومي وأدعوهم فقال له صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوك فكان كما قال فضرب رمي بسهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلاة فمات ومنع قومه من الطلب بدمه وقال هي شهادة ساقها الله وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين ثم قدم ابنه أبو المليح وقارب ابن الأسود ابن مسعود فأسلما وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرحهم وقطع سابلتهم أي سبلهم ولعلهم رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك فوفدوا عليه فأسلموا وسألوه أن يدع اللات التي كانوا يعبدونها لا يهدمها إلى ثلاث سنين فأبى فنزلوا إلى شهر فأبى وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه فأجابوا وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب فهدما اللات وخرج نساء ثقيف حسرى يبكين عليها وفيها بعث أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاثمائة رجل فلما كان بذي الحليفة أرسل عليا رضي الله عنه في أثره وأمره أن يقرأ آيات من أول سورة البراءة على الناس وأن ينادي أن لا يطوف بالبيت بعد السنة عريان (أي مكشوف العورة كما كانت الجاهلية تفعل ذلك) ولا يحج مشرك

وعن أبي هريرة قال كنت أنادي مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ببراءة أن لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله

فعاد أبو بكر وقال يا رسول الله هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يؤدي عني غيري أو رجل من أهل بيتي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض قال بلى فكان أبو بكر أميرا على الموسم وعلي يؤذن ببراءة يوم الأضحى وأن لا يحج مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فلم يحج العام المقبل الذي حج فيه المصطفى حجة الوداع مشرك أنزل الله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

الفصل

(الفصل العاشر)

(فيما وقع من وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم وفي حجة الوداع)

في هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية أربعمائة إلى نجران وما حولها ليدعو بني الحارث بن كعب إلى الإسلام وقاتلهم إن لم يفعلوا فأسلموا وأجابوا إذ دعاهم وبعث الرسل في كل وجهة فأسلم الناس وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه أن يقدم ويقدم معه وفدهم فأقبل خالد ومعه وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادي وشداد بن عبد الله القناني وعمرو بن عبد الله الضبابي فأكرمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية فقالوا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحدا بظلم فقال صدقتم ثم رجعوا وأمر عليهم قيس بن الحصين ورجعوا صدر ذي القعدة ثم بعث إليهم عمرو بن حزم من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره أمره وأقام عاملا على نجران وهذا الكتاب روي في السير بتمامه وعده الأئمة من أدلة الاستدلال به وهو أحد كبار الأحكام الفقهية ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم ونهى عنه وقال ألا لعنة الله على الظالمين وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه وينهى أن يحتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له فمن لم

إلى الله ودعا إليه اتل يا قطعوه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له
ويأمر الناس بإسباغ الوضوء في وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين
وأن يمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله وأمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن
يغلس بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض
مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل وأمره
بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها وأمره أن يأخذ من المغانم خمس
الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء
وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين
أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة
جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي
افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وأن من أسلم من يهودي أو
نصراني إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه
ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم
ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة
رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام
عليه ورحمة الله وبركاته

وقدم عليه وفد غامد عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم أبي القرآن
وانصرفوا

وقدم في شوال وفد سلامان سبعة نفر رئيسهم حبيب فأسلموا وتعلموا الفرائض
وانصرفوا

ذكر قدوم وفد أزد جرش وقدم فيهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر من قومه ونزلوا
على فروة بن عمرو وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم وأمره على من أسلم
منهم وأن يجاهد المشركين حوله فحاصر جرش وبها قبائل من خثعم وقبائل اليمن وكانت
مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين فحاصرهم شهرا ثم قفل
عنهم فظنوا أنه انهزم فخرجوا في طلبه فانتهى إلى جبل يقال له شكر فصف وحمل عليهم وبالغ فيهم وكانوا بعثوا رجلين إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتادان وينظران فأخبرهما بذلك اليوم الذي نزل بهم عند شكر وقال بأي بلاد

الله

الله لنفر عندة الآن فرجعا الى قومهما وأخبراهم بذلك فأسلموا وبقي لهم بنو سلول قريتهم

ومنها كان اسلام همدان ووفادتهم على يد علي رضي الله عنه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فأقام ستة أشهر لا يجيبونه فبعث النبي عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالدا فلما طلع علي أوائل اليمن وبلغ القوم الخبر جمعوا وتقدم علي بالانذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم وكتب بذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم قال السلام على همدان ثلاث مرات ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وقدم وفد زبيد وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال لقيس بن مكشوح المرادي اذهب بنا الى هذا الرجل فلم يجبه قيس الى ذلك فقدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان فروة بن مسيك المرادي قد سبقه وقدم قبل عمرو مفارقا لملوك كندة فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وشرائع الاسلام واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى كانت الوفاة

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس ومنهم الجارود بن عمرو وكانوا على دين النصرانية فأسلموا ورجعوا الى قومهم ولما كانت الوفاة وارتدت عبد القيس ثبتوا الا المغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر وثبت الجارود على الاسلام وكان له مقام محمود وخطبت الى أن رجعوا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح الى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم وحسن اسلامه ثم هلك بعد الوفاة وقبل ردة أهل البحرين

وفي هذه السنة [illegible] بني حنيفة [illegible] ورحال
[illegible] على [illegible] فأسلموا [illegible]
القرآن [illegible] ورحال [illegible]
[illegible] الرحال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] بن [illegible]
[illegible] على [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

الله عليه وسلم وكتب اليه مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريش قوم لا يعدلون وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقيل ان ذلك كان بعد منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

وفيها قدم وفد كندة عدتهم الاشعث بن قيس في بضعة عشر وقيل في ستين وقيل في ثمانين وعليهم الديباج والحرير واسلموا ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه فتركوه وقال له الاشعث نحن بنو آكل المرار يعني بذلك لان لهم عليه ولادة من الامهات ثم قال لهم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا ولم يعد وذكا به وفد حضرموت وهم بنو وليعة وملوكهم جمد ومخوس ومشرح وأبضعة فأسلموا ودعا لمخوس بان الله الرتة من لسانه وقدم وائل بن حجر راغبا في الاسلام ودعا له ومسح رأسه ونودي الصلاة جامعة سرورا بقدومه وأمر معاوية ان ينزله بالحرة فمشى معه وكان وائل راكبا فقال له معاوية أعطني نعلك أتوقى بها الرمضاء فقال ما كنت لالبسهما وقد لبستهما وفي رواية لا يبلغ أهل اليمن ان سوقة لبس نعل ملك فقال اردفني قال لست من ارداف الملوك ثم قال لمعاوية ان الرمضاء قد أحرقت قدمي فقال امش في ظل ناقتي كفاك به شرفا وقيل انه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت انك أسلمت لك ما في يديك من الارضين والحصون وتؤخذ منك من كل عشرة واحد ينظر في ذلك ذوا عدل وجعلت لك ان لا تظلم فيها ما قام الدين والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون له انصار

وفي هذه السنة قدم وفد محارب في عشرة فأسلموا وفيها قدم وفد الرهاويين من مذحج في خمسة عشر رجلا واهدوا فرسا فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض وأقاموا مدة ثم حجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى لهم بجاد مائة وسق من خيبر جارية عليهم من الكتيبة وباعوها من معاوية

وفي هذه السنة قدم وفد نجران النصارى في سبعين رجلا منهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة وأسقفهم ابو حارثة من بكر بن وائل والسيد الايهم وجادلوا في دينهم فنزل

فنزل صدر سورة آل عمران وآية المباهلة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لما أمره الله
عن أمر ربه تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين فقال العاقب ... لقومه لا تباهلوا محمدا فإني أرى منه وجوها
لو أقسم على الله أن يزيل الجبال لأزالها ... إلى آخر الأبد فأبوا المباهلة وأسلموا
... وسألوا الصلح وكتب لهم به على ألف حلة في صفر وألف في رجب وعلى دروع ورماح
و... لا بد من كل صنف ... منهم والساجد ... منهم
... الخراج ثم جاء العاقب والسيد وأسلما وقد أشار إلى ذلك الصفي الحلي في
بديعيته ... قال مشيرا إلى هذه القصة

والمباهلة ... ان له * يوما ... بعدهم

وإلى المباهلة ... فقال ...

لو أن ... * يوما المباهل لم ...

وهذا النوع من البديع ... وهي عبارة عن الإتيان ...
يكون من ... إذا ... العذاب ... لا ... من ...
وهذه الواقعة مما يدل على ... على نبوته صلى الله عليه وسلم ... أحدهما أنه
خوفهم نزول العذاب عليهم ... والإلا لم ... إذا لم ينزل العذاب عليهم ... أنهما
أن تركهم ... يدل على أنهم عرفوا ... والا ...
عن ... ودل على ... عليه وسلم ... والله ... ي
... الورى والا ... ذلك ...
... عن ... كان ... من ...
... على ... على أهل ...
... ولا ... عليهم الوادي ... صلى الله تعالى ...
... على ... الحول على النصارى حتى ...
... صدق ... في ...
...
...
... صلى الله ...

ابن زيد الله بن ثعلبة بن جشم بن أوس ذي عدل ما قاله وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوهم إلى الله تعالى ثم أسلموا وفيها قدم رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيبي في هدنة الحديبية وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وأسلم فحسن إسلامه وكتب له كتابا إلى قومه فأسلموا ثم ساروا إلى الحرة فنزلوها

وفيها بعث زيد بن حارثة إلى حسمى فأغار على الهنيد بن عوض وابنه عوض وسبى نساءهم ... فأجمعوا وكل شيء معه وبلغ ذلك مسلمين من بني الضبيب رهط رفاعة ... وقدم رفاعة على النبي صلى الله عليه وسلم ... وكان زيد بن حارثة في جيش من المسلمين فأغاروا ... وكان معهم ناس من بني الضبيب فاقتتلوا ... ومعه زيد بن عمرو من قومه فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا يا رسول الله أطلق لنا من كان حيا ... فبعث معهم علي بن أبي طالب وحمله على جمل وأعطاه سيفه وأمره برد ما أخذ ... فسار على إلى زيد بن حارثة فلقيه ... وأمره برد أموالهم فردها

وفي هذه السنة قدم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس بن مالك فقال عامر للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اجعل لي الأمر بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك قال عامر اجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال لأملأنها عليك خيلا ورجالا ثم ولوا فقال اللهم اكفنيهم اللهم اهد عامرا ... فخرجوا إلى بلادهم فأخذ الطاعون عامرا في عنقه فمات في بيت امرأة من بني سلول وأما أربد فأصابته صاعقة ...

وقدم عليه وفد بني عبس ... وفيها قدم وفد غسان ... وقدم وفد ... وعوف بن خالد ... فأسلموا ...

وفيها قدم ... بن الأسود بن ... وهو أول من ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأخبره ... فأثنى عليه خيرا ... وأعطاه ... ذلك ... في ...

وفي هذه السنة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام وحجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فيها وأوصاهم وقال لعلكم لا تروني بعد عامي هذا ... هل كان صلى الله عليه وسلم ... مفردا أو قارنا أو متمتعا فالأقوى ... والصحيح أنه كان أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة ... وأدخلها على الحج فصار قارنا ... الإفراد هو الأصل ... الأمرين أو ... التقوى وهو الأولى ... ولأن ... الأحاديث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ...

بقين من ذي القعدة سنة عشر وكان معه من [illegible] الف [illegible]
ودخل مكة يوم الاحد لاربع خلون من ذي الحجة

وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من [illegible]
[illegible] وأحرم [illegible] وقدم [illegible]
[illegible] ذي الحليفة فصلى ركعتين ثم ركب [illegible] فلما [illegible]
أهل بالحج ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله [illegible]
[illegible] الى يوم التروية [illegible]
[illegible] يوم عرفة [illegible] من يوم
[illegible]
سائرها [illegible] ولم [illegible] صلى الله عليه وسلم يوم عرفة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يوم النحر [illegible] وقال كل منى منحر [illegible]
ثم كان يرمي الجمار [illegible] يرمي يوم [illegible] الجمار [illegible]
ولا [illegible] يوم النحر [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible] علي بن ابي طالب [illegible] فقال [illegible] اهل [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] الحج والسعي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا فهو موضوع ولكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وإن كل دم في الجاهلية موضوع كله وإن أول دم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ألا وإن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد الذي بين جمادى وشعبان (ومعنى الحديث أن الأمر رجع إلى ما كان عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة والنسيء هو تأخير حرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر ورفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وقيل كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي القعدة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي الشهور فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة في ذي القعدة وحجة الوداع سنة عشر ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس [illegible] كان وكان آخرهم جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يقوم على جمل بالموسم فينادي إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم ابن ثعلبة وقيل أول [illegible] عمرو بن لحي وهو أول من سيب السوائب وقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار)

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فإني قد بلغت قولي وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوا أن كل مسلم أخو المسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس ولا تظلموا أنفسكم اللهم هل بلغت فذكر أنهم قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد

وفي حجة الوداع نزل عليه في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فلم ينزل بعد هذه الآية شيء لا حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام وقيل إكمال الدين بهذه الآية أنه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعته باقية إلى يوم القيامة ومعنى إتمام النعمة عليهم بإكمال الدين [illegible] لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام وعن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتاب الله تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال وأي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فقال عمر إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نزلت بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص فقال

صدقت وكانت هذه الآية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً

ولما رجع صلى الله عليه وسلم من حجته إلى المدينة أقام بقية ذي الحجة تمام سنة عشر من الهجرة ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام بها إلى نصف المحرم وصفر وفي يوم الأربعاء آخر صفر بدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فحُمّ وصدع وأشار بإشارة ظاهرة بخلافة أبي بكر بنيابته عنه على المنبر لما فهمه دون بقية الصحابة قوله في خطبته إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فإنه صلى الله عليه وسلم يعني نفسه فبكى وقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا فقال له صلى الله عليه وسلم قوله إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ثم قال لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر وأراد بهذا أن ذلك كان قبل موته بخمس ليال ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحاً أن يصلي بالناس ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد أن فرض الحج إلا حجة الوداع وكانت وقفته يوم الجمعة وحج معه ألوف حتى جمعه لم يره لها ولا بعدها ولم يحج بعد الهجرة غيرها وأما قبلها فروى الترمذي [illegible] كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضية وعمرة [illegible] وعمرة القصاص وعمرة الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين في أرض وعمرة مع حجته ولم يعدّ مالك بن أنس في الموطأ الرابعة عمرة وقال إنما اعتمر ثلاثاً فقط لأنه إنما حج حجة الوداع مفرداً بالحج دون العمرة وبناه على مذهبه بعدم وهو أحد قولي الإمام الشافعي رضي الله عنه

وفي هذه السنة أسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزلت سورة إذا جاء نصر الله والفتح في يوم النحر في حجة الوداع والمعنى إذا جاء نصر الله إياه صلى الله عليه وسلم على أعدائه والفتح فتح مكة وقيل نزلت قبل موته صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قرب أجله قال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وعن جابر رضي الله عنه أنه كان ذات يوم يبكي بكاءً شديداً فقيل له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

فقوله دخل الناس في دين الله أفواجا والمراد بالناس أهل اليمن وفي هذه السنة مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الباب الخامس)

في وفاته صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخلاقه وصفاته ومعجزاته وأزواجه وأعمامه وعماته وأخواله ومواليه وخدمه وخيله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

(الفصل الأول في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك)

لما كمل الله له دينه وأتم عليه نعمته أحب نقله إلى دار كرامته ثم بدا ب الشكاية بالله إن راع الى عموم الهدى لمن حضر جمع من الرسالة والشهادة والسعادة فابتدأه المرض في أواخر صفر عام أحد عشر من الهجرة الشريفة وكان قد قدم صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وأقام بالمدينة إلى أن كان صلى الله عليه وسلم الوجع مرض موته ولما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم مرضه قالت عائشة رضي الله عنها ما زال يجد ألم الطعام الذي أكله بخيبر فهذا أوانه وأني وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم وكان ابتداء ذلك المرض في بيت ميمونة بنت الحارث وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه فجمع نساءه واستأذنهن أن يمرض في بيت احداهن وأذن له أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فقال إنما راقي فرارا الى ... لأنه كان يدور عليهن في بعض الأحيان في يوم ... له ... ولما حضر صلى الله عليه وسلم الى بيت عائشة أمر أن ادفنوني في ... لو ... صلى الله عليه وسلم ... في المدينة ... ذكر ... وذكروا انه ... صلى الله عليه وسلم وهو ... الله ابن وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال يا أيها الناس ... أي ... فمن ... عرضا ... ومن أخذت له مالا فهذا ... فليأخذ ... الى ... ثم نزل وصلى الظهر ثم رجع الى ... أيام ... أهون من فضوح الآخرة ثم صلى على أصحاب أحد ... ثم قال ...

بين الثناء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بأنفسنا ثم أوصى بالأنصار

ولما اشتد وجعه قال ائتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ثم اختلفوا واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ومنهم من يقول غير ذلك فلما كثر اللغو والتنازع قال لا ينبغي عندي تنازع فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه وكان في أيام مرضه يصلي بالناس وإنما تخلف ثلاثة أيام فلما أذن بالصلاة أول ما تخلف قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها إن أبا بكر رجل أسيف (أي رقيق القلب) وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة لحفصة قولي إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال إنكن لأنتن صواحب يوسف أي مثل صاحبة يوسف عليه الصلاة والسلام وهي زليخا أظهرت خلاف ما بطن أظهرت للنساء التي جمعتهن إظهار إكرامهن بالضيافة وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام فيعذرنها في محبته والنبي صلى الله عليه وسلم فهم من عائشة رضي الله عنها أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا قاله بعضهم وظاهر الخط والذي يقول عن عائشة رضي الله عنها إنما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس بأبي بكر ويكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم وقد جاء عنها رضي الله عنها أنها قالت ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فصلى بهم لأنه أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأيام خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه بالنبي صوته ذهب يتأخر فأومأ إليه صلى الله عليه وسلم أن لا تتأخر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا وأبو بكر يصلي قائما يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم وجلسوا قال صلى الله عليه وسلم معاشر المسلمين ما من نبي يموت حتى يصلي خلف

فرحل صالح بن أمية وأن النبي صلى به رجلان من أمته عبد الرحمن بن عوف
في السفر وأبو بكر الصديق في الحضر وأما ما رواه البخاري بإسناده إلى عروة عن أبيه
عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي
بهم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فخرج [illegible] وكان
أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله والناس يصلون بصلاة أبي بكر [illegible]
فكان في وقت آخر وفي المواقف أيضا النبي صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر
في الصلاة حال مرضه واقتدى به وما عزله لذلك قال علي قدمك رسول الله [illegible] أمر
ديننا أفلا نقدمك في أمر دنيانا

قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه
اجتمع جماعة من الصحابة ودخلنا عليه صلى الله عليه وسلم وجلسنا بين يديه وهو نائم
على فراشه فجلس أبو بكر عند رأسه ونظر في وجهه وبكى فقام النبي صلى الله عليه وسلم
عنده وقال ما الذي يبكيك يا أبا بكر فقال [illegible] أنا خادمه فقال إنه
قال في قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين [illegible] في بعدك وأخاف
أن يصح عنا الأعداء من بعدك ويقولون إن الله أمرك بجهاد الكفار والمنافقين
فجاهدت الكفار ولم تجاهد المنافقين وأخاف أن يكون ذلك [illegible]
[illegible] وجاهدنا المنافقين من بعدك فقام النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي بكر وقال أنت
قاضي ديني والقاتل من يرتد عن ديني أما سمعت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية

وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه لا إله إلا الله إن
للموت سكرات [illegible] إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى أي [illegible]
[illegible] والواحدية [illegible] أي الحق [illegible]
[illegible] وفي حديث مرسل أنه قال اللهم [illegible] الرحمن [illegible]
والعصب والأنامل اللهم أعني على الموت وهونه علي والعصب عروق [illegible]
[illegible] وأما حديث اللهم [illegible] الأعلى فكان آخر كلمة تكلم بها ولما رأت
[illegible] أبا بكر [illegible] على [illegible] أوصى [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم وهو [illegible] أبي بكر

وعمر وعائشة ثلاث وستون سنة وهذا أحسن مدة العمر بعد القصر والفتح الآتي
واختلف في مدة مرضه فقال الأكثر ثلاثة عشر يوما وقيل اثنا عشر يوما وقيل أربعة عشر يوما
ولم يوص صلى الله عليه وسلم لعلمه بأنه لم يترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة
ولا شاة ولا بعيرا لما توفي ولم يجد إلا أنه درع حربه الزردية وهي ذات الفضول بالضاد
المعجمة لطولها أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر وكانت من حديد وهي
التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من شعير وكان الذي أوصى به إنما
أوصى بكتاب الله المبين وبالصلاة وأركانها والأرقاء ملك اليمين حتى إن صدره ليغرغر
بذلك وما يكاد لسانه يبين وقوله صلى الله عليه وسلم من باب الترجيح والأولى فالنبي
صلى الله عليه وسلم أسنى العالمين على الإطلاق وكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم
يموتوا إلا لأمر هو أهم فكان دينه صلى الله عليه وسلم مرعيا للأمة ونحو الدين رهن
رعي رهن وقد ورد في الحديث بذلك وأن روحه إذا كان حيا وورد في حديث
آخر يد الله في يد المديون ما دام ينوي السداد وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه
حسب الدين الخفيف حتى يدخل في الحديث

وبعد وفاته دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه غشي في
هذا وإنما ارتفع إلى السماء فقرأ أبو بكر رضي الله عنه وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل إلى قوله وسيجزي الله الشاكرين فرجع القوم إلى قوله وبادروا إلى سقيفة
بني ساعدة وهي دار سعد بن عبادة وكان سعد بن عبادة مريضا وقالوا له هذا الأمر
فبايع عمر أبا بكر وبايعه الناس جماعة

وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات الأولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر
والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران
مولاه صلى الله عليه وسلم وكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبان الماء
وعلي يغسله وقميصه عليه ولم ير منه شيء فقال بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا
وأنه معصوب العينين لقوله لعلي لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست
عيناه وغسل صلى الله عليه وسلم من بئر غرس بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وسين
مهملة بقباء كان يشرب منها وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية بفتح السين
وضمها والفتح أشهر والفتح نسبة إلى السحول وهو القصار لأنه يسحلها أي يغسلها

نحو إلى سحول وهي بلد باليمن وأما السحل فهو جمع سحل وهو الثوب الأبيض النقي
ولا يكون إلا من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة أي لفائف من غير خياطة وبرد
حبرة أدرج فيها إدراجاً وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء ووضع على سريره وصلى عليه
المسلمون أفواجاً لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر وعمر في الصف الأول الذي حيال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالا اللهم إنا نشهد أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل إليه
ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع
القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين
رؤوفاً رحيماً لا نبتغي بالإيمان به بدلاً ولا نشتري به ثمناً أبداً فيقول الناس آمين آمين
وهذا يدل على أن المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة
المعروفة عندهم والصحيح أن هذا الدعاء كان مع الصلاة المعروفة التي أربع
تكبيرات فقد جاء أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فكبر أربع
تكبيرات ثم دخل عمر رضي الله عنه فكبر أربعاً ثم دخل عثمان رضي الله عنه فكبر
أربعاً ثم دخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما ثم تتابع الناس
أرسالاً يكبرون عليه أي على هذا [illegible] لأنه الذي [illegible] صلى الله
عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير لذلك

وروى البيهقي عن ابن عباس أول من صلى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال
فصلوا عليه زمراً ثم أرسالاً (أي فوجاً ثم) وقال الشافعي وذلك لعظم أمره وتنافسهم
في أن لا يتولى الإمامة أحد في الصلاة عليه وقيل أوصى به وقال [illegible] لي وجهاً [illegible]
إن الله أول من يصلي علي ثم الملائكة ثم ادخلوا علي فوجاً فصلوا وسلموا تسليماً [illegible]
الآية [illegible] بإمام [illegible]
[illegible]
وكان [illegible] أحد [illegible]
[illegible] وضع
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] قال الله [illegible] من ذلك

والراجح أن حياة الشهداء بالجسد لا بالروح فقط ولا يقدح في ذلك عدم الشعور من الحي وأعظم دليل على ذلك أن حياة الروح ثابتة لجميع الأموات المؤمن والكافر بالإجماع فلو لم تكن حياة الشهداء بالجسد لاستوى هو وغيره ولم يحصل له تميز على غيره ولم يكن لقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون معنى وقال ابن جرير في تفسيره ولكن لا تشعرون أي لا تدرونهم فتعلموا أنهم أحياء فظاهره أن رزق الشهداء بالأكل والشرب في البرزخ ليس للاحتياج بل للإكرام والتنعيم وورد أن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء قال العلامة القرطبي في التذكرة إن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والشهداء والعلماء والمؤذن المحتسب وحملة القرآن قال ابن كمال باشا

لا تأكل الأرض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * أذانه لإله مجري الفلك

ولا يضغط في قبره وكذلك الأنبياء ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم ويحرم الصلاة على قبره واتخاذه مسجدا

واختلفوا في موضع دفنه فقال بعضهم عند المنبر وقال بعضهم بالبقيع وقال آخرون يحمل إلى أبيه إبراهيم ويدفن عنده حتى قال العالم الأكبر صديق الأمة أبو بكر في الموضع الذي قبض فيه وهو بقعة شريفة فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب سمعته يقول ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض فرفع فراشه وحفر له أبو طلحة الأنصاري تحت فراشه الذي مات عليه ونزل في قبره علي والفضل وقثم وفي الإكليل أن آخر الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم علي وقثم وهو أصح ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشدت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لياليا

وقد عاشت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وقال علي لما ألحد زوجته إلى ووقف على قبرها وبكى وقال

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليل

وعن عطاء بن رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته فيّ فإنها من أعظم المصائب. وروي أنه جاءت من نبي الله الخضر عليه السلام التعزية لأهل بيت النبوة حين نزلت المصيبة العظمى يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال بعد أن سلم عليهم إن في كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب. وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق في المهذب أول باب التعزية أنه يستحب أن يعزى بتعزية سيدنا الخضر أهل بيت النبوة إن في الله إلى آخره. وكان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله إن في رسول الله أسوة حسنة وقال بعضهم في ذلك

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

ورثاه جماعة منهم صفية عمته رضي الله عنها [illegible] وأبو سفيان بن الحارث وأبو بكر الصديق رضي الله عنه

وتوفاه الله وحصل له درجة الشهادة فوق ما أعطاه الله من مراتب النبوة وزيادة لأنه لم يزل سم اليهودية في الشاة مستمرا ذلك السم حتى قال في مرضه الآن انقطع أبهري يعني من ذلك السم والأبهر عرق يتعلق بالقلب فإذا انقطع لم يبق معه حياة وكانت وفاته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل حين اشتد الضحى كالوقت الذي دخل فيه إلى المدينة وعن ابن عباس ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء وكانت [illegible] عكس دخوله إياها في الهجرة قال أنس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولم أجده وقد قال عليه الصلاة والسلام لأهل بيت أحمر وارضيهم تحملوا دون كم ولا تحزنوا الجواب حزنه للأخلاف في دفنه أولا ثم ل ثم ... ما كرر فيه ... وتوداهم اه

حتى استقر الأمر فبايعوا أبا بكر ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه وتغسيله وتكفينه وصلى الله عليه وسلم وبين الحسبان بقدوم روحه الكريمة إذا كان عرس الرجل امرأة أو غيرها فأعتقه فرحاً واستبشاراً بقدوم روحه فكيف بقدوم روح الأرواح صلى الله عليه وسلم وعلى هذه الرواية يوم وفاته موافق ليوم مولده قال الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم *(فائدة)* ذكر بعضهم أنه وجد بخط الشيخ تقي الدين ابن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال أجمع المسلمون على أن وقفة الوداع كانت يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة الخميس هذا لا شك فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الإنسان الشهور وهي ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وجعل أول ذي الحجة الخميس ما يتصور أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضها نواقص وبعضها كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل أنه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذي الحجة بمكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وأرخوا في أول ذي الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أول ربيع الأول الخميس وكان ثاني عشر ربيع الأول يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية أهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله أعلم انتهى

ولما توفي صلى الله عليه وسلم ترتب على وفاته ارتداد أكثر العرب [illegible] إلا أن أهل المدينة ومكة والطائف لم يدخلهم الردة وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد فاستخفى خوفاً على نفسه فارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش وغيرهم فاجتمعوا إليه فقال يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من ارتد والله ليتمن الله هذا الأمر كما قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع أهل مكة من الردة وسيأتي ما يتعلق بذلك في الفصل الأول من الباب الخامس

قال ابن إسحاق ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة رضي الله تعالى عنها فيما بلغني تقول لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق فكان المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبي بكر الصديق وقال أهل السير خرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس وهم في المسجد يموجون فخطبهم وأثنى على نبيهم سيد الأولين والآخرين وقرأ عليهم الآيات إلى أن قال بعد ذلك وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (وهذا أشد مقامات أبي بكر) ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ولم يكن فيهم أثبت منه ومن الله الناس ولم يورث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا شاة ولا بعيرا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة

وعن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تزل مهاجرته حتى توفيت

وروى البيهقي عن الشعبي أن أبا بكر عاد فاطمة في مرضها فقال لها علي هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت أتحب أن آذن له قال نعم فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت

(الفصل الثاني في ذكر يسير من خصائصه وصفاته صلى الله عليه وسلم)

من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه الله علم الأولين والآخرين وفضله على سائر الخلق أجمعين خصه بخصائص لا يحصيها أحد من العالمين وكان عمر هو الذي أظهره لنا الدين القويم وأنارت به الصراط المستقيم فكل فضل ينسب إلى فضله وكل علم مستفاد من علمه وسببه فهذا ذكر شيء من ذلك مقتصرا على ما ثبت في الأحاديث والأخبار وقد قدمنا ذكر بعضها فنقول إن من حسن ما روي من أوصافه ما روي عن عمر بن الخطاب أنه ع

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي هذه الكلمات بأبي أنت وأمي
يا رسول الله (أي أفديك بأبي وأمي وهي كلمة تستعملها العرب لتعظيم
المفدى) لقد كان لك جذع تخطب عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه
فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين
فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك
طاعته فقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله
عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر
الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده أن أهل النار يودون لو كانوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن كان موسى بن عمران
أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء
صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله
الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى
السماء السابعة ثم صليت الصبح بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة
حين كلمتك وهي مشوية فقالت لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت
علينا بمثلها لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك
فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول
الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد
آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس
إلا كفؤا ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤا ما آكلتنا
لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا
منك صلى الله عليه وسلم

و وصفه علي رضي الله عنه فقال ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس كث اللحية شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس مشربا وجهه حمرة أدعج العينين سبط الشعر سهل الخدين كأن عنقه ابريق فضة وقال أنس لم يبلغ الشيب كان في مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء وفي مفرق رأسه شعرات بيض وروي انه كان يخضب بالحناء والكتم وعن ابن عمر [illegible] أشكل العينين وأحسن الناس وكان بين كتفيه خاتم النبوة وهو بضعة أي قطعة لحم ناشزة أي مرتفعة حولها شعر وروي سلمان الفارسي انه قال [illegible] خاتم النبوة بين كتفيه [illegible] كان [illegible] [illegible] مثل زر الحجلة [illegible] على [illegible] والمراد به [illegible] الحجلة على [illegible] المعروفة أي [illegible] هذا [illegible] فان بعضهم [illegible] الاقوال [illegible] ولا [illegible] المعنى وليس ذلك باختلاف [illegible] واحد قال كزر الحجلة وآخر [illegible] وآخر كالتفاحة وآخر [illegible] [illegible] [illegible] الشعر حوله [illegible] على [illegible] خاتم [illegible] [illegible] وسئل البرهان الحلبي هل خاتم النبوة من خصائصه صلى الله عليه وسلم [illegible] خاتم النبوة فأجاب لا أستحضر في ذلك شيئا [illegible] الذي ظهر انه خص بذلك لمعنى [illegible] الاشارة الى انه خاتم النبيين ليس [illegible] بعده وفي هذا المعنى [illegible]

[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]

[illegible]
[illegible]
رسول الله صلى الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

كالفضة البيضاء واسع الجبين مقرونه أطيب ريحاً من المسك وفي وجهه تدوير مع
الفم حسن الثغر رائق الثنايا في أسنانه تفليج وسر نور يجلو إذا نطق يتكلم بجوامع
الكلم لا يضحك إلا تبسماً إذا جلس مع أصحابه رضي الله عنهم فكأنما على رؤوسهم
الطير من حسن تواضعهم بين يديه صلى الله عليه وسلم أزهر اللون إذا مشى فكأنما
تطوى له الأرض وفي مشيه لا يمشي رويداً وإذا التفت التفت جميعاً حسن الوجه
حسن الصوت خصوصاً بتلاوة القرآن العظيم

وقد حاز رسول الله صلى الله عليه وسلم المرتبة العليا من الفصاحة وكان أفصح العرب لساناً
وأوضحهم بياناً وأعذبهم نطقاً وأسدهم لفظاً وأبينهم لهجة وأقومهم حجة وأعرفهم
بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً وعناية
ربانية ورعاية روحانية حتى لقد قال علي رضي الله عنه وسمعه يخاطب وفد بني
نهد يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره
فقال أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم
وفصائلهم كلاً منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يعلمون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم فكأن الله تعالى قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره
من بني أبيه وجمع فيه ما تفرق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيهم

وكان الله ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرف القرآن وكان
صلى الله عليه وسلم يترجم لكل قوم بحسب لغتهم من قبائل قريش وكنانة وتميم
وهذيل وبكر وطيء وخزاعة ومذحج وغيرهم فربما مد صلى الله عليه وسلم قدر الألف
والألفين والثلاثة لمن لغته كذلك وربما فخم لمن لغته التفخيم وربما أمال لمن لغته
الإمالة وربما أدغم لمن لغته الإدغام وربما رقق لمن لغته الترقيق وهكذا في سائر
وجوه الآداب والأحكام التي أنزلها الله تعالى وعلم أن القرآن كلها واحدة لا تفرق
بين القراءات فلما وقع الخط وأخذ القراء القرآن عن العلماء ضبط كل إنسان
ما سمع فقط إذ الناس فيه على وجوه فجمع القراء كلها قرآناً منزلاً أوحي به إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولو جاز أن يترجم صلى الله عليه وسلم عن القرآن بغير ما أوحي
إليه لجاز أن يترجم عن غيره لهذا المترجم لفظاً والوحي أو دونه فإن كان دونه

لم يصدق عليه أنه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل إليه من ربه وذلك محال في حقه صلى الله عليه وسلم وإن كان مساويا فأي فائدة للعدول عن الوحي من الله بلفظ مساوله فما بقي إلا أنه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل إليه من ربه بحروفه الحاملة لمعانيه المفيدة وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ما أنزل الله عز وجل كتابا إلا بالعربية إذ هي أوسع اللغات ولكن كان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه وليس في القرآن العظيم إلا لغة العرب وربما وافقت اللغة فيه لغة غير العرب والأصل عربي لا مخالطة فيه

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيصححه لهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بكلام مفسر بين بحيث لو عده العاد لأحصاه من غير سرعة لحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال إنه كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها وقال أنا أعرب العرب ولدت في قريش ونشأت في بني سعد فأنى يأتيني اللحن وقد كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية لأنه بعث إلى الكافة طرا وإلى الخلق سودا وحمرا ولا يوجد غير كلامه ... إلا ... عن صاحب ... صلى الله عليه وسلم فإنه كان ... كل ... من ... العرب ... وجد ... في جميع ... العربية ... والجملة ... في فصاحة وجوامع كلم ... أفصح اللغات لغات العرب ... على ... أنا أفصح من نطق بالضاد قال الحافظ ابن كثير ... وابن الجوزي ... صلى الله عليه وسلم أفصح ...

من أهل اللغة العربية بحيث لم يغير رواته وهو صحيح المعنى اذ معناه أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بها ولا يوجد في لغة غيرهم

وأما حلمه صلى الله عليه وسلم فكان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع الى ما يحب الله ويمتنع عما يكرهه فلهذا كان يضاعف جوده وافضاله في شهر رمضان لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته لهذا الكتاب الكريم الذي يحث على مكارم الاخلاق والجود ولا شك ان المخالطة تؤثر وتورث اخلاقا من المخالط كما قال بعضهم لابنه

تجنب كل ذي بدعة * ولا تصحبن من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرف

وقد سئل الشمس الرملي كيف كان جبريل يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب بانه كان يقرأ عليه أولا جملة ثم بعد ذلك كان يدارسه القرآن أي يقرأ هذا على هذا والآخر كذلك وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها الا ان تنتهك حرمات الله فيغضب لله واذا غضب لم يقم لغضبه أحد وكان أرجح الناس عقلا وأفضلهم كثير الذكر طويل الصمت دائم الفكر وكان أصدق الناس وأوفاهم ذمة وأوسعهم صدرا وأكرمهم عشرة وأحسنهم خلقا واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويكرم كل كريم قوم ويوليه عليهم ويثني على مكارم الاخلاق فأثنى بذلك على حاتم الطائي حين عرضت ابنته عليه وأتي بها وذلك انها سبيت في جملة نساء قومها في غزوة هوازن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد قامت اليه فقالت يا محمد مات الوالد وغاب الوافد فلا تشمت بي احياء العرب فاني ابنة من كان يقري الضيف ويفك العاني ويطلق الاسير ويعطي السائل فقال صلى الله عليه وسلم من أبوك فقالت حاتم الطائي قال خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وأثنى على أبيها بكرمه وخلى عن ابنته ومن معها لاجله فهذه آثار اصطناع المعروف مع الكفر والعصيان فكيف مع الطاعة والايمان وقيل ان ابنة حاتم الطائي دعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين علمها بالخلاص من الاسر فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم الا وجعلك سببا لردها او قال الفاظا نحوها

حبذ العفو وأمر بعرف كما * أمر وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لجميع الأنام * فمستحسن من ذوي الجاه لين

وكان صلى الله عليه وسلم يلي من الناس خيارهم والذين يلونه منهم خيارهم وكان أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة وما سئل شيئا قط فقال لا ولا قال لخادم في شيء صنعه لم صنعته ولا في شيء تركه لم تركته بل يقول لو قدر لكان ولا [illegible] أحدا إلا [illegible] [illegible] اللهم [illegible]

[illegible]

وحده ويعاف الضب والطحال وأبى لبن وعسل وقال أدمان في إناء لا آكله ولا
أحرمه وأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابع ويلعق ما سقط من السفرة ويقول من
فعله غفر له ويسمي الله أولا ويحمده آخرا ويأكل مقعيا لا متكئا ويقول آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وقوله كما يأكل العبد أي كما يأكل العبد في هيئة
التناول ومقصوده الرضى بما حضر وإيصاله لا كما يأكل أهل الكبر وأهل الشره
فالمراد بالعبد الإنسان المتذلل المتواضع لربه كما قاله المناوي وقوله وأجلس أي في
حالة الأكل كما يجلس العبد أي لأن التخلق بالأخلاق العبدية أشرف الأوصاف
لا كما يجلس أهل الكبر وأهل الشره من الاتكاء وما أكل قط ذا رائحة كريهة لمرور
الملك عليه بالوحي ومجالسة جبريل وليعتبر الملك من شأنه والناس ولا يجمع بين
وسمك ولا لبن وحامض ولا بين حارين ولا باردين ولا قابضين ومسهلين ولا [illegible]
ويدفع ضرر البعض بالبعض كتمر بزبد وبطيخ أو قثاء برطب ويتبع التمر بشربة
للهضم ولا ينام بعد الأكل وكان يشرب اللبن خالصا ومخلوطا والماء في ثلاثة أنفاس
ويمص ولا يعب ويقول الكباد من العب (الكباد وجع الكبد) ولا يتنفس في الإناء
وإذا شرب دفع الباقي لمن عن يمينه وإن كان عن يساره أشرف أو أسن وقال للأيمن
الأيمن فإن شئت آثرته ويشرب قاعدا وربما شرب قائما وكان يلبس الكتان أو
الصوف أو القطن وهو الغالب قميصا أو بردا أو إزارا أو رداء أو عمامة ويحب القميص والحبرة
ولبس البردة والحبرة والجبة والحلة الحمراء والقباء والساذج والأسود والفرو والمعلم أطرافه
بسندس وأحبها إليه القميص وروي أنه لبس السراويل ولبس جبة حبرا
مفرجة عليها بعض من ديباج والطيلسان في الحر كالقوم الذين هاجروا وله ثوبان
للجمعة وبرد أخضر للعيد والعمامة السوداء والقلنسوة وهي الأكثر بغير قلنسوة وربما
بلا عمامة ويجعل لها طرفا أحد بين كتفيه ولم تكن عمامته صلى الله عليه وسلم
كبيرة تؤذي ولا صغيرة لا تقي ولم يعرف قدر طولها وعرضها وما قال الطبري من أن الطول
سبعة في عرض ذراع وأنها من صوف لم يثبت وكان ثيابه فوق الكعبين وربما يصل بها
نصف الساق والكم إلى الرسغ أو فوق الأصابع ويلبس ميامنه أولا وينزعها بالعكس
ويقول عند لبسه الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به وإذا استجد ثوبا
سماه وقال اللهم لك الحمد كما كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره

وشر

وشرما صنع له ولده وأعطى الحلق مسكا اوله ملعمص وعقد بعيران أو ورس بله خاتم فضة فصه منه ونقشه محمد رسول الله لكن على هذا الشكل محمد سطر ثم رسول

الله

فوق ثم لفظ الجلالة فوق ذلك وهذه صورته رسول

محمد

والعراه من أسفل السطر الثالث ويختم في خنصره اليمنى ويساره والاكثر الاول و لبس الا... الى السنة والسراويل والخف وكان درعه من أدم حشوه من ليف وطوله ذراعان وشئ وعرضه ذراع وشبر

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد اثر الحصير في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وانت رسول رب العالمين وقد اثر في جنبك الحصير فقال النبي صلى الله عليه وسلم اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ونحن قوم اخرت لنا طيباتنا الى الآخرة وكان صلى الله عليه وسلم اذا فرش له جلس ... على الارض وما عاب مضطجعا وان فرش له اضطجع عليه والا على الارض وكان يحب الطيب ويكره الريح الكريهة ... ويتبخر بالكافور والعود ويكتحل بالاثمد في كل عين ثلاثا وأمر بالاثمد (عند النوم) وروى عن انس ... ... في الاسلام ولا ... ولا ... كثيرا ... ... وكان ... ... وقال ...

من إطعام جائعهم ووعظ جهالهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم فكان أجود بالخير
من الريح المرسلة وكان إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل وإنما
كان جوده يتضاعف في شهر رمضان زيادة على جوده في غيره من الشهور لأن جود ربه
يتضاعف فيه وقد جبل صلى الله عليه وسلم على جميع ما يحبه الله ولأنه كان يلتقي هو
وجبريل عليه السلام في رمضان وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب
الذي أوتي إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم
الأخلاق وفي مسلم قال ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه
غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى
الفاقة وعن صفوان بن أمية قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني
وإنه لمن أبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي وفي مغازي
الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان واديا مملوءا إبلا ونعما فقال أشهد
ما طابت بهذا إلا نفس نبي ولذلك قالت له خديجة رضي الله عنها في أول بعثته حين رجع
من غار حراء يرجف فؤاده خائفا مما حصل له من جبريل لما جاءه بالقراءة والله لا يخزيك الله أبدا إنك
لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل (أي الشيء الذي يحصل به الثقل لغيرك)
وتكسب المعدوم (أي [illegible]) وتعين على نوائب الدهر (أي حوادثه)
وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تواضعا يجيب من دعاه من غني أو فقير أو حر أو عبد
وكان عليه الصلاة والسلام في سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي
ذبحها وقال آخر وعلي سلخها وقال آخر وعلي طبخها فقال صلى الله عليه وسلم وعلي جمع
الحطب فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك ذلك فقال قد علمت ولكني أكره أن أتميز عليكم
وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وقام فجمع الحطب وكان أرحم الناس
بهم في الأ [illegible] وأشدهم إكراما لأصحابه لا يمد
رجليه [illegible] ولم يكن يركب [illegible] ما ركبته جليسه
[illegible] يسأل عنهم فمن مرض عاده ومن
غاب [illegible] الصلاة والسلام [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] وكان من حاله أوانا
مجاهدة

مجلسه صابراً حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف وما التمس أذنه أحد فقام حتى يقوم الرجل
وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد
الناس منه وكان لا يعاتب أصحابه ولا يقول في مدائحه [illegible] وكان يخفف الصلاة إذا
سمع بكاء الصبي [illegible] وحمل الصبي [illegible] وباع واشترى بيده ونسيئة
والأعلى [illegible] وآجر واستأجر
وهو الأعلى وآجر [illegible] بالرعي والاتجار وشارك ووكل وتوكل ووهب
ووهب له [illegible] عن الله [illegible] وصارع
وطلق وآلى وصالح وأصلح وداوى [illegible] وركب ورفق واسترق [illegible]
[illegible] وكبر [illegible] امه في
[illegible] وكان [illegible] كانت [illegible]
الله [illegible] يقول أذا [illegible] وكان [illegible]
على [illegible] وخرج [illegible] وكان اذا [illegible]
[illegible] لرسول [illegible]
من الجوع [illegible] الله [illegible] خزائن الارض [illegible] الآخرة [illegible] وهذا
على وجه الاختيار على وجه الاضطرار لاجل [illegible] على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أشبع
يوما وأجوع يوما [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم أن يكون [illegible]
قال [illegible] من الجوع [illegible]
اذا [illegible] الجرار [illegible]
[illegible]
[illegible] الجوع [illegible]
وقال [illegible] أصحابه [illegible]
[illegible] واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible]

وجوارحه وقال بعضهم يقال لمن يؤمر بالصبر على قلة حرامه كان صلى الله عليه وسلم يؤمر بالصبر وأمر أمته بالصبر حالا ومآلا

وفي كتاب السنن لسعيد بن منصور من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم من أبغضني وعصاني فأكثر له المال والولد اللهم من أحبني وأطاعني فارزقه الكفاف اللهم ارزق آل محمد الكفاف اللهم ارزقه يوما بيوم وتقدم في المقام السابق أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع لي فقال اللهم أصح جسمه وأكثر ماله وأطل حياته

وورد في الجامع الصغير إن الله إذا أحب عبدا جعل رزقه كفافا [illegible] قال العزيزي أي بقدر كفايته فلا يزيد فيلهيه ويطغيه ولا ينقص فيؤذيه فإن الغنى مبطرة والفقر مذلة

وأما فاقته صلى الله عليه وسلم فالتيسير وسأله ربه أن يجعل رزقه قوتا ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان عامة خبزهم الشعير

وقد خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا وأن يكون نبيا عبدا فقال بل نبيا عبدا وانظر إلى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض فأعرض عنها وأباها مع أنه صلى الله عليه وسلم لو أخذها لم يصرفها إلا في طاعة ربه لكن اختار الله ونبيه المحمدية والمقام [illegible] فما التفت إليها وغض [illegible] الأركان وقال البدر الزركشي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس وقد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا إن المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أنه لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك وقال بعضهم الفقر لباس الأنبياء ورتبة الأولياء لأن الفقر يورث الخشوع والخشوع يورث الكرامة وقد قال إن الله يحب كل تقي نقي [illegible] يحب المساكين والفقراء

وحاجاته صلى الله عليه وسلم على ضربين الأول الواجبات الأضحى والأضحية والوتر والتهجد والسواك والمشاورة وردو [illegible] وزاد بعضهم [illegible] وقضاء دين من مات وعليه دين لم يخلف وفاء وقد كان يصلي عليه [illegible]

وقال

وقد كان مخصوصا بالنوع الثاني مما اختص به من المحرمات فيكون الأجر في اجتنابه أكثر وهو قسمان أحدهما في غير النكاح كتحريم الشعر والخط والأكل متكئا وأكل الثوم والبصل والكراث وقد قيل مكروه وأما النفس لأمته لا ينزعها حتى يلقى العدو وقيل مكروه وإذا نزع لأمته أي عمامته وأن لا ينظر إلى ما متع به الناس من الدنيا وخائنة الأعين. الثاني في النكاح كإمساك من كرهت نكاحه وقيل [illegible] النوع الثالث المباحات كالوصال في الصوم واصطفاء ما يختار من الغنيمة قبل القسمة ودخول مكة بلا إحرام وإباحة القتال فيها ساعة والقضاء بعلمه والحكم لنفسه وولده وشهادته لنفسه وولده وقبول شهادة من يشهد له وحمى الموات لنفسه ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا وأبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم إليهما ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة النبي عليه الصلاة والسلام وإباحة تسع نسوة والصحيح الزيادة له وانعقاد نكاحه بلا ولي ولا شهود ووجوب العدل بين أزواجه وأما النوع الرابع فهو ما اختص به من الفضائل والإكرام فمنها أن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبدا ومن فارقها في حياته أوجه أصحها التحريم وأن أزواجه رضوان الله عليهن أمهات المؤمنين [illegible] من [illegible] عرفهن من النساء وجعل ثواب [illegible] وأنه خاتم النبيين وخير خلق الله وأمته أفضل الأمم وهي معصومة من الإجماع على ضلالة وأصحابه خير القرون وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل وهو حجة على الناس بعد وفاته ومعجزاته [illegible] إذا [illegible] وجاهور [illegible] [illegible] الناس كافة وهو [illegible] أول [illegible] وأول من [illegible] [illegible] في الصلاة [illegible] لأحد [illegible] [illegible] وخاطبه المصلي [illegible] ولو خاطب آدميا [illegible] صلاته و [illegible] إذا دعا [illegible] [illegible] المدينة [illegible] لا [illegible] ومن رآه [illegible] وأن [illegible] كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فلما كان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه الله علم الأولين والآخرين ولا يعطي شيئا منه أحدا من العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

قال البوصيري

فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فإنما اتصلت من نوره بهم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

وقد أطلعه الله تعالى على ما شاء من المغيبات ووقف على وفق إخباره بها فيما مضى وما هو آت وأسر إليه أسرارا دون جميع الخلق في أمور منها مفاتح الغيب الخمس ولقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقال بعضهم الروح مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ولا يجوز لنا البحث عنه بأكثر من أنه موجود ونقل عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح أي لا يعين المراد به في الآية

ووقع اختلاف في مسألة اشتهرت بالديار المغربية نصر الله بها أعلام السنة المحمدية وهي هل أحاط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله كما أحاط الحق علمه أولا فأجاب عن ذلك بعضهم بقوله لا يصح ذلك بل الذي ينبغي اعتقاده أن الله أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بما لم يعلمه أحدا من الخلق وحاشا جلاله أن يرضى من أحد أن يسووا بينه في العلم وبين رب الأرباب ومن الجهل أن يجزم بما لم يرد به النص على كل حال فاحذر الغلط وإياك من ركوب الشطط من السقط ... وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى أي لا تتجاوزوا الحد في مدحي وفي معنى الحديث قال البوصيري

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

وقد أجاد القائل

الأمر أعظم من مقالة قائل * إن رقق البلغاء أو إن فخموا
إذا قول المادحين ومدحه * شهدت به آي الكتاب المحكم

وحكي أن العارف الكبير أبا حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى قيل له لم لا تمدح النبي صلى الله عليه وسلم فأنشد قائلا

أرى

(في شرح ما كان الخلق)

أرى كل مدح في النبي مقصرا * وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فمن تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم ويكون مما يشهد بمحاسنه الظاهرة علامة على محاسنه الباطنة ولأنه كمل فيه صلى الله عليه وسلم ولا يساوي له في هذا المدلول فكذلك في الدال ولذا نقل القرطبي عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا في الدنيا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم وإلا لما أطاقت أعين الصحابة النظر إليه صلى الله عليه وسلم فإذا كان في الآخرة ظهر تمام ذلك ولذا قال صاحب البردة

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد جمع الله له صلى الله عليه وسلم محاسن السر وأحاسن الباطنة والجهر معا أي لا كمال بشر أولاه لم له من البشر محاسن جمال بجمال أو به وعلمه الله مكارم الأخلاق وجمع له من أكارم الآداب أو من خلق وما أحسن قول القائل

أحمد الإله أنا لا قول ولم يزل * برسوله الفرد الكريم رحيما
في الهدى لم يرد في نعمه * و إذ أحسن ما يكون نعيما

وكذلك جمع صلى الله عليه وسلم ما فرق في الأنبياء من مكارم الأخلاق ومحاسن عظيما فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم فكان صلى الله عليه وسلم خلق آدم (جمع الأسماء وسائر الآل) ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل ورضى إسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى

ثم على الله تعالى علي بالكلام على هذا بتوفيق أخذته فصل فيما كان لرسول الله أسد حسنه أعز الله به على المعراج أمره وأكرمه الأشياء ظاهره وباطنه ما فهمته في الدارين وصلى الله عليه وعلى آله وسيره الطاهر وعلى أصحابه قال الشيخ جلال الدين السيوطي

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ولقد سبقه الى ذلك الصلاح الصفدي فقال

أكرم بآثار النبي محمد * من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظري وتمتعي * ان لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما في ذلك أبو الحرم المدني فقال

يا عين كم ذا تسفحين مدامعا * شوقا لقرب المصطفى ودياره
ان كان صرف الدهر عاقك عنهما * فتمتعي يا عين في آثاره

وبالجملة فآثاره صلى الله عليه وسلم وما آثره هي الواسطة العظمى في نشر هذا الدين المحمدي العظيم الشان الذي هو ببركته صلى الله عليه وسلم باق الى آخر الزمان وكذلك دامت معجزة القرآن التي هي أكبر المعجزات باقية بين اظهرنا فلا يشبع الماضي الآتي فمن بعد المصطفى عليه الصلاة والسلام باقية الى يوم القيامة ومعجزة القرآن الباهرة الدلائل لذا سبق لله الحمد داخلة في قول القائل

خلت الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

(الفصل الثالث)

(في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم)

أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن الذي أعجز الانس والجان وتحدى به بلغاء العرب وفصحاءهم الذين هم الرؤساء في ميدان المعاني والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والتبيان عن معارضته على ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثم نازلهم الى الاتيان بسورة من مثله وفي السور ما هو ثلاث آيات فلم يأتوا له ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ونكصوا على أعقابهم خاسئين فعجزهم ان عارض أولى بالعجز والخذلان اذ بحالهم سكوتهم ثم ما وقع من بعضهم عن معارضته لو قدروا واعلم ان خصوصا مع كونه صلى الله عليه وسلم ينادي عليهم بالعجز عن معارضته والقصور عن بلوغ غرض من ساحته ويوبخهم ويسفه أحلامهم فلم يستطع أحد منهم أن يرفع رأسه ويباديه بجواب واعتبار يرتادون بعد مراتب المعارضة ويعترفون بعجزهم في الادبار في قولهم هذا

سحر

سحر يؤثر وسحر مستمر وأساطير الاولين و يعتذرون ظاهراً بقولهم فلو نشاء لقلنا
في أكنة مما تدعونا اليه ولما قالوا انما اعلمه بشر رد الله عليهم بقوله وان لم تفعلوا
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ولو قدروا على أدنى معارضة لبادروا اليها وأفحموا الخصم الذي
كانوا يخافون على اطفاء نوره باعظام كل امر مجتنباً وعزاته أساليبه وبلاغة وامتيازاته
في الفصاحة الى الطرف الاقصى فانه لا افصح ولا أوضح ولا أكمل ولا أجزل ولا أعذب ولا
أغرب من ألفاظه ولا أسد ولا اشد التئاماً ولا أحسن نظماً وأبلغ فكل ذي أدب
يجد فيها الغاية في أبواب البلاغة والرقي الى درجات الاعجاز وان الواضح ودليل
الحجارة هو كونه خارجاً عن جنس كلام البشر من النظم والنثر والخطب وما كان من
المعروف مثلها ان القصة تدخل فلا يملك القرآن ولا يشتبه بكلام احد وارتداده وانه معجزة
من الله وحده لا يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم في لفظه ولا مثله كذلك فان اشهر بديع
من كلامه ومبتدع حكمه ما من بين اصحابه أشهر صلى الله عليه وسلم وكلامه مرآة
المعروف فيه منثوراً ولكن تستطرف تنظيرها تصحيح أو حسن عبارة كلامه ان كان به اهتمام
على معانيه ولا يقدر على ذلك ولا يساويه ولا يقاربه الاشياء من ... اعلاه
ولا أصدع من أحكامه ولا أوضح من بيانه ولا أرجح من قضاياه ولا أكرم من
آدابه ولا ابلغ من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم
ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الآية وقال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وقال بعضهم
اذا اردت معاد الحق فانظر الى احدث المحصر ارال الباطل ووجه حسنه واذا اردت
معاده بسوءه احد كان ... وكذلك ... من ... والرس
والآخرين ... وقد ... كان ... الله ... و ...
لم ... على ... و ... وان ...
... صلى الله عليه وسلم ...
صلى الله عليه وسلم ... صلى الله عليه وسلم ...
الذي ان هو الا وحي يوحى

قال ... رحمه الله ... آيات القرآن ... آية
... آية ... آية و ... آية ...
و ... آية و ... آية ...

آية وماية وسبع وبالليل مائة آية وماهو ناسخ و منسوخ ست وستون آية وقال بعضهم

الا انما القرآن سبعة أحرف * أنبئت بها في ست عشر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

ووفد غالب بن صعصعة على الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فسأل له من أنت فقال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثير قال نعم قال فما فعلت ابلك قال أذهبتها النوائب ثم قال له يا أبا أخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وذلك قوله

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القد الا حاجة لي أريدها

فقد جمع الله له صلى الله عليه وسلم كلما أوتيه الانبياء من معجزات وخصائص ولم يجمع ذلك لغيره بل خص كلا بنوع من المعجزات وذهب كل بمعجزاته ولم يبق منها الا ظاهر حكايات واثار عنها والاخبار وأبقى لنا صلى الله عليه وسلم القرآن معجزا خالدا بين ظهرانينا الى يوم القيامة فهو منه بعدها بانه لا يمكن معارضته ولا يدعي زهرانه فعلم ذلك من أدركه فسرح الآيات المحكمة وأسباب نزولها وما اشتملت عليه من الامر والنهي والاحكام والمعاني والاعجاز والاخبار والفصاحة والبلاغة والبيان والبديع وأخبار الاولين والآخرين وتواريخ الامم السالفة والوعد والوعيد وذكر الدنيا وأحوالها والآخرة وأهوالها فكل من نظر في كتاب الله تعالى من الفصحاء والبلغاء في سائر الاعصار وأعمل فكرته في استخراج بعض جواهر المعاني من كنوز الآيات الكريمة واطلع على أسرار البلاغة وعلم ما تضمنته من أسرار الاعجاز فقد علم بالقرآن الذي تحدى به صلى الله عليه وسلم صدق دعوى النبوة مع ما حررته الملاحظة [illegible] الا مدحوه [illegible] من الاعجاز [illegible] مع ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من المعجزات الخارقة للعادة بطريق الظهور والآحاد وما لم القصر المستوفي [illegible] هذه النوادر في المعجزات وان كانت [illegible] آحادا قال بعضهم

هذا بعض معجزات الرسل مذ فصلوا * بها وأعظمهم في ذلك الجمل
ومعجزات رسول الله باقية * محفوظة ما بقي في الدهر يوصل
كم قال الله هذا الذكر يحفظكم * فلن يضيع الذي بالله موصول
هذي المعاجز لا يعطي المرسل بها * الملك قطع والوحي موصول

وانزل

وأنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا جملة ثم فرقه في ثلاث وعشرين سنة مدة الوحي
بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين فكان جبريل ينزل بالسورة أو الآية
لأمر يحدث ويخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموضعها من القرآن وعلى هذا الترتيب
كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده ويعرضه
عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة هو الذي وقع
عليه ترتيب المصحف العثماني وأما ما وقع في غيره من مصاحف بعض الصحابة كمصحف
ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب من الترتيب والقراآت وربما في بعض السور مما هو
مخالف للمصحف العثماني فقد وقع ذلك أولا ثم نسخ ذلك بما استقر عليه الأمر
في العرضة الأخيرة وكتب في المصحف العثماني ولم يبلغ الخبر من ذكر من الصحابة ولا
ما استقر عليه الأمر فاستمر كل منهم على ما كان عنده فإن قيل نزوله جملة إلى السماء
هل كان قبل نبوته صلى الله عليه وسلم أو بعدها أجيب بأنه يجوز أن يكون في الأمرين
وابن حجر ظاهر الأول والجلال السيوطي الثاني قال والآثار صريحة فيه [illegible] وربما فهم
من كلام بعض الأئمة [illegible] فإن قلت ما السر في نزوله منجما ولم ينزل كسائر
الكتب جملة واحدة قلت هذا سؤال تولى الله جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القرآن جملة واحدة يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله
كذلك أي أنزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك أي لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد
في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك
إليه وتجديد العهد به بما معه من الرسالة [illegible] فيحدث له من
السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه
جبريل عليه السلام [illegible]
[illegible]
أو كان [illegible] وكلامه [illegible]
[illegible] ألا ترى [illegible]
قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن [illegible]
البقرة لا في الصحف [illegible] وآية الكرسي وسورة الإخلاص ليس موجودا في
سورة [illegible] أبي لهب [illegible]

وخمسمائة والثاني على ضعفهما كما علمت قاله شيخ الاسلام وسميت السورة سورة لقطعها من السورة الاخرى اذ السور القطع فلما قرن بعض السور ببعض سمي المجموع قرآنا كما سمي بعضه قرآنا لذلك أيضا قاله شيخ الاسلام في شرحه على البخاري

وقد روي ان الله تعالى أنزل القرآن دفعة الى السماء الدنيا ووضع في بيت العزة فحفظته الحفظة وكتبته الكتبة ثم نزل منها بلسان جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا بحسب المصالح فان قيل ما قدر المنزل أجيب بأنه كان على حسب المصالح فقله وكثرة فربما نزل العشر من الآيات كما صح في قصة الافك وأول المؤمنين ونزول الخمس منها ونزول بعض آية كما صح في نزول غير أولي الضرر وحدها وهي بعض آية وكان جبريل يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموضعها من القرآن فالقرآن في اللوح المحفوظ على الحد الذي في مصاحفنا الآن فان قيل ما معنى الانزال أجيب بأن لهم فيه اختلافا فمنهم من قال انه عبارة عن اظهار القراءة ومنهم من قال ان الله ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وعلمه قراءته ثم أداه جبريل في الارض فان قيل ما كيفية الأداء أجيب بأنهم ذكروا فيها طريقين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل وثانيهما أن الملك انخلع الى البشرية حتى أخذه الرسول منه والاول أصعب الحالين والمراد بالانخلاع الظهور بتلك الصورة لا مفارقة الطبع بالمرة كما هو ظاهر فان قيل ما كيفية تلقي جبريل له أجيب بأن الظاهر أنه تلقفه من الله تلقفا روحانيا او حفظه من اللوح المحفوظ فنزل به الى الرسول وبلغه عليه ومر بعض الحجة عن الالتقاء وحاقي بالالهام فان قيل ما النازل على النبي صلى الله عليه وسلم أجيب بأن فيه ثلاثة أقوال أحدها انه اللفظ والمعنى وان جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به والثاني ان جبريل انما نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك قائله بقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك والثالث ان جبريل ألقى عليه المعنى وانه عبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم انه نزل به كذلك واخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري انه لم ينزل وحي الا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه والمراد بقومه أهل

لغته

بلده أي جنسه الذي هو قريش فبهم قومه وهم عرب أهل دعوته اذ دعوته عامة لجميع الناس بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال بعضهم

كتاب الله أفضل كل قيل * رواه المصطفى عن جبرئيل
عن اللوح المحيط بكل شيء * عن العلم الرفيع عن الجليل

وقد اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة بعد الاجماع على ان ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك فذهب جماعة من العلماء الى ان ترتيب السور باجتهاد من الصحابة منهم الامام مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه وجزم به ابن فارس ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور وذهب جماعة آخرون الى انه توقيفي منهم القاضي أبو بكر في أحد قوليه وخلائق قال بعضهم ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب

وقد أثبتوا صورة في عالم المثال وجعلوه عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح وقالوا هو ألطف من عالم الاجسام وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا فيكون الروح الواحدة كروح جبريل في وقت واحد في سدرته بمقامه الاعلى وفي هذا الشبح المثالي الذي تمثل لمريم وبمثل هذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة انه سأله بعض الاكابر عن جسم جبريل عليه السلام فقال أين كان يذهب جسمه الاول الذي كان يملأ الافق اذا تجلى للنبي صلى الله عليه وسلم في صورته الاصلية عند ما يأتيه في صورة دحية وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال كان يندمج بعضه في بعض الى ان يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ثم يعود ينبسط الى ان يصير كهيئته الاولى كما يتخلخل القطن او يتكاثف في الاجسام وما ذكروه أولا أحسن وهو أن يكون جسمه الاول بحاله لم يتغير وقد أقام الله له شبحا آخر وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد قال السيوطي وعلى هذا الاصل تخرج مسائل كثيرة وتنحل به اشكالات عسيرة

ومن أمثلة ... تيسيرا ... اسلام ... وقد أجمع المفسرون وأهل السنة ... نبينا صلى الله عليه وسلم قال كان ... صدوره

طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا يقدر البشر على إيجادها دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وأنه منفرد بالربوبية وأن هذه الآلهة التي تعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له

قال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة انتهى وفي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي وانشق مرتين بالإجماع قال الحافظ ابن حجر وأطلق قوله بالإجماع فيتعلق بانشق لا بمرتين فإني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم انتهى وما أحسنه صلى الله عليه وسلم قول أبي الطيب

متى ما يشر نحو السماء بطرفه * تخر له الشعرى وينكسف البدر

وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فغضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحصبهم بها فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى ونسج العنكبوت وتعشيش الحمامتين الوحشيتين عليه في الغار وسائر هجرته التي حماه ستر الله وحفظها من الكفار ونصره بريح الصبا الباردة وبالرعب للعدو يسير بين يديه مسيرة شهر وأيده بالملائكة وعصمه في السر والجهر وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ تبعه خلفه في الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلد ومسح على ظهر عناق لم ينز عليها الفحل فدرت وشاة أم معبد ودعوته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعز الله به الإسلام ودعوته لعلي رضي الله عنه أن يذهب عنه الحر والبرد وتفله في عينيه وهو أرمد فعوفي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك ورده عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وأحدهما ودعاؤه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالتأويل والفقه في الدين وكان يسمى الحبر والبحر لعلمه

ودعاؤه

ودعاؤه لجمل جابر فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا ودعاؤه لأنس بن مالك رضي الله عنه بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش مائة سنة أو نحوها وولد له مائة وعشرون ولدا ذكرا لصلبه وكان نخله يحمل في السنة مرتين ودعاؤه في تمر جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفضل له ثلاثة عشر وسقا

ومن معجزاته نزول الغيث المستغيث باستسقائه عليه الصلاة والسلام مرة للمشركين بمكة ومرة للمسلمين بالمدينة بشعر فيها أبيات وعا

وإذا السوابق أطلعت أحداقها ٭ لبست بوجهك أحسن الإشراق

ودعاؤه على عتبة بن أبي لهب بقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد بالزرقاء من الشام وشهادة الشجرة له بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل لك من شاهد على ما تقول فقال نعم هذه الشجرة ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت إلى منبتها وأمر إنسانا أن يأتي إلى شجرات فيقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن فاجتمعن فلما قضى حاجته أمر أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن وقوله إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وحنين الجذع لما فارقه لا يرقى عليه حتى سمع منه صوت كصوت الإبل فضمه إليه فسكن فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة

وكان الحسن البصري رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه [illegible] وتسبيح الحصى في كفه قال أنس بن مالك رضي الله عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في يد عمر فسبحن ثم في يد عثمان فسبحن فصبهن في أ[illegible] وكذلك الطعام [illegible] وكلام [illegible] الذراع [illegible] رسول الله [illegible] وسلم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

خوان فيه طعام شبعان منهم فكان كذلك وقال النعمان رضي الله عنه بعد ما أوتي بثريده فكانت وقوله للأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة (أي استئثار) فكانت زمن معاوية وقوله في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان في زمن معاوية وأخبر بشارته بقتل العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وعين قاتله وقال لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل يوم اليمامة وأخبر برجل من المسلمين ولحق بالمشركين فلما مات قال إن الأرض لا تقبله فكان كذلك وقال لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط وقصة مازن بن الغضوبة الطائي وسواد بن قارب قائمة كما في سيرته صلى الله عليه وسلم فحافظها وأسلما ومن نظم سواد بن قارب

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

وشهادة الضب بنبوته وإطعام ألف من صاع شعير بالخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان وأطعم منهم من تمر يسير وجمع فضل الأزواد على نطع ودعا فيها بالبركة ثم قسمها في العسكر فقامت بهم وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفهن في يده وقال ادع لي فيهن بالبركة فدعا له قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان رضي الله عنه ودعاء أهل الصفة لقصعة ثريد قال أبو هريرة رضي الله عنه فجعلت أتطاول أن يدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار لقمة ووضعها على أصابعه وقال لي كل بسم الله فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت وأهل الصفة فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون في المسجد ويظلون فيه وصفة المسجد أي الموضع المظلل منه وإليهم يأوي الغرباء ويقال لهم ضيوف الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بعضهم ويفرق بعضهم على أصحابه يعشونهم ومن مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الأسقع وأبو ذر رضي الله عنهم

ومن معجزاته أنه أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر
كان في اجتماعه كربضة البعير فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه كأنه كان ونبع الماء من
بين أصابعه الكريمة كأنه العيون في الإناء حتى شرب القوم وتوضؤا وهم ألف
وأربعمائة قال ابن العربي في قبسه وذلك خصيصة له لم تكن لأحد قبله وأتي بقدح
فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يسع فوضع أربعة منها وقال هلموا فتوضؤوا أجمعين
وهم من السبعين إلى الثمانين ووردي في غزوة تبوك على ماء لا يروي واحدا والقوم
عطاش فشكوا إليه فأخذ سهما من كنانته فغرسه فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا
ثلاثين ألفا [illegible] يوم [illegible] في [illegible] من أصحابه حين وقع على [illegible]
[illegible] بالماء العذب [illegible] أصابع [illegible] ومسح على رأسه [illegible]
[illegible] وذهب داؤه وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جذلا من حطب فصار في يده سيفا
ولم يزل يشهد به المشاهد [illegible] يوم أحد [illegible] فصارت
كما كانت [illegible] على رجل أبي رافع وقد انكسرت فكأنها لم تشتك قط
وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك أمتي ما زوي لي منها قال الصلاح الصفدي وقد صدق الله قوله فإن ملك
أمته بلغ أقصى المشرق والمغرب ولم ينتشر في الجنوب ولا في الشمال وقال لرجل
يدعي الإسلام وهو معه في القتال إنه من أهل النار فصدق الله قوله فإن ذلك
الرجل قتل نفسه وهذا لا يعرف [illegible] ولا [illegible] إلا بتعليم
الله تعالى [illegible] ظاهر موجود وأخبر
عمارا [illegible] علي رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وفاطمة رضي الله عنها [illegible]
[illegible]

الطول بدعائه الصديقية وشمل الحسن وصرعه وأهلكه وكان كذلك وخطب امامة بنت الحارث بن أبي عوف وكان أبوها أعرابيا جافيا فقال ان بها برصا ولم يكن بها فقال فلتكن كذلك فبرصت من وقتها فتزوجها ابن عمها يزيد فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصاء وحكى الحكم بن أبي العاص مشيته صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته فالتفت يوما فرآه وهو يتخلج في مشيته فقال كن كذلك فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ الى ان مات في خلافة عثمان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم نفاه من المدينة الى الطائف فلذلك كان طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه فقيل كان يتجسس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلع عليه من باب بيته وانه الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفقأ عينه بمدرى في يده لما اطلع عليه من الباب وقيل سببه انه كان يحكيه في مشيته وبعض حركاته وقد ذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في هجائه لمروان بن الحكم فقال

ان اللعين أبوك فارم عظامه * ان ترم ترم مخلجا مجنونا
يمسي خميص البطن من عمل التقى * ويظل من عمل الخبيث بطينا

ومعنى قول عبد الرحمن ان اللعين الى آخره ما روي عن عائشة رضي الله عنها من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة انها قالت لمروان بن الحكم حين قال لاخيها عبد الرحمن بن أبي بكر لما امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد ما قال والقصة مشهورة اما انت يا مروان فأشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وانت في صلبه وقد روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة ولا حاجة الى ذكرها الا ان الامر المقطوع به ان النبي صلى الله عليه وسلم مع حلمه واغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك الا لامر عظيم ولم يزل منفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده الى المدينة فقال ما كنت لاحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك عمر فلما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة رده وقال كنت قد شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه فالى غير ذلك مما لا يحصى وكفى ان فيها كرامات الاولياء التي لا تستقصى وقد ذكر بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن

العماد

العمادي ذكر وكذلك لم يخلق الورد من عرقه ولا من غيره كما يقوله بعض العوام أنه من عرقه أو البراق أو عرق جبريل خلقه الله كسائر الأزهار ولم يكن وطؤه صلى الله عليه وسلم يؤثر في الصخر دون الرمل كما أوردها بعضهم ذكر ويقول كان كثير من الناس أي في عدم ما ذكر • [illegible] في الحجر و[illegible] في الرمل وقال بعضهم معتذرا لا آياته صلى الله عليه وسلم

ومن أكبر الآيات وحي أتى به * فريد المباني محكم العجائب
به أعجز الأفكار عنه فلم يطق * لمعنا ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة * وفات مرام المستغر الموارب
أتانا به لا عن روية مرتئ * ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب
يواتيه طورا في إجابة سائل * وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب
وإتيان برهان وفرض شرائع * وقص أحاديث ونص مآرب
وتصريف أمثال وتثبيت حجة * وتعريف ذي جحد وتوبيخ كاذب
وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى * وعند حدوث المعضلات الغرائب
[illegible] * [illegible]
فيأتي على ما شئت من طرقاته * قويم المعاني مستدر الضرائب
وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما * وصفناه معلوم بطول التجارب

وذكر الإمام فخر الدين أن من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل قال السبكي [illegible] [illegible] لكن [illegible] وقد [illegible] العلماء [illegible] في سيرته [illegible] [illegible] ([illegible])

[illegible] * [illegible]
[illegible] المصطفى [illegible] * [illegible]

([illegible])

([illegible] الله [illegible])

[illegible]

سنين ولم يدخل بأربع ونيف فى حياته الا ان وقبض عليه الصلاة والسلام عن تسع
وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة خديجة بنت خويلد ولها أربعون سنة وكانت
سمعت لورقة بن نوفل فأمر الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم وأقامت معه صلى
الله عليه وسلم بعد الزواج أربعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام خمس عشرة سنة
قبل الوحي والباقي بعده ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياتها ولم تكن شرعت
الصلاة على الجنائز ودفنها بالحجون وأم أيمن وأم الفضل ودفنت بالحجون عن نحو خمس وستين
سنة وهي سيدة النساء وأسبقهن نكاحا وإسلاما ولا خلاف في ان أول أزواجه صلى الله
عليه وسلم خديجة وكان تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة قال في المواهب
وخرج الامام أحمد عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال أفضل نساء أهل
الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون
وصحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين
قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله ما رزقني خيرا منها آمنت بي حين كذبني
الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها
وسئل ابن داود أيهما أفضل فقال عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام
من جبريل وخديجة أقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
فهي أفضل قيل له فمن أفضل خديجة أم فاطمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة أحدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة واحتج من فضل عائشة بأنها في الآخرة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها وقال شيخ الاسلام
في شرح البهجة الذي اختاره ان الافضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضل من حيث
العلم وخديجة من حيث تقدمها واعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات وفاطمة من
حيث البضعة والقرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن
مع الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها وان لم تذكر مع الانبياء في
ثم رأيت بعد ذلك قال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة أفضل ثم أمها ثم
عائشة وأما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم ابنة عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم
فاطمة بنت محمد ثم آسية امرأة فرعون فأجاب عنه ابن العماد بأن خديجة انما

فضلت

فضلت فاطمة بما زاد الامومة لانها [illegible] واختار السبكي ان مريم أفضل من
خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها ووقع الاختلاف في نبوة أربع نسوة مريم
وآسية وسارة وهاجر وزاد العلامة المفتي السراج ابن الملقن في شرحه لعمدة الاحكام
حواء وأم موسى عليهما السلام وسيأتي ما يرد على التفضيل بالكلية

ومما يناسب ذكره هنا انه وجد في بعض الرسائل ما نصه في ليلة السابع والعشرين
من شهر رجب الفرد من سنة [illegible] وعشرين وثمانمائة قرأت على شيخ الاسلام قطب الانام
من خصه بمراتب الفضلا وارتفع [illegible] في معارفه السنية العارف بالله تعالى
الشيخ [illegible] بالصدق في المعراج الشريف وأبدع شعرا وقدم للحاضرين أحسن قرى
ووقف [illegible] هل الافضل ابراهيم ابن [illegible] او فاطمة او ابو بكر الصديق فأجاب
بأن ابا بكر افضل [illegible] ومن المسائل كلام [illegible] ذكر [illegible] فاخذ
سؤالا ورفعه الى العلماء من اهل العصر [illegible] شيخ الاسلام [illegible] الجواب [illegible]
وصورة السؤال

الحمد لله [illegible]
[illegible] الى الامام [illegible]
[illegible] اهل [illegible] الى يوم [illegible] محمد [illegible]
ورسوله [illegible] افضل [illegible] واشرف [illegible]

هل احد [illegible] آدم صلى الله عليه وسلم [illegible] والمرسلين [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] بكر [illegible]
[illegible] افضل [illegible]
[illegible] الموجودين [illegible] ابا بكر الصديق رضي
الله عنه [illegible] ابراهيم [illegible] فاطمة وابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الحمد لله الهادي للصواب وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين الحق
إن شاء الله تعالى وهو الذي دلت عليه نصوص الشرع ونصوص أئمة الشرع أن مولانا
الصديق أفضل من عدا الأنبياء من الناس من غير استثناء أحد بعد ذلك مطلقاً وهذا
هو الذي ندين به وندين الله به ولم نعلم أحداً من العلماء الذين أخذنا عنهم حكى خلاف ذلك
ولولا خوف الإطالة التي لا يحتملها المقام لنقلنا نصوص الشرع ونصوص أئمته وبيناها
بما يندفع به توهم القاصرين واغترار المغرورين وأما ما ذكر عن الجلال السيوطي وعلى ملا علي
القاري فلا يجوز التعويل عليه ولا العمل به إذ لم يسنده وكان له الإمام كلام
الأئمة وتصريحاتهم فإنه مجرد دعوى مخالفة لنصوص الشرع وأئمته من غير سند يذكره
وليست دعوى الاتفاق بالهين ولا يقبل كل من ادعاه إلا بإثبات ذلك وكم دعاوى للاتفاق بل
وللإجماع مردودة لا يلتفت إليها كما لا يخفى على ممارس العلوم ويكفي في رد هذه الدعوى
أنهم حكوا في التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ثلاثة أقوال تفضيل عائشة
وتفضيل فاطمة والوقف وممن حكى هذا الخلاف العلامة الإمام عز الدين بن جماعة وقال
اختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على مذاهب ثالثها وهو الأسلم الوقف انتهى
ومعلوم انحطاط رتبة عائشة عن الصديق رضي الله عنهما فإذا جرى قول بتفضيل
عائشة على فاطمة رضي الله عنهما وقول آخر بالوقف بينهما فكيف يصح دعوى
الاتفاق على تفضيل فاطمة رضي الله عنها على الخلفاء الأربعة الذين منهم وأفضلهم
الصديق رضي الله عنه ودعوى الخلاف مقدمة على دعوى الاتفاق لأن الأول من
قبيل الإثبات والثاني من قبيل النفي والإثبات مقدم على النفي لأن معه زيادة علم كما تقرر
ذلك في الأصول وبهذا تبين رد دعوى الاتفاق بالنسبة لفاطمة رضي الله عنها
فإذا تبين رده بالنسبة لها لا يساق أدلة قائله ومن هذا المدعي لذلك الاتفاق بالتفضيل
مجرداً نظراً إلى رده بالنسبة لفاطمة رضي الله عنها فرضية ونقول قريب من الصريح إن لم
يكن نصاً على اختلال تلك الدعوى بعدم تحري صاحبها وعدم احتياطه في نقله ربما
ارتكب الأسد المعارضة إن لم يكن مصرحاً بردها قول العلامة محمد بن أبي بكر الرازي في
شرح ... واعلم أنه تعالى قد فضل محمداً على جميع الأنبياء ثم بعده أفضل هذه
الأمة وخيرهم من جميع الصحابة والآل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال ومن قال
إن أحداً أفضل من أبي بكر كان مبتدعاً أو رافضياً ثم قال أيضاً واعلم أن بعد أبي بكر وعمر
وعثمان لم يكن أحد في أمة محمد ولا في أصحابه وآله أفضل من علي رضي الله

عنه انتهى فتأمل قوله في أمة محمد ولا في أصحابه وأهل بيته فإنه صريح في المقصود إن لم يكن
صريحا في تفضيل علي رضي الله عنه على جميع من عدا الثلاثة من أهل البيت وغيرهم
من ذرية فاطمة أحد منهم وإذا كان هذا في علي رضي الله عنه فكيف بمن هو أفضل منه
كالصديق رضي الله عنه ولما استدل الكمال بن الهمام على تقديم علي رضي الله عنه
بعدهم لأنه قوله ... وإنما أجمعوا أي الصحابة على تقديم علي بعدهم يدل على أنه كان
أفضل من في عصره فكان منهم الزبير وطلحة فيجب أنه كان أفضل الخلق بعد الثلاثة
تعقبه في هذا الاستدلال تلميذه الكمال بن أبي شريف فقال لا يلزم من
كونه أفضل من في عصره كونه أفضل الخلق بعد الثلاثة لأنه من في عصره ومن غاب ... أو
عدم ... على الإجماع المذكور كان عند من الخوارج ... والحسن والحسين وفاطمة
ثم إذا انضم إلى ذلك الإجماع على أنه أفضل من ... بعده من الخلق ... ذلك ...
أفضليته عليهم بأدلة أخرى فانظر قول هذا ... إنما أخذ لزوم الإجماع ثم إذا
ضم إلى ذلك الإجماع إلى آخره مع أنه ... فاطمة رضي الله عنها ...
... تفضيل علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها ... عمن هو أفضل من علي
... وهو الصديق رضي الله عنه ... دعوى الاتفاق على تفضيل فاطمة رضي
الله عنها ... الطريق الذي ... وأما ... المشار
... حاله ... والرأي ... لا ...
... أن أحدا ... أهل الإسلام ... الأدب
و... كل من أراد ... على الحكم ... وعلى ... الأدب
في حق ... وسادات ... أولى ... أحوالهم
وسادتهم ... لا حول ولا قوة إلا بالله ... العلي العظيم ...
السائل ... الناس ... إلى آخره ... على أن ...
... إلا بالله
العلي العظيم والله سبحانه وتعالى أعلم (فهذا ما ... والله أعلم
... وصلى الله على ... محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين)

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير في حديث أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ما نصه قال
العلقمي وأفضلهن فاطمة بل هي وأخوها إبراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى الخلفاء
الأربعة انتهى وقال الرملي أفضل نساء العالم مريم بنت عمران ثم فاطمة بنت النبي صلى
الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة رواه الإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس انتهى وقد
تقدم في جواب البكري وابن قاسم العبادي ما يخالف ذلك وأن الصديق أفضل الناس
بعد الأنبياء على أن العزيزي قال في حديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا
وإن خليلي أبو بكر هو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء انتهى

وقول ابن قاسم فيما تقدم ويكفي في رد هذه الدعوى إلى آخره قال شيخ الإسلام في شرح
البهجة الذي اختاره أن الأفضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضل من حيث العلم
وخديجة أفضل من حيث تقدمها وإعانتها له صلى الله عليه وسلم في المهمات وفاطمة من
حيث البضعة والقرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها في القرآن مع
الأنبياء وآسية من حيث الاختلاف في نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء انتهى وأقول إن
جمع الفضل بالحيثية يرجع الخلاف لفظا ويدفع التعارض في الأقوال إلا أنه لا يمكن
أخذه بالقول على عمومه في جميع الجهات لأنه يثبت بعين سيده فلو سلم قوله في حق
السيدة فاطمة وأخيها فلا يسلم في حق الإمام علي كرم الله وجهه بالنسبة إلى أبي بكر رضي
الله عنه نظرا إلى جهة القرابة العرسية أو الصهارة على أنه يلزم من ذلك اعتبار الجهة
في حق السيدة رقية وأم كلثوم زوجتي عثمان بن عفان رضي الله عنه كما يلزم أن
الشخص الواحد يكون فاضلا من جهة ومفضولا من أخرى فيرجع إلى التساوي مع أن
مطمح النظر الأفضلية وإنما فائدتها وأما الجهة فيمكن علي رضي الله عنه [illegible] بالنسبة
من ذريته على اختلاف طبقاتهم حتى آخر إذا كان معها حب أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وبقية الصحابة ولذلك قال علي كرم الله وجهه لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر
وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان فالجهة المرئية الممدوحة هي ما كانت مع اتباع سنة
الجد وترك بدعته من غير اتباع سنته كما عليه الشيعة والرافضة من جهتهم مع محبة بيت
النبوة فلا [illegible] ينتفعون بها شيئا من الخير لأنها بالنسبة لهم [illegible] بل هي حالة عن الأدب
ما كانت الحب واتباع على الجهة وهم أهل السنة والجماعة وعليه الحديث الذي
أخرجه

خرّجه الدارقطني مرفوعا يا ابا الحسن أما انت وشيعتك (أي من تبعك المؤمنون من أكثر من عترتك) في الجنة وأما قوم يدّعون أنهم شيعتك يظهرون الإسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون قال الدارقطني ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس بمكة قبل الهجرة وكبرت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأراد فراقها فوهبت يومها من عائشة وقالت لا رغبة لي في الرجال وإنما أريد أن أحشر في أزواجك فأمسكها وكان يقسم لثمانية من أزواجه ويقسم لها ولا يقسم لسودة فتوفيت بعده في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة والقسم في حقه صلى الله عليه وسلم غير واجب وإنما هو من باب العدل والإنصاف

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهي بنت ست أو سبع وقالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لألعب مع الجواري فلما بلغت فما علمت بذلك حتى حبستني أمي عن الخروج فوقع في نفسي أني قد زوجت وما سألتها حتى أخبرتني أمي فدخل بها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع ونزل في قبرها عبد الله ابن الزبير وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر ولم يتزوج بكرا غيرها وروي عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أنها أنشدت بيت لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فقالت رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك هذا الزمان قال عروة وأنا أقول رحم الله عائشة فكيف لو أدركت هذا الزمان وقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك هذا الزمان وقال حماد رحم الله هشاما فكيف لو أدرك زماننا

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم حفصة [illegible] وأبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في [illegible] على رأس [illegible] من الهجرة [illegible] صلى الله عليه و[illegible] بعد وفاة زوجها خنيس ابن حذافة [illegible] وكان ممن شهد بدرا وتوفي بالمدينة من جراحة أصابته [illegible] [illegible]

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وروي أنه لما بلغ عمر طلاقها حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل من الغد وقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عبيد الله ابن جحش وولدت له جارية ثم تنصر ومات بالحبشة وهاجرت معه إلى أرض الحبشة وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار وروي أربعة آلاف وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة وهو الذي تولى نكاحها وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل وروي عن أم حبيبة أنها رأت في المنام كأن زوجها عبيد الله بن جحش بأسوأ حال وأشنعها فلما أصبحت أعلمها أنه قد تنصر وارتد عن دين الإسلام وأكب على الخمر فلم يزل يشربها حتى مات ورأت في المنام آتياً يقول لها يا أم المؤمنين ولما بلغ أباها أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ابنته قال ذلك الفحل لا يقدع أنفه وعن ابن عباس في قول الله تعالى عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال نزلت حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان وقيل إن الذي تولى نكاحها عثمان بن عفان وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت سنة أربع وأربعين وهي السنة التي حج فيها معاوية وصلى عليها مروان

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة القرشية المخزومية وأخت عمار بن ياسر لأمه وقيل بالرضاع تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها أربعة أشهر وعشر وأعرس بها في شوال سنة أربع من الهجرة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي سلمة بن عبد الأسد وفاطمة الزهراء وروى عنها ابن عباس وأسامة بن زيد وخلق ماتت في شوال سنة سبع وخمسين وقال ابن حبان ماتت سنة اثنتين وستين وعمرها أربع وثمانون سنة وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتاً وقيل ميمونة آخرهن موتاً وكانت قبله تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد وولدت له سلمة وعمر ودرة وكانت أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى أرض الحبشة وجرح يوم أحد ثم مات منه في جمادى الآخرة سنة أربع وكان ابنها عمر مع علي بن أبي طالب يوم الجمل وولاه البحرين وله عقب بالمدينة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة وهي
ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه
زيد بن حارثة الكلبي مولى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاها إليه وقال إنها سيئة
الخلق واستأمره في طلاقها فقال له صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك يا زيد
وهو قول الله عز وجل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق
أمسك عليك زوجك الآية وكان صلى الله عليه وسلم رآها فأعجبته فقال سبحان
الله مقلب القلوب ثم إن زيدا ضاق ذرعا بما رأى من سوء خلقها فطلقها فزوجها
الله عز وجل من السماء نبيه صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها بغير مهر
ولا تولى أمرها أحد كسائر أزواجه ولم يكن ذلك لغيرها ولما بشرت زينب بتزويج الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إياها ونزول الآية في ذلك نذرت على نفسها صوم
شهرين شكرا لله عز وجل وأعطت من بشرها حليا كان عليها وقيل تزوجها سنة
أربع وقيل خمس من الهجرة بالمدينة وهي بنت خمس وثلاثين سنة وقبلها أم سلمة
شيئا ولم يعقد له صلى الله عليه وسلم غير الله وهي التي قال الله تعالى فيها فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما وفيها نزلت آية
الحجاب وكانت كثيرة الصدقة وصح أنها كانت تقول لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم
زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وتوفيت في خلافة عمر رضي
الله عنه بالمدينة سنة عشرين وقيل عاشت ثلاثا وخمسين ودفنت بالبقيع وهي أول
من مات من أزواجه بعده وأول من حمل على نعش وروي عن عائشة أنها قالت
رحم الله زينب لقد نالت الشرف الذي لا يعدله شرف في الدنيا أن الله عز وجل
زوجها نبيه صلى الله عليه وسلم ونطق به كتابه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ونحن حوله أسرعكن لحوقا بي أطولكن باعا فبشرها بسرعة لحاقها به وأنها
زوجته في الجنة وعن الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه أطولكن يدا
أسرعكن بي لحاقا فكانت سودة أطولهن يدا فلما توفيت زينب بان صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت أطولهن يدا في الخير

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن
مالك بن جذيمة بن لحم وابن اسد المصطلق والمصطلق من خزاعة

فقد تزوج المريسيع وهي غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها على تسع أواق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها وكانت امرأة ذات ملاحة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فلما فعلت فدى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها وأعتقها وتزوجها في سنة ست من الهجرة وعتق أربعين من أهل بيتها ولم تكن امرأة أعظم بركة على قومها ويقال ما اعلم امرأة بركة على قومها وكان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية لما في برة من تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وتوفيت بعده بالمدينة سنة خمس وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وقد بلغت سبعين سنة

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة بعدها ياء ينتهي نسبها الى النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة من بني اسرائيل من نسل هارون بن عمران أخي موسى بن عمران ولدها مائة نبي ومائة ملك حتى صارت اليه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وكانت عروسا بكنانة بن أبي الحقيق اليهودي فرأت ان القمر وقع في حجرها وقيل رأت الشمس وقعت على صدرها فقصتها على أبيها أو زوجها فلطمها وقال أتريدين ملك يثرب وفي رواية ما هذا الا انك تمنين الملك الذي نزل بنا فافتتحها وجمع السبي فقال دحية يا رسول الله اعطني جارية من السبي فأخذها فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه سبعة أرؤس مكانها وأخذها صلى الله عليه وسلم واعتقها وجعل عتقها صداقها وهو مذهب الامام أحمد وهو من مفردات مذهبه وقدمنا ذلك في الفصل السادس من الباب الرابع من المسألة الخامسة من الجزء الثاني ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعها الى أم سليم حتى هيأتها للرجل صلى الله عليه وسلم بنى بها بعد ان خاصت حيضة ولما دخل صلى الله عليه وسلم بها بات أبو أيوب الانصاري خالد بن زيد على باب الخيمة أو بقربها شاهرا سيفه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما لك يا أبا أيوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه الجارية فانها جارية حديثة عهد بعرس وقد قتلت أباها وزوجها فلم آمنها فضحك وقال له خيرا ثم صنع صلى الله عليه وسلم حيسا في نطع صغير وقال الناس لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد فلما أراد ان يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا انه تزوجها وقيل كانت بعينها خضرة فسألها عنها فقالت رأيت في المنام كأن القمر وقع في حجري وكانت صفية تستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم خيبر وكان له من كل مغنم صفي يصطفي عبداً أو أمة أو سيفاً أو غيره قبل الخمس وتوفيت صفية سنة خمسين وصلى عليها سعيد بن العاص رضي الله عنه وقيل إنها آخر أمهات المؤمنين موتا

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالنون بن بحير بضم الموحدة وفتح الجيم وسكون الياء ابن الهزم بضم الهاء وفتح الزاي وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الواهبة نفسها خولة بنت حكيم ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما فلا تضاد وكانت قبله تحت أبي رهم ابن عبد العزى وتوفي عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع وماتت سنة إحدى وستين وقيل غير ذلك قال السهيلي أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين خرج لعمرة القضاء ثلاثة أيام فبعث إليه حويطب بن عبد العزى أن أجلك قد مضى وانقضى الشرط فاخرج من بلدنا فقال له سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل كذبت البلد بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآبائه فقال صلى الله عليه وسلم مهلا يا سعد فقال حويطب أقسمت عليك لما خرجت فخرج وخلف أبا رافع وقال احمل ميمونة فحملها على قلوص فجعل أهل مكة يعيرون بها ويقولون لا بارك الله لك فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف وكان دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بسرف وهي على أميال من مكة وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وصلى عليها عبد الله بن عباس ونزل في قبرها وقوله [illegible] سودة إلى ميمونة اللاتي توفي صلى الله عليه وسلم وهن في عصمته تسع خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة [illegible] ومن العرب غير قريش ميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث ومن غير العرب صفية بنت حيي وإليهن أشار الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي بقوله

توفي رسول الله عن تسع نسوة * إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى في الجاهلية أم

للمساكين لاطعامها اياهم وكان زواجها سنة ثلاث من الهجرة وكانت تحت عبيدة
ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فقتل يوم بدر شهيدا فتزوجها النبي صلى الله
عليه وسلم فلم تلبث الا شهرين او ثلاثة وتوفيت ودفنت بالبقيع ولم يمت من
أزواجه في حياته الا هي وخديجة رضي الله عنهما

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك الكلابية بعد وفاة ابنته زينب
وخيرها حين نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحياة الدنيا وزينتها الآية فاختارت الدنيا ففارقها وكانت بعد ذلك تلقط
البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا وتزوج صلى الله عليه وسلم شراف الكلبية بفتح
الشين المعجمة وتصحف الراء والفاء بدل عليه واخت دحية بن خليفة الكلبي
تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وتزوج صلى الله عليه وسلم أسماء بنت
النعمان بن أبي الجون بفتح الجيم وبالنون ابن الحارث الكندية وطلقها قبل أن
يدخل بها وتزوج صلى الله عليه وسلم عمرة بنت يزيد وطلقها ولم يدخل بها وتزوج
صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار فلما نزعت ثيابها رأى بها بياضا فقال الحقي بأهلك
وتزوج صلى الله عليه وسلم بامرأة تميمية فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال
لقد استعذت بمعاذ الحقي بأهلك وقيل ان بعض نسائه علمها ذلك وقالت انك تحظين به
عنده هكذا قاله بعض أرباب السير وهو بعيد لان المعلمة نسائه ولا تليق بحال أزواجه
الشابات وتزوج صلى الله عليه وسلم عالية بنت ظبيان وقيل اسمها سنا بالسين المهملة
وبالنون الموحدة السلمية وقيل بالفوقية ماتت قبل أن تصل اليه وتزوج صلى الله عليه
وسلم مليكة الليثية بنت كعب الليثي فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت
وهل تهب الملكة نفسها للسوقة ففارقها وخطب صلى الله عليه وسلم امرأة من مرة فقال
أبوها ان بها برصا ولم يكن بها فرجع فاذا هي برصاء وخطب صلى الله عليه وسلم امرأة
من أبيها فوصفها له وقال أزيدك انها لم تمرض قط فقال مالهذه عند الله من خير فتركها
وقيل انه تزوجها فلما قال ابوها ذلك طلقها ولم يبن بها وتزوج صلى الله عليه وسلم
خولة بنت الهذيل هلكت في طريق الشام وقيل قبل وصولها اليه وتزوج صلى الله عليه
وسلم أم شريك وزارها صلى الله عليه وسلم وفي الدخول بها خلاف وذكر أبو سعيد
في شرف النبوة ان جملة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرون طلق منهن
ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشر واحدة لم يدخل بها وكان صلى الله عليه وسلم يقسم

لتسع

حتى شبع وكان صداقهن لسائرهن خمسمائة درهم لكل واحدة منهن أصح ما قيل إلا صفية فإنه جعل عتقها صداقها وأم حبيبة أصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار

وأما سراريه عليه الصلاة والسلام فأربع مارية القبطية وريحانة بنت شمعون النضرية وجميلة أصابها في السبي ونفيسة وهبتها له زينب بنت جحش فهؤلاء زوجاته صلى الله عليه وسلم وسراريه وهن أمهات المؤمنين وكلهن فضليات طاهرات وكما فضل الله تعالى أصحابه على سائر الأصحاب ورفع بعضهم فوق بعض درجات كذلك فضل زوجاته على سائر الزوجات ورفعهن فوق بعض درجات لقوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وكما أن أفضل الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله عنه كذلك أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها فكم من فضيلة وهي التي نزلت براءتها في سورة النور وقال صلى الله عليه وسلم أحب النساء إلي عائشة ومن الرجال أبوها وقال صلى الله عليه وسلم فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على النساء ضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعامهم ولأنه يركب من خبز ولحم ومرقة ولا نظير له في الأغذية ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والصواب أن الحكاية للتراجم والمعنى أفضل ... وأنه ... من كل ... وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بالثريد إيذانا بأن عائشة جمعت مع حسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل التحبب إلى البعل ومن ثم عقلت منه ما لم يعقل غيرها من نسائه وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال والنساء وقد خصت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعشر خصال فيما روى عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال بعثت إلي عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت خصصت على نساء النبي بعشر خصال تزوجني بكرا ولم يتزوج بكرا غيري وأسلم أبي وجدي وأمي وأم أبي وأخوتي وأخواتي ... من النساء وأبي ... من الرجال ومات في صدري ... وفي ليلتي ودفن في حجرتي وأمرني بالصيام ... لا ... في ... كان ... كل يوم ... عليه ... وأصبح في ولي ... الإسلام وكم ... في الإسلام وهو ... فقال يا عائشة ... أصحابي السلام ... وفاته ... ولى ... إلى الإسلام ولا أشرك بالله ... ولا ...

ولا كتب الله عليّ دسائد ريب في حجر الصديق ثم انتقلت الى حجر الصادق وصليت
في الغلس ونزل الوحي في لحاف غيري ورأيت جبريل وكان رأسه في ليلة حجري
رأيته على صورة دحية الكلبي وأعطيت شطر العلم وكان لكل امرأة من نسائه يوم
وليلة ولي يومان وليلتان وصوّر الله صورتي في الجنة في دسة حمراء وأهداني الى
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بزواجي وقضاء رب العالمين وولي أبو بكر خاتم
الصدّيقين وبعلي محمد الصادق الأمين خاتم المرسلين وأنا أفضل أمهات المؤمنين وفي
علم عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا شطر دينكم من الحميرا تصغير حمراء
ومعناه البيضاء قال قوم الشطر هو النصف لأن نصف الشيء شطره وقال قوم الشطر هو
الكل وقال عليه الصلاة والسلام عائشة عالمة هذه الأمة ولذلك كان أكابر الصحابة يأتون
إليها ويسألونها عما أشكل عليهم من الفرائض كما روي عن أبي موسى الأشعري
قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا
عندها منه علما ولقد سئل عروة بن الزبير عن علم عائشة فقال والله ما رأيت
امرأة أعلم بالقرآن والفرائض والسنن والتنزيل والتأويل من عائشة رضي الله عنها حتى
أشعار العرب وأيامهم وأنسابهم والطب والأدوية فقلت لها من أين لك علم الطب
والأبدان فقالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا مرض يتداوى وإذا مرض
بعض أهله فأراه وإذا اشتكى بعض المرضى فعلمت منه فعلقت ومن أين لك معرفة بأنساب
العرب وأيامها وأشعارها قالت والله يا ابن أختي ما سمعت أذني شيئاً وهو مع الناس إلا
حفظته ولا أنساه وقال عروة والله ما تندمت على شيء قط أشد منه ندماً على ما فاتني من علم
عائشة رضي الله تعالى عنها وما الذي فاتني منها وقد رأيتها أعلم العلماء وأحكم الحكما
وأفصح الفصحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوعاها لأمره ودرس المعنى في حضرة النبي
والولد مرأته وأما فصاحتها فكما رواه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال دخلت
على عائشة رضي الله عنها بعض الأيام ورأيتها جالسة وعليها من مرقع فحمدت الله
تعالى بما هو أهله وبدأت بالصلاة على نبيه وذكرت بعض ما وهبه الله تعالى من فضله
وأثنيت على أبي بكر وعمر وعثمان بما كان فيهم من العدل والإحسان ثم خطبت بالاحقا
فيهم واتباع أمرهم فوالله ما سمعت أذني من سائر النساء أفصح منها وأنطق من كلامها وأ
أرشد من رأيتها فقلت لها أنت والله أم المؤمنين حقا والعالمة بالله ورسوله الناصحة
المشفقة الواعظة لأمته ولذلك الناس على الحق وأمرتهم بطاعته ونهيتهم عن خطأ أمرهم
وأنت

سوات أهل أن يسمع قولك ويطاع أمرك ويمتثل نعتك ثم هشوا وسعوا وأصابوا يدي على
كتفه فكوا وقلت والله ما ذكروا ما سمعت أدنى خطاء من أ كثر الصحابة أفصح
من عائشة ولا أبلغ من موعظتها ولو كانت امرأة تصلح للنبوة لصلحت عائشة
للخلافة روي عن الأحنف بن قيس أنه قال سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى مضى وكلام عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى مضى
وكلام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حتى مضى ولا والله ما سمعت منهم أبلغ من
عائشة رضي الله عنها

وأما تسميتها وغيرها من النساء هذه الأمة فما ورد من ذلك ما رواه عروة بن الزبير رضي الله
تعالى عنه لما نزل قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم
قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله وأنا أم المؤمنين فقال أنت أفضل أمهات
المؤمنين فقالت والذي بعثك بالحق رسولا إن أمهاتي زوجي يوم القيامة لا دخلت الجنة
حتى يدخل معي أولادي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله قل لعائشة أبشري
كل من أحبك وأحب أباك وأصدقي بك ازر فيها كم فهو معك في الجنة فإن صح
حديث عروة هذا كان تسمية هذه الأمهات رضي الله تعالى عنهن أولا فإن كان صحيحا جاز
الاستدلال به على المذهب وقول الله تعالى وأزواجه أمهاتهم سواء من طلقها أو
مات عنها وهي تحته في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن لا في نظر ولا خلوة ولا يقال
بناتهن أخوات المؤمنين ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات ولا إخوتهن ولا
أخواتهن أخوال وخالات كذا في المواهب وقال الرملي في شرح المنهاج تحرم زوجاته
صلى الله عليه وسلم على غيره ولو مطلقات وعمن اخترن فراقه ولو قبل الدخول وقيل في
المنهج المذكور أن الأمة التي وطئها تحرم على غيره وإن أعتقها وإن حرمت على غيره
لأنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره أو رعاية لشرفه ولأنهن أزواجه في الجنة والمرأة في
الجنة مع آخر أزواجها ولأنهن أمهات المؤمنين كما قدمناه اه نص الخصائص في سيرة
الشامي ويراد أمهات المؤمنين الرجال دون النساء بسند صحيح عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة
رضي الله عنها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فالمراد بالأمومة تحريم
نكاحهن على الناس كالأمهات وتأكيد قدر بنت الصديق عائشة في صدر رسول
وتعد من العقل والعلم كل مقبول وبوحدتها وأخرى بتاج القبول وأبى الله أن
يجمع حبها وحب فاطمة في قلب جهول مغلول فهي بنت سيد الصحابة بعد رسول

(نهاية الاخبار)

ولا يفضلها إلا إن كان من جهة البضعة النبوية فاطمة البتول وقد أنشد الإمام العالم الكامل الشيخ كمال الدين بن العديم قاضي حلب الشهباء رحمه الله في مدح الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها وذكر فضلها والرد على من انتقصها أو بغضها من جهة الشعر على لسانها رضي الله عنها فقال

ما شأن أم المؤمنين وشاني * هدي المحب لها وضل الشاني
إني أقول مبيناً عن فضلها * ومترجماً عن قولها بلساني
يا مبغضي لا تأت قبر محمد * فالبيت بيتي والمكان مكاني
إني خصصت على نساء محمد * بصفات بر تحتهن معاني
وسبقتهن إلى الفضائل كلها * فالسبق سبقي والعنان عناني
مرض النبي ومات بين ترائبي * فاليوم يومي والزمان زماني
زوجي رسول الله لم أر غيره * الله زوجني به وحباني
وأتاه جبريل الأمين بصورتي * فأحبني المختار حين رآني
وتكلم الله العظيم بحجتي * وبراءتي في محكم القرآن
والله خفرني وعظم حرمتي * وعلى لسان نبيه براني
والله في القرآن قد لعن الذي * بعد البراءة بالقبيح رماني
إني لمحصنة الإزار بريئة * ودليل حسن طهارتي إحصاني
الله أحصنني بخاتم رسله * وأذل أهل الكفر والطغيان
وسمعت وحي الله عند محمد * من جبرئيل ونوره يغشاني
أوحى إليه وكنت تحت ثيابه * فحنى علي بثوبه خباني
من ذا يفاخرني وينكر صحبتي * ومحمد في حجره رباني
وأنا ابنة الصديق صاحب أحمد * وحبيبه في السر والإعلان
وأخذت عن أبوي دين محمد * وهما على الإسلام مصطحبان
فالفخر فخري والخلافة في أبي * حسبي بهذا مفخراً وكفاني
وأبي إمام الدين بعد محمد * فالنصل نصلي والسنان سناني
نصر النبي بماله وبنفسه * وبروحه معه من الأوطان
ثانيه في الغار الذي سد الكوى * بردائه أكرم به من ثاني
وجفا الغنى حتى تخلل بالعبا * زهداً وأذعن أيما إذعان

وتخللت

وعليه قد صلت ملائكة السما * وأتته بشرى الله بالرضوان
وهو الذي لم يخش لومة لائم * في قتل أهل الكفر والطغيان
قتل الذي منع الزكاة بسيفه * وأذل أهل البغي والعدوان
سبق الصحابة والقرابة بالهدى * هو شيخهم في العدل والاحسان
والله ما سبقوا الملك بفضله * مثل استباق الخيل يوم رهان
الأنصار أبى الى علمائها * فكأنه منهم أجل مكان
وإذا أراد الله نصرة عبده * من ذا يطيق له على خذلان
جمع الإله المؤمنين على أبي * واستبدلوا من خوفهم بأمان
من حبي فليعتقد من بعدي * ان كان صاحب مبغضي وزماني
وإذا عصى فقد أتم عصى * فكلاهما في بعضنا سيان
أي لطيفة خلف لطيفة * وبنا أحد أط السوان
والله حسبي لطيف بعبده * وإلى الصراط المستقيم هداني
إني لأم المؤمنين فهمت أني * حتى عرفت سوءه بالخسران
والله يكرم من أراد كرامتي * ويهين ربي من أراد هواني
والله أسأله زيادة فضله * وحمدته شكرا لما أولاني
يا من يلوذ بأهل بيت محمد * يرجو بذلك رحمة الرحمن
صل أمهات المؤمنين ولا تعد * عني فيسلب حبله الأعيان
وأر له بعد حب آل محمد * بعداوة الأزواج والأخوان
أكرم أبا بكر أبه سر صا * فهم أساس الدين كالأركان
يحب موهم يدي في نحبه * بدأ امرها من أس الديان
رحما بينهم صحب احدوهم * وخلت قلوبهم من الشنآن
الله ألف بين ودقلوبهم * في بعض كل منافق طعان
طوبى لمن والى جماعة صحبهم * فنسابهم سبب إلى الغفران
حدها الملك ما عاهى روضة * محفوفة بالروح والريحان
فعلى المؤمن إذا لا هامسلم * وعلى الروافض لعنة الرحمن
صلى الإله على النبي وآله * فهم هم أزاهر البستان
وإذا ما بنا هم ما دب * في دوحه ورق على الأغصان

وقد تقدم ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم في الفصل الثالث من الباب الأول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وأما أعمامه صلى الله عليه وسلم فتسعة وهم أولاد عبد المطلب الأول الحارث وبه يكنى عبد المطلب لأنه أكبر ولده وولد له جماعة لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو سفيان بن الحارث أسلم عام الفتح وشهد حنينا وقال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم أبو سفيان سيد فتيان الجنة ونوفل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخندق وله عقب وعبد شمس بن الحارث وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقثم مات صغيرا الثاني قثم وهو أخو الحارث لأمه الثالث الزبير صحيح الرأي يزن أمره ويكنى أبا الحارث وكان من صناديد قريش وابنه عبد الله بن الزبير شهد حنينا وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين وذكروا أنه وجد إلى جنبه سبعة قد قتلهم وقتلوه وكان عبد الزبير شاعرا وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه وكان سبب ذلك الحلف أن الرجل من العرب أو العجم كان يقدم بالتجارة وربما ظلم بمكة فقدم رجل من بني زبيد بسلعة فباعها من العاص بن وائل السهمي فظلمه فيها وجحده ثمنها فاستغاث بالله فلم ينفعه فنادى ذات يوم عند طلوع الشمس وقريش في أنديتها

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الحي والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا آل فهر وبين الركن والحجر

وقال أيضا

يا للقصي كيف هذا في الحرم * وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

فقال الزبير ما لهذا مترك فجمع إخوته واجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة في دار أبي زهير عبد الله بن جدعان التيمي فتحالفوا ألا يجدون بمكة مظلوما إلا نصروه وردوه وأعانوه حتى يؤدي إليه حقه وينصفه ظالمه من مظلمته وعاهدوا على بذل فضول أموالهم ما بل بحر صوفة وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الحلف وكان يقول ما سرني بحلف شهدته في دار عبد الله بن جدعان حمر النعم وسمي الحلف حلف الفضول لبذلهم فضول أموالهم أو لكونهم فضولا لا يجب عليهم وقام الزبير

الزبير ومن معه بأمر الزبير حتى أنصفه العاص بن وائل ومات الزبير ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن بضع وثلاثين سنة وكان للزبير بنت يقال لها أم الحكم وكانت رضيعة النبي صلى الله عليه وسلم الرابع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً ولم يكن له إلا بنت الفضل الخامس العباس أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وكان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل بثلاث سنين وكان له من الولد الفضل وهو أكبر ولده وبه كان يكنى وعبد الله وعبيد الله وقثم ولهم صحبة وكان لهم السقاية وزمزم دفعها إليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وتوفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه في المدينة بعد أن كف بصره السادس أبو طالب واسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ومات على دين قومه وفيه قال بعضهم

ابانه لساماً أسود من حجره * لأنكم في الدين عمان

دعاك النبي الهاشمي فلم تجب * وجهره لسانه بكل لسان

وما حكاه صاحب الروضة في بدر أخت عبد الله وأبي طالب لأبيهما وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ولأبي طالب من الولد طالب ومات على دين قومه وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة وأما أم هانئ فاختة وقيل هند وقيل فاطمة أسلمت و... أبي طالب ... فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت ... وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ... ويقول ... أكبر ... على دين ... إلى أن أسلمت في مرضها ... وكانت ... أبو طالب ... ومن كلامه

... الرسول رسول الله ... * ... لا ...

... وأخي رسول الله ... * ...

... وكان ... وولاه ...
... يوم ...

من الشام بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبشره وبعضهم عدّ من أولاد حمزة ولعله لقب لبعضهم ولم يجمعه وأما عمارة وحالة فلم تثبت لهما رواية الثامن عبد الكعبة واسمه المعتبر ولقبه حجل بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وباللام وفي كتاب عبد البر تقديم الجيم على الحاء وقد صحح غلطه وهو أخو العباس لأمه التاسع الغيداق بن عبد المطلب بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وبالدال المهملة والقاف لقب به لجوده وكان أكثر قريش مالا واسمه مصعب وقيل نوفل العاشر ضرار بن عبد المطلب بكسر الضاد المعجمة وبعدها راء بعد الألف وهو شقيق العباس الحادي عشر المقوّم بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ويكنى أبا بكر وروى ابن ماجه بسنده عن علي بن صالح قال كان ولد عبد المطلب عشرة كل واحد منهم يأكل الجذعة أي فهم عشرة بدون عبد الله الذي مات صغيرا وقد ذكر الخلاف في عددهم فيما ذكرته في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة من الجزء الثاني ولم يدرك الإسلام منهم غير أربعة أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وفضلهما مشهور وحبه صلى الله عليه وسلم لهما شائع ذائع عند جميع الناس

وأما عماته صلى الله عليه وسلم فأولاهن صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة أسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوّام توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت عبد الله لأمه وشقيقة حمزة الثانية عاتكة بنت عبد المطلب قيل إنها أسلمت وهي صاحبة الرؤيا في بدر وكانت عند أبي أمية بن عبد الله بن مخزوم ولدت له عبد الله أسلم وله صحبة الثالثة أروى وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار ابن قصي فولدت له ولدا كان من المهاجرين قتل شهيدا في بدر وقيل أجنادين وليس له عقب الرابعة أميمة كانت تحت جحش بن رئاب بن يعمر فولدت له عبد الله بن جحش وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم وحمنة وحبيبة كلهم له صحبة وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصر ومات بالحبشة الخامسة برة كانت تحت عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا سلمة واسمه عبد الله وكان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج برة بعد عبد الأسد أبو رهم بن عبد العزى بن قيس فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم السادسة أم حكيم واسمها البيضاء وكانت عند كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان ابن

ابن عفان ولم يسلم منهن بلا خلاف غير صفية وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود حصن بها عليه الصلاة والسلام نسوة واختلف في إسلام أروى وعاتكة والقائل بإسلامهما منهم أبو جعفر العقيلي وعدهما في الصحابة

وأما أخواله صلى الله عليه وسلم فأربعة الأول عبد يغوث والثاني عبيد بن يغوث وهما ابن صفية زوجة وهب أبي آمنة فهما أخواها لأبيها ذكر ذلك الزبيري في أنساب قريش وكان معاصر البخاري ولم يثبت لهما الإسلام والثالث الأسود بن وهب والرابع عمير بن وهب وكانا صحابيين ذكرهما السخاوي في المقاصد الحسنة وابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة روي أن عميرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه فقال كيف أجلس على ردائك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم نعم إنما الخال أب وكذلك وقع له مع الأسود بن وهب كما ذكره السخاوي في المقاصد ولم يكن لعبد الله ولا لآمنة ولد غير النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك لم يكن له أخ ولا أخت كذا في الذخائر

وأما مواليه صلى الله عليه وسلم من الرجال فهم فوق الثلاثين رجلا فمنهم زيد بن حارثة ابن شرحبيل وقال ابن شراحيل الكلبي بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عبد ود وأم زيد هذا هي سعدى بنت ثعلبة من طيء وقد كانت سعدى زارت قومها فأغارت خيل بني القين في الجاهلية ومروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام فوافوا به سوق عكاظ فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم استوهبه منها فوهبته له فقبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وتبناه كما يأتي وكان يقال له زيد بن محمد وكان عمره ثمان سنين وكان حارثة أبو زيد قال فيه حين فقده أبياتا منها

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه إذا عارض الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره * فيا طول أحزاني عليه ويا وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي عليّ منيتي * وكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل
سأوصي به عمرا وقيسا كليهما * وأوصي يزيد ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويزيد كان أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ فقال

أحن إلى قومي وإن كنت نائيا * فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كابرا بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه حارثة بمكانه وأخبروه بموضعه فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وحمله بن حارثة لفدائه فقدموا مكة فسألوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلوا عليه فقالوا يا ابن عبد الله ويا ابن عبد المطلب وابن هاشم سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه إلينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا غير ذلك أدعوه فأخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا قالوا قد زدتنا على النصف وأحسنت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فقال أتعرف هؤلاء فقال نعم أبي وأخي وعمي فقال أنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهم فقال ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني مكان الأم والأب فقال له أبوه وعمه يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أهلك قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من زيد أخرجه إلى الحجر وقال من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه فطابت نفوسهم فكان زيد يدعى زيد بن محمد حتى جاء الله عز وجل بالإسلام فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب فطلقها زيد وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم المنافقون وطعنوا في ذلك وقالوا محمد يحرم نساء الأولاد وقد تزوج امرأة ابنه فأنزل الله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما وأنزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم فدعي يومئذ زيد بن حارثة

ونسب

ونسب كل رجل منا الى رجل من قريش الى أبيه مثل سالم مولى أبي حذيفة وعامر بن ربيعة وكان زيد يسمى الحب لانه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقال له الحب ابن الحب وكان أسامة أيضا يدعى الردف لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يردفه كثيرا عن عروة عن أسامة ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف على قطيفة فأردف أسامة خلفه وأتى سعد بن عبادة يعوده قبل وقعة بدر ولم يذكر في القرآن أحد من الصحابة باسمه الا هو وكأنه لم يذكر امرأة باسمها في القرآن الا مريم ولم يزل زيد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه وشهد بدرا وأحدا والمشاهد روى عنه ابنه أسامة وابن عباس والبراء بن عازب وغيرهم رضي الله عنهم

ومنهم ثوبان صح [illegible] المؤلف [illegible] الجيم وضم الدال المهملة وهو من حمير [illegible] ولد [illegible] السراة موضع بين مكة واليمن وقيل [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وقال له [illegible] أن تكون أهل البيت فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفرا وحضرا الى ان توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى الشام ونزل الى الرملة وابتنى بها دارا وابتنى بمصر دارا وبحمص دارا وتوفي بها سنة أربع وخمسين وشهد فتح مصر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة روى عنه شداد بن أوس وأبو ادريس الخولاني ومعدان بن أبي طلحة وأبو [illegible] الهمداني وأبو الخير [illegible] روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض [illegible] الا يهلكها بسنة عامة وان لا [illegible] [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] عن رجل [illegible] صدوركم [illegible] [illegible]

وما الوهن قال حب الدنيا وكراهة الموت قال النبي صلى الله عليه وسلم من يضمن لي خصلة أضمن له الجنة فقال ثوبان أنا يا رسول الله قال لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان يقع سوطه من يده فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه وكانت عائشة تقول تعهدوا ثوبان فإنه لا يسأل الناس شيئا

ومنهم أسامة بن زيد بن حارثة السالف الذكر ويكنى أبا محمد أمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو وأيمن أخوان لأم وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبويه روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أسامة بن زيد لأحب الناس إلي أو من أحب الناس إلي وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة على جيش فيه أبو بكر وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت عثر أسامة بأسكفة الباب فشج في وجهه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطي عنه فكأني تقذرته فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه ثم يمجه وقال لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف وفرض لابنه عبد الله بن عمر ألفين فقال ابن عمر فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك وأبوه أحب إلى رسول الله من أبيك ولم يبايع عليا ولا شهد معه شيئا من حروبه وقال له أي علي لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله وهو ما أخبرنا به أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن علي البغدادي بإسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته (يعني كافرا كان يقتل في المسلمين في غزاة لهم) أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح قال أشهد أن لا إله إلا الله فلم نبرح عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره فقال يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقلت يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل فقال من لك يا أسامة بلا إله إلا الله فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها حتى وددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن وأني أسلمت يومئذ وعلي أعطي الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله وروى محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله قال رأيت أسامة بن زيد يصلي عند قبر

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فدعي مروان الى جنازة ليصلي عليها فصلى عليها ثم رجع وأسامة يصلي عند باب بيت النبي فقال له مروان انما أردت ان نرى مكانك فعل الله بك وقال قولا قبيحا ثم أدبر فانصرف أسامة وقال يا مروان انك آذيتني وانك فاحش متفحش واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش

وقال بعضهم ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمؤدب ان يقول لمن يخاطبه في ذلك الامر يا قبيح الفعال أو يا قليل النظر لنفسه أو يا ظالم نفسه وما أشبه ذلك بشرط لا يتجاوز الى الكذب ولا يكون بلفظ قذف لان الغرض به التأديب والزجر وليكون الكلام أوقع في النفس لما روى أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها قال انها بدنة قال في الثالثة اركبها ويلك وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لابنه عبد الرحمن لما [illegible] أصحابه يا غنثر ونهى عن انتهار الفقراء والضعفاء وذم السائل ونحوهم لئلا [illegible] القول و[illegible] لقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين

وكان أسامة أسود أفطس وتوفي آخر أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين وقيل توفي بعد قتل عثمان بالجرف وحمل الى المدينة روى عنه أبو عثمان وعبد الله بن عبد الله بن عتبة وغيرهم أخرجه الثلاثة وقد [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم أمر أسامة بن زيد على الجيش الذي سيره الى [illegible] الى [illegible] الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر على الجيش الذي سار الى مؤتة زيد بن حارثة وقال ان أصيب [illegible] فجعفر بن أبي طالب فان أصيب [illegible] فعبد الله بن رواحة [illegible] فان أصيب [illegible] على رجل من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

ومنهم أبو كبشة واسمه سليم من مولدي السراة وقيل من مولدي مكة وقيل من أرض دوس شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي في أول يوم من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ومنهم أنسة من مولدي السراة يكنى أبا مسرح اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه قيل قتل يوم بدر وقيل بل شهد يوم أحد وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم

ومنهم شقران واسمه صالح ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف شهد بدرا وهو عبد فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسرى ولم يسهم له فأحذاه كل رجل كان له أسير فأصاب أكثر مما أصاب رجل من القسم وأعتقه صلى الله عليه وسلم وكان شقران ممن نزل في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنهم رباح ويكنى أبا أيمن وهو عبد أسود نوبي اشتراه صلى الله عليه وسلم من وفد عبد القيس وأعتقه وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا وهو الذي استأذن لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على النبي لما اعتزل نساءه في المشربة (بفتح الميم في الغرفة) ثم صيره صلى الله عليه وسلم مكان يسار حين قتل فكان يقوم بأمر لقاحه

ومنهم يسار الراعي النوبي أصابه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وأعتقه وجعله في لقاحه يرعاها فأغار عليها قوم من عرينة وأخذوا يسارا وقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في عينيه ولسانه واستاقوا اللقاح وأدخل المدينة ميتا فقام بأمر اللقاح بعده رباح كما سلف

ومنهم أبو رافع واسمه أسلم كان عبدا للعباس بن عبد المطلب فلما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار العباس إسلامه أعتقه وزوجه سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم وولدت له عبيد الله ووجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع مع زيد بن حارثة من المدينة يحمل عياله من مكة وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادة إبراهيم فوهب له غلاما وكانت سلمى زوجته قابلة إبراهيم وشهدت خيبر مع زوجها وكان عبيد الله ابنه خازنا لعلي بن أبي طالب وكاتبا له أيام خلافته وشهد أبو رافع أحدا والخندق وما بعدهما من المشاهد ولم يشهد بدرا لأنه كان بمكة كما يدل عليه قصته مع أبي لهب الآتية قال أبو رافع كنت غلاما للعباس فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه فلما جاء

مصاب

فصار أهل بدر وحنين في أنفسنا عزة وقوة وكبت صفعها أهل الادلاج وأعتبها في
عزة ... أما أنا فكنت أحداج ... وكنت في أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من
خبر أهل بدر إذ أقبل أبو لهب فجلس وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو
لهب إلي يا ابن أخي ما خبر الناس فقال ما هو إلا أن لقيناهم حتى منحناهم أكتافنا ولقينا
رجالا على خيل بلق فقلت تلك الملائكة فلطمني أبو لهب لطمة شديدة وثاورته فضربني
الأرض فقالت له أم الفضل أتستضعفه أن غاب عنه سيده وأخذت شيئا فضربته
به فشجته فقام ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله عز وجل بالعدسة
فقتله وقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن ... ولا يدنى منه فلما
خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته ودفنوه بأعلى مكة وقذفوا عليه الحجارة من بعيد حتى
واروه كما سبق في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة وروى
أبو رافع قتل عثمان وقتل في خلافة علي رضي الله عنهم والعدسة قرحة تخرج على
الناس يزعم العرب أنها تعدي شبيهة بالطاعون

وعلى ذكر ذلك فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا كان الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا
عليه رواه الشيخان وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول من الباب الأول من
المقالة الخامسة وفي نهيه صلى الله عليه وسلم عن الدخول في الأرض التي حل بها
الطاعون فائدتان الأولى لئلا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضوا والثانية
لئلا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فتضاعف عليهم الآفة بوجود الأمرين
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من القرف التلف (والقرف مداناة
الوباء ومداناة المرض) ولهذا قد حذروا ... عن المرض
التلف وفي قوله فلا تخرجوا فرارا منه إشارة إلى التوكل والتسليم لأمر الله وأحكامه الأمرين
بأدب ويعلم ... صلى الله عليه وسلم وقال الحافظ ابن الجوزي إنما نهى عن الخروج
لأن الأصحاء إذا خرجوا هلكت المرضى ولا يبقى من يقوم بأمرهم ...
لا ينفع ... وقال صلى الله عليه وسلم ... كما ...
... وقال صلى الله عليه وسلم في الطاعون ... ما دام ...
ولو ... [illegible]
... [illegible]

استنشاق الهواء ونسيمه فإن عفناً والوباء مضر بالأبدان فربما يعرض لهم ما لا كنها فلذلك نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخول بأرض حل بها الوباء فيحرم دخولها خوفاً عليهم وتعليماً لهم وقال بعضهم في نهيه عن الخروج منها معنيان أحدهما الثقة بالله والتوكل عليه فيحرم ذلك بقصد الفرار قال الشيخ ابن سينا يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه ويجتنب الرياضة والحمام فإنهما مما يجب أن يحذرا لأن البدن لا يخلو غالباً من فضل رديء كامن فيثيره وذلك يقلب بليه عظيمة بل يجب عند وقوع الوباء السكون والراحة وتسكين هيجان الأخلاط إذ لا يمكن الخروج من أرض الوباء إلا بالحركة وهي مضرة

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أبو عبيدة ابن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء والطاعون قد وقع بالشام قال ابن عباس قال لي عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم خرجت لأمر فلا نرى أن ترجع عنه وقال آخرون معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء والطاعون فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني فقال ادع لي من هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم اثنان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا نرى أن تقدم على هذا الوباء والطاعون فأذن عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أفراراً من قدر الله فقال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال إن عندي في هذا علماً وذكر الحديث إلى أن قال فحمد الله ثم انصرف فعلم من هذه الأحاديث حكم النهي عن دخول البلد بها الطاعون والخروج منها بقصد الفرار منه وعن أبي نعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الإبل تخرج

في الآباط والمراق من مات فيه مات شهيدا ومن قام عنه كان كالمرابط في سبيل الله
ومن فر منه كان كالفار من الزحف رواه الطبراني وقال صاحب الصحاح الطاعون من
حيث اللغة الموت بالوباء ومن حيث الطب ورم ردي قتال يخرج معه تلهب شديد جدا
ويصير ما حوله في الأكثر أسود وأخضر وغير ذلك ويؤل أمره إلى التقرح سريعا
وقال بعضهم المسك عظيم في دفع ضرر الطاعون والوباء شربا وشما وكون الحجر
وكذلك العنبر يدفع ضرر الطاعون والوباء بخورا وشما وهو أشهر أنواع الطيب بعد
المسك وألوانه خمسة فيها الأبيض الأشهب والأغبر والأصفر والأحمر والأزرق
والأسود وأجوده الأشهب القوي الحجم ثم الأزرق ثم الأصفر وأردأه الأسود
يغش بالجص واللادن وغيره وما يقوم مقامه في دفع الوباء إذا أدمن شمه والبخور به
وشربه يدفع ضرر الطاعون والوباء وأكله يمنع [illegible] الطل ويمنع [illegible]
بخورا وطلا وكذلك العود عظيم في دفع ضرر الطاعون والوباء بإذن الله تعالى
شربا وبخورا والعود أنواع أفضلها الهندي ثم الصيني وأجود الأسود الذي من
الناس الصلب الرزين الذي يرسب في الماء [illegible] وقال الشعراني
[illegible] في ضرر الطاعون والوباء بخورا [illegible]
الوباء [illegible] كما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] وقال الشيخ [illegible] والطواعين تكثر في الوباء وفي البلاد
الوبئة ولما كان ذلك كذلك كانوا يعبرون بالطاعون عن الوباء [illegible]
[illegible] في أكثر الأحوال [illegible] الوباء الطاعون [illegible] وكل
[illegible] أصل الطاعون [illegible] في الجسد
والوباء [illegible] وكل طاعون [illegible]
وليس كل وباء طاعونا [illegible] أن الوباء مرض
[illegible] ويكون [illegible]
أكثر [illegible]
[illegible] عمرو
ابن العاص [illegible] الإمام [illegible]
في [illegible] قال أبو الحسن [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]

من الهجرة الثاني طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب كان بالشام ومات فيه خمسة وعشرون ألفا الثالث طاعون في زمن خلافة عبد الله بن الزبير في شوال سنة تسع وستين مات فيه بالطاعون في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفا ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ومات فيه لعبد الرحمن بن عوف أربعون ولدا الرابع طاعون ... كان في شوال سنة سبع وثمانين بالبصرة وواسط والشام والكوفة ويقال له طاعون الأشراف لما مات فيه من الأشراف الخامس طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في رجب واشتد في رمضان وكان يخرج في السكة كل يوم ألف جنازة ثم خف في شوال السادس طاعون كان بالكوفة سنة خمسين وفيه توفي المغيرة بن شعبة ولم يقع الطاعون بالمدينة المنورة ولا بمكة قط قاله الإمام النووي وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن كل بلد وأراد بالنجم الثريا قال ابن عباس يعني الثريا والعرب تسمي الثريا النجم والمراد بالعاهة الآفة التي تلحق الزرع والثمار في فصل الشتاء وصدر فصل الربيع فيحصل الأمن عليها بطلوع الثريا في الوقت المذكور وقال ابن عمر إذا طلعت الثريا فقد أمن يعني صاحب الزرع والثمار ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة وخرابها قبل أن يبدو صلاحها انتهى ومن شعر سديد الدين عبد العزيز الديري

وصغرت ثريا لما تكره * والخصب في طلوعها والثمرة

(رجع إلى ذكر مواليه) ومنهم أبو مويهبة وهو من مولدي مزينة اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وشهد المريسيع وكان يقود لعائشة رضي الله تعالى عنها بعيرها

ومنهم فضالة اليماني نزل الشام ومات بها

ومنهم رافع وهو ذو مع كان لسعيد بن العاص فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلنا يا نبي الله من خير الناس قال ذو القلب المخموم واللسان الصادق قلنا قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم قال هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قلنا ما نعرف هذا إلا رافعا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وقال إن أولاد سعيد بن العاص لما ورثوه عن أبيهم أعتق بعضهم نصيبهم وأمسكه بعضهم فجاء رافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه فوهب له وكان يقول أنا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أرباب السير

غلط

فقال أنا راعي الغنم أسلم راعي [illegible] وأنا راعي [illegible] واحد [illegible]
[illegible] وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطه

وسهم بكسر اللام وسكون [illegible] المهملة وفتح العين المهملة هو عبد أسود [illegible]
[illegible] الحدائي ثم الصد [illegible] الصاد المهملة [illegible] الموحدة بصيغة التصغير
[illegible] وهو الذي [illegible] سهم أصابه فقال الناس هنيئاً له الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم
خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم [illegible] عليه ناراً [illegible] أسلم

[illegible] مكسورة [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله
عليه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] عليها

[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] رسول الله [illegible]

[illegible] العرب [illegible] على رسوله
[illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] كل [illegible] المسلمين [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] رسول الله
صلى الله عليه [illegible]
[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عليه وسلم فقال ابسط كساءك وقال للقوم اطرحوا فيه كذا ثم قال احمل إنما أنت سفينة وقال ولو كان وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة لحملته وهو أسود من مولدي الأعراب

ومنهم أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي ابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من الحديبية فأعتقه وكان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يا بني بياضة زوجوا أبا هند وزوجوا إليه ففعلوا ولم يشهد بدرا وشهد المشاهد كلها واسمه عبد الله وقيل يسار

ومنهم أنجشة بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة كان عبدا أسود وقيل حبشيا يكنى أبا مارية وكان حادي النبي صلى الله عليه وسلم وكان حسن الصوت بالحداء فحدا بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأسرعت الإبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا أنجشة رفقا بالقوارير والقوارير أواني الزجاج الواحدة قارورة شبههن لضعف قلوبهن بقوارير الزجاج وروي أن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ومن حداة رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فقد روى النسائي عن عبد الله بن رواحة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره فقال له يا ابن رواحة انزل فحرك الركاب فقال يا رسول الله قد تركت ذلك فقال عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فرمى بنفسه وقال

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

والحدو والحداء سوق الإبل والغناء لها قال الشاعر

دع بادية لك الغداة * إن عنا الإبل الحداء

ومن مواليه أبو لبابة زعم ابن المنذر بن قرظة كان لبعض عماته فوهبته له فأعتقه وقيل ابتاعه صلى الله عليه وسلم وهو مكاتب فأعتقه وهؤلاء الموالي المشهورون وله صلى الله عليه وسلم غيرهم وقيل إنهم أربعون ولي

وأما إماؤه صلى الله عليه وسلم فسلمى أم رافع وقيل كانت قابلة لولده وهي زوجة أبي رافع وقابلة فاطمة الزهراء وقابلة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وأم أيمن واسمها بركة الحبشية ورثها النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه وهي أم أسامة بن زيد

حكاية

كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وقيل كانت لأم النبي عليه السلام وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر فأعتقها ثم زوجها عبيد بن زيد الحارث الحبشي فولدت له أيمن وكنيت به [illegible] أيمن يوم حنين ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة فولدت له أسامة وقال فيها النبي عليه السلام وهي التي ربت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى [illegible] أن أم أيمن كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان له قدح من عيدان يوضع تحت سريره [illegible] فلما [illegible] بركة [illegible] فقال [illegible] أبدا رواه الترمذي في الشمائل [illegible] وصححه [illegible] على [illegible] وأخرج ابن سعد [illegible] مالك [illegible] أم أيمن [illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible] فلما [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وأخرج [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم كان [illegible] فإذا [illegible] الذي [illegible] كان [illegible] وكان [illegible] كان [illegible] الحديث [illegible] واحد [illegible] كان [illegible]

إذ ذاك في الخطة الإسلامية واقتدى به فيها الخلفاء الراشدون وتوسع فيها الملوك والسلاطين المهتدون

قال صاحب كتاب تخريج الدلالات السمعية ما لخصه أن من لم يرسخ في المعارف قدمه وليس لديه من أدوات الطالب الأداة وقبله يحسب كثيراً من الأعمال السلطانية مبتدعة لا علم بها وأن العامل على خطة دينية ليس عاملا في عمالة سنية ويظن أن عمالة بدعية فلهذا جمعت ما علمته من تلك العمالات في كتاب يوضح سرها ويبين الأمر لمن جهل أمرها ويعرف الجاهل ويسعف المتأمل فذكرت في كل عمالة من ولاه عليها الرسول من الصحابة ليعلم ذلك من يليها الآن فيشكر الله على أن استعمله في عمل شرعي كان يتولاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح له وأقامه المولى في ذلك مقامه فيجتهد في إقامة الحق به على ما أوجبه الشرع ويقتضيه ويكون قد أحسنه وأحرز حسنة انتهى ومن هذا الكتاب استخرجت الزبدة اللائقة والخلاصات الفائقة الآتية في أبوابها النافعة لطلابها مع أنه لم يعتن بذلك غالب مؤلفي كتب السير مع أهمية انضمام هذه العمالات والوظائف السياسية الشرعية إلى ما حوته هذه السيرة من ماجرياته صلى الله عليه وسلم ابتداء وانتهاء فوربه لها السبق ويرمي بقوته تعالى الخالق والخلق

(الباب السادس في الوظائف والعمالات الأدبية خصوصية وعمومية أهلية داخلية وجهادية التي هي عبارة عن نظام السلطنة الإسلامية وما يلتحق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)

(الفصل الأول في خدمة الخاصة به صلى الله عليه وسلم)

تولى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان وربيعة بن كعب الأسلمي

وقد روى عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما

قال

ـ فما قال لي أف (بضم الهمزة وفتح الفاء مشددة وكسرها بلا تنوين وهو اسم فعل بمعنى أتضجر وأتكره وقال لكل ما يضجر [illegible] منه أف له ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى ولا تقل لهما أف) وروى البخاري عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فخدمته عشر سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال [illegible] في [illegible] الاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من طول [illegible] وأما ربيعة بن كعب الأسلمي فكان من أهل الصفة وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر [illegible] على بابه [illegible] وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرافقته في الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم أعني على نفسك بكثرة السجود وقال عبد الله ابن المبارك في معنى ذلك

ما قال سل رضي ان يدعه * [illegible] معقول من الدين
[illegible] ولم يلتفت لها * [illegible]

وأما عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني فكان صاحب بغلته يقودها في الأسفار وكان عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا ولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين

ومن خدمه صلى الله عليه وسلم من كان له خدمة مخصوصة فمنهم صاحب الوسادة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] روى البخاري قال [illegible] علقمة [illegible] الشام [illegible] ركعتين [illegible] [illegible] قال [illegible] صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره [illegible] الله على لسان رسوله [illegible] صاحب [illegible] والوساد يعني ابن مسعود [illegible] الله [illegible] والا [illegible] قال [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ابن مسعود والذي [illegible]

وما خلق أي وما خلقه الله تعالى أي وبصلوة الله ثم فصل الذكر والانثى بدلا منه
أي وبصلوة الله الذكر والانثى

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان وساد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكئ عليه من أدم حشوه ليف وعن عمر رضي الله عنه أنه استأذن له في الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فدخل فاذا هو على حصير قد أثر في جنبه واذا تحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف والمرفقة المخدة وهذا لكمال زهده صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يدني الوسادة للداخل وقد اعتد الجلساء الوسادة للاتكاء عليها فقد روي أنه دخل سلمان على عمر وهو متكئ على وسادة فألقاها له فقال سلمان الله أكبر صدق الله ورسوله فقال عمر حدثنا يا أبا عبد الله فقال سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاها الي ثم قال لي يا سلمان ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة اكراما له الا غفر الله له

وكذلك عبد الله بن مسعود هو صاحب النعلين أيضا ففي كتب الحديث أن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه كان يلج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه وفي مختصر السيرة لابن جماعة كان عبد الله بن مسعود صاحب نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ألبسه اياهما واذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم وقد تقدم أن هذا الصحابي أيضا صاحب الوسادة وهو أيضا صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان أيضا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي يلي الوسادة والنعلين هو صاحب السواك والكرى أي ونحوهما

ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة ركبا مسافرين فأمر رجلا ينادي من أين القوم وكان في الركب ابن مسعود فأجابه من الفج العميق فقال الى أين فقال الى البيت العتيق فقال أي آية في القرآن أعظم قال آية الكرسي قال أي آية في القرآن أحكم قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال أي آية في القرآن أجمع قال فمن يعمل مثقال ذرة الآية قال أي آية في القرآن أرجى قال قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال نادهم أفيكم ابن مسعود أي لأن هذه الأجوبة لا تكون الا من فقيه فقالوا نعم وقال علي علم عبد الله الكتاب والسنة وقال أبو موسى الاشعري لا تسألوني ما دام

هذا الخبر عنكم وقال أيضا كان يؤذن له اذا احتجنا ونشهد اذا غبنا وقال مسروق
انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اثنين علي وابن مسعود رضي الله
عنهما ونظر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم دقة ساقيه فضحكوا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد ونظر
جماعة الى أولاده يلاعبه فقالوا ضحكا بهم الدنيا شرحا فعجلوا بهم فرفع رأسه
الى سقف البيت وقد نصب فيه خطاف فقال والذي نفسي بيده لأن أكون
أنفض يدي عن قبورهم أحب الى أن يسقط عني هذا الخطاف فكم من كلمة ومن
كلامه كل آماله نوبه وأعمال محفوظة والموت آتيه فمن زرع خيرا
حصد غبطة ومن زرع شرا حصد ندامة الا موت ساد والفقها قادة ومجالستهم
زيادة وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ومن الضلالة الضلالة بعد الهدى ومن
الشاعر العقل ومن الزاد التقوى ومن ما أتى في القلب الا من ومن الغنى غنى
الأكبر والخمر جماع الاثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون ومن
ومن يتواضع رفعه الله ومن يتطاول يحطه الله ومن لم يأمره صلاته بالمعروف
ونهته عن المنكر لم يزدد من الله الا بعدا ومن لم يفرع عن صلاته باب قرع باب المائت ومن
يقرع باب الملك يفتح له

قال في الاحياء ليس للانس الحمام بعضه في لبسه لئلا يكون به عيب أو حيف
أو شوكة أو حدوث لما روا به صلى الله عليه وسلم دعا بعمه ولبس أحدهما فجاء
غراب فاحتمل الآخر ورماه فخرج منه حية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما وروى
الطبراني في الاوسط عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد
الحاجة ... فذهب يوم لحاجته فجلس تحت شجرة ونزع خفيه ولبس أحدهما
فجاء طائر أخضر فأخذ خفه الآخر فارتفع به ثم ألقاه فخرج منه أسود سالخ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه كرامة أكرمني الله بها اللهم اني أعوذ بك من شر من
يمشي على بطنه

وأما اعتاده رسول الله صلى الله عليه وسلم البكري فقد ذكر الدارقطني في حديث
علي رضي الله عنه قال كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غداة فاذا
تنحنح دخلت واذا سكت لم أدخل فخرج الي فقال حدث البارحة أمر عجب

مخبية في الدار فإذا أنا بجبريل عليه السلام فقلت ما منعك من دخولك قال إن في البيت كلبا قال فدخلت فإذا جرو كلب تحت كرسي لنا وفي حديث مسلم عنه صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة قال العلماء سبب امتناع الملائكة عن بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى إذا المراد بالصورة الصورة التامة الخلقة ومن بعض الصور ما يعبد من دون الله وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب كثرة أكله النجاسات وقبح رائحته إلا كلب سبب أكله النجاسة والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأن الكلاب منهي عن اتخاذها في داخل البيوت فعوقب متخذها بحرمان دخول الملائكة بيته وصلاتهم فيه واستغفارهم له وتبريكهم عليه والملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة هم الملائكة الذين يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها والبركة كما قال الراغب ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير

وقال بعضهم عدم دخول الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة مقيد بما يحرم اقتناؤه من الكلاب واتخاذه من الصور وأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوساد وغيرها وما يكون بحالة لا يعظم بها فلا يمنع دخول الملائكة ولا نظر إلى استظهار بعضهم أن هذا عام في كل كلب وصورة وأنهم يمنعون من الجميع لإطلاق الحديث وروى مسلم والنسائي رحمهما الله تعالى واللفظ لمسلم عن حميد بن هلال قال قال أبو رفاعة العدوي انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قال فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل علي صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدا قال فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمني مما علمه الله

وذكر المبرد في الكامل في قصة الحطيئة مع حبسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاستعداء الزبرقان عليه في هجوه وهجو رهطه وقصته مع بني عمهم أعلم أن عمر رضي الله تعالى عنه دعا بكرسي فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا بشفرة يوهمه أنه عامل على قطع لسانه حتى ضج من ذلك فكان فيما قال الحطيئة يا أمير المؤمنين والله

لقد

الذي هو بأبي وأمي وهو نفسي ثم قال عمر ثم قال هذا الذي قلت قال ذلك بأبي وأمي والفاطمة اللام

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقال أيضا

من فاتني منك يسرا * أراح الله منك القلب والبصرا
أعرابا إذا استودعت سرا * وكانوا على الحدثان سدا

وقال لامرأته

أطوف ما أطوف ثم آوي * إلى بيت قعيدته لكاع

وقال عمر رضي الله عنه تكلموا إذا غضبتم فقال الحطيئة في شعر قرأه وجهه في الماء فقال

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما * بشر فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله وجهه * فقبح من وجه وقبح حامله

وقد أخذ علي رضي الله عنه بالكرى روى أنه في خبر رضي الله تعالى قال شهدت عليا رضي الله عنه دعا بكرسي فقعد عليه ثم دعا بتور (والتور إناء صغير) فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق بكف واحد ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا ويده اليسرى ثلاثا ومسح رأسه ثم غسل رجليه بالماء ثلاثا ثم قال من سره أن ينظر إلى وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم

والله صلى الله عليه وسلم لم يسرر قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان يقرئني ليس في ... إلا من ... صلى الله عليه وسلم ... أبي أيوب قال ... فقال لا ... فقام النبي صلى الله عليه وسلم ... وكان ... على ... قول الله ... فكان ... فقال ... أبو بكر وعمر وابن ... وقال ... أحد ... ثم ... من قولي ... عن أحد ... الله تعالى من قولي ... عن ... رضي

وأما قوله في السقي وتعذيب الماء وتبريده له صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ والماء واللبن وروى البخاري من حديث ابن أبي مالك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطا (جمع مرط بالكسر وهو كساء من صوف أو خز وربما أطلق على ما يتخذ من الشعر قال بعضهم وهو خاص بالازار والخمار) بين نساء من نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك يريدون أم كلثوم بنت علي فقال عمر أم سليط أحق (أم سليط من نساء الانصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم) فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد أي تحملها ملأى على ظهرها تسقي الناس منها وشرب صلى الله عليه وسلم على تغطية الاناء وربط السقاء كما في مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء انتهى والوكاء ما يربط به وقال الليث بن سعد الاعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الاول انتهى

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب له الماء من بئر السقيا أي يؤتى له بالماء العذب من عين السقيا التي بينها وبين المدينة يومان والماء العذب هو الطيب الذي لا ملوحة فيه قيل له ذلك لانه يمنع معاودة الطبش كما يمنع العقاب معاودة الذنب واستعذب القوم ماءهم اذا استقوه عذبا واستعذبه أي أعده عذبا وأعذبنا واستعذبنا أي شربنا عذبا ونقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه ان الماء الحلو البارد يخلص الحمد لله وفيه اشارة الى ان طلب الماء الحلو لا ينافي الزهد في الدنيا وليس من باب التنعم المفضي لعدم السعي انتهى قال ابن القيم والماء الحلو البارد يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباته الاصلية ويرد عليه بدل ما تحلل منها ويرقق الغذاء وينفذه الى العروق والماء الملح والمسخن يفعل ضد هذا

وروى مسلم عن جابر في حديثه الطويل في سيره مع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه قال يعني جابرا فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بوضوء فقلت ألا وضوء

وضوء

وضوءا فلا وضوء قال قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في اشجاب (جمع شجب بفتح الشين وسكون الجيم وهو ما تقدم من القرب) له على حمارة من جريد (وهي الاعواد التي تعلق عليها هذه القربة) فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم اجد فيها الا قطرة في عزلاء (والعزلاء [illegible] الفم) قال اذهب فأتني به فأتيت به فأخذه بيده ثم جعل يتكلم بشيء ما ادري ما هو ويغمزه بيده ثم اعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين اصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كان له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا قال فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى

(الفصل الثاني)

(فيما يضاف الى الامامة العظمى من الاعمال الاولية كالوزارة والخلافة وولاية العهد والنيابة والكتابة)

الامامة العظمى بالاصالة هي منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي استحقاق التصرف العام على المسلمين وحيث اطلقت الامامة فانما ينصرف لهذه وهي بهذا المعنى رئاسة عامة في امور الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت [illegible] الامامة هو [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الى [illegible] الزمان وقال بعضهم لولا الامام [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا ارتدع [illegible] وظهرت المصائب والشرور واكل [illegible] تعالى [illegible] وحكمه في كل زمان ان [illegible] ويردع اهل [illegible]

ويجمع فرقة جميع المصالح ويقابل كل أحد بما يستحقه من صالح وطالح
ولما كانت عمارة البلاد وحفظ منهج العباد دليلا على فضل السلطنة الشريفة قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين والإشارة في ذلك إلى الذين بهم الدفع ومنهم المدافع وهم السلاطين أي ولولا دفع الملوك لغالب الناس وتهارجت وطمع بعضهم في بعض واستولى الأقوياء على الضعفاء وتمكن الأشرار من الأخيار فيضطرون إلى التشرد والتمرد وفي ذلك خراب البلاد وفناء العباد ولأن الجنس الإنساني مضطر إلى التألف والتجمع في إقامة معيشته واستقامة حال بعضه محتاج إلى سياسة تقيم أمره على الاستقامة وقد شبه بعضهم الملك بالروح والرعية بالجسد فلا قوام للجسد إلا بالروح ولو لم يكن في شرف الملك وعظم خطره إلا ما أشار إليه الحديث النبوي في قوله عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ملهوف وبه ينتصف المظلوم من الظالم ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله لكان كافيا في الاحتياج إلى السلطان وقال بعضهم السلطان يطلب منه وجوبا التحلي بصفة العدل والإنصاف والتخلي عن الشواغل في طلب العلى ببذل الإسعاد والإسعاف وقضاء حوائج السائلين وإغاثة المظلومين والملهوفين والعدل صفة في الإنسان يطلب بها المساواة وقيل هو وضع الشيء في محله وهذا بالنسبة للناس وأما بالنسبة إلى الله فهو التصرف في الملك
وقال العلماء صلاح البلاد بصلاح الملوك وصلاح الملوك بصلاح الوزراء ولا يصلح الملك إلا بأهله ولا يصلح الوزراء إلا بمستحقيها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض فإذا دخل أحدكم بلدا ليس به سلطان فلا يقيمن به وروي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا السلطان فإنه فيء الله في أرضه وهذه الأدلة دالة على شرف مرتبة السلطان وعلو منزلته ولهذا كان السلف الصالح كالفضيل بن عياض والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما يقولون لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان لأن في صلاحه صلاح المسلمين فالملك فضل إلهي يعطيه الله على من يصطفيه من خلقه فيجب على من أنعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة والمرتبة الجسيمة أن يقيدها بالشكر كما قال عليه الصلاة والسلام قيدوا النعم بالشكر وقال شكر النعم أمان من زوالها أن يردها تواضعه لله تعالى والانقياد لأمره وقال الجاحظ ليس شيء ألذ ولا أسر من عز الأمر والنهي والظفر بالأعداء

بالأهلية وتقليد المتين أعباء الرجال لأن هذه الأمور تصعب الروح وتحط الدهر وتنبه النفس ومن الواجب الذي لا بد منه لولاة الأمور لا سيما الوزراء والسلاطين هو العدل فإنه سبب صلاح الدين والدنيا والفوز بالسعادة الأبدية في العقبى وبه تنتظم أمور الممالك وسلوك طريقه من أحسن المسالك وهو الموجب لدوام الملك ولهذا قيل إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت مشركة ولا ينصر الظالمة وإن كانت مسلمة والدولة تدوم مع العدل والشرك ولا تدوم مع الظلم والإسلام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وسئل بعضهم أي أرفع لذكر الملوك فقال يد ترفع أمر الله ويد بالعدل وقالوا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وقال عمر الملك لا كنداه تصافي حرب ملكه بالطاعة أن وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو إليه خراب مدينته ويطلب منه مالا يرمها به فكتب إليه عمر قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام

ولما كانت الإمامة العظمى هي التصرف العام على المسلمين ونصب الإمام واجب على الأمة بالشرع وجوب كفاية ليقوم لهم بالمصالح كتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وتفرقة صدقاتهم وسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات بين الخصوم وقسمة الغنائم إن كانت وإن كان المنصوب مفضولا فإذا قام بذلك أهل الحل والعقد وهم العلماء ووجوه الناس سقط الحرج عن الباقين وإذا لم يتفق الباقون جميعا ورأى أهل الحل والعقد من اجتمع فيهم بيعته وراعوا شروط الإمام والعدالة والرأي وبيعتهم بالحضور والمباشرة بصفقة يد وإشهاد العدول بيعتهم وكفى أنه من أهم الواجبات قوله صلى الله عليه وسلم من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية وأكده الإجماع لإجماع الصحابة على ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم لما ظهر لهم أنه من أهم الواجبات ولم يزل الناس ينصبون في الأعصار الماضية وهلم جرا إلى وقتنا هذا وقيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد * ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

(وصل)

وما سقطت يوما من الناس أمة * إلى الذل إلا بين سوء دهمها

وإنما يجب علينا ذلك عند عدم النص من الله ورسوله على التولية لمعين وعند عدم العهد من الإمام السابق لغيره بإمامة معين وإلا فلا يجب علينا نصبه نعم يجب على الأمة الانقياد إلى ذلك كما وردت الأحاديث بذلك حقنا لدماء المسلمين وحذرا من شق العصا فمنها ما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة والمراد بالخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة وقوله والسمع أي إجابة قول الأمير وطاعة أوامره وامتثال أمره ما لم يأمر بمعصية وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد ورد من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني ومن عصاني فإن له النار وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه وزرا وقوله جنة أي كالترس يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة ويتقى به شر العدو وأهل الفساد والظلم وهذه الطاعة ملازمة لأن الله تعالى أمر بطاعة رسوله وهو أمر بطاعة الأمير وقوله وإن تأمر عليكم عبد هذا من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض وإلا فهو لا تصح ولايته وأظهر من هذا قوله [?] ولو كان عبدا حبشيا [?] وإنما هو من باب الإخبار بالغيب وأن استطالة الشر بعده [?] حتى توضع الولايات في غير أهلها والأمر بالطاعة حينئذ إنما هو ارتكاب أهون الضررين أي الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته أهون من إثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد إلى هذا بعينه ذلك قوله وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم الإخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر أو يكون إشارة إلى تولي الأمراء والعمال دون الخلفاء لأن الأئمة من قريش ولا يتصور تحويلها [?] ولا يجوز الخروج عليه وإن جار وقال علي كرم الله وجهه إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر وقال الحسن رضي الله عنه ما يصلح الله به أكثر مما يفسده وروي أنه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم

وأدوا

وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وورد عنه صلى الله عليه وسلم
خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم
ويشترط في خليفة البيعة أو العهد أن يكون سليما ذكرا لقوله صلى الله عليه وسلم لن
يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلا تصح إمامة امرأة ولا خنثى سميعا بصيرا ناطقا شجاعا ذا خبرة
بالحروب سليم الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض بخلاف العمى
والبكم والصمم فلا يضرهم وأن يكون قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من
قريش ولاحتجاج الأنصار رضي الله عنهم لما قالوا يوم السقيفة منا أمير ومنكم أمير
فاحتج عليهم أبو بكر رضي الله عنه بتقدم كونه من قريش ولم ينكر عليه أحد من الصحابة
رضي الله عنهم فكان إجماعا وورد عنه صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا بسبع خصال
منها أنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلا قرشي ومنها أنه نصرهم يوم الفيل وهم
مشركون ومنها أنه نزلت فيهم سورة لإيلاف قريش ومنها أن فيهم النبوة والخلافة
والحجابة والسقاية فإن لم يوجد من قريش من [illegible] كان
فإن لم يوجد فرجل من ولد إسماعيل [illegible] أن يكون [illegible] أولاه صوما
ولا أفضل من تولى [illegible] ولا جور [illegible] في [illegible] واحد بالإجماع والمراد
[illegible] الحفظ [illegible] الإمام [illegible] وطول [illegible] الأعمال [illegible]
[illegible] ويشترط في خليفة العهد زيادة على ما مر أن [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] أبو
بكر رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وان الضعيف فيكم أقواكم عندي حتى آخذ له بحقه وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ منه بحقه أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني وقال بعضهم العدل ميزان الله تعالى في الارض يؤخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وعدل الحاكم يوجب محبته وأفضل الدهر أزمنة أئمة العدل وقد ورد ان الله تعالى يحب العادل وجلس الاسكندر يوما في مجلس حكمه فما رفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي

وأما قول الرافضة ان أبا بكر غصب عليا أو نحوه فباطل لان في ذلك ولا يتأتى اجتماع الصحابة على الظلم حتى مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين رضي الله عنهم ومن زعم منهم ان عليا رضي الله عنه لم يبايعه أو بايع على كره منه فباطل أيضا لانه ان كان امتنع من مبايعته مع العلم انه على الحق فحرام ولا يظن ذلك بعلي رضي الله عنه وان كان مع العلم انه على باطل فذلك محال لانه لم يكن في زعمه انه على الباطل بدليل انه لم يشهر سيفه ولم ينهه بل كان ودنا من يديه ووقرا بأمره وقد كانوا رضي الله عنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وقال علي رضي الله عنه من فضلني على أبي بكر جلدته حد المفتري وقال عمر رضي الله عنه وددت أني شعرة في صدر أبي بكر رضي الله عنه

ثم ولي امور المسلمين من بعده من هو أفضل الخلق بعده وبعد الانبياء والمرسلين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا حفص وهو الاسد ولقبه بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل فهو من أجل الناس عمر أفضل الاولين والآخرين وأول من سمي أمير المؤمنين وكان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ثم ولي أمور المسلمين أفضل الاصحاب من بعده وهو عثمان أمير المؤمنين دعاه أبو بكر الى الاسلام فدعاه فأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين تزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تزوجها قبل النبوة وتوفيت عنده أيام غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة في رمضان ثم تزوج أختها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره تزوج الاولى قبل النبوة والاخرى بعد ذلك فلذا سمي بذي النورين قال المهلب في بعض ماله وزيادة لما له عنده من ارتفاع الشأن لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان وبايع عنه بيده حين بعثه الى مكة بيعة الرضوان

ثم فوّض الله أمور [illegible] إلى [illegible] ابن عم رسول
وزوج البتول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [illegible] العلم والحسب
[illegible] والفضل [illegible] والسخاء [illegible] من الأصحاب الكرام
[illegible] عليه الصلاة والسلام فهو أبو السبطين [illegible] ولد من هاشميين
وأول [illegible] هاشم وأحد [illegible] المبشرين بالجنة وأحد أصحاب الشورى
الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض [illegible] في الحروب
مشهورة [illegible] في الأخبار الصحيحة المأثورة والمراد بالاصطلاح
المذكور [illegible] فلم يكل [illegible]
الخاصة [illegible] علي رضي الله عنه [illegible]
[illegible] كل علوي
[illegible] إلى زيادة [illegible]
[illegible]
[illegible] الأمر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

[illegible]

وعشرين يوما وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنى عشر سنة الا ستة ايام وخلافة علي رضي الله عنه خمس سنين الا شهرا وخلافة الحسن رضي الله عنه نحو ستة أشهر فعلى هذين القولين لم تكمل دورة الخلافة ثلاثين سنة الا بعدة الحسن رضي الله عنه فانه ولي لما استشهد أبو علي رضي الله عنهما واقام يدعو الى نفسه نحو ستة أشهر وبعض أيام ثم ترك الامر لمعاوية رضي الله عنه على ان يكون له من بعده

وقد ورد في فضلهم على الترتيب حديث أبي ذر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحده فجئت حتى جلست اليه فجاء أبو بكر فسلم ثم جلس ثم جاء عمر ثم جاء عثمان ثم جاء علي وكان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه صلى الله عليه وسلم فسبحن حتى سمعت لهن طنينا كطنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن صلى الله عليه وسلم فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن طنينا كطنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن صلى الله عليه وسلم فوضعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن طنينا كطنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم وضعهن صلى الله عليه وسلم في يد عثمان رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن طنينا كطنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم وضعهن صلى الله عليه وسلم في يد علي رضي الله عنه فسبحن حتى سمعت لهن طنينا كطنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال صلى الله عليه وسلم هذه خلافة نبوة رواه الطبراني وغيره وعند ابن عساكر من حديث انس رضي الله عنه زيادة وهي قوله ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وقد علم من ذلك الرد على الخطابية في تقديم عمر رضي الله عنه والراوندية في تقديم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والرافضة في تقديم علي رضي الله عنه واتباعه لكنهم الرافضة لانهم رفضوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وهم مذاهب في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهم الذين أنه أصحاب عبد الله بن سبأ وفيهم قول الذي قال

فهم غلوا في علي لا أبا لهم * وأحبطوا أنفسا في حبه تعبا
قالوا هو الله جل الله خالقنا * من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا

وقد أخرجهم على بالنار ورئيس الرافضة المعتزلة أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيلة قال الاعمش دخلت على المغيرة بن سعيد وسألته عن فضائل علي فقال انك لا تحتملها قلت بلى فذكر آدم صلوات الله عليه ثم قال علي خير منه ثم ذكر من دونه من الانبياء فقال علي

خير

[illegible] حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال على مثله فقال كذا [illegible] أعطيتك الله لا أحملها ومن الروافض من يزعم أن عليا في السحاب فإذا أطل عليهم سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن وقد ذكرهم الشاعر

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن داب
ومن قوم إذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء الرافضة فإن لهم الخرافات [illegible] صور الكيسانية والتناسخية الكيسانية لأنه كيسان أول [illegible] لله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على وهو [illegible] [illegible] أنه الذي [illegible] على وكان يقول [illegible] على [illegible] قول

برئت إلى الإله من ابن أروى * ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعي أمير المؤمنينا

ابن أروى عثمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ألا إن الأئمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء

[illegible] الحسن والحسين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

وقد ذهبت بناسه وأودى * فعم بالك بالك على التراب
فليس بعائد ما فات منه * الى أحد الى يوم الاياب

ومن الروافض الخشبية وهم أصحاب ابراهيم بن الاشتر كانوا يقاتلون بالخشب في أزقة الكوفة وينادون يا ثارات الحسين فقيل لهم الخشبية ومن الروافض الغرابية سموا بذلك لقولهم علي أشبه بالنبي من الغراب بالغراب ومن الرافضة الزيدية وهم أصحاب زيد بن علي انه قول وهم أول الرافضة غلوا عن أنهم يرون الخروج مع كل من خرج وحكي ان الحجاج بن يوسف قال يوما للحسن البصري ماذا تقول في علي وعثمان فقال الحسن أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى ما بال القرون الاولى قال موسى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى فعلم علي وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج انت سيد العلماء يا أبا سعيد

المسمية بالكوفة

(رجع) وقد علم مما بين استحقاق الاربعة للخلافة على هذا الترتيب واطلاق الخلفاء على الاربعة من باب التغليب والا فالمعروف اطلاقه على أولهم وأما من بعدهم فقال لكل منهم أمير المؤمنين ثم الافضل بعدهم تمام العشرة المبشرين بالجنة وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباذل الاموال في سبيل الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة رضوان الله عليهم وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال له القوم ننشدك الله من العاشر فقال انشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه وقال بعضهم

لقد بشر الهادي من الخلق زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

واما تفاوت بعضهم في الافضلية على بعض فهو أمر لا يدرك بالقياس ولا يوجد بالرأي والاعتبار فلا وقوف لي عليه بنص وهذا مع قطع النظر عن القرابة الشريفة وعن السبق والا فقدم في الاسلام ولنظيره في هؤلاء التسعة في الفضيلة أهل بدر استشهدوا ثم أهل لا كالا بعينه من الدين ولوازم لي فيه أهل بدر في الافضلية أهل أحد ثم

حل

ستين نفراً وفي المدينة وأما من استشهد فيها كالنعمان ومن استشهد وأرادهم المبايعون الكاملون أي المخلصون في ايمانهم ثم أهل أحد ثم الانصار ثم أهل بيعة الرضوان لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية وكانوا ألفا وأربعمائة خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لزيارة البيت فصده المشركون فأرسل اليهم عثمان ابن عفان للصلح فشاع انهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ثم دعا الناس عند شجرة سمرة للبيعة على الموت أو على أن لا يفروا فبايعوه على ذلك ولم يتخلف عن بيعتها الا الجد بن قيس وكان ... [illegible] ويدل على ... ما روى الشيخان عن جابر قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض ... [illegible] عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة

وجميع الصحابة رضي الله عنهم محكوم بعدالتهم ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرواية ... [illegible]

وليس المراد ... [illegible]

ورد ... [illegible]

... أهل ذلك ... [illegible]

بكر رضي الله عنهما ... [illegible]

... أبو بكر وعن أبي بكر ... رضي الله عنه ... [illegible]

[illegible]

أبو بكر ... رضي الله عنه ... رسول الله صلى الله ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأولاده والعباس وأولاده وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني أخرجه البغوي في معجمه وقد جعل صلى الله عليه وسلم أذاه كأذى نفسه لأنه عضوه وعصبته ثم عظم مقامه لتنزيله منزلة الأب وكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والده أم حقوقه فكذلك عمه فقال وإنما عم الرجل صنو أبيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون أي مثل أبيه قال ابن الأثير وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد وقال صلى الله عليه وسلم للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ولقد أحسن من قال

رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى * بتبليغه إلا المودة في القربى

ويؤول مقاتلة علي مع الناس رضي الله عنهما على أنه لم يقع بينهما خلف ولا شيء يوجب تعزيرا فضلا عن حد ويؤول ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من التشاجر الذي قتل بسببه خلق كثير كان وقعة صفين بين علي ومعاوية ولم يقاتل علي فيها حتى قتل عمار بن ياسر فجرد ذا الفقار وقتل في ذلك اليوم ألفا وستمائة وظهرت فيه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ويح عمار تقتله الفئة الباغية فقتلته جماعة معاوية في وقعة صفين وكان يقول في تلك الوقعة والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وهم على الباطل ثم شرب شربة لبن وقال اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه ثم قتل في ذلك اليوم وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله عنه. وكان وقعة الجمل بالعراق بين علي والزبير وطلحة ويقول أن عليا طلب الانقياد للبيعة أولا ولإقامة الحدود لأنه لا يتم أمر الناس إلا بالإمام وطلب معاوية القصاص من القاتلين لعثمان لكن الحق أن عليا المجتهد وأصاب فله أجران وأن معاوية مجتهد وأخطأ فله أجر واحد فالتشاجر الذي نشأ عن اجتهاد قرّب كلا منهما إلى رضوان الله ولم يقدح في رأيه ولا دينه ولا شيء منه فقد صانهم الله من الخطأ والزلل ونجى نياتهم وعقائدهم وأعمالهم من الأغراض والقوادح والعلل فيجب اجتنابه وعدم التعرض له والخوض لأنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين الذين أخذ عنهم أئمة الدين وتلقينا عنهم والطاعن فيهم طاعن في نبيه ودينه قال الإمام الشافعي وجماعة من السلف رضي الله عنهم تلك دماء

طهر

طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا فيجب تأويل ما وقع بينهم على الوجه الذي يناسب علو مقامهم لحظوتهم بشرف الصحبة والحق قال الشيباني

ونسكت عن حرب الصحابة فالذي * جرى بينهم كان اجتهادا مجردا
وقد صح في الأخبار أن قتيلهم * وقاتلهم في جنة الخلد خلدا

ويرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب من أصحابي فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وليس المراد أنه مأجور على الخطأ بل على اجتهاده في طلب الصواب واتفق المحققون من العلماء على أن البحث عما وقع بين الصحابة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية ولا مما ينتفع به في الدين بل ربما أضر باليقين قال ابن دقيق العيد وما نقل عن الصحابة فيه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت اليه وما كان صحيحا أولناه أحسن التأويل لأن الثناء عليهم من الله سابق وما نقل محتمل للتأويل والمشكوك لا يبطل المعلوم انتهى وحيث كان ... المعاطبة بالاجماع قوله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ويوشك أن يأخذه وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه إشارة إلى أن حبهم من الايمان والبغض المفضي الذي يرى ... من ... ومن ذلك تحذيرهم الله ... وما ذاك إلا لشدة الجريمة قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي إلى آخره أي اتقوا الله في حق أصحابي لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم أو اذكروا الله في حق أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم ... وأما ... الذي ... الإمام مالك رضي الله عنه ... ولذلك قال الإمام ... على ... وقد روى الإمام ... رحمه الله تعالى ... ذلك الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم ... في عصرهم وحكى ... في ... رضي الله عنهما أو لدى ... الإمام ... رحمه الله تعالى أنه لا يكفر بذلك وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم ... أصحابي ... لا ... ذكر ...

وخونا وآذونا ومظلومون بحبهم وأخرج الشيخان رضي الله عنهما لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص واحدا منهم فهو مبتدع أعمى والمبتدع من خالف ما عليه أهل السنة والجماعة كما أشار إليه حديث ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي

وقد وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا الآية وقال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فقد وصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالإخوان ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام فمن نظر إليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم قال الإمام مالك رضي الله عنه بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فإن هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي أفراخه فآزره أي شده وقواه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وما ظنك بقوم اختارهم الله تعالى لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى وأياد لا تنسى لأنهم هم الذين نقلوا الشريعة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحكم والأحكام وقيدوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الأقاليم والبلاد وقربوا مواقعها علوم الكتاب والسنة وساسوا الأمة وقهروا أهل الشرك والعناد فخضعت الرؤوس لعالمهم وانقادوا أهل الزيغ عن آخرهم ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل

عز وجل أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم واصطفاهم [illegible] وقوله صلى الله عليه وسلم
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [illegible]

خلائف أصحاب [illegible] * [illegible] كالأنجم [illegible]

[illegible] نورا إلى الحق مرشدا * [illegible] من الأصحاب [illegible]

وقال تعالى في سورة [illegible] الله [illegible] العدو [illegible]
[illegible]
ولا [illegible] واعفو [illegible]
قال [illegible] الله [illegible] رضي الله [illegible]
درهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أعطوه [illegible]
[illegible]
عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] أبي بكر الصديق رضي الله عنه
عن ماله كله [illegible] بن عوف رضي الله تعالى عنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رضي الله عنه [illegible]
الله [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible]

والصلاح الى الذراري النسب * وإخفاؤها عن أهلها فإن من احتاج اليهم هان قدره لديهم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ترك الدنيا الغنى وترك الآخرة الغوى ومن دعاء بعض السلف اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا وقال بعضهم تجنبها للإنفاق لا للإمساك هو اء قد فضل الصحابة ورتبهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب موفقا بأنه كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق أهل الضلال والبدعة فنسأل الله تعالى كمال الأمن والأمان في الدين وذكر الشهاب الخفاجي عن الحافظ ابن حجر أنه لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم أحد من الصحابة رضي الله عنهم أصم لأنه مبلغ لهم أوامر ربه والصمم يمنع من ذلك بخلاف العمى انتهى قال الحافظ ابن حجر العسقلاني

هنيئا لأصحاب خير الورى * وطوبى لأصحاب أخباره
أولئك فازوا بتذكره * ونحن سعدنا بتذكاره
وهم سبقونا الى نصره * وها نحن أتباع أنصاره
ولما حرمنا لقا عينه * عكفنا على حفظ آثاره
عسى الله يجمعنا كلنا * على رغمه معه في داره

رضي الله عنهم أجمعين وقال العلامة القسطلاني في المواهب واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين وإليه ذهب البخاري وشيخه الإمام وشيخه ابن المديني وعبارته من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالإسلام يخرج من صحبه أو رآه من الكفار ولو أسلم بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الإسلام كعبد الله بن جحش فإنه ليس صحابيا اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه وقد أخرج له الإمام أحمد في مسنده وإخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده وفيمن ارتد في العرب ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الإسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود في الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا

كبيرا

كمرآة الرائي فحفظه للعمل به أي حفظه وبلغه غيره فالشاهد في الامر وان كان الرائي قد حكى عما رآه بالحفظ فربط اتصالها بالموت وجه فيما الظاهر أنه يلاحظه قضية المقدمة أمامه رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة ودخوله ثانيا في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون مميزا حال رآه أو يكفي مجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وأيام [illegible] [illegible] [illegible] من حيث الصحبة المجردة

وروى عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد الصحابي الا من أقام مع النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

في هذه الحالة الدنيوية أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيا والا لعد من أمكنه أن رأى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الأعصار وكذلك من كشف له من الأولياء فرآه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا وأما من رآه في المنام وإن كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة

وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري رضي الله عنه خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا قال في فتح الباري والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن وهذا أعدل الأقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وقد ضبط الأئمة من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم وكان وفاته سنة مائة على الصحيح وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد انتهت عبارة المواهب

(عود على بدء) توهم بعض الناس أن الإمامة التي هي أعظم مهمات الدين هي عبارة عن سلطنة بها متاع الدنيا ويطأ بها قفا الملوك حراس الله في أرضه وسر هذا أن الآدمي مدني بالطبع بلدي المأوى لا بد له من مطعم وملبس ومسكن ولا تأتي المطعم والملبس والمسكن إلا بآلة تأتي بها الصناعات وسائل إلى الحاجات فمن أهم الصناعات التي لا بد منها الحراثة والنساجة والتجارة ثم غيرها من هذه التي لا يأتي إلا بعمل حداد ونجار وحلاج وإسكاف واختلاف مقاصدهم وأغراضهم وامتداد أطماعهم إلى ما في أيدي الناس

ولم

وإن رضوا بالعدل والانصاف فلأنهم كانوا ينظرون فإذا أخذوا ... وإذا
أعطوا يحصرون و... ولا ... لان الانسان مطبوع على الشح والحسد
والحرص والكبر فاحتاجوا الى واحد يدفع الظالم عن المظلوم والقوي عن الضعيف
فصل لابد للسلطان في كل زمان ان يعمل بالعدل والاحسان وينهى عن البغي
والعدوان اذ العدل ميزان الله وصفة الانسان وقال وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان فاذا عرفت انه لابد من السلطان علمت انه لابد له أيضا من رؤساء وأعوان
كأرباب الوزارة على الملك وأرباب الحجابة والكتابة والعرب تقول ان الوزارة في الملك
مثل الوزارة في الامارة ... الملك فلا يصلح الا ... راض ... وهذا ...
وأصل ... واشتقاقها ... والوزير هو الذي يحمل ... الى رأيه وتدبيره فهو
ملجأ له ومفزع من الوزر وهو الثقل وأصلها ... لانه ...
... ووازر ... وزيره

(وروي) عن ... رضي الله عنهما عن ... اذا أراد الله
بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ... أعانه وان أراد به غير ذلك جعل له
وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه ... ووصفه ...
... وقد ... قال بعض الحكماء ان
... الحكماء ...
الوزراء ... وأنهم ... الملك ...
... أصلح ... لأن
من ... وكيف ...
...
...
الا ... ولم ... وذكر من دون العرش ...
وبين ذلك ...
أ... وحكم ...
... كل ... الاحكام ...
...
... الدولة ...

فى عام روى الملك اشتغالها على أئمة فى هذه العلوم فما أصبح دولة ولى علماؤها فيها بسقط ذكرها عند انقضاء أيامها

وكان المعتضد بالله العباسى قصوره المعروفة بالمعتضدية ونزهة القصر بنيت في الذي احتاطه كثيرا فسئل عن ذلك فقال أريد أن أجعل حولى مساكن وغيره يسكنها رؤساء العلماء والفضلاء من كل فن وأجرى عليهم الادرارات ومايحتاجون اليه من النفقات وكل من أراد أن يشتغل بنوع من العلوم قصد ذلك الامام واشتغل عليه وحصل منه بغير تعب وكان مقصوده انتشار العلم والزيادة فى الفضائل ولا حاجة الى العالم فى كل حين لان الشخص لا يجوز له ان يقدم على قول او فعل حتى يعرف حكم الله فيه ولذلك وجب على كل شخص وجوبا عينيا معرفة حقائق الاحكام المختصة ليعرف حكم الله فيما يصدر منه وان لا يحجب عن الرعايا فرعايا مظلوم فى وقت من الاوقات فقصد الامير فحجب فلا يظفر بمراده ويعود بكسر القلب ساخطا فانه ليس شئ أصبح للملك ولا أفسد لحال الرعايا من الحجب وتعذر الاذن فى الدخول على ولى الامر وليس شئ أهيب فى قلوب الرعايا والعمال من سهولة الحجاب فاذا كان الملك سهل الحجاب لم يكن للعمال ان يجوروا بعضهم على بعض لسهولة حجاب الملك لانه يكون له اطلاع على أحوال سائر العمال وينبغى ان أمراء الحجاب لا يحجبوا مظلوما ولا يمنعوا صاحب حاجة ولاسيما وقد كان الملوك العادلون لا يغفلون عن مثل هذا الشئ وانما كان دأبهم الجلوس فى تعاطى مصالح الرعايا بالغدو والآصال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوصى عماله لا تغلقوا ابوابكم عن ذوى الحاجات فانه يجب على ان أسافر فى أقطار الارض لانظر فى أحوال الرعايا فان فيهم الضعيف والعاجز الذى لا يستطيع الوصول لشكوى ظلامته

وأفضل عمد الملك صلاح الوزراء والاكفاء وقال بعضهم مثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن جاء الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وكذلك مثل السلطان مثل الطائر وجناحاه مثل الرعية ومثل الوزير مثل السفير الذى بين الرعية والسلطان فاكذب السفير يبطل التدبير

قال بعضهم ينبغى للوزير أن يكون جامعا لخصال الخير حسن الخلق والخلق جميع شمائل السياسة والوقار والحلم والديانة والنزاهة وغيرها من سديد الآراء حسن التدبير وتعلم المسائل الامور السياسية والتدبيرية والضوابط المطلقة والاحوال الدولية

الدواوين والامور الجزئية بجمع ويفرق ويعدد ويركب ويثبت ويؤلف فاذا
انضاف الى ذلك ان يكون بليغ اسده واه بحماسه وبعضد امانه كتوم الاسرار
سكينة الحلم وسعة الصدر لم يحفظ ولا بعد واعطاء الله اذ حسن الاثر في معاملة
الملك انقضى ا وصل الى حل طاعته بل المل الى الاعتدال وا كثر منه بر مرد
الصدق والوفاء معروفا باصناف الخير من فضله مضطلعا باوناع العلوم مالكا
زمام المنثور والمنظوم جامعا لصنوف المكرمات طارفا كتابة الانشاء والرسائل
كاملا في حسن الخط والاعراب سابقا في العروض والاوزان حسن المحاضرات
ماهرا بالاسئلة والمطارح ذو باع في الحساب والمصرفات ماهرا في الفصاحة
والكلام حاذقا في الاراء والاحكام واقيا بالذمام سموها بالاسلام ذكي الفطرة
ذكي الفطنة سريا بادراته كريما سجاياه حسنا صفاته ماضيا في الحكم
والاستطالات ماهرا في اعمال المسرحات منطلقا بيد الدولة العادلة عندا
ذكر السيرة العامة له عند في علم وارجوا ابه نحو المواهب في اداء الراتب
والادمة عرا الجهات وادعال عمرا الاصناف الا وال ذلك وما الاسرار
هادما الاوزار حديدا في حفظ الحدث والاموال من جهاتها هذه صفاتي وجوده
صرفها او ماله منطلق في ذلك بحا بالأمور ووفقه الله بريدته حتى قوى
فهذه صفات الوزير الكامل ذي الجلالة والا بر الفاضل في المجالس وانما هي
كون الملك على ما هي اصناف الخصال المحمودة والوزير على هذه الصفة بعد
أسعده الله بالدارين وعمر الملك له وهي الا ولية في عمل هذا الزمان ورضي عنها
الرحمن وانصر اعلى الملك ان يكون وزيره الاول له ذا الجمع في تركيب الملك
الى اوليائه وعمل الكد فيما هو جماع سنه
قال القاضي ابو بكر ابن العربي وقد بلغ الله بعد ذلك وزراء من اهل الاعية
حبر لو كان ذو وزير ببابه ابو بكر وعمر وخير منهما عند من في
وقاص رضي الله عنه قال اعداء من يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن يسار رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبله ولا بعد يعني جبريل وميكائيل
عليهما السلام وفي رواية ما قاتلا كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد في هذا موضع وزارة
جبريل وميكائيل للنبي صلى الله عليه وسلم وقد صحح الخبر بالخبر الذي ذكره
ابو بكر ابن العربي في كتاب سراج المريدين والله تعالى اعلم

بأركان مجد وعصمة لائذ * وميلاد منجع وجار مجاور
بأمن تخيره الإله لخلقه * فجاء بالخلق الرضي الطاهر
أتى النبي وحده وصهره آدم * بأمن يجوده من بحر زاخر
فكان فعلك وحرثك كلاهما * مددا صرت من غير باهر

وكانت الوزارة وظيفة قديمة للملوك قبل الإسلام وكان للأنبياء الوزراء كما أخبر سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام في قوله واجعل لي وزيرا من أهلي الآية وأول من لقب بالوزير في الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان وزير السفاح ولم تكن رتبة تسمى الوزارة قبله بل كان من أعوان الأمراء على أمرهم يسمى بالعامل والكاتب ثم كانت الوزارة في دولة السفاح ثم بعدها أوصلها رتبة خاصة يجري بها القوانين وتنتظم بها الدواوين

وأما الحجابة فله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن أنس بن مالك كان يحجبه صلى الله عليه وسلم فحمل على قوله وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ولم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له وعن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد مشربة وعلى الباب وصيف له فقلت استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير قد أثر في جنبه وإذا تحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف ونحوه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير قد أثر الشريط بجنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وأنت رسول رب العالمين وقد أثر بجنبك الشريط فقال النبي صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة

ولما كان للخلفاء الأربعة حجاب فكان حاجب أبي بكر سديدا مولاه وقيل شديد مولاه وقيل إن سديدا كان حاجب عمر ويحجب لعمر رضي الله عنه يرفأ مولاه وكان يرفأ حاجب عمر يدعو صهيب او بلالا وعمارا وسلمان ويقول للناس ويدخل الناس بعدهم على مراتبهم حتى يجيء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصين وحكيم بن حزام ورجال

ورجال من أجلة قريش وسادات العرب فلما رأى سهيل بن عمرو ذلك وكان [illegible] قال لم
تغير ألوانكم أي [illegible] أي [illegible] دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا فلئن
حسدتموهم على باب عمر وحجابه لما أعد لهم في الجنة أكثر فلطال حسدكم وقال آخر
[illegible] عنكم وهم اذ دعوا الى الجنة ونركم وخرج البخاري عن مالك بن أوس بن الحدثان
بينا انا جالس في أهلي حين متع النهار (أي ارتفع) اذا رسول عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه أتى فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه حتى دخلت على عمر فبينا
أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير
وسعد بن أبي وقاص يستأذنون قال نعم فأذن لهم فدخلوا وجلسوا وكان حاجب عثمان
رضي الله عنه حمران ولا [illegible] الى ان مات عبد الملك بن مروان
[illegible] مولاه [illegible] أن عدي بن حاتم رضي الله عنه قدم على عثمان رضي
الله عنه في [illegible] فقال مولى عثمان [illegible] وعرض له [illegible]
[illegible] لا [illegible] فلقيه عثمان [illegible] وكان حاجب
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [illegible] وكان [illegible]
الحاجب [illegible] وخرج [illegible]
والخروج عليهم

وعثمان [illegible] حجابة البيت [illegible] وكان ولاها
عثمان بن أبي طلحة [illegible] رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] وذلك ان عثمان بن طلحة [illegible] الدار [illegible] يوم الفتح باب
الكعبة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وقال [illegible] رسول الله [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الى عثمان بن أبي
طلحة [illegible]
[illegible]

فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة تكون في أولاد عثمان أبدا فلما مات عثمان دفعه
الى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة الى اليوم والى يوم القيامة فيهم وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال لعثمان بن أبي طلحة هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال خذوها خالدة تالدة الى يوم القيامة يا بني طلحة انى لم أدفعها
اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وتقدم نبذة من ذلك في فتح مكة
وكانت السقاية وهي أخص من أدمج في الاسلام الى عبد المطلب فأقرها النبي صلى
الله عليه وسلم في الاسلام وذلك ان أبا العباس كان في الجاهلية يرث سقاية من بين والده
كانت عمارة المسجد الحرام وولي السقاية في الجاهلية بعد أبي طالب فقام بها وبقيت
معه في الاسلام وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه اليها وكان يداين أهل
الطائف ويقبض منهم الربا فنبذ ذلك كله وبقيت له الحاج أيام الموسم قال ابن عطية
في التفسير قال محمد بن كعب ان العباس وعليا وعثمان بن طلحة تفاخروا فقال العباس
أنا ساقي الحج وقال عثمان بن طلحة أنا عامر البيت ولو شئت بت فيه وقال علي أنا صاحب
جهاد الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي آمن وهاجر قديما فنزلت الآية
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
وأما امارة الحج المفترضة من مكة فقد وقعت في السنة التاسعة من الهجرة النبوية حين وجهها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للاسلام بذلك السعود والنجح فأقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بها عتاب بن أسيد وأقامه أميرا أيضا على الحاج فحج بالمسلمين في ذلك
العام ثم من المدينة المنورة الى مكة المشرفة ثم حج بهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه سنة
تسع وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ووقف معه مائة ألف وعشرون ألفا
وهي حجة الوداع التي خطب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاهم وقال لعلكم
لا ترونني بعد عامي هذا وودعهم ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة غيرها فكانت
وداعه صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة موجبة لما كاد كانت توجهه الحسي صلى
الله عليه وسلم فرحة منجحة وأما النية له صلى الله عليه وسلم وكان عادة أنه يجاوز
المولى بحسب طلب الرؤية في الأعلى ومناسبته الارادة ولم تكن إلا المناسبة نوعية

استطراده مما أنشد في مدحه صلى الله عليه وسلم لبعض علماء الصعيد العالم ناصر الدين محمد بن عبد القوي الاسنائي

تذكر بالسفح بانا وطلا * وأجرى المدامع وبلا وطلا

ورجى زمانا تولى بعود * وأين يعود زمان تولى

كثيب حمل ملاط في * له أصغر في الماس حلا

مطب كالبدآل امد * وأسمر وكان طلا

وصبح أودا في عمى * ومادا له دعمى أوله

ومرب من انه * على طلما الاعراب ملا وعل

أحببنا أكبر الهم رواح * عانا وملا وه الاوطار

وعود راعى أن عود السرور * د وا مه و

ولا وه سلكم * دعن كم له مانسلى

ملام دوى بعادلى * انا لي سا بي ان ار

وما تذكره اذكره ولست احون وحاكلا

فما ترمه فرانى * ه صبر لما تلبه ار

اذا الحب اوا ع * وجا العرش رمن و مما

وجا المسا رح ثم اله في * وسلطاوارض ها والمصلى

مدارك اله العرش في * رماها على كل حال واهلا

اذا مر اأرى ال وعرا * ر الصر عر

وبها الجواد اني كه * لحسا ي حدى راحلى

ا ل دوا هم ه او حرى

تي ي ب و * اراه دوه وه

وسم ه ل ول * وسم ا ه ادة ه

وحي لي أ ه * اعف له ه

على و ل بدر اعا * واسم ده رض ال

و سر الله وحدا * ودولة رد دمار

ر تي داو اه * ا وه ح

و مد ر س تي * و شر ر هر

* أذل الملوك لهيبته * فكم من أسرى لديه وفلى
وطاب بريسه ملته * وحل بها الخير علوا وسفلا
أمات الدخول به لطفه * فلم يسو من الغير منى دخلا
له الخوص طوبى لمن نال منه * به ربا و ومل لمن ء به ولى
ومازال علا أرض العدو في طاعة الله خلا ورحلا
وقد ل مهجه طالبا * رضى الله اذ أظهر الحق بذلا
ولله حكم من دليل أمر * وفي الله كم من عز ير أذلا
وملك أسرا وآوى طريرا * وعاقر نصارا وأعي مقلا
وسوى له الغير المسند بر * وأ عمي ردت وباه له فصلا
وسع في راحة المحضا * لرب العباد تعالى وجلا
وحق الا به من المسار * حدع وقدم وقد كاد يبلى
وناول في يوم بدر وصدا * لعض الصحابة فارتد نصلا
وقد يحدث برحمه ادرأيه * وأجرى أسه فلبيه تحلى
وحمد عن كل ما يكون * بعد وعن كل ما كان قبلا
تحسبان رعاى عن الشر اهي وهي من النفس احلى
يريدون أن يطفوا نوره * أفواههم صل سا به فصلا
مدحت محمد المصطفى الكريم الحليم الحكيم الاجلا
لعلي من حوضه في غد * اذا حمه ظمآن احلى
محمد عن كما قد علب * ص وقل والصف يه اجرلا
ولا ذكرواء لسلانى الجاه * ولا في الممات وحاشاك حلا
هلوا الفرا وقرانا الحياه لذاالعرض اذ برح ام الغرد لا
وذه اسايل سكو ال ل * من الكرب والكرب قد عم كلا
وأنى لطرب لا الطره * فلاس بها كربنا واضمحلى
ولا تخلى عن المدمس * اذا المرء عن والدته تخلى
وصلى عليك الغفور الرحيم * وسلم ماصام عبد وصلى

قلب

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لم يزل عمر يحج بنفسه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ولم يكن لعلي في الحج شيء من خلافته رضي الله عنه لاشتغاله بالحروب واستمر أمير الحاج يخرج من المدينة إلى أن انتقلت الخلافة إلى بني أمية وكان دار ملكهم الشام [illegible] بالشام فصار الأمير يخرج بالحاج منها ويجتمع عليه الحجوج من نواحي [illegible] معلوم [illegible] واستمر أمير الحاج يخرج منها إلى أن انتقلت الخلافة إلى دولة بني العباس وكان [illegible] ملكهم بغداد العراق فصار أمير الحاج يخرج منها [illegible] على ذلك إلى أن [illegible] القاهرة المعزية [illegible] أهل شوكة [illegible] فصار أمير الحاج يخرج [illegible] المعزية [illegible] بغداد العراق [illegible] كانوا [illegible] الحاج المصري [illegible] والدولة [illegible] أمير حاج يخرج [illegible] على [illegible] الحاج يخرج [illegible] إلى الآن ويكون أمير الركب [illegible] والمقول بأمير الحاج [illegible] عليه فإن المراد أمير الحاج هو الأمير الذي [illegible] سلطان العصر [illegible] الكسوة [illegible] الحجوج [illegible] وإن كان [illegible] ولا [illegible] وإن ذلك [illegible] الإمام [illegible] ومن [illegible] إلى الآن أن يرسل [illegible] [illegible] الحال [illegible] السلام [illegible] إلى الآن [illegible] المصري [illegible] بأحسن [illegible] ركب [illegible] إلا [illegible] ما [illegible]

وقد [illegible] أربعة من العراق ومصر والشام واليمن [illegible] [illegible] ولم يزل الملوك في كل عصر [illegible] أمراء [illegible] وأهلها [illegible] الحرام [illegible] والإكرام [illegible] لا [illegible]

لا يذكرون بها على ممر الدهور فلا يغيب ذكرهم وإن ماتوا ولا يندرس خبرهم وإن درسوا وفاتوا ولكون سهل نفعهم في قعود علمهم أخرها وفيه فائدة لا تحصى ذكرها لأن الخط من المرائع البديعة والعادات الفاضلة العظيمة وخاتم شريعة المصطفى محررة فيها على مدى الأزمان وبها أسس أساس الدين المحمدي وشيدت له الأركان

وكان صاحب هديه صلى الله عليه وسلم ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن قال انحرها ثم اغمس نعلها في دمها وخل بينها وبين الناس يأكلونها انتهى والبدن واحدها بدنة وهي ناقة أو بقرة تنحر بمكة وروى مسلم أن صاحب هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من الهدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بدنة عطبت من الهدي فانحرها ثم ألق قلائدها في دمها ثم خل بينها وبين الناس يأكلونها

وأما الكتابة التي هي أعم دلالات الفهم معنى وأبرزها وهي خاصة النوع البشري التي يظهرها من القوة إلى الفعل فقد كانت سببا في ضبط الوحي كما هي الآن سبب لعظمى في ضبط الأموال وترتيب الأحوال وحفظ العلوم في الأدوار واستمرارها على الأكوار وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان وحفظ الأسرار من مكان إلى مكان وقال صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك قال الراوي أي بالكتابة فدلك النبي أن يكتب ما يخشى نسيانه إعانة لحفظه ومن ألطاف الله بعباده الكتابة حيث ترجم ما فيهم على أداء ما في واعيه وأرشدهم إلى ما يزيل الريب وموقع الكتابة لا يحيط بها إلا الله تعالى فما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم إلا بها ولولاها ما استقامت أمور الدارين انتهى

وقد ذكر القاضي محمد بن سلامة القضاعي أن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما وقال ابن عبد البر كان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل زيد ابن ثابت ومعه أيضا وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يحضر أحد من هؤلاء الأربعة كتب من حضر من الكتاب وهم معاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع وكان عبد الله بن سعد بن أبي

سرح

سرح يكتب الوحي أيضاً ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فلما افتتحت مكة استأمن له عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه وولاه عمر مصر ثم أقره عثمان عليها وخرج عنها حين تأمر عليها محمد بن حذيفة ومات بعسقلان أو غيرها وقد تقدم بسط الكلام على الكتابة في الفصل السادس من الباب الثاني من المقالة الرابعة من الجزء الأول

وأما الرسائل والإقطاع فأول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة أبي ابن كعب الأنصاري وهو أول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان وكان أبي إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فكتب وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ويكتبان كتبه إلى الناس وما يقطع وغير ذلك وكان من المواظبين على كتابة الرسائل عبد الله بن الأرقم الزهري وكان زيد بن ثابت يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك أيضاً وكان إذا غاب عبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أمير الأجناد أو الملوك أو إلى إنسان ما قطع أمر من حضر أن يكتب له فكتب بين يديه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر وكان على بيت المال خزانته عثمان وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أمر بجمع القرآن في المصحف وكتبه بيده فكان أول من جمع القرآن بعد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال علي رضي الله تعالى عنه هو أول من جمع كتاب الله تعالى بالترتيب المخصوص الذي ولي جمعه عليه دلالة كتابه وكان كاتبه عنده زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان لا يكتب آية إلا بإشهاد شاهدين وأن عمر رضي الله تعالى عنه أتى بآية الرجم فلم يثبتها لأنه كان وحده وقد كان كتاب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت من جمعه للقرآن الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الجامع الصحيح لمسلم رحمه الله عن قتادة قال سألت أنساً من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة كلهم من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد قال قتادة قلت لأنس من أبو زيد قال أحد عمومتي

وكان سبب ذلك أنه لما ولي الخلافة أبو بكر جهز الجيوش لقتال من ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتها جيش جهزه لقتال مسيلمة الكذاب ومن ارتد معه من العرب وأمر عليهم خالد بن الوليد المخزومي فالتقوا وتقاتلوا قتالاً عظيماً وانهزم المسلمون

وقتل منهم ألف ومائتان منهم سبعمائة حملة القرآن وقتل زيد بن الخطاب رضي الله عنه ثم تأمر البراء بن مالك ورد الفرقة على المشركين وقتل مسيلمة وقتل بعضهم عشرة آلاف من المرتدين فلما رجعوا قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما أما ترى أن القتل قد فشا في القراء وأخاف أن يذهب القرآن بذهاب حملته فقال له أبو بكر أأفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم هو والله خير فراجعه مرارا حتى انشرح صدره لذلك فقال أبو بكر لزيد بن ثابت إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت لا نتهمك في شيء لأمانتك وصيانتك فاجمع القرآن قال له زيد والله لو كلفني نقل جبل من الجبال كان أهون علي من جمع القرآن ولم يزل به أبو بكر حتى شرح الله صدره فجمعه فجعل يتتبع الرقاع والأضلاع والعسب وهو سعف النخل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض ومن صدور الرجال حتى جمعه ورتبه على سبعة أوجه لقوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف فاقرؤوا كيف شئتم قال أبو عمرو

والأحرف التي حوى الكتاب * منزلة وكلها صواب
أعني الذي أتى من الآثار * عن سبعة من أفصح اللغات
جاءنا بها عن ربه جبريل * وقال قد خص بها التنزيل
فاقرأ بها أنت وكل أمتك * فإنها توسعة في سنتك
وكلها مستحسن وكاف * وكلها لسمعها شاف
فأي حرف شئتم قرأتم * فيها ووجه الحق قد أصبتم
ما لم تغيروا آية الثواب * وذكرها بآية العقاب
أو آية العقاب بالثواب * فإن ذاك ليس بالصواب
فقرأ الصحابة زمانا * إلى خلافة الرضي عثمانا
وكثر الخلاف والمراء * حينئذ واختلف القراء
في أحرف الذكر وفي اللغات * فاجمع الكل على القراءة
بواحد من الحروف السبعة * إذ سبعة مع عظم وقعه

ثم بقي المصحف الذي جمعه زيد لأبي بكر إلى أن توفي وكان عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في خلافة عثمان جرده عثمان من تلك الأوجه الستة إلى وجه واحد لما كثر الخلاف بين الناس لأنهم تشاجروا في القرآن وادعى كل واحد أن

* أن قراءته هي الصحيحة ونادوا بها خطأ وذلك لانهم اختلفوا اختلافاً كثيراً الى ان قال بعضهم قرآني أفضل من غيره ثم ان القرآن الذي يتلونه الآن الكل عند جمع الصحابة في زمن أبي بكر فأتوا به فدفع اليه وأدرك عثمان في زمن عمر وعثمان فشدد بادر عثمان وجرده مصحفاً واحداً فأحضر المهاجرين والانصار وأرسل عثمان الى حفصة فأرسلت اليه الصحف التي جمعها زيد ثم قال يا معشر المهاجرين والانصار أي الناس أعرف بالقرآن قالوا سعيد بن العاص قال وأي الناس أكتب قالوا زيد بن ثابت قال فليملل سعيد وليكتب زيد وأحضر معهما عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وقال لهم اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش فلم يختلفوا الا في التابوت في القرآن قال زيد التابوه وقال غيره التابوت فكتبوه التابوت ثم أمر عثمان فنسخ أربع نسخ بعث واحدة الى الشام والثانية الى الكوفة والثالثة الى مصر وترك الرابعة في المدينة ثم زاد بعد ذلك نسخ ثم أمر فأرسل واحدة الى مكة وأخرى الى اليمن وأخرى الى البحرين ومن ثمة انتسخ الى سيدنا عثمان اسم الجدد وانتساب ولا يقال والانفال وبراءة رسومات كانها لانها كانت في زمانه كذا وفي بعضها كذا ولا يجوز بعد ذلك تبديل ولا تغيير فيها وفيه أبداً وكان زيد بن ثابت هو الذي كتب القرآن عند نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه لأبي بكر ونسخه لعثمان ولم يكن في كتاب الوحي أشهر من زيد

قال أبو عمر بن عبد البر ولما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان واتفق رأيه ورأي الصحابة ان يرد القرآن الى حرف واحد ووقع اختياره على حرف زيد فأمره أن يمل المصحف على قوم من قريش جمعهم اليه فكتبه على ما هو عليه الآن ومن هذا ان قولهم في عثمان رضي الله عنه انه أول من جمع القرآن ليس على ظاهره فان أبا بكر رضي الله عنه جمعه في صحف ونقلت الصحف بعده الى حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ثم عثمان رضي الله تعالى عنه وكان جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد جمعوه أيضاً لكن دون ذلك منهم عبد الله بن مسعود وابي فلما كان عثمان رضي الله تعالى عنه كتب المصحف مرتباً باجماع الصحابة من المصاحف وبعث الامصار فلذلك نسب جمعه الى عثمان رضي الله عنه وما كان قبله من مصاحف فكل مصحف عثمان وابقائه ... الذي بعثه الى الامصار وهو المطول في جميع الامصار

وأما العهود والمصالحات فقد قال أبو عمرو بن عبد البر كان الكاتب لعهوده إذا عاهد وصلحه إذا صالح علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وخرج البخاري عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة فاشترطوا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليال ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح ولا يدعو منهم أحدا قال فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولبايعناك ولكن اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال أنا والله محمد بن عبد الله وأنا والله رسول الله قال وكان لا يكتب فقال لعلي امح رسول الله فقال علي والله لا أمحوه أبدا قال فأرنيه قال فأراه إياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وجلبان بضم الجيم واللام وتشديد الباء ورواه بعض الناس بسكون اللام وعلى كل فهو شبه جفون السيوف وقوله قاضى أي صالح

وأما صاحب الخاتم فقد خرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقشه محمد رسول الله فكأنما أنظر إلى بياضه في يده صلى الله عليه وسلم وكان إذا دخل الخلاء نزعه لأن فيه اسم الله الأعظم وكان يختم في يمينه ثم من بعد رحلته إلى جوار ربه رحمه الله تعالى وقربه كان خاتمه الشريف في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله تعالى عنهم ووقع من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أريس فلذا اختل أمر الخلافة في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه كما اختل ملك سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام بذهاب خاتم الملك فهل كان هذا سبب اختلال أمر الخلافة ولو لم يقع خاتمه صلى الله عليه وسلم في البئر لانتظم أمر الخلافة في أمته إلى يوم القيامة ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا لا مرد لقضائه

قال ابن بطال قال المهلب كان عليه السلام لا يستغني عن الختم به في الكتب إلى البلدان وأجوبة العمال وقواد السرايا وكان صاحب خاتمه المعيقيب وهو يقال المعيقيب ابن أبي فاطمة الدوسي حليف لآل سعيد بن العاص أسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وقد تقدم ذكر شيء من هذا النوع قبل في غزوة خيبر وأما اتخاذ معاوية ديوان الخاتم وسبب عمله فإنه بالنسبة لكونه جعله يعد في المناسبات وسبب ذلك أنه أمر لرجل بمائة ألف وكتب بها له في كتاب ففك الكتاب

الكتاب وسطها مائتي ألف مثقال ورفع الحساب إلى معاوية فأنكر ذلك وأمر بديوان الخاتم أي مصلحة المهردار فمن يومئذ [illegible] واستمر الخلفاء إلى آخر الوقت على ذلك وكان على نصبه لكل عمل بواب

«(الفصل الثالث في العمالات الفقهية وما يضاف إليها)»

من العمالات الفقهية معلم القرآن وقد ذكر ابن الجوزي في كشف مشكل الصحيحين عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وقال هذا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعلم أهل الصفة القرآن وهو واحد [illegible] الأمي [illegible] وهو كان يعلم ذلك بالمدينة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ورد في الآثار ما يدل على أن أول دار فتحت للقراء في المدينة المنورة ولا مانع أن تكون أول مدرسة فتحت في الإسلام فقد قال الواقدي إن عبد الله ابن أم مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة فنزل دار القراء [illegible] ولعل عبادة بن الصامت كان يعلم القرآن والكتابة وكذلك عبد الله بن سعيد ابن العاص كان يعلم الكتابة في المدينة كما في أبي داود [illegible] كان [illegible] في هذه الدار وكذلك الأسرى الذين كانوا [illegible] فيعلم كل واحد منهم الكتابة لعشرة من أبناء الأنصار كما في [illegible] صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يعلم الناس القرآن مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه وفي [illegible] ولما انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم [illegible] في العقبة الأولى وهم اثنا عشر [illegible] مصعب بن عمير [illegible] الدار [illegible] أن [illegible] القرآن [illegible] الإسلام [illegible] المقرئ بالمدينة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى مكة [illegible] الناس في الدين [illegible] القرآن [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الناس القرآن [illegible] الصدقات [illegible] القرآن [illegible] القرآن [illegible] كان [illegible]

الله عليه وسلم فداءهم وأمرهم أن يعلموا الكتابة بالمدينة وكان كاتباً محسناً وخرج أبو داود رحمه الله تعالى عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال علمت ناساً من أهل الصفة الكتاب والقرآن وأهدى إليّ رجل منهم قوساً فقلت ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه فأتيته فقلت يا رسول الله رجل أهدى إليّ قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله فقال إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها قال المؤلف وفي الروض الأنف في الكلام على غزوة بدر أنه كان في الأسرى يوم بدر من يكتب ولم يكن في الأنصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم من الأسرى من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان الأنصار الخط فإذا حذقوا فهو فداؤه انتهى ومنه يفهم جواز تعلم الكتابة للمسلم من غير المسلم

قال بعض العلماء كتابة الأمم على نوعين أحدهما أن تبتدئ الكتابة خطه من يمينه إلى يساره وهي العربية والسريانية والعبرانية والنوع الآخر أن يبتدئ الخط من يسار الكاتب إلى يمينه وهي الرومية واليونانية وكتابة الفرس واحتجوا في ذلك بأنهم أسندوها على اليسار لكون الاستمداد من حركة القلب لأنه قال وأحسن الكتابة الصينية وذلك لأنها تبين بصور واعتبار كتابتها في اليوم ثلاث ورقات وقال بعضهم إنه رأى في بعض الكتب أن عاداً كانت كتابتها في الصخر واستشهد على ذلك بقول ابن الحرم

٧ إذا قلت بين يدي حرم * بعين لم تقرأه سطور عاد ٧

يريد قوله في شعره أن عاداً كانت كتابتها في الصخر وهي لا تدرس انتهى وقد كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء كالشفاء أم سليمان فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة (أي الخط والهجاء) وخرج أبو الدرداء رضي الله عنه عن الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة وفي صغار معجم ورم بن حزم خرجه وصححه الإمام ابن الديلمي وهذا الحديث يدل على أن تعليم النساء الكتابة جائز

ومن الفضائل المتعلقة بتعلم الفقه في الدين وطلبه الإفادة والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية وروى مسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي والمراد بالخير في الحديث الخير الكامل وفي هذا الحديث بشارة لمن جعل بالفقه من حيث إنه علامة إرادته والفقه في الدين يجعل من شأن الله تعالى يعطي كل واحد من الفقه ما أراد لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا (بضم التاء وفتح السين وتشديد الواو أي تجعلوا سادة) قال الحافظ في الفتح ومعناه تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة منظورا إليكم فتستحيوا أن تتعلموا بعد الكبر فتبقوا جهالا وقول علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم قال العلماء ووجهه أن طلب العلم إما أن يكون فرض عين أو كفاية وكلاهما أفضل من صلاة النافلة ويرد ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه حتى إن غير الفقيه قد يستنبط من كلامه ما لا يخطر ببال الفقيه كما يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى رب مبلغ (بفتح اللام) أوعى من سامع ومما استدل به الأكثرون على أفضلية الفقه على غيره من العلوم بعد معرفة الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون لما كان نفر جميع المؤمنين لطلب الفقه غير ممكن قال الله تعالى فلولا أي فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم ليحصل بهم الكفاية ليتفقهوا في الدين أي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتحملوا المشاق لأخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم ليحملوا غيرهم وصرف همتهم في الفقه إنذار قومهم وإرشادهم ونصحهم وليكونوا قدوة للمسلمين وحفظا للشرع من الضياع فإذا قامت به هذه الطائفة سقط فرض الكفاية عن غيرها

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والمراد به علم العمل الذي هو مشهور وجوبه على المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ويدخل في لفظ الفقه فقهاء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة المجتهدون ومن تبعهم

الى يوم الدين وقد اقتبس بعض العلماء هذا الحديث في أبيات مذكورة فقال

تعلم فان العلم زين لاهله * وفضل وعنوان لاهل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادي الى سنن الهدى * هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * اشد على الشيطان من ألف عابد

وقوله وانه * واحد أي وجوده وبقاؤه فان الفقيه * أمر الناس بالايمان والطاعة ويدعوهم الى سبيل الرحمن * فيصلون الى السعادات الباقية * والدرجات الزاهية * وكل ذلك مخالف لمراد الشيطان * فيكون العالم أشد عليه * وأبغض اليه * علاقة الفساد والاحاديث والآثار المرغبة في افادة العلم واستفادته كثيرة وكفى بهذا وهو أولى ما صرفت الهمة في تحصيله وأعلى ما اداب النفس في معرفة دليله ومدلوله * وهو وان تنوع فمرجعه الى معرفة الرسول وعلم عوديته ومعرفة الله أولى بالاسم وهي المثل الأعلى والصراط المستقيم فالفقه المشار اليه في الآية والحديث هو الفهم والفهم هو العلم وبه يكون الفهم دليله قول الله تعالى لنفقهوا أي ليفهموا ويعلموا ما أمروا به فالفقه هو الفهم والفقه الفقه أي العلم قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم أمرنا بالسؤال فقال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والسؤال هو عين الفقه الذي هو العلم وهذا يدرك بالمشاهدة فالجاهل بشيء أول ما يشتغل بطلبه وفهمه ثم بعد يكون فقيها عالما فان الفهم بعد الفهم والفقه بعد الفقه وجه ان الفهم هو ما فيد الله به عقل عبده من العلم الالهي الذي يفهم به ما أمره به ونهاه عنه في كتابه وسنة نبيه وهما الدين الذي أمرنا بالتفقه فيه وهو الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته عن ربه لا غير ذلك وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء عمادا وعماد هذا الدين الفقه وعمادا الشيء قاعدته التي يعتمد عليها ويبنى عليها والدين هو الذي بعث به أكرم خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليظهره على الدين كله وقال صلى الله عليه وسلم خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا (بضم القاف أي مارسوا الفقه وتعاطوا) أي ان أصول بيوتهم الذي هو معدن الشرف وسريرتهم كرم اعراقهم الى فروعها لا يكون فيه الا بمجرد ذلك بلا سيار

و

في الاسلام الا بالفضل والتقوى يعني انه مع ذلك أفضل جميع البشر بطيب الاعراق
بطيب خصاله وربما فضل عن غيره) وورد عنه صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله
كفاه الله تعالى مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب فان من يشتغل قلبه بأمر الرزق من
القوت والكسوة قلما يفرغ لتحصيل مكارم الاخلاق ومعالي الامور

وهذا في حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ان من لم يفقهه الله سبحانه وتعالى
في الدين لم يكن ممن يرد الله به خيرا والمراد بالدين في الحديث الاسلام قال تعالى ان الدين
عند الله الاسلام بدليل الالف واللام فانه صلى الله عليه وسلم جاء بالهدى والنور مما شرع
الله على لسانه من الحلال والحرام والوصايا والآداب وسير الاولين والآخرين وما قص
من أحسن القصص مع ما يدل بالدليل انه صلى الله عليه وسلم يجب امتثال أمره واجتناب
نهيه وهذا الاصل هو لا اله الا الله أوجب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت الى غير ذلك من الاوامر واعتقاد كون رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخمسة
في قوله بني الاسلام على خمس لانها اساس الاسلام وعلامة كل مسلم وهي فرض عين وهي
أصول علم الفقه وحد العلم معرفة المعلوم على ما هو به وعلم الله قديم وعلم المخلوقين الحادث
ينقسم الى ضروري ومكتسب بالاستدلال الذي هو المرشد ويشتمل الفقه على واجب
ومندوب ومباح ومحظور ومكروه فالواجب ما ينال تاركها الوعيد والمندوب الذي
ما فعله أفضل ولا اثم في تركه والمباح ما أطلق لنا فيه التخيير بين فعله وتركه الا ان سوى
بينهما والمحظور المحرم والمكروه ما تركه أفضل من فعله ويستدل على تلك الاحكام
أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم واقراره
الفاعل والاصل في الكلام الحقيقة دون المجاز بالقرينة وللأمر صيغة تقتضي الوجوب
واذا ورد الامر بشيء امتثله ... ان الواجب واجتناب ... فاذا أداه المكلف ويه
أجزأه والفرض هو الواجب عند الامام الشافعي فهما مترادفان الا في الحج وعند الامام
أحمد والامام أبي حنيفة الواجب لازم والفرض ألزم والنهي ضد الامر والعموم في أول
الجمع فصاعدا فاذا عرف بالالف واللام فهو يعم نحو المسلمين وكذلك ان كان نعته
الواحد اذا كان للجنس نحو قوله تعالى ان الانسان لفي خسر ولا يعم شيء من أفعال
النبي صلى الله عليه وسلم الا بدليل والتخصيص تمييز البعض دون الكل والمطلق
اذا ورد على سبب تعلق به كيفما وقع ويخصص المطلق بالاستثناء والشرط والتقييد

والمجمل من القول المبهم والبيان يكون بالنص والنسخ رفع الحكم وليس ببداء ولا يجوز النسخ الا فيما تناول تكليف الخلق دون صفات الخالق وتوحيده ويجوز نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة فيما يساويها في طريقه والفعل بالفعل ولا نسخ القرآن ولا السنة بالاجماع ولا بالقياس واذا قال الصحابي هذه الآية منسوخة ولم يذكر ما نسخها لم يثبت نسخها وشرع الاسلام مغن عن غيره وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع وكذلك اقراره والخبر ينقسم الى متواتر وآحاد وينقسم الى متصل ومرسل والمتصل ما اتصل اسناده بالنقل وأقصاه ان يقول الراوي سمعت أو حدثني فان قال أخبرني أو أنبأني فيقصر عن تلك الرتبة ويجوز ان يكون الاجازة اخبارا وأما المرسل فهو ما يرويه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شرط قبول رواية الراوي ان يكون عدلا غير مبتدع والصحابة كلهم عدول ويلزم الجارح للراوي تفسير ما جرحه به وبيان الجرح مقدم على التعديل ونقل رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى غير جائز الا عند بعض العلماء للعالم دون غيره ولا يقبل الخبر الا ان يخالف كتابا أو سنة ثابتة أو اجماع المسلمين بخبر الواحد ويرجح الخبر على الخبر بفضل روايته وموافقته للقرآن واجماع المسلمين حجة في الشرع وقول الصحابي مقدم على القياس والقياس حمل الفرع على أصله في بعض أحكامه بمعنى يجمع بينهما ويحتج به في جميع الاحكام الشرعية وهو قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه ويشتمل القياس على أربعة أشياء وهي الاصل والفرع والعلة والحكم وعند ابي حنيفة الاستحسان أصل والتقليد قبول قول الغير من غير دليل وذلك سائغ للعامي ولا يجوز في أصول الدين الاعتقاد بالتقليد الا عاما كعدد الصلوات ولا يسوغ للعالم الذي فيه قوة الاجتهاد التقليد وقد حكي عن الامام أحمد انه يسوغ له ذلك ولكن المعروف من مذهبه ان المجتهد لا يقلد مجتهدا والمجتهد هو من عرف طرق الاحكام من الكتاب والسنة وموارد الكلام ومصادره ومجازه وحقيقته وعامه وخاصه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه ودليله وعرف من أصول العربية ما يوضح له المعاني وعرف اجماع السلف وخلافهم وعرف القياس وما يجوز تعليله من الاصول وما لا يجوز وما يعلل به وما لا يعلل به وعرف ترتيب الادلة وتقديم أولاها ووجوه الترجيح وكان ثقة مأمونا وقد عرف بالاجتهاد اما المقلد فليس له هذا يجوز له او لمن استفتاه مفتيا فاذا لم يعرف لغة المستفتي ترجم بينهما عدل ويجب

على

فعلى المشهور من أنه أراد الأمر على الحكم من الله بين وقدمه الجماعة المشهورة والحق في أصول الدين في جهة واحدة وأما الفروع فإنها كذلك إلا أن الخروج موضوع عن المجتهد المخطئ فله أجر واحد في الخطأ وفي الإصابة أجران والقولان من الفقيه في المسألة الواحدة إشارة إلى تردد فيه أن يحكم حتى يعلم فيكون له بعده الاجتهاد فيهما وأما إذا عدم ترجيح أحد القولين فالعمل على الأخير فهذه أصول الفقه وما عداها فروع عنها وكما أن الإمام الشافعي مجتهد في الفروع هو مجتهد أيضا في الأصول وقد انتهى تدوين فروع الفقه إلى أربعة كلهم عدول عند العلماء وأخذوا علمهم لفهم الأحكام التي أخذها وافهامها عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى غير ذلك مما ذكر وهؤلاء الأربعة هم الإمام أبو حنيفة النعمان والإمام مالك ابن أنس والإمام محمد الشافعي بن إدريس والإمام أحمد بن حنبل وأن كل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة أتباع قلدوا مذهبهم فقد ذكروا أن كل مجتهد وكل مقلد لمجتهد فيما صح عنه على خير حيث أراد الله به الخير وفقهه في الدين وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بقوم خيرا أكثر فقهاءهم) فإن طلبهم بالإتيان بالعلم وجهلهم بحصوله (وأقل جهالهم فإذا تكلم الفقيه) أي عالم وجب العلم كأمر بمعروف ونهي عن منكر (وجد أعوانا وإذا تكلم الجاهل قهر) بالبناء للمفعول عليه وردعه (وإذا أراد بقوم شرا أكثر جهالهم وأقل فقهاءهم فإذا تكلم الجاهل وجد أعوانا وإذا تكلم الفقيه قهر)

وأما اختلاف الأئمة في بعض المجتهدات فللرحمة العامة المعروف بها صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وبحسبه أقول الشيخ الجعبري رحمه الله تعالى في الأئمة حيث قال

فالشافعي محمد وأحمد * ومالك وأبو حنيفة يقتدى
علماء دين الله جل جلاله * أنصار شرع المصطفى محمد
الخلف منهم في المذاهب رحمة * وتوسع في الدين فاتبع ترشد
ما كان خلفهم إذا فاتبع * قولي ودع قول الإمام المهتدي
كل روى عن أحمد ما قد روى * عن ربه فالكل هاد مهتد
أخذوا بقول الله جل جلاله * حقا وبالخبر الصحيح المسند

فعدوا الصحيح من السقيم وبينوا * نهج الصواب لأهل سنة أحمد
فهم هداة نهج الهداية ظاهرا * وأئمة برشد الصواب وسعد
فالله يرحمهم ويرضى عنهم * أهل الهداية والمقال الأرشد

قال الامام الشعراني واعلم ان الائمة المجتهدين ما قالوا بذلك الا بالدليل أخذهم وسعة في استنباط الاحكام الكامنة في الكتاب والسنة فان الاجتهاد منة من الله على المجتهد وهو المنة في اثبات الحكم وكثرة طرق الادلة والله تعالى يجزي جميع المجتهدين عن هذه الامة خيرا فانهم لولا انهم استنبطوا للامة الاحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحد من غيرهم على ذلك * فان قلت فاذا قال المجتهدون في زيادتهم الاحكام التي استنبطوها على صريح الكتاب والسنة وهلا كانوا وقفوا على ما ورد صريحا فقط ولم يزيدوا على ذلك لحديث ما تركت شيئا يقربكم الى الله الا وقد أمرتكم به ولا شيئا يبعدكم عن الله تعالى الا وقد نهيتكم عنه * فالجواب دليلهم في ذلك الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تبيينه ما أجمل في القرآن مع قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فانه لولا بيان السنة لكيفية الطهارة والصلاة والحج والصوم وغير ذلك ما اهتدى أحد من الامة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن ولا كان يعرف عدد ركعات الفرائض ولا النوافل ولا غير ذلك فكما ان الشارع بين لنا بسنته ما أجمل في القرآن فكذلك الائمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل في احاديث الشريعة ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على اجمالها وهكذا القول في أهل كل دور بالنسبة للدور الذي قبله الى يوم القيامة فان الاجمال لم يزل ساريا في كلام علماء الامة الى يوم القيامة ولولا ذلك لما شرحت الكتب ولا عمل على الشروح حواش * فان قلت فهل ما وقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المراجعة في شأن الصلاة كان اجتهادا منه أم لا * فالجواب كما قال الشيخ محيي الدين كان ذلك منه اجتهادا فان الله تعالى لما فرض على امته الخمسين صلاة نزل بها الى موسى عليه السلام ولم يقل شيئا ولا اعترض ولا قال هذا كثير على امتي فلما قال له موسى ان امتك لا تطيق ذلك وأمره بالمراجعة فكر صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث وفور رحمته على امته ولا سبيل له الى رد أمر ربه فاجتهد في الترجيح في أي الحالين أولى وهذا هو حقيقة الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه عز وجل رجع بالاجتهاد الى ما وافق قول موسى عليه السلام وأمضى ذلك في امته باذن ربه عز وجل انتهى

ولا

ولا يغلوا لأن المجتهدين عن فائدة اجتهادهم وهو إحياء الذكر وتحصيل الأجر
كما لا يغلو عن فائدة للأمة وهو التوسع لهم في الدين قال تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا الآية قال الطبري الوسط في كلام العرب الخيار يقولون فلان وسط
في قومه إذا أرادوا الرفع في حسبه قال والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء
الذي بين الطرفين والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولم
يقصروا كتقصير اليهود ولكنهم أهل وسط واعتدال قال الزمخشري وقيل للخيار وسط
لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار والأوساط محمية وورد أنه صلى الله
عليه وسلم قال الدين يسر ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وحديث بعثت
بالحنيفية السمحة السهلة وذلك لخلوه عن الآصار والأغلال التي كانت
على اليهود بقرض ثوب فرض النجاسة وعن الجمع من المفرط المفوت لمحاسن
الآداب وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت
لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قال أبو عبيدة أوغل أي سر فيه برفق والمنبت هو الذي يجد
في السير إلا قطع به من نفسه لا ورحى يعطب دابته وبقي منقطعا به لم يقض
سفره ولا قطع وطره وقد أعطب ظهره فشبه به المجتهد في العبادة حتى يكل وقيل وقوله
تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج مع قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة
يجب قبل أن المراد به الاختلاف المتعلق بالعمل في أمر الدين رحمة للناس

قال بعضهم والإنكار لما ورد به الشرائع هو الذي يكل ذهنه ووقف فهمه بسبب
طرقه من الطرق على المعقولات ثم لا يفهمه ولا يعقله فيخلط عليه الأمور والدين ولا
يهتدي لشيء ولهذا ترى كثيرا ممن ينتسب إلى المعقولات عارض كثيرا من الأحاديث
والسنن الثابتة وأنكرها وقال بخلافها كالفلاسفة وغالب أهل المنطق من الإسلاميين
وذلك أنهم لم يفهموا النقول كل الأفهام فخلطوا وأن الأحاديث الثابتة تخالف
القواعد العقلية فلم يسعهم إلا ردها أو تحريفها وافق المعقول بزعمهم ولو أنهم وافوا
المعقول لعلموا أن الشرع لم يرد بما يخالف العقل البتة ولكانوا يطبقون الأحاديث على
المعقولات وقد وقع لبعض علماء المعقول مع الإمام السبكي ما يشبه هذا في بعض
الأحاديث حيث قال إنه مخالف لقواعد المعقول فبين له الإمام السبكي أن سبب الالتباس
عليه هو عدم إتيانه بالقاعدة العقلية حتى قال السبكي في حقه إنه غلط ووقع على عقله
وقال بعضهم وإن أعيان الناس قد يعتري من ليس له الأمن عند الله عز وجل

ومن يعرى غاية لا غاية بعده فلم يقوم من الاعيان الائمة ومن الاعيش الا
رعيته فأي دين لقوم جردوا اعيانهم من لباسه وهذه مواد ان شيم من أمانيه

فان بعضهم ليس من وظائف ولاة الامور ان يحكموا في الحرام والحلال بخلاف الاوضاع الشرعية المستنبطة عند الائمة المجتهدين من أدلة الكتاب والسنة والاجماع ولا عبرة بالاستحسان الطبيعي والتقبيح العقلي فالتحسين والتقبيح العقليان المجردان عن الدليل الشرعي لا عبرة بهما وانما يكون شأن الاوامر والنواهي كأخذ رعاية العالم بمصالحهم والناظر في أمورهم والمدبر لما يكنه بالعدل والانصاف على القانون الشرعي الذي أصوله الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب بعد سبب الاجماع ان ما الادلة عليه صريحا في الكتاب والسنة فالعمل به مقدم على الاجماع واجب وكذلك القياس فان ما لا نص فيه لا يلحق بالوقائع المنصوصة المشبهة له واعتبار الاجماع والقياس انما يكون اذا صدرا من الذين يمكنهم استنباط الاحكام من الكتاب والسنة وهم المسمون أهل الحل والعقد في الاصول ولذلك فسر بعضهم أولي الامر في الآية وقال ينبغي ان يكون أوامر الحكام ونواهيهم موقوفة على فتاوى العلماء وأقوال المجتهدين في الدين وهذا لا يمنع ان الامارة خلافة النبوة في حراسة الدين والانتصاف في حفظ حدود الله تعالى المعظمة. قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم بناء على ان المراد بكمال الدين في الآية ما كمال الفرائض والاحكام كما ذهب اليه جماعة منهم السدي وقال ابن عباس ان اكمال الدين هنا انه عدم مشاركة المشركين للمسلمين في حج البيت الحرام وكان ذلك من اتمام النعمة على المؤمنين

وقد ورد ان العرب لم يزالوا على ما كانوا عليه قبل مجيء الايمان والعمل من الجاهلية على كل حال ودين الاسلام كامل لا يقبل الزيادة الا بحسب الآثار العملية قال تعالى كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية أي خيرية كل امة بحسب كمال الدين وذلك باعتبار كمال دينهم الذي هو قوله وروى بهز بن حكيم عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة أخرجت للناس قال انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وفي البخاري في تفسير كنتم خير امة قال أبو هريرة رضي الله عنه كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام والمراد انهم انفع الناس للناس وانما كانوا كذلك لكونهم كانوا

سدا

بسبب اسلامهم فيحصل لهم أصل جميع السعادة الدنيوية والاخروية وفي الجهاد يعجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل يعني الاسارى الذين يقدم بهم المسلمون في السلاسل والله يودهم يسلمون ويصلح سرائرهم وأعمالهم ويكونون من أهل الجنة والشرط في هذه الخيرية الممدوح بها ما أشار اليه بقوله عز وجل تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والمعنى ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قال بعضهم

فاعلم بأنا خير أمة * قاد للجنة بالسلاسل

وفي حديث أنس رضي الله عنه مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره فالخير موجود في هذه الامة الى قرب قيام الساعة وفي حديث عبد الله بن بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى أخذ الله تعالى على الحكام ثلاثا أي أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا ثم قرأ يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فالحاكم المتخذ العلماء شعارا والصلحاء دثارا والحكماء مستشارا حتى يدور عليه من نصائح العلماء ودعوات الصلحاء ووصايا أهل الاخلاص من الحكماء ولا يتبع الا الاحكام الشرعية التي لها أصل في الشريعة المحمدية بعد من المجددين للدين والذين سلك في العدل جرسين وأمات البدع وأحيا السنن وأرسل الله بحيث عصر مثلنا ان حكمة الله مطوية فيما أمر به على ألسنة رسله لا على ما تعتقده العقول بعقلها قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم دوروا مع كتاب الله حيث دار وورد عنه صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعله سأل الله الرجعة عند الموت فعلى ولي الامر الحازم أن يضرب على أيدي أهل البدع وفي الاهمال و ... والله أعلم

(مرآة الأعصار)

على مراتب ذوي الأفضال لتجري الحسنة بمرآة المنى وتعرض عن فاعل حرام الدنيا مكثر حلالها وتستدل من العدل على الرغبة في أحسن لباس وتطهر ظواهرهم وبواطنهم من الأدناس والأرجاس وليبذل جهده في سيرته الحسنة ليكون ممن سن سنة حسنة ولا شك أن من سن سنة حسنة كان من مجددي الدين بحسب الأحوال والأوقات وكانت الجنة في مسيرته من الأقطاب الصالحات مجدد فمن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة

وكان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الدين كما وردت بذلك الآيات والأحاديث فمن الآيات قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات إلى غير ذلك من الآيات ومن الأحاديث حديث أبي رفاعة العدوي قال أبو رفاعة انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي خلت قوائمه حديدا فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها رواه مسلم والنسائي وكذلك سؤال النساء له صلى الله عليه وسلم كسؤال أم سليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت كما هو مشهور في كتب الفقه وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله نساء الأنصار لم يكن الحياء يمنعهن أن يتفقهن في الدين وأن يتفقهن

وليس العمى طول السكوت وإنما * تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقال عمر رضي الله عنه من رق وجهه رق علمه وقال مجاهد لا يتعلم العلم مستحي ولا متكبر وكان يقال إن الورى قوام حياة العلم بالسؤال والعمل وموته بتركهما وكان الحسن البصري يقول العلماء سرج الأزمنة والأمكنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وقد تقدم ذكر من نهيه صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد لتعلم الفقه في الدين وقد ورد في كتم العلم ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار (أي الممسك عن الكلام مثل من ألزم فيه بلجام وقد كثر علم يوهم عمومه لكل علم وخصه كثير بالعلم الشرعي واحترز بقوله عن أهله

كتمه

كغيره من غير أهله مطلوب وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم عمن يفسده أو يضره به أولى وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم أيضا لا سيما إن عزت كتبه وكان إبراهيم بن عيينة يقول أطول الناس ندامة يوم القيامة عالم فاطم علمه على الناس

وقد كان الناس يستفتون أهل العلم من الصحابة رضي الله عنهم في نوازلهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم * ومنهم ممن كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ وعمار وحذيفة وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى وسلمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد جمعهم بعضهم في هذه الأبيات

لقد كان يفتي في زمان نبينا * مع الخلفاء الراشدين أئمة
معاذ وعمار وزيد بن ثابت * أبيّ بن مسعود وعوف حذيفة
ومنهم أبو موسى وسلمان حبرهم * كذاك أبو الدردا وهو تتمة
وأفتى بمرآه أبو بكر الرضي * وصدقه فيها وتلك مزية

قال بعضهم وينبغي للمفتي مراعاة نوبة السائل فلا يقدم عليها بغير رضى من هي له روي أن أنصاريا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله وجاء رجل من ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخا ثقيف إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك وقال بعضهم يستحب للمفتي أن يقدم على غيره من كان غريبا أو كد رفقته ويخاف فوته ورد في ذلك حديثان عن ابن عباس وابن عمر وكذلك إذا كان له حاجة ضرورية وعلمها المفتي فإن لم يكن شيء من ذلك وتقدمه فقد كره قوم الابتدار بالفتوى وكان عبد الله بن مسعود يقول من أفتى الناس من غير تبصر وتأمل فقد عرض نفسه لدخوله في النار

وكان الصحابة رضي الله عنهم لم يكن في زمنهم تصنيف ولا تدريس بل تعلموا بالسؤال والجواب وكلما خطر ببال أحد من الرجال والنساء سأل عن ذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فيجيبه وهكذا كان التعلم والتعليم من حين بعث صلى الله عليه وسلم إلى أن توفاه الله ثم بين أصحابه بعده كذلك ولما طال الزمان وانتشر الإسلام دخل في الإسلام أهل الأمم المتعددة ولغات مختلفة كالحبشة وفارس والروم والبربر وتنوعت الألسن وقصرت الأفهام عن إدراك معاني الكتاب والسنة كإدراك عقول

من أنزل القرآن على ألسنتهم من العرب لمعاني القرآن ومعاني لغتهم ودخل في الإسلام أهل المعاني الفاسدة وخرجت على فساد الدين بالجهل بلغة العرب ومعانيها إذ فهموا بها معاني الكتاب والسنة وفهموا ذلك بغير الدين ونصح أهله انتدب أهل ذلك الزمان رضي الله عنهم للتصنيف والتدريس وجمع أحاديث السنة وبثها والاستدلال بها وبالآي القرآنية على صحة الدين وإبانته ودفع الشبه عن أقوال أهل الزيغ والأهواء وأفعالهم وقد كان في ذلك الزمان العلماء كثيرا لقربهم من زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فمنهم من أقامه الله تعالى فيما وقعت الإشارة إليه من جمع السنة والتصنيف والتدريس إذ الناس إليه وذبوا عن الدين بالتصنيف والتدريس لضرورة الداعية إلى ذلك حسبما تقدم وهي بدعة حسنة ومنهم من أقامه الله تعالى في علمه بمراقبته ما يجب عليه لمعارف ربه وراقبه في ذلك فما سواه من الخلق ليجمعه أن أمر الدين منتظم عن أقامه الله في ذلك بتصنيفا وتدريسا وذبا بالباطل وأهله عن الحق بالحق فكان كل فريق من الصنفين على هدى من ربهم فأهل التصنيف والتدريس الذين نصروا الدين بتصنيفهم وتدريسهم في جمع معالم السنة وحدود الشريعة حسبما هو معلوم في كتب المذاهب السنية في الله آداب والعادات من فرائض وسنن ومندوبات ومكروهات ومفسدات وما لزم في جمع العقود السنية وما للعامل من الأجر وما لتاركه من الوزر وما يترتب من الأحكام على المخالف في العادات من القتل والضرب والنفي وسائر الزواجر إلى غير ذلك حسبما هو معلوم وتدريسهم في ذلك وقصد منهم قلوبهم لا بألسنة أفواههم دون قلوبهم بذلك انتفع هذه الأمة بعلمهم تدريسا وتصنيفا قال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم في اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع فلولا أن علمهم رضي الله عنهم كان في قلوبهم ما وقع به نفع لهذه الأمة من ذلك الزمان إلى هلم جرا كم من مصنف ومدرّس بعد زمانهم صنف ودرس ولم ينتفع به لحكمة أرادها الله فيه اهـ ورا

قال بعضهم اعلم أن الآثار كانت في عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة ولا مرتبة لسيلان أذهانهم وسعة حفظهم ولأنهم كانوا نهوا عنها ولأن أكثرهم لا يحسن الكتابة فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز على رأس المائة أمر بتدوين الحديث فأول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني فأول من جمع ذلك ابن جريج بمكة ومالك وابن إسحاق بالمدينة وهشام

بواسط

واسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبي عروبة أو
حماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثوري بالكوفة والأوزاعي بالشام وجرير بن عبد الحميد
بالري وكل هؤلاء كانوا في عصر واحد فلا يدرى أيهم أسبق كما قال الحافظ العراقي
والحافظ ابن حجر [illegible]

وأما تعبير الرؤيا فإنه نوع من العلم قال الله تعالى في قصة يوسف يا أيها الملأ أفتوني
في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون وقال صلى الله عليه وسلم أعبر أمتي للرؤيا أبو بكر وأسماء
بنت عميس وعميس هو ابن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة كانت
أسماء بنت عميس من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب
ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل زوجها جعفر تزوجها أبو بكر الصديق وولدت له
محمد بن أبي بكر ثم مات عنها وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

روى مسلم رحمه الله تعالى أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يحدث أن رجلا
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن
والعسل فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم فالمستكثر والمستقل وأرى سببا
واصلا من السماء إلى الأرض فأخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل بعدك فعلا ثم أخذه
رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت لتدعني فلأعبرنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعبرها قال أبو بكر أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذي
ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه وأما ما يتكفف الناس من ذلك
فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي
أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به ثم أخذه رجل آخر فعلا به ثم أخذه رجل آخر
فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أو أخطأت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال فوالله يا رسول
الله لتحدثني ما الذي أخطأت قال لا تقسم وروي أن عائشة رضي الله تعالى عنها
رأت ثلاثة أقمار سقطن في حجرها فقصت رؤياها على أبيها رضي الله تعالى عنهما
فقال خيرا يا عائشة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها قال
لها هذا أحد أقمارك وهو خيرها ثم صارت ثلاثة قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبر أبي بكر وقبر عمر رضي الله تعالى عنهما

وعن أبي الطفيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني على بئر أنزع منها فوردني

ثم سود ثم ردها ثم عبرها فقال أبو بكر دعني أعبرها فذكره وأخرج ابن سعد عن محمد ابن سيرين قال كان أعبر هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرته ورحمته وأعيش بعدك سنتين ونصفا

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية لمسلم ورؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان رأى رؤيا حسنة فليبشر (بضم التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى) ولا يخبر بها الا من يحب وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود أو ذي رأي وفي أخرى ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى ولا تقص رؤياك الا على عالم أو ناصح وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدق الرؤيا بالاسحار ذكر العلقمي ان من آداب الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الاخلاص والمعوذتين وان يقول اللهم اني اعوذ بك من سيء الاحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم أرني في منامي ما احب وأن لا يقصها على عدو ولا جاهل

وقد ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام ان في كل جسد روحين روح اليقظة وروح النوم فاذا نام خرجت الاولى وبقيت الثانية ولهذا القول شواهد في الآثار فقد روى ان عمر بن الخطاب كان له في ايام خلافته مواضع للصحابة الكرام وكان يستشيرهم في المهمات ويسألهم عن مسائل ليكون له الاطلاع عن مقدارها فقال انه بينما عمر بن الخطاب جالس مع جماعة من الصحابة وفيهم علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فالتفت اليهم عمر وقال اني سائلكم عن اشياء فمن جملة ما سأل عنه ان الرجل يحب الرجل ولم يلقه ولم يجتمع به وعن الرؤيا بين احداهما حق والاخرى باطلة فسكت القوم فقال عمر ولا انت يا ابا الحسن فقال لي عندي علم ذلك أما الرجل يحب الرجل ولم يلقه فان الارواح

جنود

جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأما الرؤيا فإن أحدهما
حي والأخرى باطلة فإن في ابن آدم روحين فإذا نام خرجت روح فأتت الحميم والصديق
والبعيد والقريب فما كان منها في ملكوت السموات والأرض فهي الرؤيا الصادقة
وما كان منها في الهواء فهي الأضغاث وأما الروح الأخرى فللنفس والدماء ثم قال
حدثنا أبو عمر قال حدثنا ... فلا يستنكر أن الروح في الأقطار البعيدة لأن
القرب والبعد من صفات الأجسام وأما الأرواح فيستوي في حقها القرب والبعد ولا
يحجبها الجدران ولا يبعد عليها البلدان وتسري في اللحظة الواحدة من الفرش إلى العرش
مما لا يدخل تحت القياس ولا تدركه العقول والحواس وقال ابن عبد السلام إن في كل
جسد روحين إحداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد
كان الإنسان مستيقظا وإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات
والأخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيا وإذا
فارقته مات فإذا رجعت إليه حيي وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما
إلا من أطلعه الله على ذلك فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة ويدل عليه قوله تعالى
(الله يتوفى الأنفس حين موتها) أي روح الحياة (والتي لم تمت في منامها) وهي
روح اليقظة (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي فيمسكه من روح الحياة واليقظة
جميعا وقال بعضهم للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها
الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت
منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فإذا حرك رجعت إليه أسرع
من طرفة عين فإذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس وصعدت فإذا رأت
الرؤيا رجعت وأخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم أنه رأى كيت وكيت
وقال جمهور المتكلمين من أئمة أهل السنة والجماعة إن الروح جسم لطيف مشتبك
بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر قال الإمام النووي وهو الأصح عند أصحابنا وقال
كثير منهم إنها عرض وهي الحياة التي يصير بها البدن حيا ويدل للجمهور
وصفها في الآيات والأحاديث بالتوفي والقبض والإرسال والتناول والإخراج والنعيم
والعذاب والرجوع والدخول والرضى والانتقال والتردد في البرزخ وإنها تأكل
وتشرب وتسرح وتأوي وتطير وتعرف وتنكر إلى غير ذلك مما هو من صفات

الأجسام ولا شك أن العرض لا يمكن أن تقوم به الصفات وإنما تعرف بنفسها ويدرك بها
المعلومات وهذه علوم والعلوم أعراض فلو كانت عرضا وإلا لم تقم بها لزم قيام العرض
بالعرض وهو محال وقالت الحكماء الدم الروح لأن الحي إذا مات لا يفقد منه إلا الدم
وقال آخرون هي النفس يتبع الهوا لأنه يفوت بفوات النفس وقال غيرهما عرض يقوم
بالبدن

وأما تفسيرها منامًا رضي الله تعالى عنها فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه قال لما رأيت كأن ديكًا أحمر نقرني ثلاث نقرات فقالت تبادره رجل من العجم يطعنك
ثلاث طعنات فكان ذلك حيث إن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة طعنه ثلاث طعنات وقد ذكر
علماء الأخبار أنها كانت ثلاثًا

ومن أشرف الجهات الدينية إمامة الصلاة ولهذا نص العلماء أن السلطان أحق
بالإمامة في الصلاة إلا أن يأذن لغيره في ذلك وقال بعضهم ولأنه الصلاة أصل في نصبها
وفرع للإمارة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نصب أميرًا كانت الصلاة إليه وإن لم يكن
لما فسدت الولاية ولم يكن يقدم من يرضى حاله للإمامة في نيابة الولاية في بلده بحكم العلانية
ويقدم للصلاة من يرضى حاله نائبه بهم الناس وانقادوا على أنفسهم

وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فقد روى مسلم عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس
في مرضه فكان يصلي بهم وروى أيضًا عن أنس بن مالك أن أبا بكر كان يصلي بهم
في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم
صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم
كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكًا قال فبهتنا ونحن
في الصلاة من فرح بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ونكص أبو بكر على عقبه ليصل
الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرخى الستر قال فتوفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك قال بعضهم صلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه
بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة صلاة وروي عن عائشة أن
النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر جالسًا في مرضه الذي توفي فيه قال ابن رشد
إنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما مات نبي حتى يصلي وراء رجل من قومه وأسند
روايه

رواية هذا الحديث عن مالك عن ربيعة وقال القاضي عز الدين بن جماعة في مختصر السيرة له وصلى النبي صلى الله عليه وسلم وراء أبي بكر في الصبح صلاة بإمامه وفي بعض الروايات ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في مرضه وأبو بكر يصلي بالناس تأخر أبو بكر عن الإمامة وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس بصلاتهم وهو جالس والقوم خلفه قياما وجمع بعضهم بين القولين بتكرر صلاته صلى الله عليه وسلم مرتين كان في الأولى هو الإمام وائتم في الثانية بأبي بكر وعلى هذا التأويل يزول التعارض

وكيفية صلاة القيام في رمضان كما ذكر في الموطأ عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى في القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم إلا أني خشيت أن يفرض عليكم وذلك في رمضان وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة فيقول من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك وكان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ثم لما دخل عمر رضي الله تعالى عنه إلى المسجد في رمضان فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل ويصلي بصلاته الرهط فقال عمر والله إني لأراني لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أمثل فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ثم دخل المسجد ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وقوله نعمت البدعة هذه يعني أن كل ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة فما وافق أصلا من السنة وقاس عليه فهو محمود وما خالف أصول السنن أن كان العامل عليه متعمدا بقبحه فهو ضلالة ومن ذلك قول بعضهم من خالف أهل البدع يعلو عليه في مناسبة وقال بعضهم

تجنب كل ذي بدعة * ولا تحيص من بها وصف
فتسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرف

وقيل لا يمكن رائح الغائب من أذنك وحسبك من ذلك أن قوما استووا هم تهاترا في الخطيب الرازي حتى يريد قوا ولا غيبة فيمن كان بهذه الصفة لأن ذمه مأمور به وروي قوله وافق الفاسق ما فيه ليعرفه الناس وكذلك في الشهادة يلزم من له علم بحال الشاهد عند الحاكم بها ملو حقه تعالى أن لا يقدم على الدماء والفروج بشهادة مجروح

وأما الأذان للصلاة فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذنان في وقت واحد وهما بلال وابن أم مكتوم رضي الله عنهما وكان بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل على نفسه أن لا يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد فأتى أبا بكر فقال ائذن لي في إتيان الشام فأذن له فلما قدم عمر الشام لقيه فأمره أن يؤذن وقال ليست بالموضع الذي كنت تؤذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن فبكى عمر والمسلمون وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعوا أذانه ومات بدمشق في سنة عشرين ودفن في المقبرة التي عند باب الصغير

وقد أذن له صلى الله عليه وسلم غير بلال وابن أم مكتوم وهو أبو محذورة رضي الله عنه وأقام بمكة ورتبه لأذانها وكان أبو محذورة لا يؤذن إلا في الفجر وسعد القرظ رضي الله عنه أذن للنبي صلى الله عليه وسلم بقباء لابن رباب وقال له إذا لم تر بلالا فأذن ولكن لم يكن لسعد القرظ أذان بالمدينة وزياد بن الحارث الصدائي وعبد العزيز بن الأصم وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أم مكتوم يعني في وقت واحد وقد كان أبو محذورة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة أمره بالأذان بها منصرفه من حنين وكان سمعه يحكي الأذان فأعجبه صوته فأمر أن يؤتى به فأسلم ويشدد أمره بالأذان فأذن بين يديه ثم أمره فانصرف إلى مكة وأقره على الأذان بها هو وولده قال الزبير كان أبو محذورة أحسن الناس أذانا وأنداهم صوتا قال وأنشدني عمر بن مصعب لبعض شعراء قريش في أذان أبي محذورة

أما ورب الكعبة المستوره * وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبي محذوره * لأفعلن فعلة مذكوره

ولم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم لشغله بشأن الأمة ولهذا قال عمر رضي الله عنه لولا الخلافة لأذنت لأن المؤذن يحتاج لمراعاة الأوقات فلو أذن لفاته الاشتغال بشأن الأمة وأما الوقت فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله تعالى عنه بحفظ الوقت

وفي موطأ مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر أسرى حتى إذا كان من آخر الليل عرّس وقال لبلال اكلأ لنا الصبح ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وكلأ بلال ما قدر له ثم استند إلى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتادوا فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئا ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم قال حين قضى الصلاة من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه أقم الصلاة لذكري

(الفصل الرابع)

(في بعث الرسول يدعو إلى الإسلام أو الصلح أو للأمان أو لمصلحة غير ذلك من السفارات وما يلي ذلك من الترجمة وغيرها)

قال ابن إسحاق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام فبعث دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم قال البخاري في الصحيح إن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ليدفعه إلى قيصر

قال أصحاب الزيجات الذين كتبوا من أدباء تاريخ الروم من سلف وخلف إن ملك الروم كان في وقت ظهور الإسلام وأيام أبي بكر رضي الله عنه هرقل وفي كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان الملك قيصر بن ... وهذا لا ينافي قول أصحاب الزيجات والمؤرخين أنه هرقل لأن قيصرا علم لمن تولى الروم وذلك لأن هرقل الأول تولى على الروم سنة ٦١٠ لميلاده بحيث قبل الهجرة بنحو إحدى عشرة سنة وهي توافق البعثة وابنه هو الذي أرسل إليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كتابه مع دحية الكلبي يدعوه إلى الإسلام وأنه دخل حمص وكان قيصر بات أمس القسطنطينية ومات هرقل المذكور بنحو ١٩ سنة من الهجرة قبل فتح مصر بالإسلام قول البخاري

في الصحيح ان دحية دفع الكتاب الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل
فيدفعه الى قيصر المراد بهرقل حاكم الشام وافق اسمه اسم القيصر ولا مانع ان
يكون اسم المسمى أيضا هرقل وهو الذي خلفه وملك بعده عدة أشهر وبهذا يحصل
الجمع بين ما تواتر عند أرباب الرجال ومؤرخي الروم وغيرهم وبين ما في حديث البخاري
الشريف وكتب السير وقد مر الكلام على هرقل قيصر في الفصل الرابع عشر من
الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول

قال ابن اسحاق وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس وقال
البخاري رحمه الله تعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا بكتابه وأمره ان
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى قال ابن اسحاق وبعث عمرو
ابن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس
صاحب الاسكندرية ومصر وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعبد ابني
الجلندي الازديين ملكي عمان وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي الى
ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة وبعث العلاء بن
الحضرمي الى المنذر ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي
شمر الغساني ملك تخوم أرض الشام والى جبلة بن الايهم وبعث المهاجر بن أبي
أمية المخزومي الى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن وقال ابن جماعة في مختصر
السير بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع عمرو
ابن أمية الضمري ودحية بن خليفة الكلبي وعبد الله بن حذافة السهمي وحاطب بن
أبي بلتعة اللخمي وشجاع بن وهب الاسدي وسليط بن عمرو العامري

وروى عن حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح المثناة فوق واسمه عمرو
ابن عمير بن سلمة اللخمي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية
الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية مثل هرقل وكتب كتابا فيه بعد البسملة
من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم
القبط يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية فوجهه الى مصر فوجده بالاسكندرية
فذهب اليه فوجده في مجلس مشرف على البحر فركبت سفينة وحاذيت مجلسه وأشرت
بالكتاب اليه فأحضره وقرأ الكتاب قال حاطب فأنزلني في منزله وأقمت عنده ليالي ثم

بعث

بعث الي وقد جمع بطارقته وقال اني سأكلمك بكلام احب ان تفهمه مني فقلت هلم قال اخبرني عن صاحبك أليس هو نبيا قلت بلى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلدته الى غيرها فقلت له فعيسى ابن مريم أتشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما منعه ان يدعو على من خالفه ان يسلط عليه وما له حيث أراد قومه صلبه ان يدعو عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله في سماء الدنيا ثم سكت المقوقس ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك وان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به ثم قال المقوقس أفي عينيه عروق حمر وبين كتفيه خاتم النبوة ويركب الحمار قال هذه الصفة قال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم ثم جعل الكتاب في حق من عاج وختم عليه وأعطى لحاطب مائة دينار وخمسة أثواب وأكرمه وقد سبق في التنبيه الى ذلك في الفصل الرابع عشر من الباب الاول من المقالة الرابعة من الجزء الاول وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا وأهدى له ثلاث جوار منهن مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أختها سيرين بسين مهملة وهديته من عسل بنها العسل بفتح الموحدة وسكون النون وهي قرية من أعمال مصر فدعا المصطفى لعسل بنها بالبركة وألف مثقال ذهبا وفرسا يقال له لزاز وبغلة يقال لها الدلدل وحمارا يقال له عفير أو يعفور ووصلت تلك الهدايا سنة سبع وبقيت البغلة الى زمن معاوية وهلك الحمار مرجعه من حجة الوداع ومات المقوقس في خلافة عمر بن الخطاب على نصرانيته ودفن في كنيسة أبي يحنس فلما وصلت الهدايا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى مارية وأختها سيرين فأعجبتاه وكره أن يجمع بينهما فعرض الاسلام عليهما فأسلمت مارية ثم سيرين وتسرى بها فجاءت منها ابراهيم فعاش ستة عشر شهرا ومات وقيل غير ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية ولما ولد ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق أم ابراهيم ولدها وقال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما وكانت هاجر

أم إسماعيل منهم وماتت مارية في سنة خمس عشرة من الهجرة وماتت بالمدينة وكانت عائشة تقول ما غرت من امرأة إلا دون ما غرت على مارية وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر وأما سيرين فوهبها عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت رضي الله عنه فهي أم ولده عبد الرحمن وكان يفخر أنه ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرين هذه روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر إبراهيم ابنه فأصلحه وقال إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه وقد تقدم بعض ذلك في الفصل السابع من الباب الرابع من المقالة الخامسة ويقال إن حاطب بن أبي بلتعة لما قدم المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده أبياتا وسأله أن يكون معه وعنده وهي

أنعم صباحا بالوسيلة آمنه * ترجو النجاة به غداة الموقف
إني بعثت إلى الذي أرسلتني * أطوي المهامه في الطريق الأخوف
حتى رأيت عظيمهم صاحب ملكها * فبدا إلى عقل وقول منصف
قرأ كتابك حين فك ختامه * فاهتز يرعد كاهتزاز المرجف
قال الأساقفة الذين تجمعوا * ماذا أراعك من كتاب الأشرف
قال اسكتوا وأتاوا لكم وأدنوا * هذا كتاب نبي دين المصحف
قالوا وهمت فقال لست بواهم * لقد عرفت بيان حق الأحرف
في كل سطر من كتاب محمد * خط يلوح لناظر موقف
هذا الكتاب كتابه لك خاضعا * يا خير مولود بعقل يكتفي
إلى رسولك بالجواب مسلما * بإرادة المولى العظيم الأرأف
لي أخوي غرف الجنان وحورها * ونعيمها فأفوز يوم الموقف
صلى عليك الله ما غنى الأنا * أو لاح صبح بالصبا الأشرف
ومتى بدت شمس النهار منيرة * في ضوئها الوهاج حتى تطفق

وروى حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني بعد موتي فكأنما رآني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة وليس له غير هذا الحديث ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقال رضي الله عنك رضي الله عنك وأما بريده رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلح فقد قال ابن إسحاق دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له

الثعلب

المطلب ليبلغ أشرافهم ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش وهم حلفاء قريش لأنهم تحالفوا تحت جبل بمكة يقال له حبشي أن يكونوا يدا واحدة على من عاداهم وأنهم لا ينقضون ما أقام حبشي فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنه إنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان بن عفان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما بعث الرسول بالأمان فقال ابن إسحاق خرج صفوان بن أمية يوم فتح مكة يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمّنه صلى الله عليك قال هو آمن فقال يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويحك اغرب عني فلا تكلمني قال صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال صدق قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن عبد البر وشهد صفوان قبل أن يسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وأعاره صلى الله عليه وسلم حين خرج معه إلى حنين سلاحا فقال طوعا أو كرها فقال بل طوعا

عارية مضمونة فأعاره وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم يوم حنين فأكثر فقال صفوان أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم

وقيل أمر ذلك أنصار من النساء أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل ابن عمها أسلمت يوم الفتح واستأمنت النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها عكرمة وكان قد فر إلى اليمن فخرجت في طلبه فردته حتى أسلم وثبتا على نكاحهما وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه حين أتاه مرحبا بالراكب المهاجر وقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم إن عكرمة يأتيكم فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا إلى ملك الحبشة ليبعث من عنده في بلده من المسلمين وذلك أنه كان قد أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقام وأحب بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية وكانوا ستة عشر رجلا منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كما قاله ابن إسحاق

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن فأخذه النجاشي فوضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس إلى الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة وأمره أن يبعث من قبله من أصحابه ويحملهم ففعل ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي النبي صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها كما نقله القاضي عز الدين ابن جماعة وأم حبيبة في هذا الخبر هي بنت أبي سفيان بن حرب وروى أبو سفيان ابن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب كتابه إلى النجاشي جمعه ثم رمى به على التراب وأعده فلا جرم أنه أسلم وفاز ولما كتب كتابه إلى كسرى أبرويز لم يلقه إلى التراب فلا جرم أنه لم يسلم ولم يفز وقال صلى الله عليه وسلم تربوا الكتاب فإن التراب مبارك وقال بعضهم

كتب الكتاب وتربه * لعلي بتربته أفلح
لقول النبي لأصحابه * ألا تربوا كتبكم تفلحوا

وينبغي للكاتب إذا كتب كتابه أن يقرأه قبل طيه فإن رأى فيه ما يعيبه ولم

لم يعوبه

تختص به تبارك وأصلحه ويقال له أيضا ان لا يكرر كلمة يكتبها أو يقصر في الكلام او يقصر في المعنى لئلا يطول الكلام ويقال له ان يختصر من الالفاظ التي له فقد قيل خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل

وأما تراجمه النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر التلمساني في الجمعة ان زيد بن ثابت الانصاري النجاري رضي الله تعالى عنه كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الالسن وذكر ابن هشام في السيرة شيئا منه وقد تعلم زيد بن ثابت العبرانية أيضا وذلك انه كان يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالعبرانية فأمر زيد بن ثابت بتعلمها فتعلمها في نصف شهر وما روى الترمذي رحمه الله تعالى عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتعلم كتاب يهود فاني والله ما آمن يهود على كتاب قال فامر بي نصف شهر حتى تعلمته قال فلما تعلمت كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وأما نهي سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عن تعلم رطانة الاعاجم وكراهة مالك رحمه الله تعالى تعلم خطهم فانه محمول على ما لا يكون في تعلمه منفعة للمسلمين وأما اذا كان فيه منفعة كتعلم لسانهم لترجمة ما يحتاج اليه الامام أو نائبه كحاجة اليه القاضي للفصل بين الخصوم واثبات الحقوق أو العاشر الذي يأخذ العشر من أهل الذمة والتجار لطلب ما يقبض منهم لبيت المال أو لما يحتاج اليه من فكاك الاسارى وما أشبه ذلك مما تدعو اليه الضرورة فغير منكر وهو الذي فعله زيد بن ثابت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

وأما شعراؤه صلى الله عليه وسلم فكان من شعراء المسلمين حسان بن ثابت الانصاري وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك يذبون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين ويهجون المشركين ويردون على شعرائهم قال أبو عمرو بن عبد البر قيل لعلي بن أبي طالب اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال ان أذن لي النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فقالوا يا رسول الله ائذن له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه ثم قال ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ان ينصروه بألسنتهم انتهى

وقد استدعى لهجو المشركين ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله

ابن رواحة فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والايام والمآثر ويذكرون مثالبهم وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة قال أبو عمر رحمه الله تعالى وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت آية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكان يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

ومن جيد شعر حسان ما ارتجله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم بنو تميم اذ أتوه بخطيبهم وشاعرهم ونادوه من وراء الحجرات ان اخرج الينا يا محمد فأنزل الله تعالى فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وكانت حجراته صلى الله عليه وسلم تسعا كلها شعر مغلقة من شجر العرعر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وخطب خطيبهم مفتخرا فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس ان يخطب بمثل ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان ابن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في المحل ما أكلوا * من العبيط اذا لم يونس القزع
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

العبيط الذبائح التي ليس بها علة والقزع الا القطع الصغيرة ثم جلس شاعرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام وقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

ان

إن كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم * لا يطمعون ولا يرديهم طمع
خذ منهم ما أتوا عفوا إذا عطفوا * ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه الصاب والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * إذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم إن خطيب القوم أخطب من خطيبنا وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا وما قاربنا فأسلموا وأحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم جوائزهم

وروي بالإسناد الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوات الله عليه إن الله عز وجل يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله وأما قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون أي غواة من المشركين يسعون إلى أشعارهم ويروون عنهم ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي يخوضون في كل لغو وباطل جعل الأودية مثلا له وفي كلامهم إلا باطل ثم استثنى شعراء المسلمين بقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا هجاء من هجاه فإذن من الشعر ما هو مذموم إلا أنه وممنوع شرعا وعقلا إلا أنه لما تضمنه من محاسن الآداب وابتكار المعاني التي هي نتائج الألباب والحكم التي هي روح الأفكار فهو من أنفس أعلاقها أحجار الذخائر

وأما قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه لحسان بن ثابت في محاورته من جاءه بالشعر كعبهم ابن شعر بكسر الشين وسكون العين ابن عمرو الحنفي وفد قومه كان ممن ثبت على إسلامه في الردة وكان عند المسلمين في أهل اليمامة وعند مسيلمة ولا يحمدون النبوة إلا لنبوته وطاعة قومه له

وأما كعب بن مالك فكان قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر وعرف به ثم أسلم وكان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون عنه وعن الزهري أن كعب

ابن مالك قال يا رسول الله ماذا ترى في الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه وشهد رضي الله عنه العقبة ولم يشهد بدرا وشهد أحدا والمشاهد كلها إلا تبوك فإنه تخلف عنها وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين خلفوا عنها والثاني هلال بن أمية والثالث مرارة بن الربيع فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك يوم أحد لبس لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فجرح كعب أحد عشر جرحا وعن ابن سيرين قال لما بلغني أن دوسا أسلمت فرقا من قول كعب ابن مالك

قضينا من تهامة كل وتر * وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فقالت دوس انطلقوا فخذوا لأنفسكم لئلا ينزل بكم ما نزل بثقيف وأما عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه فقد شهد المشاهد كلها إلا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا وهو أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى البخاري رحمه الله تعالى من الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه في قصصه يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال ما سمعت بأحد أجرأ ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يوما قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك فانبعث مكانه يقول

إني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة

وأما خطيب النبي صلى الله عليه وسلم فهو ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير بن مالك ابن

ابن امرئ القيس وهو ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة روى البغوي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت ارفع صوتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني أخشى أن يكون الله غضب علي فحزن واصفر ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عنه فقيل يا نبي الله انه يقول إني أخشى أن أكون من أهل النار وإني كنت ارفع صوتي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو من أهل الجنة قال فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلا من أهل الجنة

وفي السيرة لابن اسحاق وغيره لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه وكان ذلك سنة تسع وانها كانت تسمى سنة الوفود فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس (كعم) التميمي في أشراف من بني تميم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته ان اخرج الينا يا محمد فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك يا محمد نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا نستحيي من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن قيس رضي الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خيرته رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل الله عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس احسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة لله حين دعاه رسول الله نحن فنحن الانصار انصار

الله ووراءه رسول الله فقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان يقوله علانية وسرا أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم انتهى وقد تقدم في هذا الغرض من قيام الزبرقان بن بدر وإنشاده وجواب حسان بن ثابت له في ذلك الكلام على حسان في أثناء هذا الفصل

(الفصل الخامس في كتابة الجيش والعطاء والديوان والزمام وبيان أن الديوان له أصل في عهده صلى الله عليه وسلم)

قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتب الناس وجرى العمل بذلك في عصره صلى الله عليه وسلم روى البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال انطلق فحج مع امرأتك ورواه البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني كتبت في غزوة كذا وامرأتي حاجة فقال ارجع فحج مع امرأتك وحديث البخاري السابق يفيد أن من تولى كتابة الجيش حذيفة بن اليمان وكان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه بخبرهم وقد تقدم أنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن المنافقين ونظر إليه فيعلمون من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر

وأما العطاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار فدعيت فأعطاني حظين وكان لي أهل ثم دعا بعدي عمار بن ياسر فأعطى حظا واحدا وروى مالك في الموطا عن القاسم بن محمد أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الناس

أعطاهم فسأل الرجل هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة فإن قال نعم أخذ من عطائه زكاة ذلك المال وإن قال لا أدى إليه عطاءه ولم أجد فيه مستنداً ثابتاً بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الناس في الجيش وأنهم كتبوا وفي عصره صلى الله عليه وسلم وأنه كان يقسم الفيء وأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يعطي الناس الأعطيات وهذا لا يخالف ما اتفق عليه أهل الأثر وأصحاب الأخبار والسير من أن عمر رضي الله تعالى عنه أول من وضع الديوان في الإسلام وفرض الأعطيات فإنهم إنما أجمعوا على أنه أول من دوّن الدواوين للعطايا ورتب الناس فيها وقدر الأعطيات وإنما كتابة الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بإحصاء بعض منهم في بعث الموت ولم يكن في وقت معين ولا بمقدار معين لم تكثر الناس كثرة أيام عمر ولا كثرت الأموال ولا أحوجت الحاجة إلى ضبطهم كأيامه أي وإلا فوضع الديوان موجود في عهده صلى الله عليه وسلم وكتب الأعطيات فيه بعد عرضهم وجود فقد روى الترمذي رحمه الله تعالى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يقبلني فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا حد ما بين الصغير والكبير ثم كتب أن يفرض لمن بلغ الخمس عشرة وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عند ذكر سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض غلمان الأنصار في كل عام فمر به غلام فأجازه في البعث وعرض عليه سمرة بن جندب من بعده فرده فقال سمرة يا رسول الله أجزت غلاماً ورددتني ولو صارعته لصرعته قال فصارعه فصارعه فصرعه فأجازني في البعث ومعنى عرض الجند نظر حالهم يقول عرضت الجند إذا أمررتهم عليك ونظرت حالهم وذكر البيهقي في السنن الصغرى أن الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ بعد الهجرة وقبل الهجرة إلى عام الخندق كانت تتعلق بالتمييز وأما وضع عمر رضي الله تعالى عنه الديوان بالكيفية المروية عنه فمعلوم أن في سنة خمسة عشر للهجرة فرض عمر رضي الله تعالى عنه الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا ونصب الكتاب وبيت المال ومسح السواد والبلاد بالعساكر الصورة وأجرى الأرزاق على العساكر الإسلامية من بيت المال وأول من اتخذ بيت المال عمر رضي الله عنه وقيل أبو بكر رضي الله عنه ولكنه كثر ما فيه في زمان عمر رضي الله عنه قال الماوردي في الأحكام السلطانية اختلف الناس في السبب الذي حمل عمر رضي الله

حبسه على ذلك فقال يوم إنه بعث به أو عنده الهرمزان فقال لعمر هذا شيء قد أعطيت أهل الأموال فإن تخلف منهم رجل أخل بمكانه من أين تعلمه فأثبت لهم ديوانا فسأله عمر عن الديوان حتى فسره له وقال آخرون سببه أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قدم عليه بمال من البحرين فقال عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فصعد عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا وإن شئتم عددناه لكم عدا فقام رجل وقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدوّنون ديوانا لهم فدون أنت ديوانا فاستشار عمر رضي الله عنه المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي رضي الله تعالى عنه تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا وقال عثمان رضي الله عنه أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعلم من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا دواوين وجندوا أجنادا فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقلدوا كتابة الديوان في عصر عمر رضي الله عنه فمن هذا فهم أن الدواوين لها أصل في عهده صلى الله عليه وسلم لكن لم يتم تمام ديوان إلا في أيام عمر رضي الله عنه ثم اتسعت وقويت وكذلك في أيام بني أمية وأحدث في الحساب فالقول أن أول من دون الدواوين عمر أو معاوية أو عبد الملك بن مروان أو الوليد أو سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز وإن كان تهم كان سليمان بن سعد فالأول أولى وبعده أولاها بالنسبة لأول من نقل

ثم إن الديوان اسم أعجمي فسر والأصل في تسميته ديوانا أن كسرى أمر كتابه أن يجتمعوا في دار واحدة ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام وأعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر إليهم فإذا هم يحسبون أسرع ما يمكن ويكتبون كذلك فعجب من كثرتهم فقال اي ديوانه أي هؤلاء مجانين أو شياطين فسمي موضعهم ديوانا واستعمله العرب وجعلوا من كل محصل من كلام أو شعر ديوانا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إذا قرأتم شيئا من القرآن ولم تعرفوا عربيته فاطلبوه في شعر العرب فإنه ديوانها

والزمام ترتيب الأعمال وحصر الأمور وتقديمها وجعلها عن المخرج بالنسبة إلى أصلها ويسمى الزمام ديوانا لأنه يجعل كالكتاب الذي يدون فيه الأغاني والعلوم ليعلم ويحفظ

في

في كل وقت مأخوذ من زمام الناقة الذي هو ما تقاد به إن أراده هواها وأمرها على المكان الذي تطلب منه

وذكر الماوردي في الأحكام السلطانية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد وضع الناس في الديوان قال بمن أبدأ فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه أذكر أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني المطلب فبدأ بهم عمر رضي الله عنه ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى جميع قريش ثم انتهى إلى الأنصار فقال عمر ابدؤوا برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب فالأقرب من سعد واستقر ترتيب الناس في الديوان على قاعدة النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماوردي والترتيب المعتبر في الديوان عام وخاص

فالترتيب العام ترتيب القبائل والأجناس حتى يتميز كل قبيلة من غيرها وكل جنس من خالفه ولا يخلو حالهم من أن يكونوا عربا أو غيرهم فإن كانوا عربا ترتبت قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عمر رضي الله تعالى عنه فيقدم عدنان على قحطان لأن النبوة في عدنان وعدنان تجمع ربيعة ومضر فتقدم مضر على ربيعة لأن النبوة في مضر ومضر تجمع قريشا وغيرهم فتقدم قريش لأن النبوة فيهم وقريش تجمع بني هاشم وغيرهم فتقدم بنو هاشم لأن النبوة فيهم وإن كانوا غير عرب فإن كان لهم سابقة في الإسلام ترتبوا عليها وإن لم يكن لهم سابقة ترتبوا بالقرب من ولي الأمر فإن تساووا فبالسبق إلى الطاعة

والترتيب الخاص في ترتيب الواحد بعد الواحد فيرتب بالسابقة في الإسلام فإن تكافؤوا في السابقة ترتبوا بالدين فإن تقاربوا في الدين ترتبوا بالسن فإن تقاربوا في السن ترتبوا بالشجاعة فإن تقاربوا فيها فولي الأمر بالخيار بين أن يرتبهم بالقرعة أو يرتبهم على رأيه واجتهاده

وأما وقت العطاء للمسلمين فقد ذكر الشيرازي في طبقات الفقهاء أن أبا الزناد عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت ربيعة وفد على هشام بن عبد الملك بن مروان بحساب ديوان المدينة فسأل هشام ابن شهاب أي شهر كان يخرج فيه العطاء لأهل المدينة فقال لا أدري فقال أبو الزناد فسألني هشام فقلت المحرم فقال هشام لابن شهاب يا أبا بكر هذا علم أحدثته اليوم فقال ابن شهاب مجلس أمير المؤمنين أهل أن يفاد فيه العلم انتهى أي

لان ابن شهاب بعد أن قال لا أدري على المجلس ان وصف العطاء المحرّم وقال بعض الشعراء على لسان الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان حين استخلف

ضمنت لكم ان سلم الله مهجتي * عطاء ورزقا كاملا في المحرم
فلا تعجلوني لا أبا لأبيكم * فاني لكم كالوالد المترحم

والعطاء كان يدفع عندما يدفع عروضا وقد روى البخاري رحمه الله عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما ان أباه مخرمة رضي الله عنه قال له يا بني بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية فهو يقسمها فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله فقال لي يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم فأعظمت ذلك فقلت أدعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة هذا خبأناه لك فأعطاه اياه وذكر ابن المدبر رحمه الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه كان يأخذ الجزية من كل ذي صنع من صاحب الابر ابرا ومن صاحب المسال مسال ومن صاحب الحبال حبالا ثم يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة فيقتسمونه ثم يقول خذوا هذا فاقتسموه فيقولون لا حاجة لنا فيه فيقول أخذتم خياره وتركتم علي شراره لتحملنه

واذا مات الرجل بعد أن استوجب العطا كله أو بعضه أعطي له قدر استحقاقه وقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال ان رجلا مات بعد ما مضت أشهر من السنة فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في عطائه وان الزبير قال لعثمان رضي الله تعالى عنهما بعد ما مات عبد الله بن مسعود وكان وصيه أعط عطاء عبد الله فآل عبد الله أحق به من بيت المال فأعطاه خمسة عشر ألفا وذكر أبو عبيد أيضا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى انه كان اذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ان الزبير بن بكار ذكر بسنده ان الخنساء بنت عمرو الشاعرة حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا اخوتى ان العجوز الناصحه * قد نصحتنا اذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضحه * فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وانما تلقون عند الصائحه * من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه * وأنتم بين حياة صالحه
(أو ميتة تورث غنما رابحه)

فتقدم وقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم حمل الثانى وهو يقول

ان العجوز ذات حزم وجلد * والنظر الاوفق والرأى السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد * نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب كماة فى العدد * إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الابد * فى جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثالث وهو يقول

والله لا نعصى العجوز حرفا * قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا * فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا * أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير منكم ضعفا * والقتل فيكم نجدة وعرفا

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا للأخرم * ولا لعمرو ذى السناء الاقدم
ان لم أرد فى الجيش جيش الاعجم * ماض على هول خضم خضرم
اما لفوز عاجل ومغنم * أو لوفاة فى السبيل الاكرم

وقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى عليه وعلى اخوته فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته وكان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه يعطي الخنساء رضي الله تعالى عنها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائتي درهم حتى قبض رضي الله تعالى عنه

(الفصل السادس)
(في العرفاء والمحاسبين)

العرفاء رؤساء الأجناد وقوادهم يتعرفون أحوال الجيش قال الشاعر

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا إلى عريفهم يتوسم

والعريف النقيب دون الرئيس وقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيت بهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر آخرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد لهم إلا إحدى الطائفتين قالوا فإنا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا

وأما المحاسبة فقد ثبت محاسبة النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية عند قدومه من جبي الصدقات وروى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه فقال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم

وهذا

وهذه هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله عز وجل يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه يقول اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني كذا. وذلك في غزوة خيبر في الفصل السابع من الباب الرابع من المقالة الخامسة من الجزء الثاني

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يحاسب عماله فقد ذكر أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه حين قدم من اليمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال له ارفع حسابك فقال له أحسابان حساب الله وحساب منكم والله لا ألي لكم عملا أبدا وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقدم عماله في كل سنة للمحاسبة قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء كان عمر رضي الله تعالى عنه يلازم الحج في مدة خلافته كلها وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته في كل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويعرف أحوالهم من قرب وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه فيه شكاويهم قال الطرطوشي كان عمر رضي الله تعالى عنه يحاسب سعدا رضي الله تعالى عنه فيغضب فيقول عمر رضي الله عنه غرضي فيك أن لا تدعو علي أحد لك ويضاحكه فإذا ذهب غضبه قال تعال نحاسب فإنه اليوم أمير عاملا من عماله في وسعد هو ابن أبي وقاص القرشي الزهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة كان مجاب الدعوة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه وأجب دعوته فكان مشهورا بذلك يخاف دعوته ويرجى لاشتهار إجابتها عندهم

(الباب السابع)

(في العمالات التي عليها بالأحكام كالإمارة العامة على النواحي والقضاء وما يتعلق به من إشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود والمواريث من الفرائض والقسام وناظر البناء للمسجد وذكر المحتسب والمنادي ووالي حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدينة والسجان ومقيم الحدود وفيه فصول)

*(الفصل الأول)

(في الإمارة والقضاء وما يتعلق به من إشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود)

الأمراء الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لولاية الجهات كثيرون ولنذكر منهم

فأما إمارة مكة المشرفة وإمارة اليمن فقال ابن إسحاق في السيرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن ومعه اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة وألفان من أهل مكة واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا

وفي المنتقى لابن جماعة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان ولم يزل أميرا على مكة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره أبو بكر رضي الله تعالى عنه على مكة فلم يزل عليها إلى أن مات وصادفت وفاته يوم وفاة الصديق وذكر الزمخشري في الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل بيت الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن ونقل الثعالبي في تفسيره على قوله تعالى واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا عن الكلبي أنه قال السلطان النصير عتاب بن أسيد وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامه على مكة فهو ما ذكره الزمخشري

وأما إمارة اليمن فقد قال ابن فتحون في الذيل إن باذان ويقال باذام أسلم واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن وبعد وفاته استعمل ابنه على عمله وذكر الثعالبي أن باذان أول من أسلم من ملوك العجم وأول أمير في الإسلام على اليمن وقد مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم ولى ابن باذان على صنعاء وأعمالها فقط لا على جميع إقليم اليمن عمل أبيه

وأما القضاء الذي هو فصل الحكم فقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس وروى مالك في الموطأ عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار ومعنى ألحن بحجته أفطن لها ومن معاني اللحن الفطنة انتهى وقد ورد إن من البيان لسحرا وفسر بأن يكون الرجل عليه الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ولله در الشاعر حيث قال

في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما غيرت من صفة * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

وحكم

وحكم النبي صلى الله عليه وسلم كأحكام سائر الأنبياء وقضاياهم يجوز أن يجري على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فإنه لو شاء لأطلعهم على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أممهم فتولوا الحكم بينهم بمجرد يقينهم وعلمهم دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله الأمم باتباعهم والاقتداء بهم في أحوالهم وكان اطلاعهم على علم السر في كل نازلة مما لا يسع به أحكامهم الحكمة الإلهية فاقتضت الحكمة الإلهية أن تكون أحكامهم بالظاهر والله يتولى السرائر ليعلم بذلك قانون الشرائع والأحكام وتسير الحكام بعدهم بفصل المنازعات والخصام فعالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيجعله مقتديا به وأن يبين أمرا عاما ولا يقدح هذا في نبوتهم ولا يفصم عروة من عرى عصمتهم

وقد قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنهم وفي سنن الترمذي أن عثمان قال لعبد الله بن عمر اذهب فاقض بين الناس قال أو تعافيني يا أمير المؤمنين قال وما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضي قال إن أبي كان يقضي فإن أشكل عليه شيء سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أشكل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل وإني لا أجد من أسأله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من عاذ بالله فقد عاذ وإني أعوذ بالله منك أن تجعلني قاضيا فأعفاه وقال لا تخبرن أحدا وقول عثمان لعبد الله إن أباك كان يقضي أي كان قاضيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد قضاءه في خلافته بدليل جواب عبد الله بن عمر

وأما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وهو شاب ليقضي بينهم فقال يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال اللهم اهد قلبه وسدد لسانه قال علي فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء فقال إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين

تلك القضية قال فما زلت قاضيا وما تشككت في قضاء بعد كذا ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب

وقال أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه أقضاهم علي بن أبي طالب وروى أن عمر حلف بالله ما أخطأ علي في قضية قط وأما معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه قاضيا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم وجعل له قبض الصدقات من العمال الذين باليمن وذلك عام فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة والجند بفتح الجيم والنون معا بلدة باليمن ومنه قول الشاعر

سفلا من بلد إلى بلد * يوما بصنعاء ويوما بالجند

وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال كيف تقضي إذا عرض لك القضاء قال أقضي بكتاب الله قال فإن لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله قال أجتهد رأيي ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله ومعنى لا آلو لا أقصر

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حقه لما بعثه قاضيا إلى الجند من اليمن وأن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام وأن يقبض الصدقات من العمال الذين باليمن أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل

ومن القضاء عقد الأنكحة ويسمى متوليه قاضي الأنكحة ففي الموطأ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها إياه فقال ما عندي إلا إزاري هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعطيتها إياه جلست ولا إزار لك فالتمس شيئا فقال ما أجد شيئا قال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن فقال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحتكها بما معك من القرآن

واما

وأما ولاية المظالم فهي خطة حادثة ولكنها في أصل وضعها داخلة في القضاء فسمي وليها صاحب المظالم وقد يختلف اسمه ولها باختلاف البلاد فسمي أمين ضبطه أو حاكما وقد ولا يخلو منه مجلس من المجالس كما في هذه الأيام الأخيرة فهي ولاية غريبة أخذتها من تأخر من الولاة وهي عبارة عن كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى يدا منه وذلك أن النزاع إذا كان بين ضعيفين قوى أحدهما القاضي وإذا كان بين قوي وضعيف أو قويين والقوة في أحدهما بالولاية كظلم الأمراء والعمال فهذا مما نصب له الخلفاء أنفسهم

وأول من جلس للمظالم عبد الملك بن مروان فكان عبد الملك إذا وقف من الأحكام على مشكل أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه أبي إدريس الأزدي فكان عبد الملك هو الآمر والقاضي هو المنفذ ثم جلس لها عمر بن عبد العزيز فرد ظلامة بني أمية على المظلومين إذ كانت في أيدي الولاة والعمال الذين يعجز عنهم القضاة ثم صارت سنة فكان بنو العباس يجلسون لها حتى إن المأمون أحضر له خصمها من حضر بها الذي هو العباس ابنه حين أمر قاضيه يحيى بن أكثم أو وزيره أحمد بن أبي خالد أن يجلسها معه وينظر بينهما بحضرة المأمون فجعل كلامها يعلو فزجرها بعض حجاب الخليفة فقال له المأمون دعها فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه وكانت ظلامتها اغتصاب العباس بن أمير المؤمنين على ضيعتها فأمر برد ضيعتها إليها والضياع جمع ضيعة وهي الأرض المغلة وعلى هذا وأول من بنى دار العدل لكشف الظلامات السلطان الصالح العادل نور الدين محمود الشهيد بسبب ما جرى بدمشق لما ظلم بعض أمرائه الناس فكان ينصف من وزرائه وأمرائه الرعية

وأما الشهادة المؤكدة بالكتابة المربوطة فقد أمر الله عز وجل بالكتابة والإشهاد في سورة الآجال فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ثم قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم الآية وقال تعالى في سورة البقرة إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وكذلك أمر الله تعالى بالإشهاد في الوصية فقال يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت الآية وكذلك أمر بالإشهاد في الطلاق والرجعة فقال إذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأمر الله عز وجل بالإشهاد على الزنا فقال واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا

عليهن أربعة منكم وكذلك أمر عز وجل بوضع الحد على القاذف فقال تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة

وأما من كان يكتب من الصحابة الشروط والمداينات والمعاملات فمنهم عبد الله بن عمر ومعيقيب والمغيرة بن شعبة والحصين. روى أبو داود في سننه من طريق بشر بن المفضل عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال أصاب عمر أرضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فكيف تأمرني به فقال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث للفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول منه وروى أيضا في سننه عن الليث عن يحيى بن سعيد عن صدقة عمر بن الخطاب قال نسخها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب عبد الله بن عمر في ثمغ (اسم لمال بالمدينة وقفه عمر) فقص من خبره نحو حديث نافع قال غير متأثل مالا فما عفا عنه من ثمره فهو للسائل والمحروم وقال وساق القصة قال وإن شاء ولي ثمغ اشترى من ثمره رقيقا لعمله وكتب معيقيب وشهد عبد الله بن الأرقم انتهى

وأما من كان يكتب من الناس بين العقود والوثائق فمنهم خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله ابن عوف وكانا في زمانهما يستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخل والأموال ويكتبان الوثائق للناس

(الفصل الثاني)

(في فارض المواريث وفارض النفقات والقسام وناظر الأيتام المحدثة)

فأما فارض المواريث فقد حض صلى الله عليه وسلم على تعلم الفرائض. روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنها نصف العلم وهو أول ما ينزع من أمتي وروى النسائي رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس وتعلموا العلم وعلموه الناس فإني امرؤ مقبوض وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدا يفصل بينهما وقد كان فارضا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت

روى

روى الترمذي رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الاستيعاب كان زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أحد فقهاء الصحابة الجلة الفراض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرض أمتي زيد بن ثابت

وأما فرض النفقات فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخلت هند امرأة أبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه فهل علي في ذلك من جناح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك ويكفي بنيك

وكانت الغنائم في أموال خيبر على ثلاثة وهي الشق ونطاة وحصن الكتيبة فأما الشق بكسر الشين وتشديد القاف ونطاة بفتح النون وهاء التأنيث فكانا في سهام المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح وفدك بلدة بخيبر وكان واديا الكتيبة من فدك اللذين قسمت عليهما وادي القرى ووادي خاص ويسمى وادي خلص بضم المعجمة وإسكان اللام وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم والشق ثلاثة عشر سهما وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال ألف وأربعمائة رجل والخيل مائتا فارس فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم وكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع وكان علي بن أبي طالب رأسا والزبير بن العوام كذلك وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وهكذا إلا أنه قد حضر خيبر من سائر العرب ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة وهي وادي خاص بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها وذلك لأن أهل فدك لما أجلوا عن واديهم وتركهم صارت

تلك القرى والأموال في يد النبي صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان يأكل من غلة ذلك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات ادعت فاطمة رضي الله تعالى عنها من بعده أنه كان نحلها إياه فقال أبو بكر أنت أعز الناس علي فقرا وأحبهم إلي غنى لكني لا أعرف صحة قولك ولا يجوز أن أحكم بذلك فشهد لها أم أيمن ومولى للرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن فأجرى أبو بكر على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك في آخر عهد عمر إلى عمر وقال إن بنا غنى وبالمسلمين حاجة إليه وكان عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك ثم صار إلى علي فكان يجريه هذا المجرى فالأئمة الأربعة اتفقوا على ذلك

وبالجملة فالفيء كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقسوما على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم سهم منها لرسول الله أيضا والأسهم الأربعة لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمراد بذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيما كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنه للمجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لأنهم قاموا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في رباط الثغور والقول الثاني أنه يصرف في مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يبدأ بالأهم فالأهم وهذا في الأربعة أخماس التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السهم الذي كان له من خمس الفيء فإنه لمصالح المسلمين بلا خلاف

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالجابية فقال من أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني له خازنا وقاسما إني بادئ بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ثم المهاجرين الأولين الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته انتهى وهذا في طريقة العطية وأما ما طرأ الآن للتجديد فهو أن الرجل يكون له الأمر بالبال والجراية من الإمام لحكم بين المتنازعين فيوجد مثله وكان ذلك موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

فقد

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عن حارثة بن ظفر رضي الله عنه أن دارا كانت بين أخوين فحظرا في ذلك حظارا ثم هلكا وترك كل واحد منهما عقبا فادعى كل واحد منهما أن الحظار له دون صاحبه فاختصم عقباهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل حذيفة اليماني فقضى بينهما فقضى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أو أحسنت انتهى وفي الشارع للحاري نحوه والحظار المانع من الشيء والقمط بكسر القاف ما يشد به الأخصاص من نحو ليف أو خوص وقد اختصم إلى شريح رجلان في خص فقضى بالخص للذي تليه القمط

(الفصل الثالث)

(في ذكر المحتسب والمنادي الرائع أي شديد الصوت وصاحب العسس ومتولي)
(حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدينة والسجان ومقيم الحدود)

والحسبة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإصلاح بين الناس والواجب على المحتسب أن يكون فقيها عارفا بالأحكام الشرعية ليعلم ما يأمر به وينهى عنه وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله فقد قال الله عز وجل في ذم علماء بني إسرائيل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الله عز وجل مخبرا عن شعيب لما نهى عن بخس الموازين ونقص المكيال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ويجب على المحتسب أن يقصد بقوله وفعله وجه الله عز وجل ويطلب مرضاته فقد قال صلى الله عليه وسلم من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وينبغي للمحتسب أن يكون مواظبا على سنن النبي صلى الله عليه وسلم من قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار ونظافة الثياب وتقصيرها والتعطر بالمسك ونحوه وجميع ذلك من الشرع وقصده بذلك مع الإتمام على الفرائض والواجبات فإن ذلك أزيد في توقيره وأمكن له والرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره الناس ونهيه فإن ذلك أبلغ فقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وحكي أن رجلا دخل على المأمون فأمره بمعروف ونهاه عن منكر وأغلظ له في القول فقال له المأمون

بأمثالها أن الله تعالى أمر من هو خير منك أن يلين القول لمن هو شر مني فقال لموسى وهارون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ثم أعرض عنه ولم يلتفت إليه ولا بد أن يكون سائلا بالرفق فالإتيان بالعنف كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب كل رفيق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ولا يمكن المحتسب أن يأمر مبادرا بالاشتغال بالعقوبة ولا يؤاخذ أحدا بأول ذنب يصدر منه ولا بزلة تبدر منه لأن العصمة في الخلق مفقودة لمن سوى الأنبياء فإذا عثر بإنسان قد غش في المكيال أو بخس في الميزان أو غير بضاعة استتابه من معصيته ووعظه وخوفه وأنذره العقوبة والتعزير فإن عاد إلى فعله عزره بحسب ما يليق به من التعزير وبقدر الجناية ويتخذ المحتسب سوطا ودرة وأعوانا فإن ذلك أرهب لقلوب العامة وأشد خوفا ويلازم الأسواق والدروب في أوقات الغفلة عنه ويتخذ له عيونا يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوقة ومن الشروط اللازمة للمحتسب أن يكون عفيفا عن أموال الناس متورعا عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب الصناعات فإن ذلك رشوة وقد قال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به قيل وما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم

وقد وردت الأحاديث في الحسبة فمن ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال يا صاحب الطعام ما هذا فقال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غش فليس منا قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح وخرج مسلم أيضا عن أبي هريرة نحوه وروى ابن المنذر عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقف على طعام سوق المدينة فأعجبه حسنه فأدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في جوف الطعام فأخرج شيئا ليس بالظاهر فأف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحب الطعام ثم نادى أيها الناس لا غش بين المسلمين من غشنا فليس منا وقوله فأف أي قال أف ضجرا واستثقالا وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال غلا السعر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وعلى عدم التسعير إذا لم تتعد الأرباب عن القيمة تعديا فاحشا وقدره بعضهم بضعف القيمة ولا بأس بالتسعير بمشورة أهل الرأي في مذهب أبي حنيفة

وعل

ونقل بعضهم أن مذهب أبي حنيفة كالجمهور لا يجوز التسعير إلا في حالتي الغلاء والرخص
بدون فرق بين الجالب وغيره لعموم الحديث وإنما إذا تمالؤوا كأرباب السعر ⟨..⟩ عن رأيه
كره إلا أن إخراجهم مالم يعلم ما به قوتهم وأوجب الإمام مالك على الوالي التسعير عام
الغلاء

ومع قوله صلى الله عليه وسلم إن المسعر هو الله فقد قال ابن رشد من المالكية ما نصه
أما الجالب فلا خلاف أنه لا يسعر عليهم شيء مما جلبوه للبيع وإنما يقال لمن شذ منهم
فحط السعر وباع بأغلى مما يبيع به عامتهم إما أن تبيع بما يبيع به العامة وإما أن ترفع
من السوق كما فعل عمر رضي الله عنه بحاطب بن أبي بلتعة إذ مر به وهو يبيع زبيبا له في
السوق فقال له إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا لأنه كان يبيع بالدرهم أقل
مما كان يبيع به أهل السوق وأما أهل الحوانيت والأسواق الذين يشترون من الجلاب
وغيرهم جملة ويبيعون ذلك على أيديهم مقطعا مثل اللحم والإدام والفواكه فقيل إنهم
كالجلاب لا يسعر عليهم شيء من بياعاتهم وإنما يقال لمن شذ منهم وخرج عن الجمهور إما أن
تبيع كما يبيع الناس وإما أن ترفع من السوق وهو قول مالك في رواية أشهب وقيل إنهم
في هذا بخلاف الجلاب لا يتركون على البيع باختيارهم إذا غلوا على الناس ولم يقنعوا
من الربح بما يشبه وإن على صاحب السوق الموكل على مصلحتها أن يعرف بما يشترون
فيجعل لهم من الربح ما يشبه (أي ما يناسب) وينهاهم أن يزيدوا على ذلك ويتفقد
السوق أبدا فيمنعهم من الزيادة على الربح الذي جعل لهم ⟨..⟩ ما يغلب السعر من زيادة
أو نقصان فمن خالف أمره عاقبه بما يراه من الأدب وبالإخراج من السوق إن كان
معتادا لذلك مستترا به وهو قول مالك في الرواية الأخرى وقاله من السلف جماعة
منهم سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد وهو مذهب الليث بن سعد ولا يجوز عند أحد
من العلماء أن يقول لهم لا تبيعوا إلا بكذا وكذا ربحتم أو خسرتم من غير أن ينظر إلى
ما يشترون به ولا أن يقول لهم فيما قد اشتروه لا تبيعوا إلا بكذا وكذا مما هو مثل الثمن
الذي اشتروه به أو أقل وإذا ضرب لهم الربح على قدر ما يشترون مثل أن يقول لهم
ترفعون في الشراء كذا وكذا فلا يتركهم أن يغلوا في الشراء وإن لم يزيدوا في الربح إذ
قد يفعلون ذلك ويتساهلون فيه إذ لا يضرهم بذلك ربحهم شيء وإذا علم ذلك منهم
صرف لهم الربح على ما يعلم منه ⟨?⟩ السعر وقال لهم لا بد لكم أن تبيعوا بكذا وكذا
ولا تشتروا إلا على هذا ⟨?⟩

وأما مذهب الشافعي رضي الله عنه فعدم جواز التسعير لما رواه ابن ماجه عن أنس ابن مالك انه غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال ان الله القابض الباسط المسعر واني لارجو أن ألقى الله تعالى ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال والمراد بالمال التسعير فانه دل بالحديث على ان التسعير حرام ووجه الدليل انه جعل التسعير مظلمة والظلم حرام وأيضا قوله ان الله هو المسعر أي لا غيره فيه دلالة على الحرمة وأيضا الناس مسلطون على أموالهم وفي التسعير حجر عليهم وأيضا الامام مأمور برعاية مصلحة الكافة وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن فاذا تقابل الامران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لانفسهم ولذلك جعل صلى الله عليه وسلم التسعير ظلما على ما فهمه المحدثون لان فيه الزامه بيع سلعته بغير الارضاء وهو ينافي قوله تعالى الا أن تكون تجارة عن تراض منكم فبهذا تدرك الامام الشافعي رضي الله عنه وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله

وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم السوق لمن يتعهده فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيبعث عليهم من يمنعهم ان يبيعوه حتى يؤووه الى رحالهم وخرج مسلم نحوه وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض وقال أبو عمر بن عبد البر استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن سعيد بن العاص بن امية بعد الفتح على سوق مكة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف خرج معه وكان السائب بن يزيد عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم واستعمل عمر رضي الله تعالى عنه من النساء الشفاء على سوق المدينة وكان رضي الله تعالى عنه يقدمها في الرأي

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في هذا المعنى ترجمة سمراء بنت نهيك الاسدية وقال ادركت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر وكان عمر في الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويضرب الناس على ذلك بسوط معها

وأما المنادي الذي قال لصوته المرتفع أي الشديد فقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ (يعني البسر) يُنبذ في الماء فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة اخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة فقال بعض القوم قد قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وروى البخاري أيضاً عن زاهر الأسلمي وكان ممن شهد الشجرة قال إني لأوقد تحت القدور بلحوم الحمر إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة كذا وكذا فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في الناس إن من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له

وأما صاحب العسس في المدينة فقد كان ذلك أيضاً من عهد النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال سعد وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

وفي خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه تولى عمر بن الخطاب العسس فكان أول قاض في الإسلام الخليفة وتولى إمارة العسس عبد الله بن مسعود قيل له في أيام ولايته هذا فلان تقطر لحيته خمراً فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به وقيل إنه ولي ذلك في الوليد بن عقبة والعسس من الطواف بالليل للبحث عن أهل الريبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يتولى العسس بنفسه ويستصحب معه أسلم مولاه وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما

ومن أخباره فيما ذكره الثعلبي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما قال خرجت ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مغلق أي مغلق على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن أمية ابن خلف وهم الآن شرب فما ترى قال أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عز وجل عنه قال ولا تجسسوا فقد تجسسنا فانصرف وتركهم

ولا نعلم نصا صريحا في تولية حراسة أبواب المدينة في زمن الفرج في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنها تخرج من حديث حراسة سعد رضي الله عنه المتقدم وأما في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه فمن بيت هذه المسألة فقد ذكر أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب مشكل الصحيحين البخاري ومسلم في الكلام على مسند حديث أبي هريرة ما نصه كان طليحة بن خويلد قد ادعى النبوة في بني أسد وكان يقال له ذو النون واجتمعت عليه العرب وارسلوا وفودا أن يقيموا الصلاة ويعفوا عن الزكاة فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله توكل بهذا الأمر فهو ناصر من لزمه وخاذل من تركه وإنه بلغني أن وفودا من وفود العرب قدموا يعرضون الصلاة ويأبون الزكاة ألا إنهم لو منعوني عقالا (يعني صدقة عام قال أحدهم فقال هذا العام إذا أخذ صدقته وقيل أراد الحبل الذي كانت تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة) مما أعطوه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فرائضهم ما قبلته ألا برئت الذمة من رجل من هذه الوفود أخذ بعد يومه وليلته بالمدينة قال فوثبوا يتخطون رقاب الناس حتى ما بقي في المسجد منهم أحد ثم دعا نفرا فأمرهم أمره فأمر عليا بالقيام على نقب من أنقاب المدينة (قال ابن وهب يعني مداخل المدينة وهي أبوابها وفوهات طرقها التي يدخل منها إليها) وأمر الزبير بالقيام على نقب آخر وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر وأمر عبد الله ابن مسعود بعسس ما وراء ذلك بالليل والارتباء نهارا وجد في أمره وقام على ساق رضي الله عنهم فمن ذلك يؤخذ أن عبد الله بن مسعود كان صاحب العسس بالليل والارتباء أي المراقبة والتجسس بالنهار وأن ذلك كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولم يثبت صراحة في أن الربيئة لأهل المدينة في زمن الفرج كان معلوما من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يخرج من حديث سعد السابق وكان أيضا ولي المراقبة عمر عبد الله بن مسعود ومحمد بن مسلمة المقدم للجند وقد أضافه كان عبد الله بن مسعود ومحمد ابن مسلمة طوافين بالحوارس للحراسة ليلا والارتباء نهارا

وأما

وأما الحبس فهو موجود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم حبس الرجال والنساء فأما حبسه للرجال فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن بهز بنحوه وزاد ثم خلى عنه وقال حديث حسن قال بعضهم للأمير الحبس للمتهم للكشف والاستبراء ومدته غير مقدرة وذكر أبو عبد الله الزبيري من أصحاب الشافعي أن حبس الاستبراء والكشف مقدر بشهر واحد لا يتجاوزه وقال غيره هو غير مقدر بل موقوف على رأي الأمير واجتهاده وليس للقضاة حبس إلا بحق واجب وللأمير مراعاة شواهد الحال وأوصاف المتهم في قوة التهمة وضعفها فإن اتهم بسرقة وكان فيه آثار الضرب أو معه منقب قويت وبعدمه ضعفت وليس ذلك للقضاة

ويجوز للأمير مع قوة التهمة أن يضرب المتهم ضرب تعزير لا ضرب حد ليأخذه بالصدق عن حاله فيما قرف به أو اتهم فإن أقر وهو مضروب فيما اتهم فإن كان ضرب ليقر لم يكن له حكم وإن ضرب ليصدق فأقر بعد الضرب قطع ضربه واستعيد إقراره فإن عاده كان مأخوذا به دون الأول وإن اقتصر على الأول فله العمل بالإقرار الأول وإن كان كرها وهذا كله في أمير ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع فيصيب له التهمة في المرفوع إليه فيما غلب ظنه فيه واختار النووي عدم صحة إقرار المكره بالضرب على الصدق أو الإقرار قال وهو الذي يجب اعتقاده في هذه الأعصار ولا يغني من ذلك ما أخرجه أبو داود والنسائي رحمهما الله تعالى أن قوما من الكلاع بن مري سرق لهم متاع فاتهموا أناسا من الحاكة فأتوا بهم النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان فقال لهم إن شئتم ضربتهم فإن خرج متاعكم فذاك وإلا أخذت لهم من ظهوركم مثل ما أخذت من ظهورهم فقالوا هذا حكمك فقال هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والقضية في ترك امتحان السارق بالضرب عند عدم قيام القرائن الزكية وبالجملة فالأدلة على عقوبة المتهم بالحبس موجودة في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وفي أقواله وفي سياسة الخلفاء والملوك وقال بعضهم لأن يخطئ الحاكم في الحكم خير من أن يخطئ في العقوبة

قال ابن القيم ما علمت أحدا من المسلمين يقول إنه إذا رفع متهم بقطع طريق أو سرقة أو سفك دم وادعي عليه بهذه الدعاوى وما أشبهها يحلف ويرسل بلا حبس ولا غيره بل

(تتمة الاعتبار)

ليس تطبيقه وارساله مذهب الا احد من الائمة الاربعة ولا غيرهم فانا نوقن ان كل واحد منهم وممن يماثله لهم مع العلم بما فسد في الارض وكثرة الشر فيه وما الا يأخذ الا بما هو عدل كان مخالفا للسياسة الشرعية ومن ظن ان الشرع انما مضى بتطبيقه وارساله فقد غلط غلطا فاحشا

قال في تبصرة الحكام ما نصه اعلم ان السياسة نوعان ظالمة وعادلة فالسياسة الظالمة تحرمها الشريعة واما السياسة العادلة التي تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتردع أهل الفساد وتردع أهل العناد وتوصل الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب المصير اليها والاعتماد عليها في اظهار الحق وهي باب واسع تضل فيه الافهام وتزل فيه الاقدام واهماله يضيع حقوق العباد ويجري أهل الفساد والعناد والتوسع فيه يفتح أبواب الظلم وقد يفضي الى سفك الدم وأخذ الاموال بغير حق ولهذا كان الناس فيه على ثلاث طوائف طائفة سلكت المسلك المذموم فقطعت النظر عن هذا ا أن يناط به امر القواعد الشرعية فسدوا من طرق الحق سبلا واضحة وعدلوا الى طرق من الفساد فاضحة فانكروا السياسة الشرعية مع ان نصوص رد هذا الانكار كثيرة حسبما فعلها الخلفاء الراشدون وطائفة سلكت في السياسة الشرعية مسلك الافراط فتعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع الى أنواع من الظلم والبدع وركبوا في ذلك أنواعا كثيرة من القبائح بسبب ما غلب عليهم من الجهل والغلط الفاحش وطائفة توسطت فسلكت مسلك الحق حين علمت ان في السياسة الشرعية كمال الكمال لصلاح الامة كيف وقد قال عز من قائل اليوم أكملت لكم دينكم وقال عليه الصلاة والسلام ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي فتحرت في ذلك جادة الانصاف وتنكبت عن طرق الاعتساف والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وقال العلامة القرافي في الذخيرة قد علم انه ليس في التوسعة على الحكام في الاحكام السياسية مخالفة للادلة النقلية ولا للقواعد الشرعية بل في الادلة ما يشهد لذلك كما تشهد له القواعد الشرعية وهذا هو كلام صاحب الاحكام السلطانية ومن تبعه كما سبق انه ليس للقاضي أن يتكلم في السياسة وانه لا مدخل له فيها قال ابن القيم

وذلك من حيث إن عموم الآيات وخصوصها وجب تحكيمه بالشرع وما يستفيده المتولي بالولاية يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

وذكر محمد بن إسحاق في السير في خبر بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حبسهم بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم أرسالا انتهى

قال بعضهم إن المراد بالحبس تعويقه ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان ذلك المنع حاصلا في بيت أو مسجد أو غير ذلك وليس المراد به الحبس المعلوم الآن لأن ذلك لم يعهد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولو كان لنقل بل المراد تعويق الشخص من التصرف بنفسه وكان الأغلب وقوع ذلك بملازمة ذي الحق له بنفسه أو بنائبه فهذا ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافة عمر وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه فقال باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد والأسير هو المحبوس والغريم من عليه الدين أو نحوه وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس في المسجد إلى أن يقوم بما عليه من الحق ولما انتشرت الرعية في عهد عمر رضي الله عنه اتخذ سجنا قاله قوم وأول من اتخذه كما أنه أول من مصر الأمصار واتخذ العصا واتخذ الديوان وفرض الفرائض وعرف العرفاء فهو الذي سن هذه الأمور كلها ثم مضى على اتخاذ المرتضين من بعد عمر من الصحابة فمن بعدهم

وأما حبس النساء فقد ذكر ابن إسحاق في السير في خبر إسلام عدي بن حاتم وذكر فراره إلى الشام حين سمع بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وطأ الأدهم قال عدي فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل ديني من النصارى من الشام فسلكت الجوشية

وحلفت لا تجامعني في المجاعة فلما قدمت الشام أقمت بها وخالفني خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد وكانت السبايا يحبسن فيها انتهى والحوشية بالجيم والحاء المهملة اسم موضع للثمار والجباح وهي أرض لبني المغيرة والمخاصر الحي العظيم والحظيرة ما أحاط بالشيء وهي من قصب وخشب وقد ذكرنا ما جرى لها في الفصل الذي في ذكر إسلامه صلى الله عليه وسلم من الباب الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وكذلك كان الحبس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد ذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حبس الحطيئة في قوله للزبرقان بن بدر رضي الله عنه

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

بعد أن سأل حسان بن ثابت ولبيدا فقالا إنه هجاه ووضعه فأمر به فحبس فقال الحطيئة

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الإثر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم * من عرض داوية يعمى بها الخبر

فكلمه فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص واستوهباه فأخرجه من السجن وقوله في البيت * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي * أراد المكسو كما قال تعالى من ماء دافق أي مدفوق وعيشة راضية ولم يكن عمر رضي الله عنه يجهل معنى الهجاء في قول الحطيئة للزبرقان ولكن كره أن يتعرض لشأنه اعتمادا على فهمه

وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه أنه بنى بمدينة الكوفة سجنا سماه نافعا ولم يكن حصينا كما قاله البكري لم يكن فيه وثيق البناء وكان المحبوسون يخرجون منه فهدمه وبنى سجنا سماه مخيسا كما قال وفتحها يعني مخيس وبه الناس أي يذلون عليهم فيه وقيل إن مخيسا من الجناح واستعمله علي رضي الله تعالى عنه

ألا تراني كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

قال العلماء في المصاحف كم أن بعد الحبس يسمى له ان بعد طال من

في

في الحدود بأنها من العقوبات الا انه قد أخذ من قوله تعالى إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعبر به
تعالى بالعذاب وأما قسمة الحدود فكانت الحدود على قسمين إيجاب واستيفاء فكان
إيجاب الحدود مفوضا للقضاة وأما استيفاؤها أي اجراؤها فقد جعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقوم منهم علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الانصاري وولاية
الحدود من أشرف الولايات لانها على أشرف الاشياء وهي الابدان فلتصبه الناس
ورغبتهم بالتوبة أي مع كراهة قرابتهم وهذا هو مراض السلف الصالح صار
الزامهم بالدليل بتحمل هذه الولاية فيما يصدق به أديبا الناس وأحبابهم ومحمد بن
مسلمة المذكور ويكنى أبا عبد الرحمن كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا والمشاهد كلها
وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الاشرف وكان يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المدينة في بعض غزواته واعتزل الفتنة ولم يحارب في فتنة أصلا واتخذ سيفا من خشب
وجعله في جفن وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ولم يشهد الجمل ولا صفين
وأقام بالربذة وهي موضع خارج المدينة الى ان جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حمى لابل الصدقة فكان حماه بريدا في بريد ثم زادت الولاة في الحمى اضعافا وأبيحت
الاحماء في أيام المهدي العباسي ولم يحم بها أحد بعد ذلك ومات محمد بن مسلمة بالمدينة
ولم يستوطن غيرها ومات في صفر سنة ثلاث وأربعين سنة وهو ابن سبع وسبعين
سنة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير على المدينة وكان يقال له فارس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

(الباب الثامن في العمالات الجهادية وما يتشعب منها أو يتعلق بها وفيه فصول)

***(الفصل الاول في الامارة على الجهاد واستخلاف الامام على حضرته**
أي مدينته أو على أهله اذا خرج عنها للغزو أو غيره ذكر المستنفر)*

قد ولي الامارة على الجهاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في غزواته واكثر اهل السير
في ذلك ان غزواته بنفسه كانت سبعا وعشرين غزوة ومنهم من رأى انها تسع وعشرون
غزوة بانه قول الاول مبني على جعل منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر الى
وادي القرى غزوة واحدة والقول الثاني يجعل غزوة خيبر مفردة والمنصرف
الى وادي القرى غزوة أخرى غير خيبر فوقع النزاع في عدد الغزوات من هذا
الوجه لانه صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر انصرف منها الى وادي القرى من غير

أن يأتي المدينة وكان أشرف غزواته صلى الله عليه وسلم وأعظمها حرمة عند الله تعالى وعند رسوله والمسلمين غزوة بدر الكبرى حيث قتل الله صناديد قريش وأظهر دينه من يومئذ وليس في غزواته ما يعدلها في الفضل ويقرب منها إلا غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل الثاني من الباب الرابع من المقالة الخامسة

وأما نيته صلى الله عليه وسلم الأمر بالجهاد في سراياه وبعوثه فكانت سراياه كثيرة وأوصلها بعضهم إلى ست وخمسين سرية والسرية قطعة من الجيش ويقال خير السرايا أربعمائة وكان صلى الله عليه وسلم يستخلف على المدينة في كل غزوة غزاها من يقتبس استخلافه وقد ذكرنا فيما سبق من الغزوات من استخلفهم فقد استخلف في غزوة الأبواء على المدينة سعد بن عبادة واستخلف في غزوة بواط محمد بن مسلمة الأنصاري وقيل سباع بن عرفطة وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يستخلف على أهله في سفره فقد ذكر أرباب السير أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة مرجعه من عمرته لست بقين من ذي القعدة من سنة ثمان ثم أقام بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ إلى غزوة الروم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو ليتأهب الناس لذلك ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري وقيل سباع بن عرفطة وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه فأخذ علي بن أبي طالب سلاحه حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف وحكى ما قاله المنافقون فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع واخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره وقد تقدم ذكر ذلك في غزوة تبوك في الفصل التاسع من الباب الرابع من المقالة الخامسة

وأما البعث فهو من يطلب الإيعاز للسفر وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أن

ابن سفيان الخزاعي الكعبي مع بديل بن ام أصرم الى خزاعة يستنفرهم الى قتال اهل مكة عام الفتح وبعثه ايضا صلى الله عليه وسلم مع ابن سفيان الى مكة عينا على قريش فأخبره خبر قريش وجموعهم بالطريق

(الفصل الثاني في صاحب اللواء وذكر أول لواء عقد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وكانت قريش قد جعلت مائة من الابل لمن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم فيرده عليهم حين توجه الى المدينة فأقبل بريدة في سبعين راكبا من اهل بيته من بني سهم فلقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال أنا بريدة فالتفت الى ابي بكر فقال يا ابا بكر برد أمرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم قال سلمنا ثم قال ممن قال من بني سهم قال خرج سهمك فقال بريدة النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال محمد بن عبد الله ورسول الله قال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعا فلما ان أصبح قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء قال فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة انتهى

وروى البخاري عن عبد الله بن مسلم الاسلمي من اهل مرو قال سمعت عبد الله بن بريدة يقول مات والدي بمرو وقبره بالحصين (بكسر الجيم بعدها صاد مهملة مشددة وضع بمرو من خراسان) وهو قائد أهل المشرق ونورهم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل مات من اصحابي ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة

وممن حمل راية النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ابطالها أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقد ذكر أهل السير أن في غزوة خيبر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ودفع الراية الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكانت بيضاء ولما تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما افتتح انتهى الى حصنهم الوطيح وكان آخر حصون اهل خيبر افتتاحا لكن كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه برايته الى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث من الغد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله

أنس بن النضر وقد طار رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وهو أن قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل ثم قال هذا الراية فاقتص بها حتى يفتح الله على أن يخرج والله بها ام (أي لم ندر من شدة العسرة) بين الهرولة والنجاة ثم أثره حتى ركز الراية في رضم حجارة تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن وقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى انتهى

وممن حمل الراية الزبير بن العوام عام الفتح روى البخاري انه لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بكماله وفيه ثم جاءت كتيبة وهي أجل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم

ومنهم سعد بن معاذ رضي الله عنه قال أهل السير في أحد ان عمر ومقدار البكري انه كان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى وهي راية الانصار كانت مع سعد بن معاذ

ومنهم سعد بن عبادة قال ابن اسحاق في احد ان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل الزبير بعض الناس من كدا وسعد بن عبادة بعض الناس من ثنية كدى فزعم بعض أهل العلم ان سعدا قال حين دخل فيهم اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قال ابن هشام هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله ما نأمن سعد بن عبادة من أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية وكن أنت الذي تدخل بها وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الراية حين نزعها من يده لولده قيس وقيل اعطاها الزبير وقيل اعطاها لعلي والأقوى انه صلى الله عليه وسلم اعطاها لقيس بن سعد وقد روى البخاري ان قيس بن سعد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن عبد البر في الاستيعاب واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية إذ نزعها من ابيه لشكوى قريش يومئذ وكانت الراية يوم الفتح بيد سعد بن عبادة فلما مر بها على أبي سفيان وكان قد أسلم ابو سفيان قال سعد إذ نظر اليه اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا فأقبل رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا وقال اليوم يوم الملحمة * اليوم تستحل الحرمة * اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما إنا لا نأمن سعدا أن تكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا وقال ضرار بن الخطاب يومئذ

يا نبي الهدى إليك لجائي * حي قريش ولات حين لجاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر * بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ * رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشيء * غير سفك الدما وسبي النساء
إذ ينادي بذل حي قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللوا ونادى * يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخزرج * والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش * بقعة القاع في أكف الإماء
فانهينه فإنه أسد الأسد * لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمر * سكوتا كالحية الصماء

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ونزع اللواء من يده وجعله في يد قيس ابنه ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه وأبى سعد أن يسلم اللوا إلا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه بعمامته فعرفها سعد فدفع اللوا إلى ابنه قيس

وعن جابر رضي الله عنه قال خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد فنحر لهم تسع ركائب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من فعل قيس بن سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من شيمة أهل ذلك البيت ثم صحب قيس بن سعد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وشهد معه الجمل وصفين والنهروان هو وقومه ولم يفارقه حتى قتل وهو القائل في صفين

هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته * أن لا يكون له من غيرهم أحد

قوم إذا حاربوا طالت أكفهم * بالمشرفية حتى يفتح البلد

ولما صالح الحسن رضي الله عنه بالخلافة على معاوية خرج قيس بن سعد من عسكره وغضب على الحسن ونذره بقول خشن فاجتمع إليه قومه وكانوا خمسة آلاف فحلقوا رؤوسهم بعد ما مات علي رضي الله عنه وتبايعوا على الموت فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل وقال لأصحابه إن شئتم جالدت بكم أبدا وإن شئتم أخذت لكم أمانا فقالوا خذ لنا أمانا فأخذ أن لهم كذا وكذا وأن لا يعاقبوا وأني رجل منهم ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئا والتزم لهم معاوية الوفاء بما شرطوه ثم لزم قيس المدينة وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين في آخر خلافة معاوية

ومن أخباره في الكرم أن رجلا استقرض منه مالا ثم أتاه فلما ردها عليه أبى أن يقبلها وقال إنا لا نعود في شيء أعطيناه وكان له مال كثير فركبوا على الناس فمرض واستبطأ عواده فقيل له إنهم يستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادي من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه وتوفي أبوه عن حمل لم يعلم به وقد كان سعد قسم ماله حين خرج من المدينة بين ولده فكلم أبو بكر وعمر في ذلك قيسا رضي الله تعالى عنهم وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة فقال نصيبي للمولود ولا أغير ما صنع أبي ولا أنقضه وقصته مع العجوز التي شكت إليه أنه ليس في بيتها جرذ فقال لها ما أحسن ما سألت أما والله لأكثرن جرذان بيتك فملأ بيتها طعاما وودكا وإداما

وكان صلى الله عليه وسلم يعقد الرايات لأمراء الحروب والسرايا قال أهل السير أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد رجوعه من غزوة الأبواء بالمدينة بقية صفر وصدرا من ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة وبعث في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة المذكور وعقد له الراية فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام ثم انصرف القوم عن القوم قال ابن إسحاق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين

إذ ذاك من الألوية قبل أن يصل إلى المدينة وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص (اسم محل) في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال فلهذا قال إن راية حمزة كانت أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين وقد جمع بعض أهل السير بين القولين بأن بعث حمزة وبعث عبيدة كانا معا فاشتبه ذلك على الناس وقد ذكر ابن فتحون في ذيل الاستيعاب أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خرج في الردة ارروطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي القصة (موضع في طريق العراق من المدينة) وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته أخ للنعمان بن مقرن وعلى ساقته سويد بن مقرن ففتح الله تعالى له وللمسلمين في خروجه الفتوح والنصر

(الفصل الثالث في انقسام الخميس إلى خمسة أقسام)

ينقسم الخميس إلى خمسة أقسام مقدمة وميمنة أي مجنبة يمنى وتسمى الميمنة ومجنبة يسرى وتسمى الميسرة وقلب وساقة وبهذا سمي الخميس خميسا لانقسامه على خمسة أقسام وإنما سمي القلب قلبا لتوسطه وإحاطة سائر الأقسام به كتوسط قلب الإنسان في جسده أو لكون القلب في الجيش كان الرئيس الذي هو سيد الخميس وسمي الجناحان بذلك لإحاطتهما بالقلب من الجانبين وسميت المقدمة مقدمة لتقدمها وأما الساقة فإنها مأخوذة من قولهم ساق الشيء وقادمه من بابه وساقة العسكر آخره وقلب الخميس محل الإمام وقد يتقدم الإمام يوم لقاء العدو فيكون في قلب الخميس رجلا ويلبس الإمام لأمته ويلبس هو لأمة الإمام أي آلة حربه حياطة على الإمام كما فعل ذلك كعب بن مالك ابن أبي مالك السلمي رضي الله تعالى عنه يوم أحد حيث لبس لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فجرح كعب بن مالك أحد عشر جرحا

وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمى صاحبه فيقال صاحب المقدمة وقد ولي صاحب المقدمة من قبله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أبو عبيدة بن الجراح ويوم حنين

خالد بن الوليد بني سليم وخرج يومئذ فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحله بعد ما هزمت هوازن ليعرف خبره ويعوده فنفث في جرحه فانطلق

وأما المقدمة على الميمنة فقد روى أبو هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي (والبياذقة هم الحشد الرجالة ويسمون الآن بيادة) وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب وقد تقدم في غزوة فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه أمر الزبير بن العوّام أن يدخل في بعض الناس من كداء وكان الزبير على المجنبة اليسرى وأما المقدّم على الساقة فقد قال ابن إسحاق في السير في خبر غزوة بدر الكبرى وكانت في السنة الثانية من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من رمضان في أصحابه وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار

وفي غزوة أحد كان المقدم على الرماة كما رواه البخاري عن البراء بن عازب عبد الله ابن جبير وكانوا خمسين رجلا وهو أخو بني عمرو بن عوف وكان يومئذ معلما بثياب بيض فقال له صلى الله عليه وسلم انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لنؤتين من قبلك وعبد الله بن جبير هو ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد عبد الله العقبة ثم شهد بدرا واستشهد يوم أحد وكان يومئذ أميرا على الرماة وممن كان في الصحابة معدودا من الرماة أبو طلحة الأنصاري النجاري وكان ممن يضرب بشجاعته الأمثال وكان أكثر الأنصار مالا واسمه زيد شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

وعن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على قوله انفروا خفافا وثقالا فقال لا أرى ربنا إلا أن يستنفرنا شبانا وشيوخا يا بني جهزوني جهزوني (وكانت الغزوات في صدر الإسلام فريضة واجبة ومحتّمة) فقالوا له يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فقال لا جهزوني فركب البحر فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها وهو لم يتغير وهذا رأي أهل البصرة والمعلوم عند غيرهم أنه توفي بالمدينة وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان وعن أنس بن مالك كان أبو طلحة

يحو

يجثو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء ثم ينثر كنانته بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من قتل قتيلا فله سلبه فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم

وكان على الناس في يوم القادسية سعد بن أبي وقاص وكان به جراح فلم يشهد الحرب واستخلف خالد بن عرفطة ففتح الله على المسلمين فقال رجل من بجيلة

ألم تر أن الله أظهر دينه * وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفنا يده ولسانه وكان سعد فتح القادسية وغيرها وهو الذي عمر الكوفة ونفى الأعاجم منها وتوفي سنة خمس وخمسين من الهجرة وهو آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا في زمن معاوية

(الفصل الرابع في صاحب الخيل والمسابقة)

أمر سبحانه وتعالى بارتباط الخيل وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل في سبيل الله ونظر عليها من يخصها قال الله عز وجل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع (الخيل) والسلاح عدة في سبيل الله وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفراس كثيرة خاصة به [illegible] والجم [illegible] فيه جملة من غيرها وذكر ابن إسحاق في غزوة بني قريظة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل رضي الله تعالى عنه بسبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا وكان صلى الله عليه وسلم أذن لمن ركبها من الصحابة بالمسابقة فقد جاء أن سهل بن سعد الساعدي سابق على فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه صلى الله عليه وسلم بردا يمانيا وأن أبا أسيد (بضم الهمزة) الساعدي سابق على فرس فلما طلع الفرس جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه واطلع من الطاق (أي الجانب العالي) أو قال كأنه بحر وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أجرى فرسه مع خيول المسلمين من الحصباء بمكة فجاء فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقا فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه حتى اذا مر به قال انه لبحر فقال عمر رضي الله عنه الحطيئة كذبت حيث يقول

وإن جياد الخيل لا تستفزنا * ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

لو كان أحد صابرا عن الخيل لكان أحقهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عن موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي قد أضمرت فأرسلها من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع قال أبو إسحاق فقلت لموسى وكم بين ذلك قال ستة أميال أو سبعة وكان ابن عمر ممن سابق فيها

وقد اتخذ عمر رضي الله عنه الخيل عدة في سبيل الله عز وجل في كل مصر على قدره ولا من فضول أموال المسلمين عدة لما يعرض فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سواقها ويجريها في كل يوم وحمل بالبصرة نحوا منها وقيمه عليها جزء بن معاوية التميمي وفي كل مصر من الأمصار على قدره وذكر ابن عبد البر في أخبار معاوية بن أبي سفيان انه أول من قيدت بين يديه الجنائب

وأما الإسراج فكان لسرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرسه سرج رفيق من ليف ليس فيه أشر ولا بطر كما روي عن أبي عبد الرحمن الفهري رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين فسرنا في يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاط فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله قد حان الرواح فقال أجل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال لبيك وسعديك وأنا فداؤك قال أسرج لي فرسي فأتاه بسرج دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب فرسه ثم سرنا وفي رواية فأخرج سرجا دفتاه من ليف ليس فيه أشر ولا بطر وكان بعض الصحابة يأخذ بركابه صلى الله عليه وسلم فاقتدى به بعض من الصحابة في ذلك يروى أن زيد بن ثابت صلى على جنازة أمه ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نعمل بالعلماء فقبل زيد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا

وأول من ضرب الركاب من الحديد في الاسلام وكانت ركب الناس قديما من خشب يضرب الفارس ركابه فينقطع المهلب فهو أول من أمر بطبعها والاقائد راحلته وبغلته صلى الله عليه وسلم فأسامة وبلال وكان صاحب بغلته أيضا عقبة بن عامر الجهني وقد روى ابو داود رحمه الله تعالى عن أم الحصين قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيت اسامة وبلالا احدهما آخذ بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وقائد الناقة يسمى صاحب الراحلة وقائد البغلة يسمى صاحب البغلة

(الفصل الخامس)

(في ذكر سلاح النبي صلى الله عليه وسلم وإعداده السلاح في سبيل الله)

(وذكر من تولى النظر في ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم)

(وسمي صاحب السلاح وذكر من تولى حرسه)

روى مسلم عن عمر رضي الله تعالى عنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل انتهى وفي المهمات المال المأخوذ من الكفار ينقسم الى ما يحصل من غير قتال وايجاف خيل وركاب والى ما حصل بذلك ويسمى الاول فيئا والثاني غنيمة وقد قدمنا ذكره ابن اسحاق رحمه الله من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني عبد الاشهل رضي الله عنه بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا ثم ان السلاح اسم جامع لآلة الحرب وخصه بعضهم بما كان من الحديد وخصه بعضهم بالسيف والاول هو المشهور وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف مأثور وهو أول سيف ورثه من أبيه والعضب وذو الفقار بكسر الفاء وفتحها وذو الفقار وهو الذي رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا كان في ذبابه ثلمة وأولها تنبيه فكانت يوم أحد وكان ذو الفقار لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم وكان محلى بالفضة وبلا ثة أسياف أصابها صلى الله عليه وسلم من بني قينقاع وهي القلعي والبتار

والمغفر وكان عنده بعد ذلك الزغوب والمحرم والقضيب وقد روى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى بيضته ذهب وفضة

وذكر ابن اسحاق في السيرة في خبر غزوة ذات الرقاع عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رجلا من بني محارب يقال له غورث (على وزن كوثر) قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به فأقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره قال يا محمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فكبته الله عز وجل ثم قال يا محمد أما تخافني قال ما أخاف منك قال أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك ثم عمد الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ويطلق لقب السياف على الحمر السياف الذي يقوم على رأس الأمير بقصد حراسته كالضحاك بن سفيان بن عوف ابن كعب بن أبي بكر الكلابي ويكنى أبا سعيد كان معدودا في أهل المدينة وكان أحد الأبطال يقوم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه وكان يعد وحده بمائة فارس وكان سياف رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على رأسه متوشحا سيفه وتقدم في الفصل الأول ذكر أبي طلحة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوه به بقوله صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة

وروى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلا من أصحابي يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر سعد بن معاذ وذكوان بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما على باب العريش الذي بني له صلى الله عليه وسلم وكان معه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ويوم أحد حرسه محمد بن مسلمة الانصاري وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص وعباد بن بشر وحرسها له بخيبر أبو أيوب الانصاري وحرسه بلال بوادي القرى فلما أنزل الله تعالى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حربة من الخمس فاستقبل بها دبرنا ثم قال ساعة الوحي ثم بعثهم بها أمر أصحابه فقال سددوا بكتاب الفرقة وقل الله بها

من

من قتل منهم إذ ذاك وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ رضي الله عنه على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا السيف في نفر من الأنصار رضي الله تعالى عنهم يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخافون عليه كرة العدو وحرسه صلى الله عليه وسلم حين أعرس بصفية رضي الله تعالى عنها بخيبر أو ببعض الطريق أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أخذ السيف وجعل يطوف به حول القبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مكانه قال ما لك يا أبا أيوب قال خفت عليك من هذه المرأة وأنت قد قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني وحرسه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالحجر عمر بن الخطاب فقد ذكر الدارقطني أن عمر بن الخطاب وقف على رأسه بالسيف حتى يصلي

قال ابن عطية في كتاب الوجيز في تفسير الكتاب العزيز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاقبه أصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا أيها الناس الحقوا بملاحقكم فإن الله قد عصمني وذكر الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى والله يعصمك من الناس عن أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس

ومن آلات الحرب في زمنه صلى الله عليه وسلم الرماح والحراب والعنزات روى البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري وكان له صلى الله عليه وسلم خمسة رماح ثلاثة أصابها من بني قينقاع ورمح يقال له المثوي من الثوي وهو الإقامة أي أن المطعون به مقيم مكانه وكانت له صلى الله عليه وسلم حربة يقال لها النبعة وحربة كبيرة اسمها البيضاء وحربة صغيرة دون الرمح يقال لها العنزة يدعم عليها ويمشي بها وهي في يده وكانت تحمل بين يديه في العيد حتى تركز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها قيل إنه أخذها من الزبير بن العوام وأخذها الزبير من النجاشي وكانت له عنزة أخرى

وفي النور في أخبار يوم أحد ذكر ابن إسحاق قال لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين أنت يا محمد لا نجوت إن نجوت فقال

القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ أي تدحرج منها عن فرسه مرارا فقال قتلني والله محمد وإنه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة والحربة للنبي صلى الله عليه وسلم لا للحارث بن الصمة فإنه كان حاملها فقط

وأما القسي والجعاب فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ست قسي الزوراء والروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط وقوس من نبع أيضا تسمى الكتوم لانخفاض صوتها إذا رمي بها وقد انكسرت يوم أحد فأخذها قتادة بن النعمان وقوس من نبع أيضا تدعى السداد وكانت له صلى الله عليه وسلم جعبة أي كنانة تسمى الجمع وتسمى الكافور وكان له صلى الله عليه وسلم من الدروع سبع منها ذات الفضول وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله صلى الله عليه وسلم وقيل كان من جملة دروعه درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وتسمى السعدية وكان في غزوة خيبر عليه ذات الفضول والسعدية وكان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة والإبزيم من فضة كان يشدها في وسطه وكان له عليه الصلاة والسلام بيضة ومغفر فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج يوم أحد كسرت رباعيته وكسرت البيضة التي على رأسه وورد أيضا أنه كان له صلى الله عليه وسلم مغفر من حديد يقال له الموشح ومغفر آخر يقال له السبوغ وهو الذي كان على رأسه حين دخل مكة يوم الفتح والمغفر ما يجعل من الزرد على الرأس مثل القلنسوة أو الخمار وكان له صلى الله عليه وسلم ترس يقال له الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وأهدي له ترس فيه تمثال عقاب أو كبش فوضع يده عليها فأذهب الله ذلك التمثال وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال كان أبو طلحة رضي الله عنه يتترس مع النبي صلى الله عليه وسلم بترس واحد

(الفصل السادس)

(في ذكر ما يتعلق بالسفر الشريف وغيره من الدلالة وسيرة الطريق والحراسة والحبس ونحوه مثل الأعداء والإنابة على الحرم)

لما هاجر صلى الله عليه وسلم اتخذ دليلا هاديا خريتا أعني حاذقا فقد روى البخاري عن عائشة

عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل هاديا خريتا وهو على دين كفار قريش فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما وقال ابن إسحاق في السيرة استأجرا عبد الله ابن أرقط رجلا من بني الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما وقال ابن إسحاق في السيرة في خبر يوم أحد ومضى صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة ثم قال لأصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة من بني حارثة بن الحارث أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ودل له صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية ناجية الأسلمي أحد أصحابه معدود في أهل المدينة وكان اسمه ذكوان فسماه صلى الله عليه وسلم ناجية إذ نجا من قريش وهو الذي نزل في البئر يوم الحديبية ومات في خلافة معاوية بالمدينة

وأما سهل الطريق فقد بعث صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في ستين راكبا إلى بني الملوح بالكديد موضع بين مكة والمدينة وكانوا قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد وأمره أن يغير عليهم ففعل وهو الذي بعثه صلى الله عليه وسلم عام الفتح يسهل له الطريق وأما الحراسة فمن حرسه صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص وكان يقال له فارس الإسلام وسعد بن معاذ وقد تقدم الكلام عليهما في الفصل الخامس وأما حرس عسكره صلى الله عليه وسلم فقد قال ابن إسحاق في السيرة حدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فأصاب رجل امرأة من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها وكان غائبا فلما أخبر الخبر حلف أن لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل صلى الله عليه وسلم منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا نحن يا رسول الله قال فكونوا بفم الشعب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي والرجلان عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره قال بل اكفني أوله فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة

القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه ووضعه وثبت قائما
وفي الثالثة ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت فوثب فلما رآهما الرجل عرف انه قد انذر به فهرب ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان
الله افلا أهببتني اول مارماك قال كنت في سورة اقرؤها فلم احب أن اقطعها حتى أنفدها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا ان اضيع ثغرا امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن اقطعها او انفدها
وأما التحسس فهو ما يسمى بالريدة وهو الرجل الذي يصدق ملاقاة العدو عيانا ويبحث
عن بواطن الامور ويكتب باخبارهم الى الامام والتحسس للاخبار مما يحتاج اليه أن
يحرص ان يحص عن الاخبار بنفسه ويحكم أن يحص عما يستره ويحاطب ويتحسسوا
ولا تجسسوا وسنه ما يتحرى بالحرب ووطنه ويحرى العدو وسد طه وسد بعهله باموره
سابعة من السنن الاول ما روى عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسبسه (وقال له بسبس وبسبسه ابن عمرو الجهني) عينا ينظر
ما صنعت عير أبي سفيان فجاء وما في البيت احد غيري وغير رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا
فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال لا الا من كان ظهره
حاضرا وفي غزوة بدر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبس وعدي بن ابي الزغباء
الجهني الى بدر يتحسسان له الاخبار عن ابي سفيان بن حرب وغيره وقال الواقدي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة الى بدر طلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما الى طريق الشام يتحسسان الاخبار
فقدما يوم وقعة بدر فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما وأجورهما
وذكر ابن اسحاق في غزوة الخندق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حذيفة بن
اليمان لينظر ما فعل القوم بعد ما تفرقوا وغطفان وذكر ابن عقبة في غزوة الاسد قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث نفرين من اسلم ابن الخزاعي من الى قريش الى مكة
وسيد الحديبية وقال ابن اسحاق في أخبار غزوة حنين لما سمعت هوازن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وما فتح الله تعالى عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري
فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من

بني

بني هلال وهم كلاب ولم يشهدها من قيس إلا هؤلاء ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حدرد حتى دخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الشيء الأول التجسس فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في أخبار العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر أسلم العباس قبل فتح خيبر وقيل إن إسلامه كان قبل بدر وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مقامك بمكة خير فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنما أخرج كارها يشير بذلك صلى الله عليه وسلم إلى أن العباس كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر فإنه أخرج منها مكرها فأسر فيمن أسر منهم وكانوا قد شدوا وثاقهم وسهر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم فقال له بعض أصحابه ما أسهرك يا نبي الله قال أسهر لأنين العباس فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي لا أسمع أنين العباس فقال الرجل أنا أرخيت من وثاقه فقال صلى الله عليه وسلم فافعل ذلك بالأسرى كلهم وقد أسلم قبل فتح خيبر وكتم إسلامه وكان يسره ما يسر المسلمين ويفرح بما فتح الله عليهم ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان المسلمون يتقوون بمكة به وكان يحب أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه إن مقامك بمكة خير وحضر العباس مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة يشترط له على الأنصار وكان على دين قومه يومئذ وانهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين غيره وغير عمر وعلي وأبو سفيان بن الحارث وقد قيل غير تسعة من أهل بيته

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه ويجله ويقول هذا عمي وصنو أبي ويروى عن العتبي أن العباس بن عبد المطلب لم يمر بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يجوز العباس إجلالا له ويقولان عم النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي العباس بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب وقيل بل في رمضان سنة اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان بسنتين وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان أو سبع وثمانين سنة أدرك الإسلام [illegible] في الجاهلية ويشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أجود قريش كفا وأوصلها

ومن السبب الثاني التخذيل فقد قال ابن حزم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم بن
مسعود بن عامر الأشجعي ليثبط جموع الأحزاب وبني قريظة وذلك أنه هاجر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأسلم في الخندق قال ابن إسحاق ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا
بإسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت فينا رجل
واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني
قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة
ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم
البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن
قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم
ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى
تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معكم محمدا حتى
تناجزوه قالوا لقد أشرت بالرأي ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من
رجالهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه قد بلغني أمر رأيت علي حقا أن أبلغكموه
نصحا لكم فاكتموه عني قالوا نفعل قال تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم
وبين محمد وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين
من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك
على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا
فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان إنكم
أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم
قال فاكتموا عني قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما
كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل
أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش
وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز
محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا

وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلًا واحدًا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل في بلدنا فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا فأبوا عليهم وخذل الله تعالى بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلًا لينظر ما فعل القوم فحدث حذيفة رضي الله تعالى عنه وقد قال له رجل من أهل الكوفة يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الرجل والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا قال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت من أنت فقال فلان ابن فلان وذكر بعضهم أنه فعل ذلك بمن على جانبيه يمينًا ويسارًا قال وبدرهم بالمسألة خشية أن يفطن له قال حذيفة ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف

واطفئت نارهم وقدورهم وبلغ ساعتهم الذي ذكره ولقد تأمن شدة الريح صاروا وما تطمئن لهم قدر ولا تقوم لهم نار ولا يستمسك لهم بناء فارتحلوا فأتى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني الى رحله وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين (أي اسرعوا) الى بلادهم ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون معه

واما الامانة على الحرم فقد كان صلى الله عليه وسلم في أسفاره ينصب أمينا على حرمه فقد ذكر في الاستيعاب قال قال الزبير بن بكار كان عبد الله بن عوف رضي الله عنه أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الارض وفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حج عمر رضي الله تعالى عنه واستأذنه ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فأذن لهن فخرجن في الهوادج وعليهن الطيالسة (الطيلسان نوع من الاكسية) وكان أمامهن عبد الرحمن بن عوف ووراءهن عثمان بن عفان فكانا لا يدعان احدا يدنو منهن وكان عبد الرحمن بن عوف اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ولد بعد الفيل بعشر سنين واسلم قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان من المهاجرين الاولين جمع الهجرتين جميعا هاجر الى ارض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل وعممه بيده وسدلها من خلفه وقال له سر بسم الله واوصاه بوصايا لامراء سراياه وهو احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفره وكان عبد الرحمن بن عوف تاجرا مجدودا في التجارة وكسب مالا كثيرا وخلف الف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع وكان يزرع في الجرف الذي هو عبارة عن محل على ميل من المدينة على عشرين ناضحا وكان يدخل منه قوت اهله سنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت دخل علي عبد الرحمن بن عوف فقال يا امه

قد خشيت أن يهلكني كثرة مالي أنا أكثر قريش كلهم مالا قالت يا بني تصدق فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه فخرج عبد الرحمن فلقي عمر رضي الله تعالى عنهما فأخبره فأتى أم سلمة فجاء عمر ودخل عليها فقال بالله منهم أنا قالت لا ولن أقول لأحد بعدك توفي عبد الرحمن بن عوف بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة إحدى وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين سنة وروي عنه أنه في يوم واحد أعتق ثلاثين عبدا

(الفصل السابع)

(في صاحب الثقل بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه)

كان يتولى ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كركرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة غلها وكان أيضا على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم أبو رافع رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبطيا وأسلم قبل بدر ولم يشهدها لأنه كان مقيما بمكة وشهد أحدا والخندق وما بعدهما من المشاهد وقيل كان للعباس رضي الله تعالى عنه فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما أسلم العباس بشر أبو رافع بإسلامه النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وزوجه سلمى مولاته وولدت له عبد الله بن أبي رافع الذي كان كاتبا لعلي كرم الله وجهه وقد روى مسلم عن سليمان عن أبي رافع وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بالأبطح حين خرج من منى ولكني جئت فضربت قبته فجاء فنزل قال أبو محمد بن حزم في كتابه في حجة الوداع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة بن زيد إنه ينزل غدا بالمحصب خيف بني كنانة وهو المكان الذي ضرب فيه أبو رافع قبته وفاقا من الله عز وجل دون أن يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله أين تنزل غدا فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا ثم قال نحن نازلون غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة المحصب حيث قاسمت قريش على الكفر

وأبو أسامة هو زيد بن حارثة بن شراحيل كان مسبيا في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام

لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبناه بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشر سنين وقيل بعشرين سنة وطاف به حين تبناه على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا يشهدهم على ذلك وقال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال خرجت سعدى بنت ثعلبة أم زيد بن حارثة وهي امرأة من بني معن تزور قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وقال أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده أبياتا وقد ذكرناها في تعداد زيد في مواليه صلى الله عليه وسلم في الفصل الرابع من الباب الخامس من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وآخر الأبيات هذا البيت

فأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيدا ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويزيد كان أخا زيد لأمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي

أحن إلى قومي وإن كنت نائيا * فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كابرا بعد كابر

وقد تقدم ذكر هذه الأبيات أيضا فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه وبقية خبره في الفصل الثاني المذكور

(الفصل الثامن في مواد المحاصرات كالمنجنيق والدبابات والخنادق)

المنجنيق بكسر الميم وفتحها وهو الذي يرمى به الحجارة وبعض العرب يسميه المنجنوق قال ابن إسحاق حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف بضعا وعشرين ليلة ورماهم بالمنجنيق والطائف وادي وج على يومين من مكة بني به بعض العرب حائطا يحتمي به وقاية من إغارة العرب قال أمية بن الصلت

نحن

نحن بنينا طائفا حصينا * نقارع الأبطال عن بنينا

وقال ابن الأثير في كتابه الكامل نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منجنيقا على أهل الطائف أشار به سلمان الفارسي فرسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق على أهل الطائف

وأما الدبابات فواحدتها دبابة آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار لنقبها وهي تتخذ من خشب تغلف من جلود الإبل والبقر وأول دبابة صنعت في الإسلام على الطائف حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق في قصة حصار الطائف حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد (قطع حديد كسكة المحراث محددة) محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا

ومن مكائد الحرب قطع أشجار العدو وتحريقها فقد روى مسلم عن نافع عن عبد الله ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير زاد بعض الرواة فأنزل الله عز وجل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين وقال ابن إسحاق في السير أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس يقطعون

وأما حفر الخندق فقد ذكر ابن إسحاق في السير نفر اليهود الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما سمع بهم وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون ويروى أنه صلى الله عليه وسلم خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال ابن إسحاق وحدثت عن سلمان الفارسي قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول (أي الفأس الذي تكسر به الحجارة) من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به الثانية فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب الثالثة

فلمحت برقة أخرى فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قلت نعم قال أما الأولى فان الله فتح علي بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق وروى النسائي عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحفر الخندق وعرض لنا فيه حجر لا تأخذه المعول فاشتكينا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى ثوبه وأخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة قال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الآن مكاني هذا ثم ضرب أخرى وكسر ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر صنعاء وقد تقدم ذلك في غزوة الخندق قال ابن اسحاق وأهل فارس من فرس تعقبتهم حيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها قال ابن هشام ان سلمان رضي الله عنه أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأول من ضرب الخندق في الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة

(الفصل الرابع في صاحب المقام)

تقدم في الفصل الثاني من الباب السابع الكلام على في حصر وقعة يوم الآن مذكرا المقام ومن كان عليها في بعض الغزوات كان على مقام النبي صلى الله عليه وسلم أبو اليسر كعب بن عمرو وبن زيد الانصاري ويروى انه كان عليها أبو نصر ابو حبر فعند قال عبد الله بن مغفل المزني رضي الله تعالى عنه أصبت في في خيبر جراب شحم فاحتملته على عنقي الى رحلي وأصحابي فلقيني صاحب المقام الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين قلت لا والله لا أعطيكه فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المقام لا أبا لك خل بينه وبينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه انتهى ولم يذكر اسم صاحب المقام واعمار وى عن وهب بن منبه بنت بعض

رجل

رجلاً من قريش قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر جاع بعض الناس فانتقوا أعصاباً من حصونها فأخذ رجل من المسلمين جراب شحم فبصر به صاحب المغانم وهو كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري فأخذه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل بينه وبين جرابه فذهب به إلى أصحابه اهـ ففيه تصريح بأن صاحبه كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري

وممن كان على المغانم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي وهو والد معاوية ويزيد وعتبة وإخوتهم وكان من أشراف قريش في الجاهلية أسلم يوم الفتح وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أتى به العباس وقد أردفه خلفه يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان أما تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً فقال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس رضي الله تعالى عنه ويلك اشهد شهادة الحق قبل أن يضرب عنقك فشهد وأسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً وأعطاه من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال رضي الله تعالى عنه واختلف في حسن إسلامه فطائفة تروي أنه لما أسلم حسن إسلامه وروي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال رأيت أبا سفيان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل وهو يقول يا نصر الله اقترب وطائفة تروي أنه كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة وروي عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان رضي الله تعالى عنه حين صارت الخلافة إليه فقال صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل قال أبو عمر وله أخبار من نحو هذا ردية ذكرها أهل الأخبار وحديث سعيد بن المسيب يدل على صحة إسلامه والذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أبا سفيان على المغانم هو سعيد بن المسيب قال إن النبي صلى الله عليه وسلم سبى يومئذ ستة آلاف بين امرأة وغلام فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وقال القاضي محمد بن سلامة

العاصمي في كتاب الأنساب كان نهاية من السبايا ستة آلاف ومن الإبل والغنم ما لا يدرى عدده وذكر ابن حزم في الجماهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي على النفل (بفتح الفاء أي الغنيمة وجمعه الأنفال) يوم حنين وذكر ابن الأثير في الكامل في أخبار يوم حنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة (وهي ما بين الطائف ومكة) وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي انتهى

وبالجعرانة قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم وقال ابن إسحاق في السيرة كان على المغانم يوم حنين مسعود بن عمرو الغفاري وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم ووقع اختلاف بين أرباب السير في صاحب الغنائم يوم حنين قال أبو عمر وذكر البخاري بسنده عن بديل بن ورقاء أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه فقط انتهى ولعل كلا ممن ذكر تولى ولاية صاحب المغانم

وأما صاحب المغانم فولي جمع ما احتيج إلى قسمه منها فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية عن مالك رضي الله تعالى عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم السعدين يوم حنين أن يبيعا آنية من المغانم من ذهب أو فضة فباعا كل ثلاثة بأربعة عينا أو كل أربعة بثلاثة عينا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أربيتما فردا والسعدان هما سعد بن أبي وقاص وسعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبيعا الآنية إلا بعدل

* (الفصل العاشر في السفير الذي يبعث للبشارة بالفتح) *

قال ابن إسحاق في أخبار يوم بدر ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة والعالية ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها والسافلة ما كان من القرى والعمائر من جهة تهامة قال ابن إسحاق ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة حتى إذا كان بالروحاء (مكان بينه وبين المدينة أربعون ميلا) لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين

* (الفصل

(الفصل الحادي عشر)

(في ذكر ما اشتهر من السفن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم)
(وفي إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أمته يركبون البحر)
(غزاة في سبيل الله)

السفن التي كانت مستعملة في زمنه صلى الله عليه وسلم منها سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ومنها سفينة الأشعريين وهاتان السفينتان مشهورتان ومنها سفن غير معينة فأما سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال الواقدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه في سنة ست الى النجاشي يدعوه الى الاسلام وأسلم النجاشي وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ويبعث بها اليه ويحمل من عنده من المسلمين ففعل انتهى

قال ابن اسحاق في السير كان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري وحملهم في سفينتين فقدم عليه بهم وهو بخيبر بعد الحديبية ستة عشر رجلا منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعقبا هم وذكر معهم من أبنائهم ونسائهم عشرة قال وقد كان حمل معهم النجاشي في السفينتين نساء من هلك هنالك من المسلمين وعن الشعبي ان جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي موسى الأشعري قال بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين اليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم إما قال في بضع وإما قال في ثلاث وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فقال جعفر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا ها هنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال فأعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم انتهى

(نهاية الامصار)

وقال ابن سعد عن الواقدي أسانيده وكان أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي وكتب اليه كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام ويتلو عليه القرآن فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ونزل عن سريره الى الارض تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت أستطيع ان آتيه لأتيته وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابته وتصديقه واسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت قد هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الاسدي فتنصر هناك ومات وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب ان يبعث اليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم ففعل وزوجه أم حبيبة وأصدقها عنه أربعمائة دينار وأمر بجهاز المسلمين بما يصلحهم وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها ولما بلغه وقعة بدر سر وقعد على الارض وعليه خلقان وبعث الى جعفر وقال نصر الله محمدا ببدر وانما جلست على الارض ولبست الخلقان لان في الانجيل ان على العباد حقا ان يحدثوا لله تواضعا عندما يحدث بهم من النعم وروي انه لما قدم وفد أصحاب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك فقال انهم كانوا يكرمون أصحابي فأحب ان أكافئهم وقد تقدم ذلك

واما السمك العير الميتة فروى مالك رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته

وأما اجازة النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أمته يركبون البحر غزاة في سبيل الله فقد روى مالك في الموطأ عن اسحاق بن عبد الله رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب الى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان رضي الله تعالى عنها (هي احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة كما قال ابن وهب وقال غيره كانت خالة لابي النبي صلى الله عليه وسلم أو لجده

لان

لأن أم عبد المطلب كانت من بني النجار) فقطعه وكانت أم حرام تحت عبادة بن
الصامت رضي الله تعالى عنه فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأطعمته
وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك فقالت
ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا
البحر (أي ظهره) ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة يشك إسحاق قالت
فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقلت
يا رسول الله ما يضحكك قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج
هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة كما قال في الأولى فقلت يا رسول
الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمن معاوية
ابن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فقربت لها دابة لتركبها
فصرعتها فماتت فدفنت في موضعها ذلك في إمارة معاوية وخلافة عثمان رضي الله
عنهم وقال ان معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه ومعه امرأته فاختة بنت قرظة فهي
فأول من ركب البحر غازيا في سبيل الله أهل هذه الغزاة التي ركبت فيها أم حرام
لقول النبي صلى الله عليه وسلم لها أنت من الأولين والتنبيه بذلك من معجزات النبوة
ومن بعده صلى الله عليه وسلم صارت الغزوات البحرية وسيلة عظيمة لفتح الجزائر والبلاد
البعيدة وسائر الثغور البحرية

(الباب التاسع)

(في العمالات الجبائية وفيه فصول)

(الفصل الأول)

(في صاحب الجزية وصاحب الأعشار والترجمان ومستوفي خراج الأرض وصاحب
المساحة والعامل على الزكاة والصدقات والخارص)

قال الشافعي رضي الله تعالى عنه صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران
على الجزية وفيهم عرب وعجم وصالح ذمة اليمن على الجزية وفيهم عرب وعجم وذكر
ابن عبد البر في التمهيد عن ابن شهاب قال أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل

نجران وكانوا نصارى ثم نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوسا والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة من الخراج المحمول على رؤسهم

وأما من تولى الجزية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم أبو عبيدة بن الجراح الفهرى فقد روى عن عبد الله بن مسعود أن العاقب والسيد صاحبى نجران أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا أن يلاعناه فقال أحدهما لا تلاعنه والله لئن كان نبيا ولاعنا لا نفلح ولا عقبنا من بعدنا ثم قالا له نعطيك ما سألتنا فابعث معنا رجلا أمينا حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قفى قال أمين هذه الامة وذكر ابن عطية ان أهل نجران لما أبوا أن يباهلوه صلى الله عليه وسلم قال لهم أسلموا فان أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فان أبيتم فانى قد نبذت اليكم على سواء فقالوا لا طاقة لنا بحرب ولكنا نؤدى الجزية قال فجعل عليهم فى كل سنة ألفى حلة ألفا فى رجب وألفا فى صفر وطلبوا منه رجلا أمينا يحكم بينهم فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه وروى البخارى عن عمرو بن عوف الانصارى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح الى البحرين يأتى بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى فقدم أبو عبيدة بمال البحرين عليهم

ومن تولى الجزية فى زمنه صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الانصارى فقد روى أبو داود عن معاذ رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم يعنى محتلما دينارا أو عدله من المعافرى ثياب باليمن المنسوبة الى قرية باليمن يعنى معافر بفتح الميم

واما صاحب الاعشار وهى العشور التى تؤخذ من أهل الذمة اذا نزلوا تجارا على ذمة وعهد وصولحوا عليه فقد روى أبو داود فى ذلك عن حرب بن عبيد الله بن عمير الثقفى عن جده رجل من بنى تغلب قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمنى الاسلام وعلمنى كيف آخذ الصدقة أى الزكاة من قومى ممن أسلم ثم رجعت اليه فقلت يا رسول الله كل ما علمتنى قد حفظت الا الصدقة أفأعشرهم قال لا انما العشر على اليهود والنصارى

وقد

وقد تولى الاعشار في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه السائب بن يزيد وعبد الله ابن عتبة فقد روى الزهري في مسنده عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال كنت عاملا مع عبد الله بن عتبة على سوق المدينة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكنا نأخذ من النبط العشر وعن السائب أيضا قال كنت آخذ من اليهود والنصارى وخرجه مالك عنه في موطئه بنصه

وأما حكم ما يعلمه العشارون اذا دخلوا بالأمان وحكم ما يتجر به أهل الذمة من الخمر والخنزير فقد قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه الكافي في باب حكم أهل الحرب اذا دخلوا البلد بأمان لا يعترض لهم في بيع الخمر والخنزير من أهل الذمة ويؤخذ منهم عشر ثمن ذلك كله انتهى وقال ابو محمد عبد الله بن نجم بن شاس في الجواهر في كتاب عقد الذمة فأما اذا اتجر أهل الذمة بالخمر وما يحرم علينا فروى ابن نافع انهم يتركون حتى يبيعوه فيؤخذ منهم عشر الثمن وان خيف من خيانتهم جعل معهم أمين قال ابن نافع وذلك اذا حملوه الى أهل الذمة الى امصار المسلمين التي لا ذمة فيها وذكر ابن حبيب في الحربيين ومعهم خمر وخنزير ان الوالي يريق الخمر ويقتل الخنزير ولا يعشر وللامام اذنهم باتيانه ذلك في اذنهم

ثم ان العاشر قد يكون ترجمانا يعرف ألسن المأخوذ منهم العشور وقد تقدم ذلك في الفصل الرابع من الباب السادس فالترجمان هو الذي يترجم عن أهل الذمة فيما يعرض لهم وعليهم من المعاملات والحقوق وقد روى أشهب عن مالك انه يجوز ترجمة رجل واحد ثقة قال واثنان أحب الي في ذلك من الواحد وقال مالك أيضا ولا بأس ان يقبل ترجمة امرأة عدل وقد يقبض أصحابه اذا لم يوجد من الرجال من يترجم وقال سحنون من أصحاب مالك لا يقبل ترجمة النساء ولا ترجمة رجل واحد ولا ترجمة من لا تجوز شهادته وقال ابن رشد لا تقبل ترجمة من ذكر يعني مع وجود العدول المرضيين والا عمل بقولهم وحكم به كما يحكم بقول الطبيب النصراني وغير العدل فيما يضطر فيه الى قوله من جهة معرفته بالطب ونحوه وأجاز أبو حنيفة وأبو يوسف ترجمة رجل واحد وامرأة واحدة ولا يقبل من عبد كقول مالك ونقل عن محمد بن الحسن ان الترجمة لا يقبل الا من رجلين أو رجل وامرأتين فهي بمنزلة الشهادة فلا يقوم بذلك الا من تقبل شهادته لان القاضي اذا لم يكن يعلم ما تكلم به الخصم فكأنه لم يسمعه ومذهب الشافعي انه لا بد من اثنين عدلين يعرفان ذلك اللسان لا يشكان فيه لان ذلك مقام

الشهادة وفي ترجمة زيد بن ثابت وجده النبي صلى الله عليه وسلم جعله لما اكتفى بالواحد

وأما من سبق في خراج الأراضي فأول من تولى النظر في خراج الأرض سواد بن غزية الأنصاري فقد روي عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة رضي الله تعالى عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سواد بن غزية أخا بني عدي الأنصاري وأمره على خيبر فقدم عليه بتمر جنيب (أي طيب) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل تمر خيبر هكذا قال لا والله يا رسول الله إنا لنشتري الصاع بالصاعين والصاعين بالثلاثة من الجمع (أي أردئ التمر) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل ولكن بع هذا واشتر من هذا وسواد بن غزية هذا مذكور فيمن شهد بدرا والمشاهد بعدها من بني عدي بن النجار

وأما صاحب المساحة فلم يتول أحد هذه الخطة إلا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقد روى أبو عبيد أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر إلى أهل الكوفة على صلاتهم وجيوشهم وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم وعثمان بن حنيف (بضم الحاء المهملة وفتح النون) الأنصاري على مساحة الأرض ثم فرض لهم في كل يوم شاة بينهم أو قال جعل لهم في كل يوم شاة شطرها وسواقطها لعمار والشطر الآخر بين هذين ثم قال ما أرى قرية تؤخذ منها كل يوم شاة إلا كان ذلك سريعا في خرابها قال أبو عبيد فمسح عثمان بن حنيف الأرض فجعل على جريب الكرم عشرة دراهم وعلى جريب النخل خمسة دراهم وعلى جريب القصب (أي الرطب) ستة دراهم وعلى جريب البر أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وجعل على أهل الذمة في أموالهم الذين يختلفون بها في كل عشرين درهما درهما وجعل على رقابهم أربعة وعشرين كل سنة وعطل الصبيان والنساء من ذلك ثم كتب بذلك إلى عمر فأجازه ورضي به ثم جعل له علي رضي الله تعالى عنه أصحاب ولاية البصرة فأخرجه طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما حين قدما البصرة ثم قدم علي فكانت وقعة الجمل فظفر علي بمن في البصرة وولاها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقد ذكر العلماء بالخبر والأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استشار الصحابة رضي الله عنهم في رجل توجهه إلى العراق فأجمعوا جميعا على عثمان بن حنيف وقالوا إن تبعثه إلى أهم من ذلك فإن له بصرا وعقلا ومعرفة وتجربة فأسرع عمر إليه فولاه مساحة أرض العراق فضرب عثمان على كل جريب من الأرض ينالها الماء عامرا

او

أو عشرين درهما وقفيزا وبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ألف ونيفا

وأما من ولي العمل على الصدقات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكثير وكان يكتب لمتولي الصدقة ولاية ما روى أبو داود عن سويد بن غفلة رضي الله تعالى عنه قال أتانا مصدق النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده وقرأت في عهده لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان وفي الاكتفاء لأبي الربيع بن سالم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدر من الجعرانة معتمرا وقدم المدينة فأقام بها حتى رأى هلال المحرم سنة إحدى عشرة وبعث المصدقين في العرب وقد اقتصر أغلب أصحاب السير على ذكر بعض من ولي ذلك من كبار الصحابة المشاهير رضي الله عنهم فمنهم من قريش عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا فقد احتبس أدراعه وأعتاده (أي ما أعده من السلاح وآلات الحرب في سبيل الله) وأما العباس فهي علي ومثلها معها ثم قال يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه

ومن ولي على الصدقات خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه قال ابن قتيبة في المعارف استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني زبيد فصارت إليه الصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب فلم يزل عند آل سعيد بن العاص حتى اشتراه المهدي منهم بثمانين ألف درهم وقال ابن إسحاق في السيرة قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا الملوك كندة ومعاديا لهم واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن ولي الصدقة من الأنصار معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه روى الترمذي رحمه الله تعالى عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى اليمن فامر أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا او تبيعة ومن كل اربعين مسنة ومن كل حالم دينارا أو عدله معافر انتهى

ومن ولي الصدقة أبي بن كعب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومن ولي الصدقة من طي عدي بن حاتم الطائي رضي الله تعالى عنه قال أتيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال ان أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه أصحابه صدقة طي جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولي الصدقة من بني تميم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم المنقري رضي الله تعالى عنهما قال ابن اسحاق فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة بني سعد على رجلين منهم فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها وقيس بن عاصم على ناحية انتهى وقال ابن قتيبة استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر على صدقات قومه وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم فذهب بالصدقة الى أبي بكر رضي الله عنه وهي سبعمائة بعير انتهى وقال بعضهم وفد الزبرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فولاه صدقات قومه وأقره أبو بكر على ذلك وقال انه أنشد في هذا الوفد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاخرا قوله

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس القزع
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

فأجابه حسان وأحسن الجواب وقد تقدم في الفصل الرابع من الباب السادس وكذلك قيس بن عاصم المنقري قدم في وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وذلك في سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم فاني رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها وكان قيس بن عاصم رضي الله تعالى

عنه

نفسه وحرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال في ذلك أشعارا منها قوله

رأيت الخمر صالحة وفيها * خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا * ولا أشفى بها أبدا سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي * ولا أدعو لها أبدا نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الأمر العظيما

ولما حضر قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني إذا مت فسوّدوا كباركم ولا تسوّدوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب المرء انتهى وهو يوافق حديث المسألة آخر كسب الرجل روي بالقصر والمد فبالقصر معناه أرذله وأدناه وبالمد الآخر ضد الأول أي ما دمتم تقدرون على تعففكم عن المسألة فلا تسألوا وقال حكيم بن قيس بن عاصم إن أباه أوصى عند موته فقال إذا مت فلا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه ورثاه عبدة بن الطبيب بقوله

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من أوليته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وأما من كان يكتب أموال الصدقات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت وحذيفة بن اليمان إلا أن جهيما وحذيفة كانا يكتبان إذا غاب الزبير أو اعتذر وجهيم بن الصلت قرشي مطلبي أسلم عام خيبر وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا وهو الذي رأى الرؤيا بالجحفة حين سارت قريش إلى بدر فقد ذكر ابن إسحاق في غزوة بدر هذه الرؤيا قال لما نزلت قريش الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب رؤيا فقال إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه قال فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا

ومن كان يكتب الصدقات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه عثمان بن عفان قال ابن الأثير قال نافع العدوي دخلت حير الصدقة (بفتح الحا هو الحظيرة) مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فجلس عثمان في الظل يكتب وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر وعليه بردان أسودان فاتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يعد إبل الصدقة ويكتب ألوانها وأسنانها فقال علي لعثمان يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ثم أشار علي بيده إلى عمر فقال هذا هو القوي الأمين انتهى

وأما الخارص فقد خرص النبي صلى الله عليه وسلم حديقة لامرأة حين مر في طريقه في غزوة تبوك بوادي القرى فقد روى مسلم عن أبي حميد رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوا فخرصناها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق وقال أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله تعالى وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء وجاء رسول ابن العلماء (بفتح العين ممدودا) صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بردا ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حديقتها كم بلغ ثمرها فقالت عشرة أوسق

ومن خرص أرض الخراج في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عامل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر فكان يعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير انتهى وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص بينه وبينهم ثم يقول إن شئتم فلكم وإن شئتم فلي وعن سليمان بن يسار قال فجمعوا له حليا من حلي نسائهم فقالوا هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم فقال عبد الله بن رواحة يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قال ابن إسحاق وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدا ثم أصيب بمؤتة رحمه الله تعالى فكان جبار بن صخر بن أمية

احه

أخو بني سلمة هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة وكان جبار خارص أهل المدينة وحاسبهم انتهى

وروي عن سهل بن أبي حثمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا حثمة خارصا فجاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا حثمة قد زاد علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابن عمك يزعم أنك قد زدت عليه فقال يا رسول الله قد تركت له قدر عرية أهله وما يطعم المساكين وما تسقط الريح فقال قد زادك ابن عمك وأنصفك انتهى والعرية النخلة يعريها صاحبها رجلا محتاجا فيجعل له ثمرها عاما فعروها أي أتوها وكان أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يبعثون أبا حثمة خارصا وتوفي في أول خلافة معاوية

(الفصل الثاني في الأوقاف)

أما أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر ابن يونس في كتابه تذكرة الأخبار قال روي أن النبي صلى الله عليه وسلم حبس سبع حوائط (أي بساتين نخل) أوصى له بها مخيريق لما قتل يوم أحد فحبسها حيث أراد الله تعالى بها وهي من أموال بني النضير وذلك لأن بني النضير من أمر الهجرة وفي الشعر لابن إسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون (على وزن فرعون معناه الملك) قال لما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق قالوا إن اليوم يوم سبت قال لا سبت لكم فأخذ سيفه وعدته وقال إن أصبت اليوم فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا مخيريق خير يهود فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف ماله أوقافه وأول حبس أي وقف في الإسلام قيل إن مخيريق اليهودي أسلم يوم أحد قال بعضهم وكان حبرا من علماء بني النضير قتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

وقد اقتدى به صلى الله عليه وسلم في الوقف الخلفاء الراشدون ومن بعدهم روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منها فكيف تأمرني به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل

لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه انتهى ،
قال القاضي رحمه الله تعالى في المشارق واسم هذا المال ثمغ بفتح الثاء وسكون الميم
وقد تفتح قال وقيده المهلب ثمغ بفتح الميم انتهى وأصاب عمر رضي الله تعالى عنه مواضع
في خلافته وقفها معها وقدم على الطريق جميعها حفصة ثم أم المؤمنين رضي الله
تعالى عنها وكتب لها بذلك ونص الكتاب ذكره أبو داود في سننه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حدث به حدث الموت أن ثمغا وصرمة ابن
الأكوع والعبد الذي فيه ومائة السهم الذي بخيبر ورقيقه الذي فيه والمائة الذي
أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادي تليه حفصة ما عاشت ثم يليه ذا الرأي من أهلها
أن لا يباع ولا يشترى ينفقه حيث ترى من السائل والمحروم وذي القربى ولا حرج عليه
إن أكل أو آكل أو اشترى رقيقا منه انتهى

وكذلك أوقاف علي رضي الله تعالى عنه فهي معلومة قال المبرد في الكامل قال أبو نيزر
جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة (نعم أولها
وقع العين وما أنشأه سابقا كانت ثم باعوهن منه ووهبها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
سمع) فقال هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع
الضيعة صنعته بإهالة سنخة (أي ذات ريح) فقال علي به فقام إلى الربيع (جدول
أي نهر صغير) فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئا ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالرمل
حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما إلى أختها وشرب حسا (جمع حسوة بمعنى
جرع الماء جرعة بعد جرعة) ثم قال يا أبا نيزر إن الأكف أنظف الآنية ثم مسح كفيه
على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين وجعل
يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تصبب جبينه عرقا أي رشح فانتكف العرق عن
جبينه أي نحاه بإصبعه ثم أخذ المعول وعاد يضرب فيها وجعل يهمهم أي يردد
الصوت فانثالت كأنها عنق جزور وخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة علي
بدواة وصحيفة قال فعجلت بهما إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله
علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء
أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا
حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما
ليس لأحد غيرهما (أي حلال لهما) فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي

ثم رماني العدو بسار فأبى ان يدع وقال انما تصدق بهما الى لقي الله بهما وجهه من الماوردي كراس فضول ان أبا نيزر كان من أبناء الملوك الاعاجم وقال المبرد صح عندنا انه من ولد النجاشي رغب في الاسلام صغيرا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه في بيته فلما توفاه الله تعالى صلى الله عليه وسلم صار مع فاطمة وولدها رضي الله تعالى عنهم قال أبو نيزر كنت أقوم لعلي رضي الله عنه بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة

(الفصل الثالث في صاحب المواريث والمشرف)

أما صاحب المواريث فهو صاحب ديوان المواريث ببيت المال يأخذها اذا عدمت العصوبة والولاء وعصبات ذي الولاء فيأخذ بيت المال على بعض المذاهب ما زاد من العصوبة ويستغرق اذا لم يكن وارث ويأخذ ما بقي من أصحاب الفروض اذا لم يكن للميت الا ذو فرض ويحل توريث بيت مال المسلمين عن ذوي الارحام اذا كان بيت المال موضوعا في وجهه فعند ذلك لا يرث ذوو الارحام ولا يرد على أهل السهام لم يوضع في ديوان المواريث في بيت المال قال بعض المؤرخين وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد برد الفاضل من سهام ذوي الفروض على ذوي الارحام وأبطل ديوان المواريث والمعتضد كما سيأتي هو أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بويع له لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتوفي ببغداد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فصار من ذلك الوقت تقسم المواريث على مستحقيها كما كانت تقسم في عهده صلى الله عليه وسلم مع توريث ذوي الارحام فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخال وارث من لا وارث له وروى الترمذي أن عمر بن الخطاب كتب الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله ورسوله مولى من لا مولى له والخال وارث من لا وارث له قال أبو عيسى هذا حديث حسن ولهذا ذهب أكثر أهل العلم الى توريث ذوي الارحام وأما زيد بن ثابت فلم يورثهم وجعل الميراث في بيت المال وسيأتي الكلام على من تولى بيت المال في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء في الفصل الاول من الباب العاشر وقد تقدم في الفصل الثاني من الباب السابع من العمالة الخامسة ذكر فارض المواريث

وأما الساعي فهو الرجل الذي يبعثه الامام لقبض المال من العمال ويستخلصه منهم ويقدم به عليه كما بعث صلى الله عليه وسلم عليا إلى اليمن ليقبض من خالد بن الوليد روى البخاري رحمه الله تعالى عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد رضي الله تعالى عنه عليا ليقبض الخمس وكنت أبغض عليا وقد اغتسل فقلت لخالد ألا ترى إلى هذا فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال يا بريدة أتبغض عليا فقلت نعم فقال لا تبغضه فان له في الخمس أكثر من ذلك وقال ابن إسحاق في السير وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم قال ابن الأثير وذلك في سنة عشر من الهجرة فقفل وعاد فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في حجة الوداع انتهى وكان الذي أخذ صدقاتهم عمرو بن حزم والذي أخذ جزيتهم أبو عبيدة بن الجراح كما هو معلوم

وأما المشرف فهو الأمين الذي يجعل مع العامل كالحافظ عليه ويسمى ضريبا في القديم ويسميه أهل العراق شادا ويسمى بالمغرب مشرفا لإشرافه واطلاعه على جميع أعمال العامل فهو كالملاحظ والمفتش وهو من عمل الحكام قديما لكنه لم نجده عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولا عن الخلفاء الراشدين لأنه إنما استحدث وكونه حسب العرف ولا نعلم أول من عمله في الإسلام قال القرافي في جامع الكتاب بعث عمر رضي الله تعالى عنه عاملا فعزله فجاء بما كان معه من المال وانصرف إلى منزله بغير شيء فقالت له امرأته أين الطرف وأين مرافق العمال فقال لها كان معي ضريبان (أي رقيبان) فلقيت عمر رضي الله تعالى عنه فقالت يا أمير المؤمنين بعثت مع زوجي ضريبا فأتاني ضريبا الذين فقال ما فعلت على زوجها فأتاه فقال له أنا بعثت معك ضريبا فقال كان معي ضريبان يحفظان ويعلمان وأشار إلى الملكين فقال لها عمر رضي الله تعالى عنه صدق وقد كرب انصرفي إلى منزلك ثم قال لها ما أملت فقالت كذا وكذا فقال للجارية أعطيها ثم أعطاها ثم قال لها أرضيت قالت نعم وروي عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أن عمر بعث معاذا رضي الله تعالى عنهما ساعيا على بني كلاب أو على بني سعد بن ذبيان فقسم فيهم ولم يدع شيئا حتى جاء بحلسه الذي خرج به على رقبته فقالت امرأته أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أي هدية أهليهم فقال كان معي ضاغط فقالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر فبعث

معك

فعلت عمر صاعا طعاما فعابت بذلك في سابها ولما كتب عمر رضي الله تعالى عنهم ولم يدرك عمر قد جاء ما اذا وقال أتاه فسمعت صاعا طعاما فقال يا امرأتاه بيني أحدثتنا أعندك به البينة الا ذلك قال فضحك عمر وأعطاها ثم قال ارضيها به قال ابو عبيد القاسم قال ابن جريج قوله صاعا طعاما يعني زبدة حل ساقه

(الباب العاشر في العمالات الاخرى وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(في صاحب بيت المال وهو خازن الامين وفي خازن الطعام وفي الوزان وفي الكيال)

الخازن الامين الذي يؤدي ما أمر به عن طيب نفس ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا خزانة للمال وانما كان يعجل قسم ما أتاه من الفيء في يومه روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن الحسن بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيل مالا عنده ولا يبيته يعني ان جاءه غدوة لم ينتصف النهار حتى يقسمه وان جاءه عشية لم يبت حتى يقسمه وروى ابو داود عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه في يومه وروى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه العباس رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم أن يرفعه الي قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وفي كتاب الجامع من [illegible] لابن يونس مائة وفي سنة ثمان قدم عامل البحرين وهو مائة ألف وثمانون ألف درهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين الناس انتهى وعن اسماعيل بن اسحاق ان مال البحرين كان من الجزية

واتخذ الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيت المال فاتخذه ابو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وكان كل منهم يولي نظره لمن أمنه وقد ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد

(خزانة الاصار)

أن أبا عبيدة كان على بيت المال في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ثم وجهه الى الشام وفي الاستيعاب لابن عبد البر جعل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما معيقيب على بيت المال وفي العقد للتلمساني بلال بن حمامة رضي الله تعالى عنه وحمامة أمه وإليها كان ينسب وأبوه رباح كان ... فاشتراه أبو بكر منهم ثم أعتقه وكان له خازنا وفي الاستيعاب أن عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم لأبي بكر وكتب لعمر واستعمله على بيت المال واستعمل عثمان رضي الله تعالى عنه بعده وفي كتاب الأموال كان عمر رضي الله تعالى عنه قد أخرج عبد الله بن مسعود الى العراق على صلاتهم وبيت مالهم وأحكامهم وعمار بن ياسر على حربهم وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض وفي الأسد الغابة أن في خلافة عثمان بن عفان كان زيد بن ثابت على بيت المال فوجد فيه مملوكا فقال من هذا قال زيد مملوك لي فقال عثمان أراه نفع المسلمين وله حق وأنا أفرض له فقال زيد والله لا تفرض له عبد العبس ففرض له ألفا وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد كان على بيت المال في أيام عثمان عبد الله بن الأرقم ثم استعفاه وفي خلافة علي بن أبي طالب صار ابراهيم ابنه على مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المكنى أبا رافع الذي ... داره الى علي بن أبي طالب فولاه بيت مال الكوفة وقال في الأسد الغابة كان عبيد الله بن أبي رافع خازنا وكاتبا لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان أبوه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابراهيم اسمه وفي العقد الفريد لابن عبد ربه كان علي رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى فيه شيء ثم يرش له ويقيل فيه ويتمثل بقول بعضهم

هذا جناي وخياره فيه * إذ كل جان يده الى فيه

وأما خازن الطعام فقد خرج البخاري عن عمر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ... نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم وروى الترمذي عنه أيضا قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقد سبق ذلك في الفصل الرابع من الباب الثامن والنضير حي من يهود ... دخلوا في العرب وهم على نسبهم الى هارون

أخي

أخي موسى عليه السلام وروى محمد بن حفص العطار عن أبي الجوزاء رحمهما الله تعالى عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما قال قلت له ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذكر أنه حملني على عاتقه فأدخلني في غرفة الصدقة فأخذت تمرة فجعلتها في فيّ فقال ألقها أما علمت أن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد فأخرجها من فيّ انتهى من مسنده رحمه الله تعالى

وأما الوزان فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن محارب سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا بأوقيتين ودرهم أو درهمين فلما قدم صرارا (بصاد مهملة مكسورة بعدها راء مهملة وألف ثم راء مهملة أيضا على ثلاثة أميال من المدينة لجهة العراق) أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين ووزن لي ثمن البعير فأرجح لي صلى الله عليه وسلم وروى النسائي رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة دعا بميزان فوزن لي وزادني وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن سويد بن قيس رضي الله تعالى عنه قال جلبت أنا ومخرفة العبدي بزا من هجر (مدينة بالبحرين) فأتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فساومنا سراويل فبعناه وثم رجل يزن بالأجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زن وأرجح وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب في باب أن أبا سفيان بن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه من غنائم حنين وكان شهدها معه مائة بعير وأربعين أوقية ووزنها له بلال

وأما الكيل فقد روى البخاري رضي الله عنه عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وروى مسلم رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يعطي أزواجه رضي الله تعالى عنهن كل سنة مائة وسق ثمانين وسقا من تمر وعشرين وسقا من شعير وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يكتاله وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله

(الفصل الثاني)

(في الأوزان والأكيال الشرعية التي عليها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضرب السكة)

روى النسائي رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة قال بعضهم إنما جاء هذا الحديث في نوع ما يتعلق به أحكام الشريعة في حقوق الله سبحانه وتعالى دون ما يتعامل به الناس في بياعاتهم وأمور معايشهم وقوله صلى الله عليه وسلم والوزن وزن أهل مكة يريد به وزن الذهب والفضة خصوصا دون سائر الأوزان ومعناه أن الوزن الذي يتعلق به حق الزكاة في النقود وزن أهل مكة وأما قوله صلى الله عليه وسلم والمكيال مكيال أهل المدينة فأراد به الصاع الذي يتعلق به وجوب الكفارات ويجب إخراج صدقة الفطرة به ويكون به تقدير النفقات وما في معناها انتهى والمعنى في هذا الحديث أن مكة لما كانت أرض متجر تباع فيها الأمتعة بالأثمان ولم يكن بها حرث ذو ثمرات ولا زرع كما قال إبراهيم عليه السلام ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع وكانت المدينة بخلاف ذلك لأنها دار النخل وفيها الزرع فكان جل تجاراتهم في المكيل دون الموزون جعل النبي صلى الله عليه وسلم الأقطار كلها تبعا للبلدين المذكورين إسقاطا فيما يتفاوتون فيه من الكيل والوزن ولما كانت السنة قد منعت من إسلام موزون في موزون ومن إسلام مكيل في مكيل وأجازت إسلام الموزون في المكيل وإسلام المكيل في الموزون وفيه منع من بيع الموزون في الموزون إلا مثلا بمثل ومن بيع المكيل بالمكيل إلا مثلا بمثل كان الأصل في الموزون ما كان يوزن بمكة وكان الأصل في المكيل ما كان يكال بالمدينة لا يتغير عن ذلك وإن غيره الناس فلا يحصل الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد ويجب على من يتعبد بالشريعة المحمدية البحث عن كيل أهل المدينة فيما جرت العادة بكيله وعن وزن أهل مكة فيما استمر العرف بوزنه وإنما يحصل ذلك بمعرفة ما كان من ذلك متعاملا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أقدارها وكانت الأوزان المتعامل بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم المعلومة الأقدار عشرة الدرهم والدينار والمثقال والدانق والقيراط والأوقية والنش والنواة والرطل والقنطار وقول من قال إن الدرهم لم يكن معلوما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قول فاسد كما لا يجوز أن تكون الأوقية في عهده صلى الله عليه وسلم مجهولة المبلغ من الدراهم في الوزن ثم كان الشرع يوجب الزكاة عليها ولا يعلم لعوزها قال القاضي عياض رحمه الله تعالى ولا يصح أن تكون الأوقية

الأوقية والدرهم مجهولة القدر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوجب الزكاة في أعدادها ويقع بها البياعات والأنكحة كما في الأحاديث الصحيحة وهذا يبين أن قول من قال إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمان عبد الملك حتى جمعها برأي العلماء وهم وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام وعلى صفة لا تختلف وإنما كانت مجموعة من ضرب فارس والروم وصغارا وكبارا وقطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة يمانية ومغربية فرأوا صرفها إلى ضرب الإسلام ونقشها وتصييرها وزنا واحدا لا تختلف وأعيانا يستغنى فيها عن الموازين فجمعوا أصغرها وأكبرها وضربوها على اسم الله عز وجل وبالجملة فما ظهر الإسلام إلا والأوقية وزنها أربعون درهما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وهي مائتا درهم وقال بعضهم إن الدرهم لم يزل معلوم القدر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم غير موجود إلا من قبل درهم الصحيحة الآن فإنه معلوم القدر غير موجود العين ومنه تركب الأوزان التي فوقه ويدل عليه حديث جابر المتقدم في باب الوزان وهو حديث اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا بأوقية ودرهم ووزن لي فأرجح وكذلك فيما أخرجه النسائي من أنه صلى الله عليه وسلم اشترى من رجل السراويل بثلاثة دراهم ووزنه ووزن لي فأرجح فلو لم يكن الدرهم معلوما حين عقد هاتين الصفقتين لما أمكن إتمام صحة البيع ولما عرف الرجحان الذي أرجحه لهما صلى الله عليه وسلم بعد استيفاء حقوقهما

وأما الأكيال المستعملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهي المد والصاع والفرق والعرق (بفتح العين والراء) والوسق فالفرق هو ثلاثة آصع والعرق وهو قدر الزنبيل قال بعضهم هو ما يسع خمسة عشر صاعا إلى عشرين والوسق ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو حمل بعير والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلث

وأما صاحب السكة ويقال له أيضا صاحب دار الضرب فيظهر أنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في أول من ضرب الدراهم على ثلاثة أقوال الأول أن أول من ضرب الدراهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقد حكى الماوردي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها البغلي وهو ثمانية دوانق ومنها الطبري وهو أربعة دوانق ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانق ومنها اليمني وهو دانق قال انظروا

الأغلب فتعاملت الناس به من أعلاها وأدناها فكان الدرهم البغلي والدرهم الطبري فجمع بينهما وكانا اثنى عشر دانقا فأخذ نصفهما فكان ستة دوانق قال بعضهم وفي هذا اشارة الى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ضرب الدرهم لكنه لم يعرف نقشه والثاني ان أول من ضربه مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على ضرب الأكاسرة وعليها بركة من جانب والله من جانب ثم نقل الماوردي أيضا ثم قال وضربها الحجاج بعده وكتب عليها بسم الله الحجاج والثالث أن أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان وان الدراهم كانت سكتين احداهما عليها نقش فارس وهي البغلية وهي السود والدرهم منها ثمانية دوانق والثانية عليها نقش الروم والدرهم منها أربعة دوانق فاجتمع علماء ذلك العصر على أن جمعوا درهما بغليا من ثمانية دوانق ودرهما طبريا من أربعة دوانق فكان اثنى عشر دانقا فقسموها نصفين وضربوا الدرهم بستة دوانق قال أبو الزناد أمر عبد الملك الحجاج ان يضرب الدراهم بالعراق فضربها سنة أربع وسبعين وقال المدائني ضربها الحجاج في آخر سنة خمس وسبعين ثم أمر بضربها في النواحي سنة ست وسبعين وقيل انه كتب عليها الله أحد الله الصمد

(الفصل الثالث)

(في اتخاذ الإبل والغنم وغيرهما من الدواب وفي حمى الإمام مراعي لنعم الواردة من الزكاة)

قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه اتخذ الإبل وفي السيرة انه كان له صلى الله عليه وسلم من النعم ناقته التي هاجر عليها من مكة الى المدينة وتسمى بالقصواء ولم يكن يحملها اذا نزل عليه الوحي غيرها اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الصديق بأربعمائة درهم وتسمى القصواء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان في أذنها شيء منه وكانت تسمى العضباء وهي التي سبقت (بالبناء للمجهول) فشق على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من هذه الدنيا الا وضعه ونقل المحب وفي غيره وعن قدامة بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يرمي على ناقته صهباء والصهبة الشقرة ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة في حجة الوداع على جمل أحمر وكان له صلى الله عليه وسلم جمل يقال له الثعلب بعث عليه صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الى قريش بمكة يوم الحديبية ليبلغهم

ماجاء

فأتاه به فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش فمنعه الأحابيش وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا مهريا (نسبة إلى مهرة أبو قبيلة تنسب إليها الإبل المهرية) لأبي جهل في أنفه برة من فضة أي حلقة أهداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة والغابة على بريد من المدينة طريق الشام يراح إليه كل ليلة بقربتين من ألبانها وكان له لقحة تدعى بردة أهداها له الضحاك بن سفيان كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان وكان له خمس عشرة لقحة غزارا كان يرعاها يسار ولابذي الجدر (بفتح الجيم وإسكان الدال) ناحية قباء قريبا من جبل عير على ستة أميال من المدينة فاستاقها العرنيون وقتلوا يسارا وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وكانت له صلى الله عليه وسلم بذي الجدر سبع لقائح وكان له أيضا لقحة تسمى الجعدة وكانت له لقحة اسمها مروة وكان له مهرية أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل وحديث مسلم يدل أيضا على أن الإبل التي ساقها أناس من عرينة كانت من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها (أي كرهوها واستوخموها) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا فصحوا ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم وارتدوا عن الإسلام وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا

وأما الغنم فقد روى ابن عباس أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أعنز يرعاهن أم أيمن وفي كلام الأرج كان له صلى الله عليه وسلم سبع من الغنم عجوة وزمزم وسقيا وبركة وورسة وأطلال وأطراف وسبع أعنز يرعاهن أم أيمن فهذه غنمه صلى الله عليه وسلم وأما غنم الصدقة أي غنم الزكاة فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى قال حدثنا عمرو بن عون ومسدد قالا حدثنا حماد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مسدد غنيمة من الصدقة قال يا أبا ذر ابدُ بها (ومعنى ابدو بها أي اخرج بها إلى البادية) فبدوت إلى الربذة

(نهاية الإيجاز)

(بفتح الراء والباء والذال المعجمة موضع خارج المدينة قريبة من ذات عرق وهي التي
حماها عمر رضي الله تعالى عنه لإبل الصدقة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل
وبها مات أبو ذر) واسم أبي ذر جندب بن جنادة كان من كبار الصحابة قديم
الإسلام قال أسلمت بعد ثلاثة وقيل بعد أربعة ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام
بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى أن
مات صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعد وفاة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما إلى الشام
فلم يزل بها حتى ولي عثمان ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية وأسكنه الربذة
وكانت وفاته بها سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود صادفه وهو مقبل من
الكوفة مع نفر فضلاء من أصحابه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أظلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبو ذر في أمتي على زهد عيسى ابن مريم وفي بعضها من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى
ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر وقال علي رضي الله تعالى عنه وعى أبو ذر علمًا عجز الناس
عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئًا وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه إلا ذكرنا منه علمًا انتهى

وأما الوسم فقد ترجم البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب وسم الإمام إبل الصدقة
بيده وخرج فيه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال غدوت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة
وروى مسلم رحمه الله تعالى عن هشام بن زيد أن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه
انطلق بالصبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه فإذا النبي صلى الله عليه وسلم في مربد
يسم غنمًا قال [illegible] وأكثر علمي أنه أي أنس قال في آذانها وقد ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الضرب في الوجه وعن الوسم فيه

وأما الحمى الذي يحميه الإمام فقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده حتى عمر بن
الخطاب وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا حمى إلا لله ولرسوله قال وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع
وهو بالنون كما صوبه القاضي عياض وإن رواه الرواة بالباء وأن عمر رضي الله عنه
حمى السرف وفي رواية عن نافع عن ابن عمر قال حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع
لخيل المسلمين انتهى والنقيع كل موضع يستنقع فيه الماء وبه سمي هذا الموضع الذي
حماه

سماه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عمر بن ... وهو الذي ساق الماء في الخندق ...
العميق ... وهو على عشرين ... من المدينة وهو ... وادي العقيق
وهو أخصب واد ... حتى ... فيه الزكاة
وفي ... الحادي عشر ... كذكر ... عمر رضي الله تعالى عنه السوق كما
تقدم ... وظهر العراق ... وهو من صرية إلى المدينة وكان
حمى عمر رضي الله تعالى عنه ... أموال من كل ... وصرية في أوسط الحمى وقال كان
الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضا في ... سوى ... فمنع
لا ... وهو ... يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه فنهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وأضاف الحمى إلى الله ورسوله أي الإمام ... للخيل التي ترصد للجهاد
والإبل التي يحمل عليها في سبيل الله والإبل الزكاة وغيرها

(الباب الحادي عشر)

(في عمال ... وفيه فصول)

(الفصل الأول في المنفق وفي الوكيل في الأمور المالية وفي إنزال الوفد في دار الضيافة)
(وفي إنزال الوفد ... أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال في مختصر السير لابن جماعة رحمه الله تعالى كان بلال المؤذن رضي الله عنه على
نفقات النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وروى أبو داود عن عبد الله الهوزني رحمه الله
تعالى قال لقيت بلالا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلب فقلت يا بلال حدثني
كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كان له شيء كنت أنا الذي ألي ذلك
منه منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الإنسان مسلما فرآه
عاريا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه

وأما الوكيل الذي يوكله الإمام في الأمور المالية فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلمت عليه وقلت إني أردت الخروج إلى خيبر فقال إذا أتيت وكيلي
فخذ منه خمسة عشر وسقا فإن ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته انتهى وكان الأمين
عمرو بن الجذع بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم أسلم ... في رواية

مرداس بن مروان فقد كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يخرج ديته من
بيت الامام وهكذا لا بيت المال لتقيده بما يأمر به من وجوه مصارف المال وقد
روى ابن اسحاق في السيرة عن أبي جعفر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب سليم بن
منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فأمرهم خالد
فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن
الوليد ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال يا علي اخرج الى
هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي رضي الله
تعالى عنه حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم
الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى انه ليدي لهم ميلغة الكلب (أي الاناء الذي يلغ
فيه الكلب الدم) حتى اذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال
فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين فرغ منهم هل بقي لكم دم أو مال
لم يود لكم قالوا لا قال فاني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
الخبر فقال أحسنت وأصبت

وأما إنزال الوفد أي الرسل الى دار الضيافة فقد اتخذت الدار لنزول الوفد في زمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي رحمه الله تعالى ان حبيب بن عمرو السلاماني رضي
الله تعالى عنه قال قدمنا وفد سلامان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعة
فانتهينا الى باب المسجد فصادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا منه الى جنازة
دعي اليها فلما رأيناه قلنا يا رسول الله السلام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليكم السلام من أنتم فقلنا قوم من سلامان قدمنا عليك لنبايعك على الاسلام ونحن على
من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد فخرج
ثوبان حتى انتهى بنا الى دار واسعة فيها نخل وفيها وفود العرب واذا هي دار رملة
بنت الحارث النجارية وفي بعض الاوقات كان يضرب للوفود في زمانه صلى الله عليه
وسلم قبة قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى في السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف فضرب عليهم قبة في ناحية مسجده

وكان

فكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم

وأما إنزال الوفد بيوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي عن أوس بن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فنزل الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة فكان يأتينا كل ليلة وكان يتولى الإنفاق على الوفد من يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك كخالد بن سعيد بن العاص وبلال وثوبان كما تقدم

(الفصل الثاني)

في المارستان والطب والرقية والفصد والكي والمكان الذي اتخذ لإيواء الفقراء الذين لا يأوون على أهل ولا مال

المارستان بفتح الراء دار المرضى وهو معرب قال ابن إسحاق في السير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم (وفي رواية من المسلمين) يقال لها رفيدة في مسجده صلى الله عليه وسلم وكانت تداوي الجرحى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصابه (أي سعد بن معاذ) السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب وأول أسس المارستان المعروف كان في سنة ثمان وثمانين فقد أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى وهو أول من فعل ذلك وجعل فيه الأطباء وأجرى فيه الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الأرزاق وعلى العميان والتداوي مأمور به فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وطرق المداواة في الطب عند العرب أربعة أشياء شرطة محجم وشربة عسل ولذعة نار وروى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهى

(نهاية الأخبار)

أتى من الكي . وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن أبي خزامة بن يعمر عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله . وروى مسلم رحمه الله تعالى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك وروى البخاري نحوه . وممن كان يعلم الطب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله تعالى عنها فقد روي عن هشام بن عروة أن أباه عروة كان يقول لعائشة رضي الله تعالى عنها يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب فضربت على منكبه وقالت يا عرية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها . ومن الأطباء في عهده صلى الله عليه وسلم الحارث بن كلدة فقد روى أبو داود عن سعد رضي الله تعالى عنه قال مرضت مرضاً فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال إنك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن (أي يدقهن من الوجء وهو الدق حتى يخرج نواه) بنواهن ثم ليلدك بهن (من اللدود بفتح اللام وهو الدواء الذي يصب في أحد شقي الفم) وقد كان الحارث بن كلدة طبيب العرب وأسلم وكان قد تعلم الطب بفارس واليمن وكان يضرب العود وبقي إلى أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وقيل إنه مات أول الإسلام وقيل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل مات يوم مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال أبو الفرج الجوزي في مختصر الصفوة عن ابن شهاب أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال الحارث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد ورفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة . وحكى عبد الملك ما ذكره ابن حبيب في كتاب طب العرب قال كان معيقيب بن أبي فاطمة الأزدي خازناً لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وكان بالمال وقد أصابه الجذام فدعا له عمر

الحارث

بالحارث بن كلدة الثقفي وقال له عالجه فقال يا أمير المؤمنين أما أن يبرأ فلا ولكني أداويه حتى يعظم مرضه فلا يزيد فقال عمر رضي الله عنه فكان يأمر بالحنظل الرطب فيدلك به قدمه ولا يزيد على ذلك فوقف مرضه حتى مات ومن كان طبيبا في عهده صلى الله عليه وسلم أبو رمثة (بكسر الراء وسكون الميم وفتح المثلثة) رفاعة بن يثربي التميمي رضي الله تعالى عنه

وأما الرقية فقد ورد فيه خبر جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل عليه السلام وقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك من شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين وروى مسلم رحمه الله تعالى أيضا عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر وقال القاضي عياض إن الله تعالى يخلق ما يشاء عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يخلق الضرر عند مقابلة نظر شخص لشخص آخر ويجب على الحاكم أن يمنع من عرف بذلك من مخالطة الناس ويأمره بلزوم بيته ويرزقه ما يكفيه إن كان فقيرا فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مخالطة الناس وقال بعضهم كان أبو عبد الله الساجي مجاب الدعوة فسافر في بعض أسفاره إما حاجا وإما غازيا على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل عائن قلما نظر إلى شيء إلا أتلفه فقيل لأبي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له إلى ناقتي سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء إلى رحله فعان ناقته فاضطربت وسقطت مضطربة فأتى عبد الله فقيل له إن العائن قد عانها فهي كما تراها قال دلوني على العائن فدل عليه فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

ويقول ان أبانا ابراهيم كان يعوذ بهما اسمعيل واسحاق رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح اعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة لم تضره عين ولا حمة ولا عقرب قال [illegible] والهامة بتشديد الميم وهي كل ذوات سم كالحية والعقرب ونحوهما وعين لامة هي بتشديد الميم معناه ذات لمم وهي التي تصيب ما نظرت اليه بسوء

وعن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يمسي صلى الله على نوح وعليه السلام لم تلدغه عقرب في تلك الليلة وسئل بعضهم لو قتل بالعين فهل عليه شيء اولا فأجاب لا دية ولا كفارة على من قتل بالعين وان اعترف انه قتله وان كانت العين حالا ذلك لا يفضي الى القتل غالبا ولا يعد مهلكا وسن للعائن ان يدعو للمعين بالبركة فيقول اللهم بارك فيه ولا تضره ما شاء الله لا قوة الا بالله وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم اذا رأى احدكم من نفسه او من اخيه ما يعجبه فليقل بسم الله ما شاء الله وليدع له بالبركة فان العين لا تضره وعن عائشة قالت كان يؤمر بالعائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين رواه ابو داود

وكان صلى الله عليه وسلم يرقي نفسه روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عليه بيده رجاء بركتها ما كان يرقي به النبي صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسحه بيمينه ثم قال أذهب البأس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال اللهم اغفر لي وارحمني واجعلني مع الرفيق الاعلى قالت فذهبت انظر فاذا هو قد قضى وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ وكان في زمنه صلى الله عليه وسلم من رجال الصحابة من يرقي فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبيناهم كذلك اذ لدغ سيد أولئك

فقالوا

فقالوا هل معكم من دواء أو راق فقالوا إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل الراقي يقرأ أم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرئ فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم انتهى

وأما من رقى من النساء فهي الشفاء بنت عبد الله فقد روى أبو داود رحمه الله تعالى عنها قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة انتهى والنملة قروح صغار مع ورم يسير تخرج فتسعى وتسميه الأطباء الذباب

وأما الفصد وهو قطع العروق فقد روى أبو داود عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طبيبا فقطع منه عرقا وقال في كتاب الأطباء إن أبا رمثة رضي الله تعالى عنه كان طبيبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عالما بصناعة الطب انتهى

وأما الكي فقد روى مسلم رحمه الله تعالى بسنده إلى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه وروى أبو داود عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ من رميته وروى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال رمي سعد بن معاذ في أكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي كواه) بمشقص ثم ورمت فحسمه الثانية انتهى وهذه الرمية يوم الأحزاب

وكان حجامه صلى الله عليه وسلم أبو هند ذكر ابن إسحاق في السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة بدر لقي أبا هند مولى فروة بن عمرو بحميت (أي زق لا شعر عليه) مملوء حيسا وقد كان تخلف عن بدر وشهد المشاهد كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه ففعلوا ومن حجم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو طيبة روى مالك رحمه الله تعالى في الموطأ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة فأمر له بصاع من تمر وأمر أهله أن يضعوا عنه من خراجه وأما المكان الذي اتخذ للفقراء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تخرج منه بعده اتخاذ الزوايا والتكايا ونحوها مما اتخذ للفقراء فيما بعد روى البخاري رحمه الله تعالى عن مجاهد أن

أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يقول والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته إلا ليشبعني (وفي رواية إلا ليستتبعني) فمر فلم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فاتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق أهل الصفة فادعهم لي (قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد وكان إذا أتته الصدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها) فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم صلى الله عليه وسلم فقال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة

(الباب الثاني عشر)

(في حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه فصول)*

(الفصل الأول في التجارة وتوابعها)

كانت قريش تعرف بالتجارة ولهم فيها شهرة في الجاهلية والإسلام قال أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس إن عبد الله بن عبد الملك بن مروان قال يوما لأبيه يا أبتي لو عددنا كم مالا ثم ... مما كنتم تكونون عليه فقال الوليد أما أنا ففارس حرب وقال سليمان

اما

إنّا أناس كأنّك سلطان فقال أين يذهب فأتيت فقال والله يا أمير المؤمنين ما تركنا حظّ الحمار
فقال عبد الملك فأين أمّ بابي عن التجارة التي هي أصلكم ونسبكم قالوا إنّ الشجاعة
لا أهل لها فقال الزعيم فأراه ثم لا يعوضنا مهمًّا من الدخول في هذه الذمّة (جماعات
الناس وكبرهم) وأراه فقال عليكم إذن بطلب الأدب فإن كنتم ملوكًا سدتم وإن
كنتم وسطًا رأستم وإن أعوزتكم المعيشة عشتم وقال ابن إسحاق كان في حجر باليمن فيما
يزعمون كتاب بالزبور كتب في الزمان الأوّل لمن ملك ذمار (أي مدينة) لقريش التجار
قال السهيلي في الروض الأنف وهذا الكلام الذي زعموا أنه وجد مكتوبًا وبالحجر هو
فيما زعموا من كلام هود عليه السلام وجد مكتوبًا في قبره وقد كشفت قبره حين كشفت
الريح العاصف عن مسيرة الرمل حتى ظهر وذلك قبل ملك بلقيس بيسير وكان خطه
بالمسند وقد كان يتجر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبار الصحابة رضي الله
تعالى عنهم جماعة منهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه روي عن أم سلمة قالت خرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه في تجارة إلى بصرى
قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعام ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكانا رضي الله
تعالى عنهما قد شهدا بدرًا وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان رجلًا مزاحًا
أطعمني فقال لا حتى يجيء أبو بكر فقال أما والله لأغيظنّك فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط
تشترون مني عبدًا قالوا نعم قال إنه عبد له كلام وهو قائل لكم إني حرّ فإن أنتم إذا قال لكم
هذه المقالة تركتموه وأفسدتم عليّ عبدي قالوا بل نشتريه منك فاشتروه منه بعشر
قلائص (القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء) فأتوه فوضعوا
في عنقه عمامة أو حبلًا فقال نعيمان إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ لست بمملوك قالوا قد
أخبرنا خبرك قال فانطلقوا به فجاء أبو بكر فأخبره سويبط فاتبعهم وردّ عليهم القلائص
وأخذه فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه ضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه عليهما حولًا ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبيد بن عمير أنّ أبا موسى الأشعري استأذن على
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فلم يؤذن له وكأنّه كان مشغولًا فرجع أبو موسى
ففرغ عمر فقال ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس (هو اسم أبي موسى الأشعري)
ائذنوا له قيل قد رجع فدعاه فقال كنا نؤمر بذلك قال تأتيني على ذلك بالبيّنة فانطلق
إلى مجلس الأنصار فسألهم فقالوا لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري

ويستشهد بأبي سعيد الخدري فقال عمر أخفي علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألهاني الصفق (بفتح الصاد وسكون الفاء أي الضرب في التجارة وعقد البيع وصفقة
الصفقة) بالأسواق يعني الخروج إلى التجارة والشيء الذي قال أبو موسى كانوا يؤمرون بذلك
منه حديث الاستئذان الذي رواه البخاري رحمه الله تعالى بسنده إلى أبي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه قال كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه
مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال ما منعك قلت استأذنت
ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثا
فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه ببينة أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبي بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم وكنت أصغر القوم فقمت
معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك انتهى ومنهم الزبير بن العوام فقد
كان مجدودا في التجارة وقيل له يوما بم أدركت في التجارة ما أدركت فقال لم أشتر
عيبا ولم أرد ربحا والله يبارك لمن يشاء وعن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وروي عن الأوزاعي أنه كان للزبير ألف مملوك يؤدون
إليه الخراج فما يدخل بيته منها درهم واحد لأنه كان يتصدق بذلك كله ومنهم
عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله تعالى عنه قال لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين
سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي وانظر
أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لي
في ذلك هل من سوق فيه تجارة قال سوق قينقاع (سوق قينقاع شعب من يهود المدينة
أضيف السوق إليهم) فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن وفي رواية للبخاري
فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه
أثر صفرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت قال نعم قال ومن قال امرأة من
الأنصار قال كم سقت إليها قال زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أولم ولو بشاة قال ابن عبد البر كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه
تاجرا مجدودا في التجارة (أي له حظ وبخت) وكسب مالا كثيرا وخلف امرأته

التي

• التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن ثلاثة وثلاثين ألفا وروى ابن عيينة أنها صولحت على ربع الثمن من ميراثه

وأما التجارة المخصوصة في عهده صلى الله عليه وسلم التي كانت لكبار الصحابة كالبزاز والعطار والصيرفي فمن كان بزازا أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال ابن قتيبة في المعارف في صنائع الأشراف كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بزازا انتهى ولا بد أنه كان غنيا حيث أنه رضي الله تعالى عنه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا وكان جيش العسرة في غزوة تبوك وقد اكتسب ماله بحرفة البزاز إذ لم يكن يحترف رضي الله تعالى عنه بغيرها وكذلك طلحة بن عبيد الله كان بزازا كما ذكره ابن قتيبة في المعارف في صنائع الأشراف وقال الزبير بن بكار كان طلحة بن عبيد الله بالشام في تجارة حين كانت وقعة بدر وكان من المهاجرين الأولين فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه فلما قدم قال وأجري يا رسول الله قال وأجرك وذكر الزبير أنه سمع ابن عيينة يقول كانت غلة طلحة بن عبيد الله ألف وافٍ كل يوم قال والوافي وزنه وزن الدينار وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية

وأما العطارون فهم كثير لم ترد أسماؤهم وإنما ورد مدحهم إجمالا فقد ذكر الثعالبي في كتاب التمثيل والمحاضرة عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا إن فاتني ربحه (بالموحدة) لم يفتني ريحه وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل الداري (أي العطار منسوب إلى دارين فرضة بالبحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند) إن لم يحذك (أي يعطك) من عطره علقك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل صاحب الكير إن لم يحرقك من شرره علقك من نتنه وخرج البخاري في العطار وبيع المسك عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة •

وأما من كان يحترف الصرف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن أبي المنهال رضي الله تعالى عنه قال سألت البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنهما عن الصرف فقالا كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف وقال إن كان يدا بيد فلا بأس وإن كان نسيئا فلا يصلح

وأما بيع الطعام أي كل ما يؤكل فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله وروى مسلم أيضا عن سالم بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن أباه قال قد رأيت الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ابتاعوا الطعام جزافا يضربون في مكانهم وذلك حتى يؤووه إلى رحالهم وكان الذي يبيع التمر يقال له تمار ذكر ابن فتحون في كتابه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن نبهان التمار وقال هو الذي جاءته امرأة تشتري منه تمرا فغمزها ثم جاء نادما فحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فيه والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية وتسمى هذه الآية آية الاعتراف بالذنوب

وروى ابن بشكوال في كتابه المستفهم من غوامض الأسماء بسنده عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله عز وجل والذين إذا فعلوا فاحشة قال يريد نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تبتاع تمرا فضرب على عجزها فقال والله ما حفظت غيبة أخيك ولا نصحت لك فأسقط في يده (أي ذل وأخطأ وهي كلمة يقال للنادم على ما فعل المتحسر على ما فرط منه ويقال أيضا سقط في يده) فذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقال إياك أن تكون امرأة غازٍ ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إياك أن تكون امرأة غازٍ فولى وهو يبكي فأقام ثلاثة أيام النهار صائما والليل قائما فلما كان اليوم الرابع أنزل الله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية يريد مقبل الذي فعل نبهان التمار وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فأخبره بما نزل فحمد الله تعالى وشكره فقال يا رسول الله هذه توبتي قبلها الله مني فكيف حتى يقبل شكري فأنزل الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل

ومن صنائع الأشراف بيع الرماح فقد ذكر في الاستيعاب أن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يكنى أبا الحارث كان أسن من سائر من أسلم من بني هاشم أسر يوم بدر وفداه العباس رضي الله تعالى عنهما وهاجر أيام الخندق وقيل

فدى

فدى نفسه برماحه وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين العباس بن عبد المطلب وكانا رضي الله تعالى عنهما شريكين في الجاهلية متفاوضين في المال متحابين وروى ولده عبد الله بن نوفل بن الحارث قال لما أسر الحارث بن نوفل يوم بدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افد نفسك قال ما لي شيء أفدي به قال افد نفسك برماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي رماحا بجدة غيري بعد الله أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح قال أبو عمر وشهد نوفل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وكان ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى رماحك يا أبا الحارث تقصف أصلاب المشركين وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم إخباره بالغيب فقد نصره الله يوم حنين وقتل المشركين حتى قتل منهم أبو طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه عشرين رجلا وحده وأخذ أسلابهم وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ووصف النبي كسره فقال تقصف أي بفتح الصاد كسره به ويستعمل في الأصلاب كثيرا كما في الحديث بشدة ومن بديع ما جاء في ذلك ما أنشده الحصري في زهر الآداب قال مات رجل من العرب كان يقول إني عشر ألفا فلما حمل على سريره صر (أي صوت) فقال بعض من حضره

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ريح حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

ومن التجارة التجارة في القرظ للدبغ فمن ذلك ما ذكره في الاستيعاب أن سعد بن عائذ المؤذن مولى عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما المعروف بسعد القرظ الذي له صحبة وإنما قيل له سعد القرظ لأنه كلما اتجر في شيء وضع فيه أي خسر فتجر في القرظ فربح فيه فلزم التجارة فيه وممن كان دباغا ما ذكره أبو بكر بن دريد الحارث بن عمرو أسلم يوم الفتح انتهى

(الفصل الثاني)

(في حرف عملها رجال دون الصنائع المذكورة)

في هذه الحرف حرفة الحطاب روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي عبيد مولى

عبد الرحمن بن عوف انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه وروى ان رجلا من الانصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفاقة ثم عاد فقال يا رسول الله لقد جئت من أهل بيت ما أرى ان أرجع اليهم حتى يموت بعضهم قال انطلق هل تجد من شيء فانطلق فجاء بحلس (وحلس البيت ما يبسط تحت حر المتاع من مسح أو نحوه) وقدح فقال يا رسول الله هذا الحلس كانوا يفرشون بعضه ويلبسون بعضه وهذا القدح كانوا يشربون فيه فقال من يأخذهما مني بدرهم فقال رجل أنا فقال من يزيد على درهم فقال رجل آخر أنا آخذهما بدرهمين فقال هما لك فدعا بالرجل فقال اشتر بدرهم طعاما لأهلك وبدرهم فأسا ثم ائتني ففعل ثم جاء فقال انطلق الى هذا الوادي فلا تدعن شوكا ولا حطبا ولا تأتني الا بعد عشر ففعل ثم أتاه فقال بورك فيما أمرتني به فقال هذا خير لك من أن تأتي يوم القيامة في وجهك نكتة من المسألة أو خموش من المسألة الشك من بعض الرواة ذكره في كتاب النكاح دليلا على جواز خطبة المرأة على خطبة الغير وسوم السلعة على سوم الغير ما لم يقع التراكن

قال ابن حجر في حديث ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكذلك يحرم السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة على خطبة الغير كما في رواية الصحيحين وكل ما في معنى ذلك مما يغير القلوب ويورث التباغض الا ان يرضى من له الحق لانه حقه فله تركه ولزوال علة المباغضة والسوم المحرم هو أن يزيد في الثمن بعد استقرار قراره صحيحا أو يعرض على المشتري أرخص منه مثله أو خيرا منه بعد التراضي وقبل لزومه الذي هو البيع على البيع أو الشراء على الشراء كأن يعرض أزيد وقول ابن حج من أصحابنا يجوز ذلك ان رأى فيه غبنا ضعيف والوجه الحرمة مطلقا

ومن هذه الحرف الدلالة وتسمى السمسرة روى مسلم عن طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتلقى الركبان وان يبيع حاضر لباد وروى البخاري في بابه وقال فقلت لابن عباس ما معنى قوله لا يبيع حاضر لباد قال لا يكون له سمسارا أي لا يكون له دلالا فالسمسار والدلال هو متولي البيع والشراء للغير أو الذي يجمع بين المتبايعين وفي طباع المحترفين ما يقتضيه واما السماسرة والدلالون فقوم أجراء لا في عدد التجار ولا ممن له الحرف والصناعات لانه لا مال لهم ولا قرار ولا يقع لهم ذكر في أسفار

اما

وأما النساج فهو الذي ضم السدى إلى اللحمة وحرفته النساجة وقال لها الحائك وحرفته الحياكة وقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال جاءت امرأة ببردة قال سهل أتدرون ما البردة فقيل له نعم فقال هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال رجل من القوم يا رسول الله اكسنيها فقال نعم فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها إياه لقد عرفت أنه لا يرد سائلا فقال الرجل والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت قال سهل فكانت كفنه وقوله هي الشملة منسوج في حاشيتها يعني أنها لم تكن في حاشيتها نسج فهي ثوب من عصب اليمن ووشيه

وأما الخياط فهو المعروف لأنه قد كان عثمان بن طلحة الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة خياطا وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه قال أنس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا فيه دبا (أي قرع) وقديد (هو ما قطع من اللحم طولا وملح وادخر) فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء حول القصعة فلم أزل أحب الدباء من يومئذ

ومن الحرف التي في عهده صلى الله عليه وسلم حرفة النجارة وقد وقع خلاف في اسم من صنع المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل صنعه غلام امرأة من الأنصار واسمه ميناء وقيل صنعه باقوم مولى العاص بن أمية وكان له طاقة وقيل صنعه ميمون النجار وقيل صنعه صباح غلام العباس بن عبد المطلب وقيل صنعه غلام لقبيصة المخزومي قال بعضهم فلعلهم كلهم اجتمعوا على عمله

وأما ناحت الأقداح فقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى في السير عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فكانوا

(نحاتة الأحجار)

أنه لما جاء خبر [illegible] بمكة [illegible] فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب هلم إلي فعندك لعمري الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس فقال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا (بضم التاء من ألاق يعني أي لا تبقي شيئا) ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته انتهى

والعدسة داء من الأدواء تخرج بالإنسان وربما قتل وهو شبه العدس والدمل وقد مر في الفصل الأول من الباب الأول من المقالة الخامسة من أن العدسة قرحة كانت تخرج على الناس يزعم العرب أنها تعدي تشبه بالطاعون

وأما الصياغة فالظاهر أنها كانت في أول الإسلام حرفة اليهود ولم يكن أحد من المسلمين يعرفها روى البخاري في كتابه الجامع الصحيح باب ما قيل في الصواغ وخرج فيه عن علي رضي الله عنه أنه قال كانت لي شارف (والشارف المسنة من النوق) من نصيبي من المغنم وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع (بطن من يهود المدينة) أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي وخرج فيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي وإنما حلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمعرف

قال

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه الا الاذخر لصاغتنا ولسقف بيوتنا فقال الا الاذخر وقد سبق بعض ذلك في غزوة فتح مكة

واما صناعة الحداد والقين فكانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفة لبعض الصحابة فقد روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين (واسمه البراء بن أوس) وكان ظئرا لابراهيم (أي أبا من الرضاع لان زوجته أم بردة أرضعته عليه) فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه وفي رواية في حديث أنس فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معه فصادفنا أبا سيف ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت دخانا فأسرعت في المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه اليه وقال ما شاء الله ان يقول فلقد رأيته يكيد بنفسه (قال كاد يسوقه بها الموت اذا عالج) قال فدمعت عينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون حتى ومن المهن اتخاذ صنعة البناء ويقال لصاحبها البناء وكان أول بان في الاسلام عمار بن ياسر رضي الله عنه وقد شرف صلى الله عليه وسلم هذه الصناعة حين أسس مسجد قباء حيث كان هو أول من وضع حجرا في قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه الى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البنيان فأول من بنى مسجدا في الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف قال فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ من بني النجار قال فجاؤا متقلدي سيوفهم وكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رضي الله تعالى عنه ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب قال وكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم قال ثم انه أمر ببناء المسجد فأرسل الى ملأ بني النجار فجاؤا فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله قال فكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع قال فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة قال

(نهاية الإيجاز)

وجعلوا يتغنون ذلك الشعر وهم يحفرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول

لاهمّ إن الخير خير الآخره * فاكرم الأنصار والمهاجره

وأجابوه رضي الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

انتهى قال ابن إسحاق فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فعمل فيه المهاجرون والأنصار قال وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب حتى بني له مسجده ومساكنه ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب رضي الله تعالى عنه وذكر ابن جماعة رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ببناء المسجد فبني باللبن وجعلت عضادتاه بالحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع وقيل كان أقل من المائة وجعل الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن وكان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة بيت المال عنده لم يغيره عما كان عليه وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل قد نخر في أيامه فكلمه العباس في بيع داره ليزيدها فيه فوهبها لله وللمسلمين فزادها عمر في المسجد ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك فقد أنكر عليه بعض الصحابة وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وكان في أواخر عصر الصحابة وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوف الفتنة وقال ابن المنير لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة وقال بعضهم تجوز زخرفة المساجد إذا وقف بعضهم على المساجد ولم يصرف عليها من بيت المال وقد قال الأولى من الشافعية تجوز الزخرفة لأن فيها تعظيم المسجد وإعزاز الدين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بنى مساكنه إلى جنب المسجد باللبن وسقفها بجذوع النخل وتقدم ذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الخامسة من الجزء الثاني وفيما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده إذ وفد عليه قيس بن طلق الحنفي وهو يبنيه معه فوكله النبي صلى الله عليه وسلم (بتخفيف الكاف أي كلفه) بعمل الطين لأنه رآه يحسنه فيدل ذلك على أن الرجل إذا كان يحسن شيئا من أعمال البناء وغيره

يقدم

يدي أن يؤكل فعله دون حمله تماماً لجلوسه صلى الله عليه وسلم دكة أي مصطبة من طين فقد روي عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب ولا يدري أيهم هو حتى يسأل فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه فبنينا له دكاناً (أي دكة) من طين فكان يجلس عليه ونجلس بجانبه

ومن الصناعات شغل الخوص أي ورق النخل يعني ما يصنع منه من قفاف وغيرها ويقال لصانعه خواص ذكر ابن وهب وابن نافع عن مالك رحمهم الله تعالى قال كان سلمان رضي الله تعالى عنه يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل من أحد شيئاً ويحكى أنه دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن وهو يعمل هذا الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت أمير يجري لك رزق فقال إني أحب أن آكل من عمل يدي

ومن الحرف صيد البر والبحر فأما صيد البر فهو الصيد بالكلاب وبالبزاة وبالرمح وبالسهام وبالمعراض وبالبندق وغير ذلك من آلات الصيد روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى واللفظ للبخاري عن عدي بن حاتم الطائي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالطها كلب من غيرها فلا تأكل وأما الصيد بالبزاة فقد روى الترمذي رحمه الله تعالى بإسناده عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال ما أمسك عليك فكل قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مجالد عن الشعبي والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بصيد البزاة والصقور بأساً

وأما الصيد بالرمح فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو (أي أبو قتادة) غير محرم فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بعضهم فأدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما هي طعمة أطعمكموها الله وروى مسلم بإسناده عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه رضي الله تعالى عنه أنهم خرجوا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم محرمون وأبو قتادة محل، وساق الحديث وفيه فقال هل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها انتهى وقيل لأبي قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم غزوة ذي قرد (بفتح القاف والراء ماء على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان) وهو يوم أغارت فيه فزارة على سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال له يوم الغابة أيضا وفي السير أن الذي أغار يومئذ عيينة بن حصن وفي صحيح مسلم أن الذي أغار عبد الرحمن الفزاري فقتلوا راعيا وأخذوا اللقاح وظهر فيه شجاعة فتبعهم المسلمون وأبلى يومئذ أبو قتادة وسلمة بن الأكوع بلاء حسنا فقتل أبو قتادة فارسا منهم وهو عبد الرحمن على ما ثبت في صحيح مسلم ورماهم سلمة بالنبل وتبعهم حتى لحقت به فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلأهم عنه وغنم ما غنموا وألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يخففون فبذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع

وفي الصيد بالسهام روى مسلم رحمه الله تعالى عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيد فقال إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع في ماء فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك وفي الصيد بالمعراض الذي هو خشبة في طرفها حديدة أو سهم لا ريش له يرمى به عرضا فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال إذا أصاب بحده فكل وإذا أصاب بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل (والوقيذ مأخوذ من قوله عز وجل والموقوذة وهي التي تقتل بعصا أو حجر أو ما لا حد له قال وقذته إذا أثخنته ضربا)

وأما الصيد باليد فقد روى مسلم رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه مررنا فاستنفجنا أرنبا (أي أثرناها ونفرناها) بمر الظهران (وهو مكان على بريد من مكة) فسعوا عليه فلغبوا قال فسعيت حتى أدركتها فأتيت بها أبا طلحة رضي الله تعالى عنه فذبحها فبعث بوركيها وفخذيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وفي الشفاء للقاضي عياض بسنده المتصل به عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان عندنا داجن (دواجن البيوت

يليونها أيام المطر والشتاء وغير ذلك) فإذا كان صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه ولم يعجب ولم يذهب فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وذهب انتهى

وأما الصيد بالآلات قال ابن عطية في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم الظاهر أن الله عز وجل خص الأيدي بالذكر لأنها أعظم التصرف في الاصطياد وفيها تدخل الجوارح وما عمل بالأيدي من فخاخ وشباك انتهى والآلات المعدة للصيد على ضروب من الحبائل منها الحبال الظاهرة والأشراك المستورة والفخاخ ومنها المدسوس في أماكن مرفوقة تحت التراب من الحديد المعقر والمجزر الموجهة فإذا عطبت فيه خطبت فيه أرجلها أو رقبتها فتقطع أعصابها حتى لا يكون بها حراك وإياها عنى الشاعر بقوله

فإن كنت لا أدري الظباء فإنني ... أدس لها تحت التراب الدواهيا

ومنها الحجر وغير ذلك

وأما صيد البحر فمذكور أيضا في كتاب الله تعالى قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وقال تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها قال ابن عطية هذا حكم بتحليل صيد البحر وهو كل ما صيد من حيتانه والمراد بالصيد هنا المصيد وطعام البحر الماء الذي يرمي به حيا كان أو غيره وطعامه قال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وجماعة من الصحابة والتابعين من بعدهم هو ما قذف به وطفا عليه لأن ذلك طعام لا صيد وهذا التأويل ينظر إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقد صيد من البحر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل منه روى مسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يعطينا تمرة تمرة فكنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط (أي ورق الشجر) ثم نبله بالماء فنأكله قال وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأقمنا عليها

شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه (بفتح الواو وتكون القاف نقرة العين في عظم الوجنة) بالقلال الدهن ونقطع منه الفدر (اى القطع) كالثور او كقدر الثور ولقد اخذ منا ابو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينه واخذ ضلعا من اضلاعه فاقامها ثم رحل اعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق (اى شرائح) فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله وكان في عهده صلى الله عليه وسلم السقاء الذي يحمل الماء على ظهره كما كان ايضا يحمل على الظهر مطلقا وهو حمّال روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله اربعة آلاف درهم واربعمائة دينار وأتى عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر فلمزهما المنافقون (اى عابوهما) وقالوا ما هذا الا رياء فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم يعني وكان ابو عقيل السقاء جاء بصاع من تمر فقال ما لي غير صاعين علقت بهما الماء على ظهري حبست احدهما لعيالي وجئت بالآخر فلمزه المنافقون وقالوا ان الله لغني عن صاع هذا

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالصدقة فما يجد احدنا شيئا يتصدق به حتى ينطلق الى السوق فيحمل على ظهره فيجيء بالمد فيعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لأعرف اليوم رجلا له مائة ألف ما كان له يومئذ درهم

واما اللحام ويسمى ايضا الجزار والقصاب فقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل من الانصار يكنى ابا شعيب فقال لغلام له قصاب اجعل لي طعاما يكفي خمسة فاني اريد ان ادعو النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة فاني قد عرفت في وجهه الجوع وروى البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى ان عليا رضي الله تعالى عنه اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يقوم على بدنه (جمع بدنة وهي ما تنحر في الاضحى والنذر وما اشبه ذلك) وان يقسم بدنه كلها لحومها وجلودها وجلالها (جمع جل وهو ما يوضع على الدابة لتصان به) وان لا اعطي الجزار منها وقال نحن نعطيه من عندنا

واما

وأما الطباخ ففي الشمائل للترمذي رحمه الله تعالى عن أبي عبيد رضي الله تعالى عنه (أبو عبيد من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال طبخت للنبي صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت وخرج النسائي رحمه الله في كتاب الوليمة من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فقال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله إنما للشاة ذراعان قال لو التمسته لوجدته انتهى فيحتمل أن يكون ما رواه هذان الإمامان قضيتين وقعتا في وقتين لشخص أو أن يكون من وهم الرواة فنسبها أحدهما إلى أبي عبيد ونسبها الآخر إلى أبي هريرة وإنما كان أبو عبيد خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يطبخ له وكان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء روى النسائي رحمه الله تعالى عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال كنت أشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الشاة وقد توضأ للصلاة فأكل منه ثم خرج للصلاة ولا توضأ

وأما الحفار لقبره فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح (أي يحفر الضريح والضريح شق القبر وسطا واللحد في الجانب) لأهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رضي الله عنه رجلين فقال لأحدهما اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة اللهم خر لرسول الله فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجاري الأنصاري وهو مشهور بكنيته شهد العقبة ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

(الفصل الثالث)

(في النساء المعروفات بما يناط بهن وهن الماشطة والقابلة والحاضنة والغاسلة والمغنية)

(مهانة الاعمار)

اما الماشطة فهي التي تجمل المرأة وتصلح من أمرها لتهدى لزوجها وقد كانت ماشطة السيدة خديجة رضي الله عنها تسمى زهرة قال ابن فتحون في ذيل الاسد الغابة زهرة كانت ماشطة السيدة خديجة أم المؤمنين بنت خويلد سيدة نساء العالمين رضي الله تعالى عنها كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيكرمها ويقول انها كانت تأتينا أيام خديجة ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب في خيبر أو بعض الطريق كانت كما قاله ابن اسحاق التي جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أخي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خدمته وفي الاسد الغابة ان أم سليم بنت ملحان بن خالد ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصارية اختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رملة وقيل رميثة وقيل مليكة ويقال الغميصاء والرميصاء كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية فولدت له أنس بن مالك فلما جاء الله تعالى بالاسلام اسلمت مع قومها وعرضت الاسلام على زوجها فغضب عليها وخرج الى الشام فهلك هناك ثم خلف عليها بعده ابو طلحة الانصاري رضي الله تعالى عنه خطبها وهو على دين قومه وعلم انه لا سبيل له عليها الا بالاسلام فأسلم وتزوجها وجاءته بعبد الله بن ابي طلحة الفقيه وروت ام سليم رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث وكانت من عقلاء النساء انتهى بتصرف

وأما القابلة فكانت سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ابي رافع قابلة مارية أم ابراهيم ولده بالعالية (كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها فهو العالية وكل ما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة) في المال الذي يقال له الآن مشربة ابراهيم بالقف (نصب العالي وادي من اودية المدينة) فبشر أبو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وكانت ايضا قابلة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي غسلت فاطمة رضي الله تعالى عنها بحضور أم عطية الخافضة الآتي ذكرها وشهدت سلمى هذه غزوة خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

واما الغاسلة فقد تقدم ان سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ابي رافع قابلة مارية ام ابراهيم غسلت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وان ام عطية كانت حاضرة معها

واما الخافضة فهي الخاتنة وكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ام عطية هي التي تخفض البنات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها اخفضي ولا تنهكي

(أي لا تبالي في استقصاء الختان) فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج وأول من ختنت أذناها وخفضت من النساء هاجر أم إسماعيل عليه السلام وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في النساء وكانت أم عطية رضي الله تعالى عنها من كبار نساء الصحابة تغزو كثيرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوي المرضى والجرحى ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وبعضهم لم يذكرها في الصحابيات وأما المرضعة فكانت أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار هي التي أرضعت إبراهيم بن سيدنا صلى الله عليه وسلم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ساعة وضعته أمه فلم تزل ترضعه حتى مات عندها وهي زوج البراء ابن أوس بن خالد النجاري وهو رضي الله عنه أبو إبراهيم من الرضاع لأن زوجته أم بردة أرضعته بلبنه ويقال لها أيضا أم سيف وزوجها أبو سيف وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه انتهى وكأن كنى أم بردة بكنيتها أم سيف أشهر وقد تقدم ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني عشر من المقالة الخامسة

وأما القينة فهي مغنية من الغناء بالمد وأصله رفع الصوت بشيء والموالاة فيه مرة بعد أخرى وأكثر ما يقال في صوت أو شيء من فمه ويحلو فلذلك قيل غنت الحمامة وتغنى الطائر قال المجنون

ألا قاتل الله الحمامة غدوة * على الغصن ماذا هيجت حين غنت

وأنشد الفراء

تغن بالشعر إذا ما أنت قائله * إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وليس كل من تغنى بالشعر أو غيره تعين الأمر اتخذه صناعة فمن تلقى من الجواري وغيرهن من الرجال الأشعار في بيوتهم في خلواتهم ويترنمون به لا يقال لهم مغن ولا تطلق اسم المغنية على القينة وإن كانت القينة في الأصل الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان وفسر بعضهم اللهو في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث بالغناء قال القسطلاني في شرح البخاري قال ابن مسعود فيما رواه ابن جرير هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وبه قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير

وقال الحسن أنزلت في الغناء والمزامير وعند الإمام أحمد عن وكيع قال حدثنا خلاد الصفار عن عبيد الله عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن هو أبو عبد الرحمن مرفوعا لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن وأكل أثمانهن حرام ورواه ابن أبي شيبة بالسند المذكور إلى القاسم عن أبي أمامة مرفوعا بلفظ أحمد وزاد وفيه أنزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ورواه الترمذي من حديث القاسم ابن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وقال حديث غريب إنما يروى من هذا الوجه قال وسألت البخاري عن إسناد هذا الحديث فقال علي بن يزيد ذاهب الحديث ووثق عبيد الله والقاسم بن عبد الرحمن ورواه ابن ماجه في التجارات من حديث عبيد الله الإفريقي عن أبي أمامة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المغنيات وعن شرائهن وعن كسبهن وعن أكل أثمانهن ورواه الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثمن القينة سحت وغناؤها حرام والنظر إليها حرام وثمنها مثل ثمن الكلب وثمن الكلب سحت ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به ورواه البيهقي عن أبي أمامة من طريق مثل رواية الإمام أحمد وفي معجم الطبراني الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رفع رجل بعقيرته غناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يسكت وقوله الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وفي ذلك الزجر الشديد للأشقياء المعرضين عن الاستماع سماع كلام الله المقبلين على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب وإضافة اللهو إلى الحديث للبيان بمعنى من لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث أو للتبعيض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه ليضل أي ليصد الناس عن سبيل الله دين الإسلام والقرآن ويسقط لأي ... ليضل عن سبيل الله وقال ... الآية إلخ

قال العراقي وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس المراد به وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله كان حراما انتهى ولعل القول بالتحريم مبني على ما ينجر إليه من الملاهي عن ذكر الله وحقوق عباده

لـا

ولما يعرض فيه من فساد الأخلاق ولما يحصل من المنادمة والمداومة على شرب الخمور
لا نظراً للغناء في حد ذاته مع الاعتقاد لترويح النفس وكفاك في صحة ذلك وأن الغناء
صار دندنة الأكابر الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والأغنياء وأنه ألهاهم
عن مصالحهم الواجبة إذ به قد ألف في المغنين والمغنيات طبقات وأي طبقات
وأطروا في مدحهم على ما تعم به البلوى من بعضهم قال صاحب طبقات المغنين
في ترجمة حبابة جارية يزيد بن عبد الملك
أقبلت على الجوائز وصبت بأطرابها وحسنت بأترابها وسعرت نيران الخدود
بنورها وملأت الصدور بسرورها ووصلت إلى حب يزيد وكان حبه فيها
يزيد فكان لو خير بينها وبين الخلافة لاختارها أو بينها والسهد لترك السهد
وآثرها وكانت هي سبب الطعن عليه حتى أخذته الرماح وسددته ما في مهاب
الرياح وصارت الهدى وسلامة القس ونعم ما طول مدته على لذة العرس الا
ان هوى حبابة سكن منه فؤاده وأشغله حتى ذهب به ثم وهبها سلامة ورضي بها
ولم يعطه ملامه قال أبو الفرج أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً
إلى البيت الذي هي فيه فقام من وراء الستر فسمعها تترنم وتغني

كان لي يا يزيد حبك حيناً * كاد يقضي على لما التقينا

(والحسن مع الحلا الهملة الهلالك) والستر كان لابنه ان يرفع الستر فرآها مضطجعة
مقبلة على الجدار فعلم أنها لم تعلم به فألقى نفسه عليها فحدثت به فقال بعضهم ملك أخو يزيد
على الحرب وسماع الغناء إذ سل سيفه بيده لومه ويقول له انك وانت نعت عمر بن
عبد العزيز وعدله وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في أمور المسلمين والوفود ببابك
وأصحاب الولايات والظلامات يصيحون وأنت غافل عنهم فقال صدقت والله وأعتبه وهم
بترك الشراب أياماً ولم يدخل على حبابة فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول شعراً
في ذلك وقالت ان رددته عن رأيه فلك ألف دينار فدخل الأحوص على يزيد
فاستأذنه فأذن له فقال

كتب الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فندت في طلب الصبا * لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وحفظت حبابة الأبيات وغنت فيها لحنا وكان يزيد قد أقام جمعة لا يدخل الى الناس فلما
كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها اذا خرج أمير المؤمنين الى الصلاة فأعلميني فلما أراد
الخروج أعلمتها فتلقته والعود في يدها فغنت البيت الأول فغطى وجهه وقال مه
لا تفعلي ثم غنت الابيات فلما بلغت الى * فما العيش الا ما تلذ وتشتهي * عدل اليها
وقال صدقت والله فقبح الله من لامني فيك يا غلام مر مسلمة فليصل بالناس وأقام معها
وعاد الى حاله ويحكى فيها انها أنشدت يوما يزيد بن عبد الملك

لعمرك انني لأحب سلعا * لرؤيتها ومن أكناف سلع

ثم تنفست تنفسا شديدا فقال لها أتتنفسين لأجله والله لئن كان كذلك لأقطعنه قالت
وما أصنع به لعمري إنما أردت ساكنه قال المدائني كانت حبابة اذا غنت
وطرب يزيد قال أطير قولي الى من يدع أمور المسلمين ويقول الملك ويقال ان حبابة
غنت يوما فطرب يزيد ثم قال لها هل رأيت أطرب مني قالت نعم مولاي الذي باعني فغضب يزيد
يوسف فعاظه ذلك وكتب في حمله مقيدا فلما قدم أمر بادخاله اليه فأدخل يوسف
في قيده وأمرها بالغناء فغنت

فشط بعداد دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

فوثب يوسف فألقى نفسه على الشمعة فأحرقته وجعل يصيح الحريق الحريق
فضحك يزيد وقال لعمري ان هذا لأطرب مني وأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار
ووصلته حبابة لما وردت الى المدينة قال بعضهم رأيت يزيد بن ثابت الاسلام
ومعه حبابة فقال زعموا انه لا تصفو لأحد عيشه الا لا يكدره شيء وسأجرب ذلك ثم
قال لمن معه اذا كان الغد لا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب وخلا هو وحبابة فأتيا بما أكلا
فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثة أيام حتى أنتنت وهو يشمها
ويقبلها ويرشفها فعاتبه أقرباؤه وقالوا قد
صارت جيفة بين يديك ولم يزل بها حتى أذن لهم في دفنها وأمر فأخرجت في نطع وخرج
لا يتكلم حتى جلس على قبرها وقال أصبحت والله كما قال كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قائل * من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام الا خمسة عشر يوما حتى مات ودفن الى جانبها وروى المدائني انه اشتاق اليها
بعد ثلاثة أيام من دفنها فأمر بنبشها فنبشت وكشف عن وجهها وقد تغير تغيرا قبيحا

تتغنّى بها ثناء الله ألا ترى كيف طرب فقال ما رأيتها أحسن من هذا اللو
أخرجوها شيئاً فشيئاً وحركوه وأهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك وذهب
انتهى كلام الطائفة ببعض تصرف. وانظر الفرق بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن
الوليد القائل لأصحابه بعضهم إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم
المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فإن كنتم لا بدّ فاعلين فجنبوه النساء
فإن الغناء داعية الفجور وبالجملة فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وشوقه في سماع
الأبيات دون سماع الآيات وفي سماع الألحان دون سماع القرآن فهذا أقوى
دليل على أنه مغرور وزاد له أيضاً على فراغ قلبه من محبة كلام الله

فإن كان هذا حال الغناء والسماع وما يترتب عليهما من فساد الطباع . فكيف لا يعتقد
على حرمة الاجتماع وبالجملة فالحرمة في اللعب من غناء وغيره محرمة بما يترتب عليه
من المحارم وما ينجرّ به من الميل عن سنن المكارم

وأما سماع أهل الله السادة الصوفية الخالصين من شرك النفس وهفواتها فلا يرد
عليهم ما يرد على غيرهم من أهل الغفلة من الشهوة النفسية والميل إلى المعاني والخواطر
الشيطانية وإنما هو منشط ومقوّ لهم على السلوك إلى الله تعالى وربما قطعوا به
المسافات البعيدة في السلوك التي لا يقطعونها في زمن طويل لو قالوا وربما عرض للسالك
عقبة في سلوكه فلا يقطعها إلا بالسماع وقال الشيخ زين العابدين البكري الصديقي
رضي الله عنه وعن أصوله

هاتوا مواليَ وهاتوا بعد قوّال * فكل ساعة طرب تنبي لنا أحوال

وقال بعضهم إذا فارقنا سماع إلى الوجد كما فارق الصلاة إلى النية وكما لا تصح الصلاة
إلا بالنية والقصد كذلك لا يباح السماع إلا بالوجد فمن كانت حركته في السماع
لطبعه كانت بشريته وإنه ألا ترى أن كثيراً من الحيوان يستأنس بحال عن المعتاد عند
سماع المطربات وتقوى حركته لسماع طيب الأصوات فمن كان هذا السماع الخ وأنى
في ذلك أقصى أربه كان مقصوراً به على لهوه ولعبه وهو سماع الطبيعة فهو غير مباح
والسماع الذي أخذ لعب به الأقوال إنما هو سماع أهل المقامات والأحوال فمنهم
من أباحه على حكم الاختصاص ومنهم من جعله من رتبة الخواص ومنهم من توقف
ولم يعد إلى إباحة الدال على كل أمر به سابقاً ورأى الاحتراز منه إذا قدرته الخصوص

فيها اهتزازًا يكون من حيث أمره فتركه لأجل ذلك أولى ولم يعترض على من حضره من السلف لكن لم ير منه محظورًا أصلا وأنشد

إذا حرك الوجد السماع الكريم * يباح وإلا فالسماع حرام

ومن هزه طيب السماع فحسبه * وما لي من الأشواق ليس ملام

وقد يمال نظير ذلك في الرقص فإن كان لا واحد أبيح

ومع هذا ينبغي أن لا يتخذ ذلك على الملا لأنه قد كان موجود في عهده صلى الله عليه وسلم روى مسلم رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء حبش يزفنون (أي يرقصون) في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرف عن النظر إليهم وقيل إن الزفن هو رقص الحبشة وهو لعبهم وهم فرحهم بحرابهم لا أنفة وإن قال بعضهم إنه الرقص بالدف لأن هذا لا يصح في المسجد بخلاف اللعب بالحراب المتدرب على الحروب فإنه لا يضر وروى مسلم أيضا رحمه الله تعالى أن أبا بكر الصديق دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان بالدف ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد أي منى والدف هو الذي تسميه الناس الطار وهو المستعمل الآن عند المغنين في الأعراس وفيه قطع من الصفر مثبتة يرى تحركه في جانب دوره سمع لها عند تحركه وقرع بعضها ببعض صوت وجلجلة وقد كانت العرب تجعل في دفوفها جلاجل وأنشد الأصمعي في كتابه في الكل المرردي يخاطب الجاريتين عبد الله بن ربيعة المعروف بالقباع وكان قد أمر صاحب شرطته أن يأخذ ابن حصين بهدم داره من بين وكان يأخذ لعب في الأعراس

أجارتي داري من بين هدمها * وأبيات أحب لا يعاق عوائله

أتعتب على جار حاس بحانه * إذا دفه إذ تهب جلاجله

وقد ذكر ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السماع من كتاب الإحياء عند ذكر الآلات التي يباح بها الغناء في الغناء منها الدف قال وإن كان فيه الجلاجل ولا نعلم

فيها

مثل الدفوف التي كانت الجواري يضربن بها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فهما هل يحل أم لا وأيهما يحل من إجازة الفراء إلى استعمال ما فيه الخلاف من الدفوف ثبوت أنه مما فاتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا أباح استعمالها وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث (يوم مشهور من أيام الخزرج والأوس كان الظهور فيه للأوس) قالت وليستا بمغنيتين (أي ليس الغناء صناعتهما) فقال أبو بكر أبمزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لكل قوم عيد وهذا عيدنا انتهى

وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كانت الحبش يرقصون وفي رواية يرقصون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون محمد عبد صالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقولون قالوا يقولون محمد عبد صالح وأخرج البخاري رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمنا بني أرفدة يعني من الأمن قال الزركشي رحمه الله تعالى أرفدة بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الفاء وكسرها أشهر جد الحبشة وفي الصحاح قال أبو عمرو بنو أرفدة جنس من الحبوش كذا في أزهار العروش للعلامة السيوطي ونقل العلامة أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه تنوير الغبش عن أبي عوانة عن أبي بشر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رأيا الحبشة وهم يلعبون ويقولون شعرا

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا نزلت بآل عبد الدار

لولا نزلت بهم تردد فقرهم * معول من جهد ومن إقتار

وأما الغناء في وليمة النكاح فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو وروى النسائي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال أنكحت

ثابت رضي الله تعالى عنها أنها أهدت قرابة لها إلى رجل من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديتم الفتاة ألا بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم وروى النسائي عن عامر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الانصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر يفعل هذا عندكم فقالوا إن شئت فاجلس واسمع معنا وإن شئت فاذهب قد رخص لنا في اللهو عند العرس

وأما من غنى به في تلقي النبي صلى الله عليه وسلم من السفر فقد ذكر الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب آداب السماع من الاحياء قول الذين أباحوا الغناء وحججهم قال ويدل على هذا من النقل إنشادهم بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

قال الامام الغزالي وقد نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الايام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية انتهى ولا يخفى ان عبد الله بن جعفر كان كثير سماع الغناء حتى قيل انه لم يكن في الاسلام أسخى منه وبهذا سمي بحر الجود وكان يطرب على سماع ما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه وانه يروى انه كان لا يرى بسماع الغناء بأسا وكان اذا قدم على معاوية أنزله داره وأظهر له من بره وإكرامه ما يستحقه وكان ذلك يغيظ فاختة زوجة معاوية فسمعت ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت تعال فاسمع ما في منزل هذا الرجل الذي جعلته بين لحمك ودمك فجاء معاوية فسمع وانصرف فلما كان

في

في آخر الليل فتبيح معاوية قراءته فقال سبحان الله من سمع قراءته فما سمعت مثله وقال أسمعني مكان ما أسمعتني انتهى

ثم قال الإمام الغزالي بعد ذلك ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده إذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود

وقال بعض الحكماء فضل الإنسان بفضل النطق على الأخرس والإنسان المنطوق على

(نهاية الاعجاز)

القطعة من الذهب ومن كلام بعضهم الغناء يحرك الهوى الساكن ويسكن الهوى المتحرك وفي كلام بعضهم الصوت الحسن يوصل الى نعيم الدنيا والآخرة لانه يؤنس الوحدة ويروح النفس ويسلي الكئيب ويحض على الشجاعة واصطناع المعروف قال افلاطون هذا العلم يعني علم الموسيقى لم يضعه الحكماء للهو واللعب بل للمنافع الذاتية ولذة الروح الروحانية وبسط النفس وترطيب اليبوسات وتعديل السوداء وترقيق الدم الرديء ويصلح للتعليم والالحان بالغناء لان النفس تسعى به من الملاذ البدنية في حال سماعه وقال بعضهم

غنى مغن بشجو * فزاد منه خشوعي

وحين أطرب سمعي * نقطته بدموعي

وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال انما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع الهزار لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن

ثم قال السماع في أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجه وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لاجل اظهار السرور به ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جازت اثارة السرور به ويدل على هذا من النقل انشاد النساء على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا الخ فهذا لاظهار السرور بقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة أنهم حجلوا (أي رقصوا) في سرور أصابهم وقد ثبت جوازه يوما اجتمعوا عندما حصل لهم ومع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم ينكره عليهم ذكر أبو عمر بن عبد ربه في العقد الفريد

يريد حديث عبد الله بن أبي أويس ابن عم مالك رحمه الله تعالى قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع (اسم أطم حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه سمي بذلك لعلوه وارتفاعه والأطم بضم الهمزة والطاء الحصن) وهي تغني وتقول

هل علي ويحكما * إن لهوت من حرج

فقال صلى الله عليه وسلم لا حرج إن شاء الله وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى هذا الحديث في رسالته وزاد معه أبياتاً وقال إن رجلاً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

أدبرت فقلت لها * والفؤاد في وهج

هل علي ويحكما * إن لهوت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وفي توجيه تشبيه العارضين بالسبج وجهان الوجه الأول أن يكون أراد عارضي نفسه وأن المرأة لما رأت سوادهما استقبحته وشنأته فأدبرت ويدل عليه قول الشاعر

قالت أسود عارضيك بشعر * وبه تقبح الوجوه الحسان

قلت أضرمت في فؤادي ناراً * فعلى عارضي منه دخان

وبين أبو تمام العلة في ذلك بقوله

أحلى الرجال من النساء مواقعاً * من كان أشبههم بهن خدودا

والوجه الثاني أن يكون أراد أن بهذه المرأة على عارضيها من شعر صدغيها فذكر العارضين وأراد به ما عليهما من الشعر ووصف ما ترسله النساء من شعر أصداغهن على عوارضهن بالسواد أمر معروف ولذلك شبهه الشعراء بالسبج فمن تشبيهه بالسبج قول الشاعر

وجه كأنه عاج صور في قمر * على عوارضها صدغان من سبج

وقال بعضهم

في خدها شامة السبج ماثلة * مرمري في وجهه من نور

وكأنّ مستخرجها على صفحاتها * قرآن من صبح تلي بالورد

وأشار بعضهم بما الوتين إلى مستحقها وقد جعل ذلك منها كثيرا كما قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من شعر الخزندارية

ولما التقى الساقون والهدّ والسجع * من الخلق والإنسان والصدح حتى المرح
أتاح لها الباري زمردة سبها * فسمّ به عين الملاحة وانزوح

وإنما جعل عينها من الزمرد لأنها كانت عوراء وقد صرّح بذلك في قوله أيضا فيمن بها الزرقة في العين

ما شانها والله زرقة عينها * بل صار ذلك زيادة في زينها
كادت أساود شعرها تسطو على * عشاقها لولا زمردة عينها

وأشار بها إلى قول أصحاب الخواص إن الحية إذا نظرت إلى الزمرد الفائق انفقأت عيناها ومما جاء من شبهه بالعذار قول بعضهم

وعاشقة لم تبق من جسدي سوى * ذماء ولا تبقي الذماء لما أرى
على وجه من أهواه زمّان مائلا * وفي مقلتيها ما حوان ظاهرا

وقول بعضهم

ولما التقى الساعداء الأوى * وقد أغفل الناس ما في غد
رأيت المواضح فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدبّ على ورد خدّ ندي
تسالم من وطئت خدّه * وتلدغ قلب الشجيّ الأبعد
وتحمي عن الورد أن يجتنى * فقد أمن الورد من معتدي

وقد ثبت سماعه أيضا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم عن إذنه لتسمع أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها روى النسائي رحمه الله تعالى عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة تعرفين هذه قالت لا يا نبي الله قال هذه قينة بني فلان تحبين أن تغنيك فغنتها

وقيل إن عطاء بن أبي رباح كان يأمر جواريه يسمعن بعض أصحابه إذا جاءهم قال الشافعي

واما

وأما ما نقل في بعض كتب الفقه من أن فقيه الحجاز ذا الأوصاف الملاح أبا محمد عطاء بن أبي رباح مولى قريش كان يرى إباحة وطء الجواري بإذن أربابهن ومن أنه كان يبعث جواريه إلى ضيفانه فقد قال بعض أهل العلم الذي أعتقده أن هذا بعيد فإنه لو رأى الحل كانت الغيرة تأبى ذلك فكيف يظن هذا بمثل ذلك السيد الإمام وينبغي أن يحمل على بعث الجواري لسماع القول منهن على تقدير صحة ذلك وقريب من هذا ما نقل عن بعض الصوفية في باب السماع أنه كان يأمر جواريه أن يسمعن أصحابه عند اجتماعهم فإنه أيضا فإنه وإن صح فينبغي أن يحمل على ما إذا لم يخش منه فتنة بحضورهن وسماع أصواتهن إذا قلنا إن صوت المرأة ليس بعورة وكان في زمان بني أمية أمروا في الحاج صائحا يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح وقال أبو حنيفة ما رأيت أفقه منه وقال ابن جريج كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى

وهذا القدر من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم كاف في التبرك بذكره الشريف وفي الدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وشريعته أفضل الشرائع وأمته أكرم الأمم وعلماؤها أكرم العلماء وأما حصر فضائله ومعجزاته وما خصه الله به في الدنيا والآخرة وأعده له فلا سبيل لأحد إليه ولا يحوم طائر فكره عليه ولا يعلمه إلا الله تعالى اللهم أدخلنا في شفاعته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرة علماء أمته ووفقنا إلى العمل بطاعتك ولا تمكر بنا عند الخاتمة فإنا متوسلون بذلك إليك ومتوكلون في غفران الذنوب عليك إنك جواد كريم رؤوف رحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء الذي كان أشد حياء من العذراء ولم يتخلق بالسوء والفحشاء وعلى آله وأصحابه الذين أدوا أمانة ذاته واعتصموا بحبل الله وتمسكوا بكتابه

(يقول ملتزم الطباعة علي فهمي رفاعة ناظر قلم الروضة والطبع ووكيل بديوان عموم المعارف ونجل مؤلف هذه السيرة النبوية أظله الله بظل رحمته الوارف)

نحمد من أخلص سرائر سالكي هدايته وخص سيرنا بحب نبيه المصطفى عليه وعلى آله وأصحابه نوافح صلواته وزواهر تسليماته فقد كان من آياته الآثار في سيرة

ما كان اختار لمؤلفه المغفور له سبحانه وتعالى برضائه الصمدانى من غير روية
ومضى عصرى الجثمانى المرحوم السيد رفاعه بك رافع اسكنه الله الجنة بشفاعة
جده صلى الله عليه وسلم وبركة العلم النافع ثم ان لما دعا هذا الصنيع أن يعد
للمطالع بعض تعريف وهو أن هذا الكتاب وكتاب المرشد الامين فى تربية
البنات والبنين كان الوالد قد أتم تسويدهما رحمه الله ولم يزل يصحح ما يلزم طبعه
شيئا فشيئا الى ان استأثر الله به ونقله الى رضاه فكان إتمام ثانى رائعته فى مضيق
التصحيح من الاقدام عند المرتبة الرابعة والستين من هذه الصحيفة عند قوله الفصل
الرابع فى مآثر السنة السادسة وما فيها من غزواته عليه الصلاة والسلام فلم آخذ
فى تتميم أمر طبعه لانه وقد بقى الباقى من مسودته مرتبة ومصححة ولا تقصيرا فاقصد
بذلك بر الوالد واداء الحق الدائم ولم أصرح به ذلك الى الا ان يكون عهد به علىّ
حوطة على امثاله المرعية من أن ينسب اليه ما لم يعده سواء أصاب أم اخطأ نسبة
معنى او محرف لاسيما وقد قوى عزمى على ذلك المصرح لى من نظارة ديوان
المعارف المصرية بأن اكون على قدم الوالد فى نشر هذه الآثار المصرية وحيث
كانت هذه السيرة النبوية من أهم التاريخ المسمى بتوفيق الجليل فى تاريخ مصر وتوثيق
بنى اسماعيل الذى كان قد شرع الوالد فى تأليفه بأمر حضرة ولى النعم الخديو المعظم
وطالما أمر بتتميمه حضرة سمو نجله الفخيم صاحب الدولة ولى العهد حفظه الله
وحرس علاه فاستخرت الله سبحانه لارادته الالهية خاصة فى ان تكون الاعمال
الى ان تشرف على آفاق هذه الخديوية المصرية انوار محاسن آثارها العصرية
بدور أسفاره السافرة الساطعة وقد تم طبع هذه السيرة من تاريخ توفيق الجليل
مع أن الجزء الاول منه تم طبعه بالمطبعة الخديوية الكبرى وتمامه وهو هذا
الجزء بعد ما حول ديوان عموم المعارف الجليل الشأن ثم انا وصى الله الاعمام وكافة
قراء المطالع هو رب قراءة الكتاب تشوقى الى ان التمس من نظارة المعارف العمومية
ان تساعدنى فى الحضرة بطبعه الكبرى الخديوية بما يضمن اتباع الاهم
الكريم الاول الذى كان الوالد رحمه الله اعتمد به على طبع هذا التاريخ وعولنا
ان يكون الاجزاء التالية تابعة للجزء الاول المذكور الذى كان قد طبع فى المطبعة
الكبرى ذات الحسن المشهور وأما هذه السيرة التى هى عبارة عن الجزء الثانى من
ذلك الكتاب فعندنا صورة طبعها على حدتها فى مطبعة المدارس الملكية فى سرعة

صلى

محمد صلى الله عليه وسلم من أنجب النجباء وقد كان ذلك بأمر سعادة الأمير الأصيل رب
المعارف السابقة والخدمات الوطنية النافعة الذي خلد له حب الوطن ذكرا
لا يمحى وطالما ظهرت أعماله الجليلة في غرس منافع المدارس المباركة صلاحا ونجحا
المعروف في مراتبه العلية فلا مزاحم ولا مشارك سعادة مدير المدارس الأسبق علي باشا
مبارك هذا ومن فيض الشكر الواجب الثابت الثناء الجميل على فضل ناظر
المدارس الحالي صاحب الفضل الرفيع والشرف الباذخ سعادة محمد باشا ثابت حيث هو
يطلع الآن بعين العناية ويتعهد بالكمال الكتاب ونتوجه أفكاره الجليلة
لنشر ما يرام نشره من مواد فن المطبوعات كسائر ما تحت نظارة سعادته في الديوان
المذكور من فروع وأصول الإدارات وبالجملة فما زال على جميع من سلف هو في
الحقيقة ينادي بلسان الحال على دار إرادته كاسية وحرما واسكندرا رأيه سياسة وعزما
حضرة الخديو المعظم والدوار الأفخم ولي النعم (أفندينا إسماعيل باشا)
أدام الحق سبحانه وتعالى وجوده وخلد في الخديوية المصرية
فضله وجوده ورفع بالنصر المؤيد والفوز المؤبد
راياته وبنوده وكبت بعزه الشديد حسوده
بجاه سيد المرسلين عليه وعلى آله
وأصحابه أفضل صلاة وأتم
سلام ما فاز مؤمن
بحسن الختام
آمين
تم

(طبع)
(بمطبعة المدارس الملكية تحت نظارة قلم الترجمة وصحف الوقائع سنة ١٢٩١)*
(من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى السلام وأسنى التحية)